جامعة الدول العربية
معهد البحوث والدراسات العربية

رسائل وبحوث

الدولة السعودية الأولى

١٧٤٥م – ١٨١٨م
١١٥٨هـ – ١٢٣٣هـ

باحث هاوي الحقيقة
@AzizUf

تاليف
عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

١٩٦٩

جامعة الدول العربية

معهد البحوث والدراسات العربية

رسائل وبحوث

الدولة السعودية الأولى

١٧٤٥م – ١٨١٨م
١١٥٨هـ – ١٢٣٣هـ

باحث هاوي الحقيقة
@AzizUf
عبدالعزيز فهد القاسم

تاليف
عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

١٩٦٩

تقديم

بقلم الأستاذ الدكتور أحمد عزت عبد الكريم

مدير جامعة عين شمس

ظهرت فى السنوات الأخيرة دراسات كثيرة متنوعة بلغات مختلفة تناولت شبه الجزيرة العربية : جغرافيتها ، تاريخها ، أوضاعها الاقتصادية والسياسية ، وكان طبيعياً أن يزداد الاهتمام بدراسة أحوال الجزيرة العربية فى أعقاب تفجر البترول وظهور الوحدات السياسية الكبرى ، وفى مقدمتها المملكة العربية السعودية .

وقد أقبل بعض الباحثين من شباب جامعاتنا ومعاهدنا على الإدلاء بدلوهم فى هذا الحقل ، فقاموا بدراسات قيمة ، ويسرنى أن أقدم اليوم إحدى هذه الدراسات ، وهى الرسالة التى أجازها معهد البحوث والدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة لدرجة ماجستير فى التاريخ العربى الحديث للباحث السيد/عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم .

وقد عرفت السيد/عبد الرحيم منذ سنوات ، وعرفت فيه حبه للعلم وإخلاصه للبحث وما يقتضيه ذلك من صبر ودأب . وقد ظل تحت إشرافى بضع سنوات يجمع مادة رسالته من الوثائق والمراجع الأصلية وغيرها ، ينقب ويقرأ ويراجع ويستخلص النتائج ، ويحاول فى هذا كله أن يكون موضوعياً ، لا يفتنه رأى ولا يستهويه اتجاه معين ، حتى استوى له بعد جهد جهيد هذه الرسالة التى يسرنى أن أقدمها اليوم لجمهور القارئين ، بعد أن تفضل المعهد مشكوراً بنشرها على نفقته ، لتأخذ مكانها الجدير بها بين الدراسات العلمية الجادة لتاريخ الجزيرة العربية ، وخاصة فى تلك الحقبة البعيدة من الزمن ، التى

شهدت قيام الحركة السلفية التى عرفت باسم الدعوة الوهابية ، لتصبح — على مر الزمن — أصلا تفرعت منه حركات إصلاحية كثيرة فى بقاع مختلفة من العالم الإسلامى ، ولتكون النواة التى التف حولها ملك سعودى ، نشأ فى منتصف القرن الثامن عشر فى كنف هذه الدعوة ، ثم أثبت قدرته على البقاء رغم ما تعرض له من عواصف فهو لا يزال حتى اليوم أكبر تشكيل سياسى فى الجزيرة العربية .

وقد عنى الأستاذ عبد الرحيم عبد الرحمن بتتبع تاريخ هذه الدولة فى مرحلتها الأولى ، وقد عرفت باسم : الدولة السعودية الأولى (١٧٤٥ م — ١٨١٨ م) ، منذ قامت وتوسعت ثم استكملت بناءها السياسى حتى انهيارها نتيجة لاصطدامها بالدولة العثمانية ممثلة آنذاك فى قوة مصر على عهد محمد على ، فى النصف الأول من القرن التاسع عشر .

القاهرة ١٩٦٩ أحمد عزت عبد الكريم

مقدمة المؤلف

تاريخ الدولة السعودية الأولى ، موضوع هذه الدراسة التى نقدمها اليوم ، شغل فترة طويلة إلى حد ما ، امتدت من ١١٥٨/١٢٣٣ هـ — ١٧٤٥/١٨١٨ م أى حوالى ثلاثة وسبعين عاماً تقريباً .

ويجب أن نشير منذ البداية ، أن هذه الفترة كانت عبارة عن سلسلة من الأحداث المتتابعة المتتالية ، التى شملت معظم أجزاء جزيرة العرب ، وأجزاء من العراق ، وأطراف بلاد الشام ، نتيجة لمحاولة آل سعود بسط نفوذهم على هذه الأجزاء من الولايات العربية التى كانت تابعة للدولة العثمانية آنذاك .

وقد دفعنى إلى دراسة هذه الفترة من تاريخنا العربى عاملان :

أولهما : أننى رأيت فى (الدعوة السلفية) التى نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والتى أصبح يطلق عليها اسم « الدعوة الوهابية » عاملا من أبرز عوامل التجديد التى بدأت تميز المجتمع العربى منذ القرن الثامن عشر الميلادى ، كما أننى رأيت فيها امتداداً لحركات الإصلاح الدينى والاجتماعى التى استمرت متصلة على امتداد تاريخنا العربى ، منذ ابن تيمية الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) (ت ٧٢٨ هـ — ١٣٢٧ م) . كما أنها مهدت لحركات الإصلاح التى ظهرت بعدها فى العالمين العربى والإسلامى .

ثانياً : أننى رأيت فى الدولة السعودية الأولى — التى قامت على أساس مؤازرة حركة الإصلاح السلفى — إحدى المرات الكبرى فى تاريخ العرب فى العهد العثمانى ، وأصبحت معلماً بارزاً من معالمه .

لذا أقبلت على دراسة هذه الفترة متخذاً من تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية آنذاك سنة ١١٥٨ هـ — ١٧٤٥ م

بداية لتاريخ هذه الدولة على اعتبار أنه منذ هذا التاريخ بدأ نجم آل سعود يأخذ فى الصعود .

والحق أنه بعد دراستى لتاريخ الدولة السعودية الأولى ، وملازمتى لهذا الموضوع ملازمة جادة ، ما ينوف على أربع سنوات ، يمكننى أن أقول إن تاريخ هذه الدولة ، أشبه ما يكون بملحمة تاريخية كبرى ، فقد كان يلفت نظرى دائماً عند قراءة المصادر الأصلية لهذا التاريخ أننى لا أكاد أجد يوماً من أيام تاريخ هذه الدولة يخلو من غزو أو غارة يشنها آل سعود وأتباعهم على منطقة من مناطق شبه الجزيرة العربية ، أو قبيلة من قبائلها ، أو على أطراف الولايات العربية فى العراق وبلاد الشام .

ومما هو جدير بالإشارة أن هذه الدولة تعرضت فى مراحل تاريخها الأولى لكثير من الأخطار ، إلا أنها استطاعت أن تصمد لها وتتغلب عليها ، حتى غدت تجربة رائدة فى عصرها ، على أرض جزيرة العرب ، كما سيلمس القارىء ذلك من خلال فصول هذه الدراسة .

وقد بلغت هذه الدولة ذروة مجدها فى عهد الإمام سعود بن عبد العزيز المعروف بسعود الكبير [١٢١٨/١٢٢٩ هـ — ١٨٠٣/١٨١٤ م] إذ بعد فترة حكم هذا الإمام ، دخلت الدولة فى دور انهيارها الذى تم فى عام ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م على يد الجيوش المصرية تحت قيادة ابراهيم باشا .

وقد سرت فى دراستى لتاريخ هذه الدولة على منهج علمى :

فدرست الأوضاع الدينية والاجتماعية والسياسية ، التى كانت سائدة فى إقليم نجد المهد الأول للدولة ، أو بعبارة أخرى درست البيئة الأولى لهذه الدولة وظروفها .

ثم درست بعد ذلك الدعوة السلفية ومبادئها وجهود الشيخ محمد بن

عبدالوهاب فى سبيل نشر دعوته، ووضعت تقييماً لهذه الدعوة مالها وما عليها ، ثم تعرضت لجهود آل سعود فى توحيد إقليم نجد وإخضـــاعه لسيطرتهم وجهودهم فى إخضاع المناطق المجاورة لهذا الإقليم ، وأوضحت العوامل التى أدت إلى نجاحهم فى السيطرة على هذه المناطق حتى أصبحت دولتهم تطل على الخليج العربى وخليج عمان فى الشرق ، وعلى البحر الأحمر فى الغرب .

وقد اتضح لى أثناء دراستى ، أن مبادىء الدعوة السلفية كانت دائمـاً أسبق فى الوصول إلى المناطق التى يتعرض لها آل سعود ، وبالتالى لعبت دوراً كبيراً فى انتصارهم على تلك المناطق .

أما تطلع آل سعود إلى المناطق العراقية الواقعة غربى الفرات ، وأطراف بلاد الشام فقد خصصت له فصلا مستقلا ، أوضحت فيه عوامل هذا التطلع وتحدى سلطات الدرعية للدولة العثمانية وإعلانها زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ومنعها لمحامل الحج التى تأتى من الولايات التابعة لآل عثمان .

ثم درست نظم الحـكم والإدارة للدولة وعلاقاتها الخارجية التى أثبتت أنها لم تبدأ فى الوضوح إلا فى الطور الأخير من تاريخ الدولة ، وأثبت أنها لم تـكن علاقات ود وصداقة ، بل ظهر لى أن معظم القوى العالمية التى عاصرتها والتى كان لها اهتمام بالخليج العربى ، كانت تتربص بها وترجو انهيارها ، ولقد أثبتت الوثائق المصرية أن شاه إيران الشيعى بارك نجاح محمد على والى مصر السنى فى تحطيم هذه الدولة والقضاء عليها [1] .

وخصصت الفصلين الحادى عشر والثانى عشر لدراسة الحملات المصرية التى جردت ضد الدولة السعودية — دراسة وثائقية — اعتمدت فيهـا على الوثائق المصرية والسعودية ووثائق حكومة الهند البريطانية ثم أشفعت بالبحث

(١) انظر الفصل العاشر ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ ، وملحق رقم ١٧ ، ص ٤٠٠ — ٤٠١ .

مجموعة من الوثائق لم يسبق نشرها ، رأيت فيها إثباتاً لما وصلت إليه فى بحثى وفائدة للتاريخ .

وقد اعتمدت على مصادر متنوعة أستطيع تصنيفها من حيث النوع فى المجموعات التالية :

١ — وثائق عربية بعضها نشر والبعض الآخر غير منشور .

٢ — وثائق أجنبية منشورة .

٣ — مصادر عربية أصلية فى الموضوع .

٤ — كتابات الموظفين السياسيين والرحالة الأجانب الذين زاروا أو أقاموا فى بعض مناطق شبه الجزيرة العربية .

٥ — الدراسات الحديثة العربية والأجنبية التى لمست بعض جوانب البحث .

أما من حيث اتجاهات هذه المصادر ، وبخاصة الأصلية منها وموقفها من الدعوة السلفية وآل سعود فيمكن تصنيفها إلى المجموعات التالية :

١ — مصادر موالية لآل سعود والدعوة إلى درجة التطرف حتى إنها تعتبر أن كل من لم يتبع نظام الدولة ومبادىء الدعوة ، أهل شرك تجب محاربتهم وتعتبر ديارهم ديار حرب وجهاد ، فهى تعبر عن وجهة نظر سعودية بحتة .

٢ — مصادر معادية للدعوة وآل سعود ، وتنظر إليهم على أنهم أصحاب بدعة تجب محاربتهم ، ويدخل فى نطاق هذا النوع الوثائق المصرية التى سجلت حروب الجيوش المصرية فى بلاد العرب .

٣ — أما المصادر الأجنبية بما فيها الوثائق ، وكتب الرحالة ، فلها وجهة نظر تتفق وأهدافها ومصالحها ، حتى إنها كثيراً ما يجانبها الصواب .

٤ — أما الدراسات الحديثة التى لمست بعض جوانب الموضوع فلا يوجد بها ما يشبع نهم الباحث .

وإزاء هذه المصادر المختلفة فى اتجاهاتها ، يواجه الباحث صعوبة الوصول إلى الحقيقة التاريخية ، وقد حاولت جهد طاقتى أن أصل إليها ، متحريا ومنقبا عنها بين هذه المتناقضات .

والحق أن توجيهات وإرشادات أستاذى الدكتور أحمد عزت عبدالكريم مدير جامعة عين شمس ، كانت المصابيح التى أضاءت الطريق أمامى ، وهدتنى إلى سبل البحث السليمة ، فقد منحنى أستاذى من جهده ووقته الكثير ولم يترك فرصة متاحة لديه إلا ومنحنى إياها ، لقراءة فصول الرسالة معى وتوجيهى وإرشادى ، وإنى أعتقد جازماً أنه منحنى من وقته وجهده وعطفه أكثر مما يمنحه أى أستاذ لتلميذه ، فإليه أقدم آيات الشكر والعرفان بالجميل ، وإن كنت أعلم أن ذلك أضعف الإيمان .

وقد زادنى أستاذى من عطفه الأبوى ، حينما سعى جاداً فى مساعدتى وقبل مخلصاً أن يشرف على بحثى لرسالة الدكتوراه عن « الريف المصرى فى القرن الثامن عشر ».

كما أتقدم بخالص شكرى وعميق امتنانى إلى أستاذى الجليلين ، سيادة المؤرخ الكبير الأستاذ محمد رفعت رئيس قسم الدراسات التاريخية بمعهد البحوث والدراسات العربية ، والدكتور صلاح العقاد لتفضلهما بقراءة البحث ومناقشته ولا يسعنى إلا أن أقدم جزيل شكرى لمعهد البحوث والدراسات العربية — على ما قدمه لى من عون مادى أثناء طبعى للرسالة — والقائمين عليه والعاملين به جميعاً لما قدموه لى من عون أثناء إعدادى لرسالتى . ومن واجب الشكر والعرفان بالجميل أن أقدم شكرى إلى السادة موظفى دار الوثائق التاريخية والسادة أمناء مكتبات جامعة الدول العربية وجامعتى عين شمس والقاهرة وإلى كل من مد يد العون لى ، أقدم وافر شكرى وعظيم امتنانى ، والله الموفق وعليه قصد السبيل .

عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

الفصل الأول

إقليم نجد الأرض والسكان

---

١ — لمحة موجزة عن الأرض .

٢ — حالة السكان الاجتماعية .

٣ — الحالة الدينية .

٤ — الحالة السياسية .

الفصل الأول

إقليم نجد : الأرض والسكان

لمحة موجزة عن الأرض :

إن دراسة الدعوة السلفية — التي قامت في نجد — والدولة السعودية الأولى تدعونا إلى أن نقدم دراسة موجزة لإقليم نجد الأرض والسكان ، كي نكون على دراية بأسماء الأماكن والمواضع التي كانت مسرحاً لتاريخ الدعوة والدولة .

وكلمة نجد تطلق على المرتفع من الأرض ، وإقليم نجد يحتل القسم الأوسط من شبه الجزيرة العربية . ويحده من الغرب إقليم الهضاب العربية والحجاز ويمتد إلى الشرق حتى نطاق الدهناء والأحساء . ويوجد بنجد كثير من الأودية أهمها وادي حنيفة الذي يعد من أكبر أودية شبه الجزيرة العربية . ووادي الرمة الذي يبدأ بالقرب من المدينة المنورة ويمر بالقصيم .

ويمكن اعتبار البلاد النجدية سلسلة من الواحات المتشابهة في التشكيل المختلفة في المساحة التي يتوافر فيها الماء الجوفي قريباً من سطح الأرض . وتمتد هذه الواحات من القصيم إلى وادي الدواسر على أطراف سلسلة جبل طويق[1] . وأهم واحات نجد :

القصيم : واقعة إلى ما بعد المنحدرات وجنوبي جبل شمر وتمتد في خط في خط يبلغ طوله أكثر من مائة ميل[2] . ومركزها بلدة بريدة التي تقع على

---

(١) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ١٥ ؛ عمر رضا كحالة جغرافية شبه جزيرة العرب ص ٦٠ .

(٢) حافظ وهبه ، جزيرة العرب في القرن العشرين ص ٣ .

مرتفع رملى وأرضها ذات خصوبة والمياه متوفرة فى هـذه الواحة وتمتاز بكثرة بساتينها ومن قراها الأسياح وعين ابن فهد وحنيظل والشقة والعيون [١].

السـدير : هى الجزء الشمالى من طويق وتعتبر أكبر نواحى الجبل والجزء الرئيسى من هذه الواحة هو السهـل المنخفض المأهول بالسكان وأهم بلدان السدير الجمعـة (عمرت ٨٢٠ هـ — ١٤١٧ م) والزلفى وجلاجل والتويم والداخلة والحصون والجنوبية وحوطة والعودة وحرمة وروضة سدير وكانت واحة سدير تعرف فى ذلك الوقت « بريف نجد لأجل ماتحتوى عليه من الزروع والفواكه الطيبة وطيب الفلاة والعشب » [٢].

الحـوطة : واحة مركزها بلدة الحوطة وهى كثيرة البساتين ويتبعها من القرى نعام والحلوة .

الحـريق : مركزها بلدة الحريق وهى شديدة الحرارة وآبارها بعيدة الغور [٣].

وادى الدواسر : يمس حافة الربع الخالى ومن أشهر نواحيه السليل ومن قراها الدمام وحنابج ورويسة وواحات وادى الدواسر غنية بشجر الأثل والكروم والنخيل وخاصة فى الجهة الشرقية .

الوشـم : واحة كبيرة وعاصمة هذه الناحية شقراء ومن بلدانها ثرمداء وأثيثة وحريملا والقرائن وكان لشقراء مكانة تجارية عظيمة مع الهند وسوريا والعراق ولا يزال أهلها يجوبون مختلف الأقطار فى سبيل التجارة [٤] والجنوب

---

(١) عمر رضا كحالة ، جغرافية جزيرة العرب ص ٢٤٨ .

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبـد الوهاب ، تحقيق الدكتور أحمد أبو حاكمه ص ١٤٤ .

(٣) عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص ٢٣٣ .

(٤) نفس المرجع ص ٢٤٦ .

المشرق من هـذه الناحية خصب كثير المياه أما الوسط والشمال فأرضهما غير خصبة .

المحمـل : تقع هذه المنطقة شمال العارض وأهم قراها ثادق وهى بلدة صغيرة فى الشمال الشـرقى من حريملا . وفى هذه الواحة توجد أشجار النخيل بكثرة وأرضها قابلة للحرث [١] . وتوجد بها بعض العيون والآبار.

العارض : مركز هذه الناحية مدينة الرياض ، ومنطقة العارض عبارة عن واحة كبيرة جميلة تمتد من سفح جبل طويق شرقاً إلى المنفوحة . وتتوسط بلدان نجد ، ومن بلدانها . الدرعية منشأ آل سعود ومقر إمارتهم . والعمارية والجبيلة والعيينة . وهذه المنطقة غنية بالعيون والآبار ذات المياه العذبة وتوجد فيها أشجار النخيل والبقول [٢] .

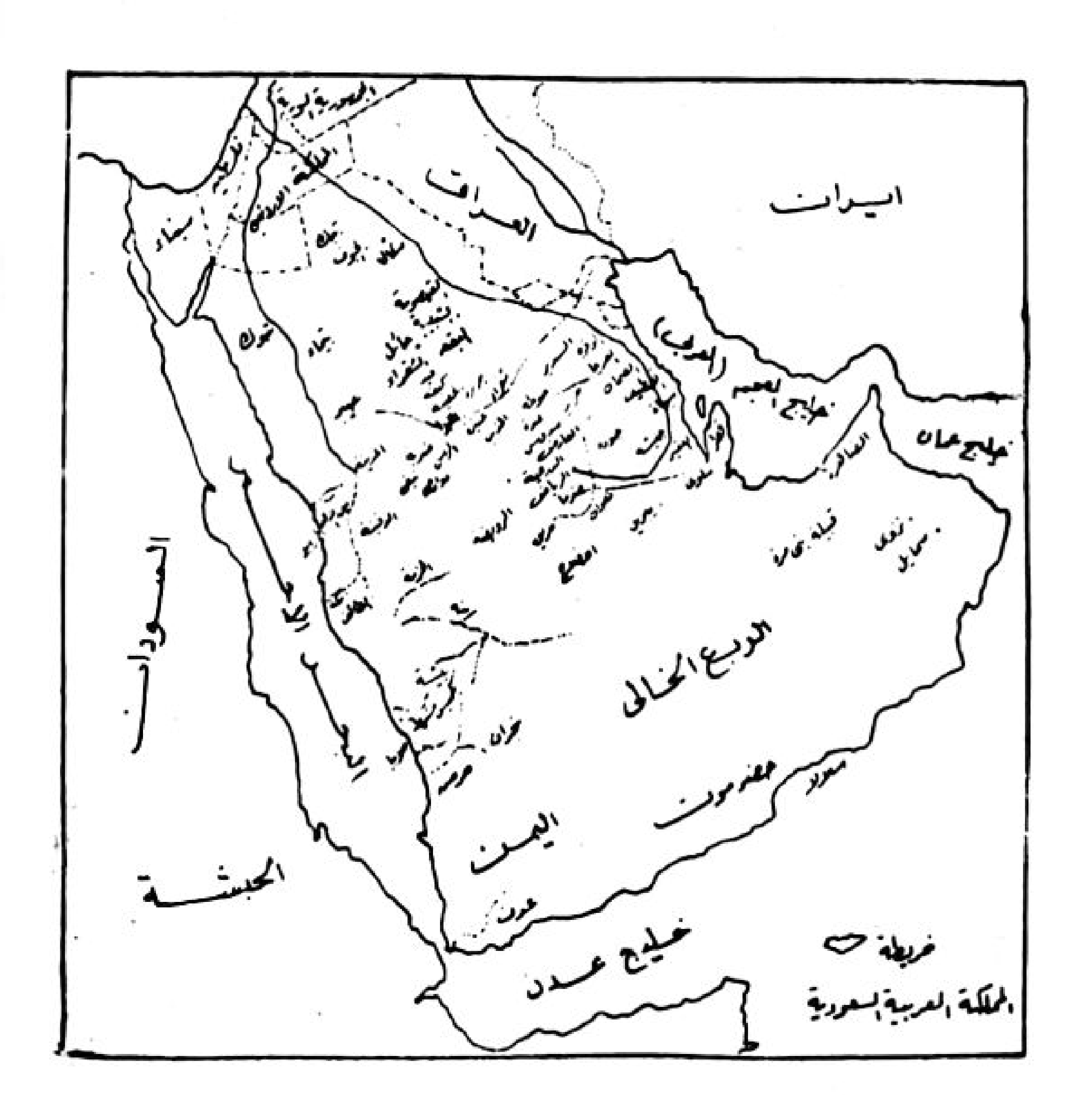
الخـرج : ناحية خصبة التربة غزيرة المياه تزرع فى أرضها الحبوب وفى بساتينها الثمار وقاعدتها الدلم ومن قراها السلمية وزميقة ونعجان والسيح .

جبل شمر : تذكره لأنه يعتبر كجزء متمم لإقليم نجد . ومنطقة جبل شمر عبارة عن جبال أجا وسلمى وتسكنها قبائل شمر المشتغلة بالزراعة نظراً لخصوبة هذه المنطقة وتوفر المياه [٣] .

بيشة : نتكلم عنها لأنها لعبت دوراً هاماً فى تطور تاريخ الدولة السعودية الأولى ولأن بعض الجغرافيين يعدها من إمارات العارض [٤] . ومركزها بيشة وهى بلدة زراعية مكونة من جملة قرى واقعة فى الوادى المسمى باسمها . وهى نقطة هامة على الطريق الممتد من وادى الدواسر إلى الحرمين ومن أهم الأماكن الواقعة بين الطائف وصنعاء ويعتبرها العرب مفتاح اليمن .

ونظراً لبقاء سكان إقليم نجد فى شبه عزلة فترة طويلة من الزمن عن

(١) عمر رضا كحالة ، جغرافية جزيرة العرب ، ص ٢٤١ .
(٢) أمين الريحانى ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٢٥ .
(٣) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٤٢ — ١٤٧ (عن حدود نجد وواحاته).
(٤) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ، ص ٦٧ .



ايران
العراق
الكويت
خليج العجم
خليج عمان
سيناء
تبوك
تيماء
السودان
الحبشة
الربع الخالي
اليمن
حضرموت
نجران
عدن
خليج عدن
خريطة
المملكة العربية السعودية

الاختلاط فإنهم يمثلون العرب الخلص ، وإن كان يوجد فى بعض المدن والقرى النجدية عناصر كثيرة من الزنوج ، الذين اختلطوا بالسكان الأصليين ، الذين ينتمون إلى جنس البحر المتوسط(١) .

أما عن توزيع القبائل فى إقليم نجد فى فترة قيام الدولة السعودية الأولى فقد أصبح يختلف مما كان عليه قبل الإسلام نظراً لتحرك كثير من القبائل إلى خارج شبه الجزيرة ، إما على هيئة أفراد فى القوات العربية المحاربة أو كمجموعات استقرت فى البلاد التى فتحتها الجيوش الإسلامية ؛ لأنها وجدت حياة أفضل فى هذه البلاد مما كانت عليه فى موطنها الأصلى فى نجد . وهذا يفسر لنا سر اختفاء بعض القبائل من توزيعها الجغرافى حالياً(٢) . وأشهر الأمثلة لذلك قبائل أسد وطىء وبكر بن وائل فإن بعض هذه القبائل استقر فى العراق وفى سوريا . وأهم القبائل التى كانت تعيش فى نجد أيام الدولة السعودية الأولى هى : عنزة وشمر والدواسر وسبيع وتميم وقحطان والظفير والصلبة ويجاور هذه القبائل فى الأحساء آل مطير وبنو خالد والمناصير والعجمان وآل مرة وبنى ياسر والعوازم والرشايدة(٣) .

الحالة الاجتماعية :

لم تكن الحالة الاجتماعية فى إقليم نجد تختلف مما كان سائداً فى ذلك الوقت فى أنحاء شبه الجزيرة العربية فهناك عدة سمات تميز هذه الحالة :

أولا : القبيلة هى الوحدة الاجتماعية الأساسية .

ثانياً : السكان إما بدو وإما حضر .

ثالثاً : تحكم العرف والتقاليد المتوارثة فى القبيلة .

وقد لعبت هذه الأمور دوراً هاماً فى تاريخ السكان الاجتماعى . فـكل

---

(١) دكتور محمود طه ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، جـ ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٣ . K.S. twitchell, Saudi arabia, p. 81.

(٣) دكتور محمود طه ، المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

قبيلة لها شيخها الذى له الرياسة فيها وهو عادة أوفر أفراد القبيلة ثراء وهو الرجل الذى يشار إليه بالبنان بين أفرادها .

وأفراد القبيلة الواحدة يتفاوتون فيما بينهم فى الغنى . وأحياناً كثيرة كان أفراد القبيلة الواحدة يقطنون فى مناطق متفرقة وفى قرى مختلفة كما أنه كان يوجد بين أفراد القبيلة البدو الرحل ، والحضر المستقرون .

أما البدو فإنهم ينتقلون بأغنامهم وإبلهم وراء المرعى حيثما وجد ويتجولون فى مناطق مختلفة بحثاً وراء سبل رزقهم . وهذه الحياة الخشنة التى كان يحياها البدو كانت سبباً فى تقاتل القبائل من أجل المرعى والماء فإذا كثر السكان أو ضنت عليهم الأرض فلا سبيل أمامهم إلا القتال والإغارة على من جاورهم أو الهجرة إلى أراض جديدة إن كان إلى الهجرة سبيل وهـذا يفسر لنا بعض الهجرات التى استمرت حتى القرن التاسع عشر من قلب نجد إلى سوريا والعراق وشواطىء الخليج [١] .

أما الحضر فهم سكان الواحات والقرى الذين كانت لهم صفة الاستقرار ورغم ذلك فإن حياتهم كانت متأثرة بحياة البدو لما بينهم من صلات المصاهرة والقربى والتجارة . والحضر تختلف طباعهم باختلاف المناطق التى يعيشون فيها وظروف الحياة التى تحيط بهم . وقد كانوا فى تنافس وتفاخر دائم فأهل القصيم يفضلون أنفسهم على سائر سكان نجد بالعلم والمعرفة وسماحة الخلق والإحاطة بأحوال العالم وأهل العارض يعتزون بالشجاعة والصبر على المكاره والمحافظة على شمائل العرب [٢] .

عموماً كان المجتمع النجدى فى ذلك الوقت مجتمعاً قبلياً فالفرد الذى يستطيع عن طريق القوة والقوة وحدها أن يسيطر على منطقة يصبح أميرها

---

(١) حافظ وهبه ، المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) عمر رضا كحالة ، المرجع السابق ، ص ٢٤٦ .

والسيد المطاع فيها . فقد كان الغزو سبيلا إلى الاستيلاء وسبيلا رحباً إلى الرزق والثراء وهناك بيت شعر يتمثلون به :

بسفك الدما يا جارتى تحقن الدما وبالقتل تنجو كل نفس من القتل[1]

ويذكر صاحب لمع الشهاب أن « من صفات أهل نجد التجارة . فإن كثيراً منهم تجار يسفرون إلى أطراف الروم[2] وبقية جزيرة العرب ... نعم يأتيهم من طريق القطيف والبحرين شيء كثير . واعلم أن أنواع هذه التجارات كلها الغالب فى جلبتها هم أهل نجد خاصة »[3] .

ورغم حب بعض أهل نجد لممارسة مهنة التجارة وسفر كثير من تجارهم إلى حلب ودمشق ومصر والهند وغيرها ، إلا أن التجارة فى الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية فقدت أهميتها كمورد رزق لبعض سكان نجد نظراً لفقدان الأمن وعدم استقرار النظام وانتشار الفوضى .

الحالة الدينية :

وكان أكثر السكان فى ذلك الوقت حاضرهم وباديهم جهلة تسيطر عليهم البدع وأصبحت معرفتهم بقواعد الدين الصحيحة جد نادرة وتمكنت فى نفوسهم عقائد خاطئة بعيدة عن تعاليم الإسلام . حتى أصبح من العسير إقلاع الناس عنها وبذا بدأوا يميلون إلى التوسل بالقبور وغيرها من الجمادات التى جاء الإسلام ليحطمها ويقضى على عباداتها .

والناظر فى أحوال نجد قبيل ظهور المصلح السلفى الشيخ محمد بن عبدالوهاب يجد أن الناس أصبحوا يقدسون الأولياء ويحجون إلى قبورهم ويتمسحون إلى

---

(١) أمين الريحانى ، المرجع السابق ، ص ٧ — ٨ .

(٢) يقصد بلاد الدولة العثمانية .

(٣) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب (تحقيق د . أحمد أبو حاكمة) ، ص٨٣ — ٨٤ .

أضرحتهم ويقدمون لهم النذور ويستشفعون بهم لجلب منفعة أو لدفع ضر وأضحت هذه الأمور عقيدة راسخة عندهم[١] .

وانتشرت الأضرحة والقبور فى كل مكان ففى الجبيلة يوجد قبر زيد بن الخطاب ، الذى كان أهل نجد يحجون إليه لاعتقادهم أنه يفرج عنهم الكرب ويقضى لهم حوائجهم ويكشف عنهم النوب[٢] .

وفى الفدا يوجد ذكر النخيل المعروف بالفحال وكان يقصده النساء والرجال يتبركون به ويعتقدون فيه . وكان لأهل نجد اعتقاد فى شجرة تدعى شجرة « الذيب » تأمها النساء اللاتى يرزقن بمواليد من الذكور ويعلقن عليها الخرق البالية لعل أولادهن يسلمون من الموت والحسد . كما تأمها أيضاً طوائف النساء اللاتى يردن الأزواج والعواقر ليرزقن بالأولاد والعوانس ليأت لهن الخطاب . ولقد انهال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما بعد بنفسه على هذه الشجرة وقطعها .

كذلك كان لهم اعتقاد فى غار كبير فى أسفل الدرعية يزعمون أنه انشق بمعجزة لامرأة تسمى بنت الأمير ليحميها من تعذيب الفسقة الذين كانوا يريدون بها سوءاً فأصبح الناس يرسلون إلى هذا الغار اللحم والخبز هدية .

وكان فى الخرج رجل يدعى « تاج » نهج الناس فيه سبيل الطواغيت فانهالت عليه النذور واعتقدوا فيه النفع والضر وكانوا يذهبون للحج إليه أفواجاً وينسجون حوله كثيراً من الأساطير والخرافات . ولم يقف الأمر بأهل نجد عند هذا الحد بل إنهم كانوا يذبحون الذبائح ويرمون لحومها فى الفلوات زاعمين أن الجن والشياطين يأتون هذه اللحوم فيأكلونها ويتم بذلك رضاهم على مرضاهم فيبرأون[٣] .

---

(١) فريد مصطفى ، آل سعود فى التاريخ ، ص ٨ .

(٢) حسين بن غنام ، تاريخ نجد (تحقيق ناصر الأسد) ص ١١ .

(٣) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١١ — ١٢ .

والحقيقة أن هذه الحالة لم تكن مقصورة على أهل نجد دون بقية سكان شبه الجزيرة العربية وما يجاورها من أقطار العالم العربي . فإن أهل الحجاز لم يكونوا أحسن حالا ، فقد انحرف الناس عن الدين الصحيح ومزجوا العقائد الدينية ببعض البدع والخرافات بل إن الدعاء عند القبور أصبح من الأمور المألوفة لدى كافة الناس . فما يفعل عند قبر خديجة فى المعلى وعند قبة أبى طالب من استغاثة وطلب شفاعة شيء تهول له النفوس . ولم تكن الحالة الدينية فى مصر واليمن وحضرموت والشحر وعدن ونجا والحديدة وحلب ودمشق والعراق وبلاد الأكراد والقطيف والبحرين والإحساء بأسعد حالا مما كان عليه الوضع فى نجد ، ففى كل بلد من هذه البلدان يوجد قبور أو جماد أو نبات أو شيخ يعكف الناس على تعظيمه والتقرب إليه والاستغاثة به[١] .

ولا شك أن تلك صورة سيئة لما وصل إليه حال المسلمين . كانت فى أشد الحاجة إلى مصلح يعمل على إصلاحها وإبرازها فى إطار إسلامى صحيح . ومما تجدر الإشارة إليه أن المذهب الذى كان سائداً فى إقليم نجد هو مذهب أحمد بن حنبل فابن بشر يذكر فى سوابقه سلسلة من العلماء الحنابلة الذين عاشوا فى بلدان نجد وقراها وأخذ عنهم كثير من فقهاء هذا الإقليم أصول ومبادىء هذا المذهب منذ بداية القرن العاشر الهجرى، على رأسهم أحمد بن يحيى بن عطوة بن زيد التميمى الحنبلى الذى كان فى الجبيلة وتوفى سنة ٩٤٨ هـ — ١٤٤١ م والذى تلقى على يديه أصول المذهب كثير من الفقهاء الحنابلة من بينهم شهاب الدين أحمد بن عبد الله وأحمد بن محمد بن مشرف[٢] . وشرف الدين أبو النجا موسى ابن أحمد بن موسى الذى كانت له يد طولى فى التعريف بالمذهب الحنبلى وتنقيحه وتهذيب مسائله وترجيحه وأخذ عنه كثير من فقهاء نجد[٣] .

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) عثمان بن بشر ، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

(٣) نفس المرجع ص ٢٢ .

ومن بين الذين اهتموا بدراسة وتدريس مذهب أحمد بن حنبل فى نجد جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ووالده؛ فقد كان بيت هذه الأسرة ملتقى لطلاب العلم والراغبين فى دراسة مذهب أحمد بن حنبل .

ورغم ضعف مذهب أحمد بن حنبل فى الأقطار الإسلامية الأخرى إلا أنه كان الغالب فى إقليم نجد ؛ فلم تذكر ترجمة لقاض من قضاة إمارات نجد إلا ومن بين أوصافه الحنبلى ، ولم يذكر عالم حنبلى فى القاهرة أو دمشق دون أن يكون من بين أساتذته أو تلاميذه أحد النجديين [1] .

وانتشار هذا المذهب فى إقليم نجد يفسر سر ذيوع مؤلفات ابن تيمية وهو على مذهب أحمد بن حنبل فى هذه المنطقة وربما كان وصول هذه المؤلفات إلى نجد سبباً فى ترجيح هذا المذهب على غيره من المذاهب . يؤيد ذلك أن هذه المؤلفات كان لها تأثير كبير على الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد عكف على دراستها واعتناق آراء صاحبها منذ فترة مبكرة وقبل قيامه بالرحيل لطلب العلم خارج نجد .

وعلى أى حال؛ فإنه رغم تأثير الطرق الصوفية فى القرن الثامن عشر الميلادى (١٢ هـ) على كثير من الفقهاء إلا أنه ظهر من بين حنابلة نجد فقهاء لهم نزعة تجديدية قبل ظهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعلى رأس هؤلاء الفقهاء عثمان بن أحمد النجدى المتوفى سنة ١٠٩٧ هـ — ١٦٨٥ م والذى صنف كثيراً من المصنفات فى الفقه الحنبلى [2] وليس أدل على إعجاب علماء نجد بمذهب ابن حنبل من قول العلامة مرعى بن يوسف النجدى الحنبلى المشهور بالأزهرى لتلقيه العلم بالأزهر (توفى سنة ١٦٢٣ م — ١٠٣٣ هـ) يقول :

لئن قلد الناس الأئمة إننى ... لفى مذهب الحبر ابن حنبل راغب
أقلد فتواه وأعشق قوله ... وللناس فيما يعشقون مذاهب

---

(١) دكتور صلاح العقاد ، دعوة حركات الإصلاح السلفى ، المجلة التاريخية ، جـ ٧ ، ص ٨٧ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٨٦ .

الحالة السياسية :

كان إقليم نجد فى النصف الأول من القرن الثامن عشر مقسماً إلى عدد من الإمارات الصغيرة أو بتعبير أدق كانت كل بلدة من بلدانه مستقلة بشئونها ولها أميرها الذى يعمل على حمايتها وإدارتها وله الكلمة المسموعة فيها .

ولم يخضع إقليم نجد للدولة العثمانية حتى ذلك الوقت حيث أنه لم يظهر ضمن قائمة التقسيمات الإدارية التى وضعت فى أوائل القرن السابع عشر وظل معمولا بها حتى القرن التاسع عشر . فلم يشهد الإقليم ولاة عثمانيين يأتون إليه ولا حامية تركية تجوب خلال دياره (١) . وربما كان تعليل ذلك أن الدولة العثمانية لم يكن يعنيها كثيراً أن تسيطر على هذه المنطقة الداخلية التى لا فائدة ترجى منها . رغم وجود النفوذ العثمانى على أطراف إقليم نجد فى الحجاز والأحساء وإن كان هذا النفوذ فى المنطقة الأخيرة اسمياً فقط حيث أن إدارتها الحقيقية أصبحت فى يد قبيلة بنى خالد منذ سنة ١٦٧٠ م — ١٠٨٠ هـ (٢) . وقد أشار إلى هذه الحقيقة ابن بشر المؤرخ النجدى (٣) .

أما إمارات نجد الصغيرة فلم يكن هناك رابطة سياسية تربط بينها بل إن العلاقة بين هذه الإمارات كان يسودها الفتور والجفاء والمحاربة فى معظم الأوقات . وأشهر الأسر النجدية الحاكمة فى ذلك الوقت آل معمر فى العيينة ودهام بن دواس فى الرياض . وآل زامل فى الخرج . وآل سعود فى الدرعية . ويهمنا أن نعرض بإيجاز لتاريخ الأسرة السعودية فى الفترة السابقة للدعوة لنرى كيف استقر بها المقام فى الدرعية التى أصبحت مركزاً لإمارتها والتى غدت فيما

---

(١) ساطع الحصرى ، الدولة العثمانية والبلاد العربية ، ص ٢٣٨ — ٢٣٩ .
R. Bayly Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 7.
(٢) دكتور عبد الكريم غرايبة ، مقدمة تاريخ العرب الحديث ، جـ ١ ، ص ٣٤ .
R. Bayly Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 29.
(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٦٥ .

بعد قاعدة دينية وحربية وسياسية لدولة لعبت دوراً هاماً فى تاريخ شبه الجزيرة العربية بوجه خاص وفى التاريخ العربى بوجه عام حتى يومنا هذا .

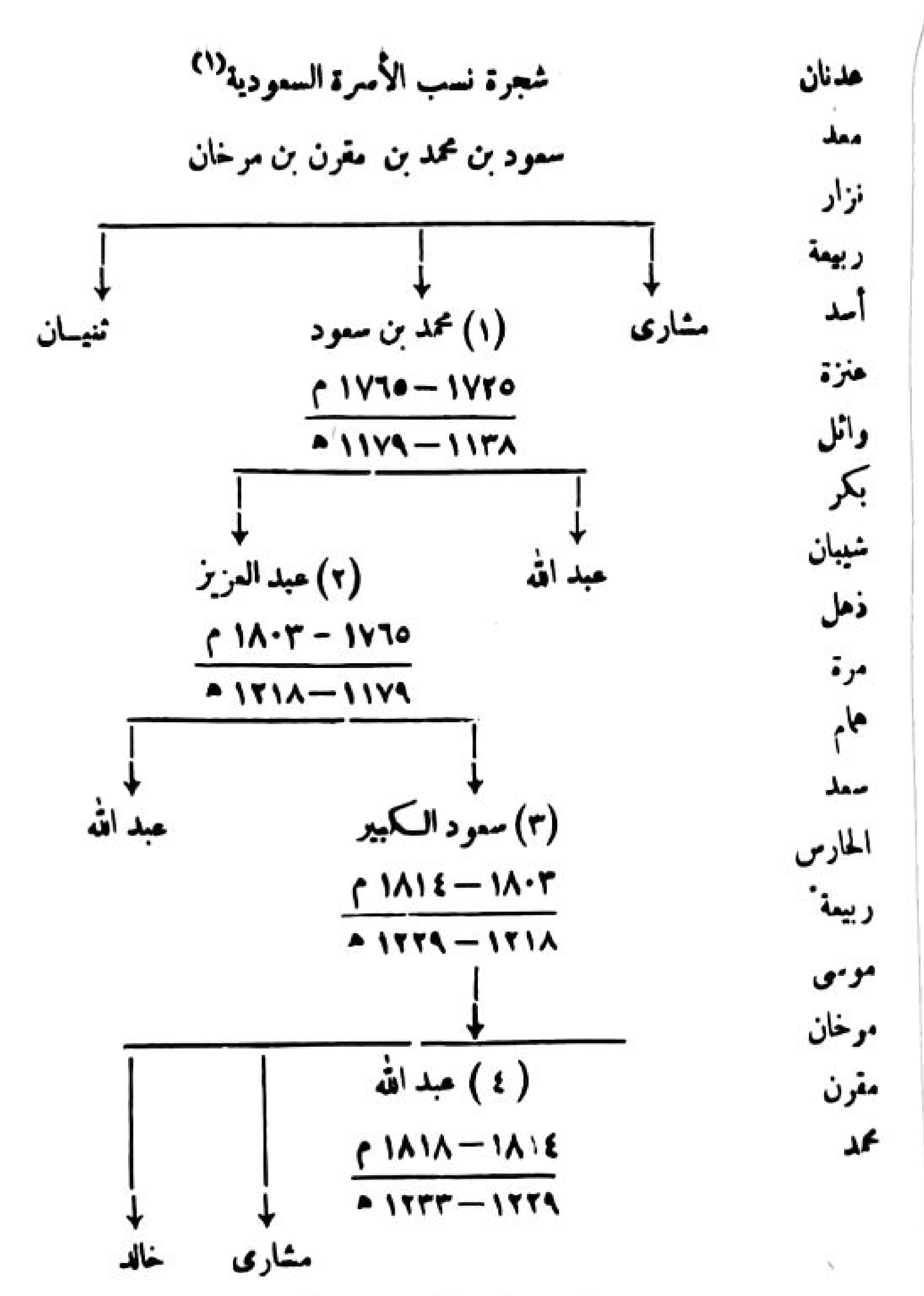
تنتسب الأسرة السعودية إلى عشيرة عنزة وهى من قبائل ربيعة التى تعد من أكثر القبائل العربية عدداً فمنها فروع فى نجد والعراق وسوريا .

وكان مانع بن المسيب الملقب بالمريدى جد آل سعود يقطن بلدة الدروع من أعمال القطيف وتربطه بابن درع رئيس حجر اليمامة والجزعة المعروفين قرب الرياض صلة نسب ومصاهرة وكانت بينهما مراسلة أسفرت فى النهاية عن مجىء مانع المريدى إلى ابن درع سنة ١٤٤٦ م — ٨٥٠ هـ فأقطعه الأخير أرض المليبد وغصيبة المعروفين بالقرب من الدرعية فاستقر بها هو وأسرته . واستطاع خلفاؤه ضم المناطق المتاخمة لحدود المليبد وغصيبة بعد مهاجمة آل يزيد وآل دغيثر والاستيلاء على منازلهم (١) .

وعند ما آل حكم هذه الإمارة إلى مقرن بن مرخان اختار الدرعية عاصمة له وكان ذلك سنة ١٦٨٢ م — ١١٠٠ هـ . ثم آل الحكم بعده لابنه سعود ثم لحفيده محمد بن سعود الذى بعهده سنة ١٧٢٥ — ١٧٦٥م — ١١٣٨ — ١١٧٩هـ تبدأ الإمارة السعودية طوراً جديداً فى تاريخ حياتها يزداد نمواً وازدهاراً بتحالف الأمير السعودى مع صاحب الدعوة السلفية الشيخ محمد بن عبد الوهاب كما سنرى ذلك فى حينه وسنرى أن مهاجرى القطيف فى مدى جيلين أو أكثر أصبحوا سادة للاقاليم الذى هاجروا إليه . وهاك شجرة نسب الأسرة السعودية المتفق عليها نذكرها فيما يلى مع إعطاء أرقام للذين تولوا زمام الأمور منهم فى فترة الدولة السعودية الأولى حتى انهيارها سنة ١٨١٨ م — ١٢٣٣ هـ ونهمل تكملة شجرة النسب حتى الوقت الحاضر لأن ذلك يخرج عن نطاق بحثنا .

---

(١) H. St. John Philby, Saudi Arabia, p. 8



تلك صورة موجزة لإقليم نجد الأرض والسكان فى الفترة السابقة لقيام الدولة السعودية الأولى ١٧٤٥ م — ١١٥٨ هـ توضح لنا حالة هذا المهاد الذى كان مسرحاً لأحداث تاريخ هذه الدولة .

(١) اعتمدنا فى شجرة هذا النسب على كتاب عنوان المجد لابن بشر ، وكتاب تاريخ نجد الحديث وملحقاته لأمين الريحانى ، وتاريخ المملكة العربية السعودية فى ماضيها وحاضرها .

(*) ربيعة سقط من تاريخ الريحانى وموجود فى المصادر الأخرى .

الفصل الثاني

محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية

---

١ — محمد بن عبد الوهاب نسبه ونشأته .

٢ — الدعوة السلفية ومبادؤها .

٣ — جهود ابن عبد الوهاب لنشر دعوته .

٤ — تقييم الدعوة السلفية .

٥ — انتقال صاحب الدعوة إلى الدرعية ودخول محمد بن سعود في الدعوة .

الفصل الثانى

محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية

إن وادى حنيفة الذى شهد فى العهد الأول للاسلام نشأة مسيلمة الكذاب وتحديه للرسول وللدعوة الإسلامية ، فيه نشأ صاحب الدعوة السلفية الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد التميمى . فهو ينحدر بأصله إلى قبيلة تميم تلك القبيلة التى حافظت على موطنها فى إقليم نجد واستقرت وتوطنت وتركت حياة الرعى والبداوة واشتغلت بأوجه النشاط الأخرى من زراعة أو تجارة [1] .

فقد شهد عام ١٧٠٣ م — ١١١٥ هـ ميلاد طفل للشيخ عبد الوهاب قاضى العيينة بوادى حنيفة وهى من أعالى نجد . فأسماه محمداً وكان ذلك زمن إمارة عبد الله بن محمد بن حمد بن عبد الله بن معمر . وكان الشيخ عبد الوهاب أنذاك بجانب وظيفته القضائية يقوم بتدريس التفسير والحديث والفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وكان بيته مكاناً يقصده طلاب العلم وبعض العلماء حيث « يمضون الوقت فى جدال فقهى أو نقاش دينى وكان الطفل وقد شب وأصبح صبياً ، يحلو له أن يراقب مجلس أبيه عن كثب فينصت لأحاديث القوم ومجادلاتهم » [2] وكان يفضل حلقات الدرس التى يخصصها الشيخ الوالد لطلابه الذين يقصدونه من كل حدب وصوب على مجالس أترابه ، ولذا نشأ الشيخ محمد ابن عبد الوهاب واسع الثقافة بالنسبة للجيل الذى عاصره واستطاع أن يحفظ القرآن قبل أن يبلغ الربيع العاشر من عمره . بالإضافة إلى أنه كان شغوفاً بالعلم

---

(١) دكتور محمود طه ، جغرافية شبه الجزيرة العربية ، جـ ١ ، ص ١٤٥ .

(٢) دكتور عبد الحميد البطريق ، الوهابية دين ودولة ، بحث مستخرج من مجلة كلية البنات سنة ١٩٦٤ ص ٤٢ أبو الطيب صديق ، التاج المكلل ، ص ٣١٠ .

والدراسة وكان يصرف كل وقته فى القراءة والاطلاع فى كتب الفقه والتفسير والحديث والعقائد وكتب ورسائل أحمد تقى الدين بن تيمية التى كانت مصدر إلهام له فى كثير من المسائل .

وكان الشيخ محمد سريع الفهم سريع الكتابة وتوسم فيه أبوه خيراً فتعهده وكان يعتز به حتى أنه قدمه للامامة فى الصلاة وهو يافع . وكان الوالد يقول « لقد استفدت من ولدى محمد فوائد شتى فى الأحكام »[1] وظل الشيخ محمد يواصل دراسته ومناقشته ومجادلته أحياناً لأبيه حتى برز فى حل كثير من الفتاوى والمسائل الفقهية التى كانت تعرض عليه .

وفى سن الثالثة عشرة تهيأ لأداء مناسك العمرة والحج ثم زار قبر الرسول فى المدينة حيث مكث هناك شهرين كاملين . رأى خلالها كثيراً من ظواهر الشرك التى ترتكب باسم الدين مما أثار فى نفسه روح المقاومة لهذه الأمور .

رحل صاحب الدعوة بعد ذلك لطلب العلم فذهب أولا إلى الحجاز حيث التقى فى المدينة بالعالم النجدى الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن يوسف من آل سيف رؤساء بلد المجمعة بنجد وكان هذا الشيخ محباً للاصلاح فتوثقت الصلة بينه وبين الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى أن الشيخ عبد الله قال له ذات يوم ألا تحب أن ترى ما أعددنا للمجمعة (بلد الشيخ عبد الله) من سلاح فقال الشيخ محمد بلى ؛ فأخذه إلى حجرة ملئت كتباً وصحفاً ومجلدات وقال هذا ما أعددنا للمجمعة فرد عليه الشيخ محمد نعم ما أعددت لها من سلاح .

وفى المدينة اجتمع أيضاً بعالم آخر ذى مكانة عظيمة هو الشيخ محمد حياة السندى المدنى وأخذ عنه وأجازه الشيخ[2] .

---

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، تحقيق ناصر الأسد ٢٦ .

(٢) عثمان بن بشر ، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، جـ١ ، ص ١٧ .

رجع الشيخ محمد من الحجاز إلى نجد حيث أقام قليلا من الوقت ، ثم رحل إلى العراق وزار بغداد والبصرة التى مكث فيها أربع سنوات . وقد راقه أن يدرس بها اللغة والحديث على يد أحد علماء المجموعة وهى بلدة من أعالى البصرة وكان هذا الشيخ هو محمد المجموعى فقرأ عليه الشيخ ابن عبد الوهاب الكثير من كتب اللغة والحديث . ولم يقصر جهده أثناء إقامته فى البصرة على الدراسة فقط . فقد كان النفوذ الأكبر فى هذه المدينة لغلاة الشيعة الذين يجلون الأولياء ويقدسون قبورهم وأضرحتهم . فهاله مايرى وما يسمع من البدع والخرافات التى ألصقت بالدين وتوارثها الناس جيلا بعد جيل حتى أصبحت لديهم شيئاً راسخاً . فأبدى الشيخ محمد نقده لهذه الأمور وشرع يبشر بما تجلى له من حقائق التوحيد فى مجالسه وقد وصف لنا نفسه هذه المجالس فقال « كان أناس من مشركى البصرة يأتون إلىّ بشبهات يلقونها علىّ فأقول وهم قعود لدىّ، لاتصلح العبادة كلها إلا لله . فيبهت كل منهم فلا ينطق فاه »[1] وضاق أهل البصرة بالشيخ وآرائه وحملوا عليه حملة قاسية لأنه كان عنيفاً عليهم فى ردع كل من يعظم أحد الأولياء أو الصالحين . وأخرجوه من بلدهم مطروداً فحدثته نفسه بالذهاب إلى الشام ولكن ضيق ذات اليد جعله يعدل عن فكرته هذه[2] . فقصد الأحساء ونزل على الشيخ العالم عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الشافعى الأحسائى ولم تطل مدة إقامته فى الأحساء فقد رحل عنها عائداً إلى حريملا حيث كان أبوه . وكان آنذاك فى نحو الخامسة أو السادسة والثلاثين من عمره وقد إكتمل نضجه واتسعت دائرة ثقافته وازدادت تجاربه أثناء رحلته[3] .

أما القول بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحل إلى بلاد فارس وأقام

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ٢٨ .

(٢) د . البطريق ، المصدر السابق ، ص ٤٣ .

(٣) دكتور جمال الدين الشيال ، الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى الحديث ، جـ ١ ، ص ٥٦

فى كردستان وهمزان وأصفهان وغير ذلك من البلاد الفارسية حيث درس فلسفة الإشراق والتصوف[1] فلا نستطيع الأخذ به لعدة اعتبارات نستطيع أن نجزم بها أن الشيخ لم يرحل إلى بلاد فارس :

أولا : لم نجد من بين آثار الشيخ مايدل على معرفته باللغة الفارسية قراءة وكتابة ولم يذكر مؤرخو نجد أنه كان يتكلم هذه اللغة أو يلم بها رغم حرصهم على ذكر كل مايدل على براعة وذكاء الشيخ .

ثانياً : إن دراسة أثار الشيخ من كتب ورسائل تثبت أنه ليس بها أثر لفلسفة التصوف والإشراق التى يزعم أصحاب هذا القول بأنه قام بدراستها ببلاد فارس بل إن الشيخ نفسه يذكر فى رسالة له إلى الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف الأحسائى أنه لايدعو إلى مذهب صوفى أو فلسفى . فكيف إذن يكون قد درس الفلسفة والتصوف .

ثالثاً : أن جميع الذين ذكروا هذا الرأى اعتمدوا على مصدر واحد هو كتاب « لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب » . وهذا المصدر رغم دقته فى كثير من الأمور إلا أنه معروف بعدائه للشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته بالإضافة إلى أن هذا القول لم يذكر فى أى مصدر من المصادر الأصلية الأخرى فى هذا الموضوع .

رابعاً : إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ذكر فى رسائله العديدة البلاد التى زارها وتلقى العلم فيها على يد علمائها ولم يذكر بلاد فارس . ولم نجد له رسائل موجهة إلى أى من علماء فارس فى عصره . فهل عاش فى بلاد فارس ودرس بها دون أن يكوِّن علاقة مع أحد فيها .

---

(١) دكتور جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، س ٥٦ ؛ دكتور محمد بديع شريف ، دراسات فى النهضة العربية س ١٨ ؛ نجلاء عز الدين ، العالم العربى (ترجمة محمد عوض وآخرون) س ٩٥ ؛ لمع الشهاب ، س ١٩ .

لكل هذه الاعتبارات لانستطيع الأخذ بأن الشيخ زار بلاد فارس أثناء رحلته لطلب العلم .

ومن بين العوامل التى أثرت فى تكوين شخصية الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالإضافة إلى البيت والرحلة . شخصية أحمد تقى الدين بن تيمية الذى عاش فى القرن الثامن الهجرى[١] ورغم طول الفترة الزمنية التى تفصل بينهما إلا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عكف على آثار ابن تيمية من كتب ورسائل وفتاوى درسها وتفهمها وأخذ عنها ونسخ بعضها لنفسه . بل إن المبادىء التى نادى بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانت هى نفس المبادىء التى سبقه بها ابن تيمية بأربعة قرون . فكل منهما نادى بالرجوع إلى الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح ومقاومة البدع والخرافات التى ألصقت بالإسلام ؛ فدعوة الشيخ محمد بن الوهاب تعتبر تطوراً تاريخياً لدعوة ابن تيمية[٢] . وإن كانت دعوة ابن تيمية قد أثارت عليه فى حينها ثائرة الصوفية وأصحاب الطرق فى مصر والشام وإن لم يلن جانب صاحب الدعوة لمعارضيه الذين أفتوا ببطلان دعوته وزيفه وزيغه عن الإسلام وأوغروا صدور أهل السلطان عليه وخوفوهم من آثار دعوته عليهم حتى نجحوا فى مساعيهم وزجوا به فى غياهب السجون عدة مرات .

وقد كان ابن تيمية حراً فى تفكيره فى دائرة الكتاب والسنة وما صح عن الصحابة من آثار بشرط وقوفه بصدورها عنهم[٣] . وكان شديد المحاربة للبدع والمنكرات وخاصة ما كان منها وسيلة للشرك مثل التمسح بالقبور والصلاة عندها والاستغاثة بغير الله والتبرك بالأشجار والأحجار التى يقدسها العامة ويعتقدون فى قدرتها على رفع الضر وجلب الخير . ومن مبادئه التى كان

---

(١) دكتور حسن سليمان محمود وآخرون . تاريخ المملكة العربية السعودية ص ٥٩ — ٦٠ .

(٢) R. Bayly Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 6.

(٣) محمد أبو زهرة ، ابن تيمية ، ص٦ .

لها أثر كبير فى شخصية محمد بن عبد الوهاب أن الاجتهاد بابه مفتوح أمام كل راغب وعدم التقليد المقوت بل إن الكتاب والسنة وآثار السلف من الصحابة هى المصدر الأساسى لكل مجتهد يستطيع عن طريقها الاهتداء إلى الرأى الصائب حتى ولو خالف رأى الأئمة الأربعة .

ظل الشيخ ابن تيمية ينادى بمبادئه هذه حتى توفى فى سجنه بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ — ١٣٢٧ م [١] ورغم قيام تلاميذه بين الآونة والأخرى بالمناداة بمبادئه إلا أن جهودهم لم يقدر لها النجاح والذيوع حتى قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى القرن الثانى عشر الهجرى ينادى بدعوته التى كان فيها إحياء لدعوة ابن تيمية . ومما يؤكد ذلك أن كل رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب التى كتبها إلى علماء عصره أو أرسلها إلى أصحاب الشأن أو وجهها إلى الناس عامة مملوءة بشواهد من كلام الشيخ ابن تيمية أو من شروحه لبعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية [٢] .

الدعوة السلفية ومبادؤها

يطلق بعض الكتاب على الدعوة السلفية اسم المذهب ، كما يطلق عليها البعض الآخر اسم الوهابيـة . والحقيقة أن استعمال هذين الوصفين للدعوة غير دقيق فهى ليست بمذهب جديد فى الإسـلام حتى يصح إطلاق لفظ المذهب عليها بل إن صاحب الدعوة نفسه كان حريصاً على أن يؤكد للناس أنه لا يدعوهم إلى مذهب جديد فى الإسلام وذكر فى إحدى رسائله قائلا « إنى لم آت بجهالة بل أقولها ولله الحمد إن ربى هدانى إلى الصراط المستقيم ديناً قيما ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ولست ولله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو غيره بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له وأدعو إلى سنة رسول الله صـلى الله عليه

---

(١) حافظ وهبة ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٢) دكتور جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، ص ٦٠ .

وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم »[1] .

وذكر ابنه عبد الله ذلك أيضاً لعلماء مكة سنة ١٨٠٣ م — ١٢١٨ هـ. فقال « مذهبنا فى الأصول مذهب أهـل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف »[2] . ولذا نرى أن وصف الدعوة بالمذهب فيه مغالاة لأن الشيخ لم يأت بمذهب جديد مثل المذاهب الأربعة بل دعا إلى تخليص سلوك المسلمين مما علق به من بدع وخرافات متبعاً فى ذلك مذهب أحمد بن حنبل .

أما وصف الدعوة بالوهابية فقد أطلقه عليها خصوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى يبرهنوا للناس أن مبادئه التى يدعو إليها بدعة جديدة خارجة على مبادىء الإسلام . بل إن أعداء الدعوة من الترك ومن جاراهم غالوا فى ذلك وأطلقوا على أتباع الدعوة الروافض والخوارج حتى إن الوثائق الرسمية المتبادلة بين محمد على والباب العالى تنعت الأمير السعودى الذى يعمل على نشر مبادىء الدعوة السلفية باسم « الخارجى »[3] .

أما أتباع الدعوة فيطلقون على أنفسهم اسم « حنابلة » أو « الموحدين » أو « الأخوان » أو « السلفيين »[4] . ويحبون من الناس أن ينعتوهم بأحد هذه الأسماء .

أما الدعوة نفسها فإننا نرى أن الوصف الذى يطابق جوهرها هو لفظ « السلفية » وإذا أردنا لها تمييزاً عن غيرها من الدعوات الإصلاحية الأخرى

---

(١) من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف « تاريخ نجد » ص ٢١٥ . أنظر أيضاً ، الجزء الأول من الرسائل والمسائل النجدية القسم الأول .

(٢) الهدية السنية ص ٣٨ .

(٣) من الباب العالى إلى محمد على ، دفتر (١) معيه تركى ، ص ٤ وثيقة (٣) يناير ١٨٠٨ ، ذى الحجة ١٢٢٢ .

(٤) محمد حامد الفقى ، أثر الدعوة الوهابية ، ص ٤ ؛ د . صلاح العقاد . دعوة حركات الإصلاح ص ٩١ .

التى ظهرت فى أجزاء مختلفة من العالمين العربى والإسلامى فإننا نذكرها باسم « الدعوة السلفية النجدية » .

أما المبادىء التى ارتكزت عليها هذه الدعوة فهى :

أولا — الدعوة إلى التوحيد :

أى الدعوة إلى الله وحده لاشريك له وإفراد العبادة كلها له وعدم إشراك غيره معه فى العبادة فمعنى « لا إله إلا الله » نفى صفة الألوهية عن كل المخلوقات وإثباتها لله وحده وأن العبادة إذا صرفت لغيره صارت شركا واعتمد الشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى دعوته إلى التوحيد على الكتاب والسنة وآثار السلف فالله سبحانه وتعالى يقول « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » ويقول « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً » ويقول « قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .

والرسول عليه السلام يقول « وإذا سألت فاسأل الله » وفى حديث آخر قال « من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل » . وفى حديث عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال كنت رديف النبى صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لى « يامعاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً . قلت يا رسول الله أفلا أبشر الناس قال لا تبشرهم فيتكلوا »[1] .

جد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى تعريف أهل نجد بأصول التوحيد ونواقضه وألف أثناء مقامه فى حريملا كتابه « التوحيد الذى هو حق الله على

---

(١) محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، ص ٢ و ٣ .

العبيد » الذى انتشر وذاع بعد وفاة والد الشيخ سنة ١١٥٣ هـ — ١٧٤٠ م لأن الشيخ كان يدارى أباه لما كان بينهما من خلاف حول أسلوب الدعوة[١].

ولم تلق دعوة الشيخ إلى التوحيد وترك نواقضه من الأمور الشركية آذاناً صاغية لدى كل أهل بلده فبعضهم آمن بما يدعو إليه والبعض الآخر وقف مشدوهاً مما يسمع ويستغربه ويقول « إن كان ما يقوله هذا الإنسان حقاً فالناس ليسوا على شيء »[٢]. وفريق ثالث وقف منه ومن دعوته إلى التوحيد موقف العداء السافر لحاجة فى نفسه وكان من بين هذا الفريق بعض العلماء والأمراء وأهل البصرة والأحساء وقد ذكرهم الشيخ فى إحدى رسائله فقال « ولا يخفاكم أن الذين عادونا فى هذا الأمر هم الخاصة لا العامة فكاتبناهم وخاطبناهم بالتى هى أحسن وما زادهم ذلك إلا نفوراً »[٣].

عاداه العلماء لأنهم رأوا فيما يدعو إليه تقويضاً للمكانة التى كانت لهم لدى العامة وإيصاداً لأبواب الرزق التى يتكسبون منها عن طريق اعتقاد الناس فيهم والحج إليهم لكتابة التمائم والحجب وغيرها . ومن أنكد الذين عارضوا الدعوة إلى التوحيد وعادوا الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن سحيم وأبوه محمد وهما من مطوعة[٤] الرياض . فقد بذلا ما استطاعا من جهد فى سبيل تنفير الناس من المبادىء التى يدعو إليها ابن عبد الوهاب وصوروها لأصحاب السلطان وعلماء الأقاليم الأخرى على أنها تحمل فى طياتها القضاء على سلطانهم وإهدار مكانتهم[٥].

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ص ٧٧ .

(٢) نفسه ، ص ٧٧ .

(٣) من محمد بن عبد الوهاب إلى عبد الله بن محمد بن عبد اللطيف تاريخ نجد ص ٢٢٧ .

(٤) المطوعة مفردها مطوع وهى كلمة تطلق على رجل الدين فى نجد .

(٥) حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، س ٢٩٤ .

محمد صاحب الدعوة أمام معارضة أعدائه وراسل العلماء والأمراء موضحاً لهم أهداف دعوته وأنه لم يأت بجديد وإنما يريد الرجوع بالإسلام إلى صفائه وأبعاد الأمور الشركية عن دائرة تعاليمه .

ولما كانت الدعوة إلى التوحيد تتطلب محاربة نواقضه فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نادى بمحاربة البدع المضلة وزيارة القبور التى حاول ما وسعه الجهد إقناع الناس بالحجة الدامغة من أحاديث الرسول وآثار السلف الصالح بالعدول عما يفعله أهل عصره عند زيارتهم القبور واتخاذها أعياداً أى أمكنة للعبادة . وعند ما لم يجد آذاناً صاغية له دعا إلى هدم المشاهد وتسويتها وحمل بنفسه على قبر زيد بن الخطاب فى الجبيلة وهدمه وانتظر الناس ليروا ما يحدث له من الشر والبلاء — حسب اعتقادهم — ولم يحدث له شيء فكان ذلك نصراً عملياً له ولدعوته أقنع البعض بصحة ما يدعو إليه . وأعلن الشيخ أن شد الرحال إلى القبور والسفر إليها بدعة مضلة . ونادى بمحاربة الاستشفاع أى طلب الشفاعة من الغير لأن ذلك من الأمور التى تنقض التوحيد الخالص وأعلن أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يمن على أهل الإخلاص فيغفر لهم ذنوبهم بواسطة من منحهم الإذن فى الشفاعة[1] . أما ما عليه الناس من طلب الشفاعة من الأشخاص أنفسهم سواء منهم الأحياء أو الأموات فهذا شرك وباطل ومناقض للتوحيد . وأعلن حربه على الإيمان بالخرافات وبعض الجمادات والنباتات وما أحدثه المتصوفة من طقوس رأى أنها تمثل مظاهر الشرك والوثنية كحلقات الذكر وما يصاحبها من رقص وطرب والاعتقاد فى قدرة الأولياء على الإتيان بالخوارق والمعجزات والاستغاثة بهم لجلب نفع أو دفع ضر[2] . ولذا فإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب نادى بالجهاد المشروع فى سبيل نشر عقيدة التوحيد الخالصة لوجه

---

(١) محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوحيد ، ص ٤٦ ؛ كشف الشبهات ص ١٣ .

(٢) د . جمال الدين الشيال ، المرجع السابق ، ص ٥٩ .

الله وعدم إشراك غيره معه فى عباداته وإفرادها له[١] . فمن اتبع طريق التوحيد سلم من المحاربة ومن خالفها فقد حل دمه وماله وعلى هذا المبدأ سار إتباع الدعوة السلفية من آل سعود فى حروبهم التى شنوها فى داخل نجد وخارجه واشتد الخلاف بينهم وبين معارضيهم الذين قالوا إن من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » فقد حرم ماله ودمه فرد عليهم أتباع الدعوة السلفية بأن القول لا عبرة به ما لم يدعم بالعمل فمن قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو لا يزال يدعو الموتى ويستغيث بهم ويسألهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات فهو مشرك كافر حلال الدم والمال ولا عبرة بقوله »[٢] وحقت عليه كلمة الجهاد حتى يتبع سبيل التوحيد الخالص .

ثانيا — الاجتهاد :

كان الاجتهاد ثانى المبادىء التى ارتكزت عليها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية والاجتهاد الذى دعا إليه صاحب الدعوة هو الاجتهاد الذى لا يخالف نصوص القرآن وسنة الرسول وآثار السلف الصالح وأنكر الشيخ وتبعه تلاميذه وأتباع دعوته تقليد أحد غير الأئمة الأربعة مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد بن حنبل ، لعدم ضبط المذاهب الأخرى مثل مذهب الشيعة وغيره .

ولم يلتزم الشيخ وأتباعه بمذهب أحمد بن حنبل فى كل الأحوال بل إنهم فى بعض المسائل الفرعية التى تؤيد بنص من القرآن والسنة ورأى أحد الأئمة الثلاثة الآخرين أخذوا به وتركوا رأى أحمد بن حنبل « كما فى مسألة إرث الجد والإخوة وأى الفريقين يقدم على الآخر فى الإرث فإنهم فى ذلك يخالفون رأى ابن حنبل ويتبعون رأى الأئمة الثلاثة الآخرين فيقدمون الجد بالإرث لأن هذا

---

(١) R. Bayly Winder, Saudi Arabia in 19 Century, p. 11.

(٢) حافظ وهبة ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ٣١٠ — ٣١١ .

هو الذى صح عندهم وترجح »[١] .

وأعلن الشيخ محمد بن عبد الوهاب الحرب على المقلدين المعاندين الذين أعلنوا بدورهم أن صاحب الدعوة زائغ عن الدين كافر يجب أن يستحل دمه ولكن الشيخ ظل صامداً لهم حتى انتصرت دعوته واستمر فى مواصلة اجتهاده وتبصيره الناس بأمور الدين فى حدود أصوله الصحيحة وله أمور اجتهادية فى بعض المسائل « مثل جعل دية المسلم ثمانمائة ريال بدل مائة ناقة فإنه فى الحقيقة يخطو خطوات الإمام أحمد »[١] فى الاجتهاد .

وأوضح الشيخ محمد بن عبد الوهاب موقف الإسلام من كثير من الأمور التى كانت شائعة فى عصره وندد بها وحاربها وأعلن أنها تعد خروجاً عن تعاليم الإسلام . وبذل كل ما استطاع فى سبيل إقناع معاصريه بمبادئه والإيمان بها .

جهود محمد بن عبد الوهاب لنشر دعوته :

مرت جهود الشيخ لنشر دعوته بمرحلتين متميزتين هما :

أولا : مرحلة الجهد الفردى .

ثانياً : مرحلة الجهد الجماعى .

ونقصد بمرحلة الجهد الفردى الفترة التى كان الشيخ يقف فيها وحيداً فى الميدان يحاول أن يكسب الأنصار إلى جانب دعوته وهذه المرحلة بدأها منذ فترة مبكرة وفى أثناء طلبه العلم فقد أنكر ما رآه فى المدينة المنورة من الأفعال التى يأتيها الناس عند قبر الرسول عليه السلام . وفى البصرة أعلن حربه على البدع التى يرتكبها أهلها وكان قاسياً على كل من يذكر اسم أحد الأولياء أو الصالحين محاطاً بهالة من التقديس فأخرجوه من ديارهم مطروداً كما لحق أذاهم

---

(١) دكتور محمد عبدالله ماضى ، النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، جـ١ ، ص٣٩ .

(٢) حافظ وهبه ، المرجع السابق ، ص ٣١١ .

أستاذه الشيخ محمد المجموعى[١] . وحينما عاد إلى حريملا بدأ يبث دعوته بين الناس وأخذ ينكر ما يقومون به من الأمور الشركية واشتد إنكاره لأفعالهم حتى حدث بينه وبين أبيه كلام وجدال ثم بينه وبين أهل حريملا ولكن الشيخ دارى والده حتى توفى ١١٥٣ هـ — ١٧٤٠ م[٢] وبعد وفاة الشيخ الوالد أعلن الشيخ محمد دعوته صراحة وشاع أمره فى بلدان العارض فى حريملا والعيينة والدرعية والرياض وأتى إليه كثيرون من أهل تلك البلاد وانتظموا فى سلك دعوته . وألف كتابه « التوحيد الذى هو حق الله على العبيد » .

ولكن المقام لم يطب له فى حريملا ورأى أنها ليست الميدان الصالح لنشر دعوته خاصة وأن عبيد إحدى قبيلتيها أرادوا الاعتداء عليه والفتك به فمنعهم بعض الناس من القيام بذلك[٣] . وعلى إثر هذه الحادثة نقل الشيخ ميدان نشاطه إلى العيينة مسقط رأسه وإن قيل إن ذهابه إليها كان بدعوة من أميرها بعد أن بلغه شدة ما يلاقيه الشيخ من أهل حريملا . وأكرم أمير العيينة عثمان بن حمد ابن عبد الله بن معمر لقاء الشيخ وذاع أمره وكثر أتباعه خاصة وأن الأمير نفسه أصبح من أتباع الدعوة العاملين على نشر مبادئها . وهنا فى العيينة تبدأ المرحلة الثانية من جهود الشيخ لنشر دعوته ونقصد بها مرحلة الجهد الجماعى .

فى هذه المرحلة لم يعد الشيخ وحيداً وإنما أصبح له الكثير من التلاميذ والأتباع وانتقل بمبادئه من ميدان الدعوة النظرى إلى التطبيق العملى إذ استطاع عن طريق هذا الجهد الجماعى أن يهدم كثيراً من القباب والمساجد التى كانت مبنية فوق القبور ومن بينها قبر زيد بن الخطاب فى الجبلية كما عمل جهده فى قطع

---

(١) إبراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدرى ، عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد ص ٢٩ .

(٢) حسين بن غنام المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٣) فريد مصطفى ، آل سعود فى التاريخ ، ص ٩ .

الأشجار التي كانت لها قداسة عند العرب البدو من سكان إقليم نجد وعلى رأسها شجرة الذيب ذائعة الصيت[1] .

وفى العيينة أيضاً قام الشيخ بتطبيق حد الرجم الذى توجبه الشريعة الإسلامية على امرأة بما ارتكبت وذلك بعد أن اعترفت له المرأة بزناها وأثبتت ذلك بالشهود العدول وتأكده من صحة عقلها وسلامة اعترافها . وشارك عثمان ابن معمر أمير العيينة فى رجمها بل كان أول من بدأ تنفيذ هذا الحد . وطار خبر رجم هذه المرأة فى كل الأنحاء . واشتهر أمر صاحب الدعوة بعد هذه الحادثة بصورة خشى منها أعداؤه من العلماء والأمراء فكتبوا إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين يؤلبونهم عليه وأخذوا يخوفون أصحاب السلطان من الحكام من دعوته « وزعموا أنه يملأ قلوب الجهال والطغام بكلامه ويقويهم بطريقته فيخرجون على حكامهم ويعلنون العصيان[2] ، وشكوا أمره وأمر عثمان بن حمد ابن معمر إلى سليمان آل محمد رئيس بنى خالد والأحساء (١١٤٩ - ١١٧٦ هـ) ١٧٣٦ — ١٧٦٢ م وكان عثمان عاملا له وخوفوه من خطر دعوة الشيخ التى آمن بها عامله» . وكان سليمان آل محمد « له يد طولى فى أرض العرب سيما فى نواحى العراق مما يلى نجد وفى نجد نفسها وكذا أطراف الشام إذ معسكره كبير ودولته عظيمة وشجاعته معروفة وقومه الخوالد أهل بأس شديد وخلق عديد وكان يغزو نجد إن لم يرضه كل واحد من حكامها بشىء »[3] فسارع سليمان بالكتابة إلى عامله فى العيينة يقول له « إن المطوع الذى عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال فإذا وصلك كتابى فاقتله فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذى عندنا »[4] وذكر له أيضاً « بأنى أمنع تجار بلدك عن الترداد إلى أطرافنا من

---

(١) أمين الريحانى ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٣٩ .

(٢) حسين بن غنام . المرجع السابق ص ٧٩ .

(٣) لمع الشهاب ، تحقيق د . أحمد مصطفى أبو حاكمه ، ص ٣٤ .

(٤) حسين بن غنام . المرجع السابق ، ص ٧٩.

الأحساء والقطيف وسواحل قطر كالزبارة وغيرها بل أمنعهم عن كل بلد أنا لهم فيها»[1] أخافت هذه الأمور عثمان بن معمر وخاصة خراجه الذى قدر بمبلغ ألف ومائتين ذهباً بعملة العصر وما يتبعها من الطعام والكسوة[2].

واستغل أعداء الشيخ فى العيينة أمر سليمان آل محمد لعثمان وملأوا قلبه خوفاً وهلعاً إذا لم يطع أمير الأحساء. فما كان من عثمان إلا أن أمر الشيخ محمد ابن عبد الوهاب بمغادرة العيينة إذ ليس له حول ولا قوة إزاء محاربة سليمان[3]. وقصد الشيخ الدرعية التى أصبح له فيها بعض الأتباع ومن بينهم أخوا أميرها ثنيان ومشارى ابنا سعود لعله يجد فيها الميدان الصالح لمواصلة نشاطه لنشر مبادىء دعوته. وما حسب أعداؤه أن رحيله إلى الدرعية سيكون بداية لدور جديد فى تاريخ الدعوة والأسرة السعودية. إذ هناك فى الدرعية وسع الشيخ دائرة جهوده بعد أن وجد قوة السلاح التى تؤيده لنشر مبادئه.

وإذا كانت وسائل الشيخ لبث دعوته فى مرحلة الجهد الفردى لا تتعدى النقاش والوعظ وإرسال الرسائل إلى العلماء والأمراء وكتابه التوحيد. فإنه فى المرحلة الثانية بالإضافة إلى هذه الوسائل أصبح له تلاميذ فى معظم بلدان نجد عملوا بدورهم على إذاعة الدعوة بين الناس كما ساهم بعض الأمراء بدور كبير فى نشرها فلا شك أن انضمام عثمان بن معمر إلى الشيخ فى العيينة كان من أبرز العوامل التى ساعدت على نشر الدعوة فى تلك الفترة. وبعد انتقال صاحبها إلى الدرعية وجد أكبر العون من أميرها محمد بن سعود لمواصلة جهوده السلفية هذا عدا الرسائل العديدة التى لم يفتر الشيخ عن كتابتها وإرسالها إلى أمراء الأقاليم ورؤساء العربان ومطوعة البلاد المختلفة وإلى بعض أنصاره يشرح لهم فيها مبادىء دعوته. وأفكاره وكاتب أعداءه أيضاً وعلى رأسهم الشيخ سليمان

---

(١) لمع الشهاب، ص ٣٤.
(٢) ابراهيم نصيح، المرجع السابق، ص ١٣١.
(٣) لمع الشهاب، ص ٣٤.

ابن سحيم وأبوه محمد فقد قام سليمان بن سحيم بإرسال رسالة إلى أهل البصرة والأحساء يشنع فيها على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويفترى عليه وكان قصده من وراء هذا العمـــل إثارة العلماء والمسلمين على صاحب الدعوة حتى يهبوا لمحاربته والقضاء على دعوته فى مهدها ونص مقدمة الرسالة دليل كاف على ذلك فهو يقول « من الفقير إلى الله تعالى سليمان ابن سحيم إلى من يصل إليه من علماء المسلمين وخدام شريعة سيد الأنام ولد آدم من الأولين والآخرين سلام عليكم ورحمة الله وبركاته أما بعد :

فالذى يحيط به علمـكم أنه قد خرج فى قطرنا رجل مبتدع جاهل مضـل ضال ، من بضاعة العلم والتقوى عاطل ، جرت منه أمور فظيعة ، وأحوال شنيعة منها شىء شاع وذاع وملأ الأسماع وشىء لم يتعد أما كننا بعد ، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين وورثة سيد المرسلين ليصيدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور ويردوا بدعه وضلالاته وجهله وهفواته . والقصد من ذلك القيام لله ورسوله ونصرة الدين جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى »[1] . ثم فند بعد هذه المقدمة ما افتراه على الشيخ وما أنـكره عليه . فرد عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب برسـالة بسط فيها كل ما ادعاه عليه ابن سحيم وقال إن كل هذه الأمور بهتان عظيم[2] .

وأثمرت جهود الشيخ محمد فى سبيل نشر دعوته عن قيامه بكتابة كثير من المؤلفات أوضح فيها أهداف دعوته ومبادئه ولهذه المؤلفات أهمية كبيرة فى العلوم الدينية وهى :

١ — كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد :

أول كتاب ألفه الشيخ فى أثناء إقامته فى حريملا خلال قيامه بالمرحلة التى سميناها مرحلة الجهد الفردى ، عرف فيه التوحيد وفضله وتفسـير شهادة لا إله

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ٢٩٣ .
(٢) نفس المرجع ص ٣١٥ — ٣٢٤ .

إلا الله وبين فيه نواقض التوحيد من الأمور الشركية وهذا الكتاب مطبوع طبعات عديدة آخرها الطبعة التى قام الشيخ محمد سالم محيسن المدرس بالأزهر بتصحيحها وطبعت بالقاهرة بدون تاريخ .

٢ — كتاب الكبائر :

بين فيه الشيخ الأشياء التى عدها من الكبائر التى تخالف قواعد الإسلام طبع عدة طبعات آخرها ضمن مجموعة الحديث النجدية من ص ٢٠٥ — ٢٤٤ طبع المطبعة السلفية بالقاهرة سنة ١٢٧٥ هـ — ١٩٥٥ م .

٣ — كتاب كشف الشبهات :

كتيب صغير أو بعبارة أدق رسالة مطولة وجهها الشيخ إلى الناس كافة وبين فيها معرفة التوحيد وأصوله وهذا الكتاب مطبوع عدة مرات مفرداً وضمن مجموعات وآخرها فى كتاب تاريخ نجد لحسين بن غنام تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد من ص ٢٣٣ — ٢٥٨ طبع القاهرة سنة ١٣٨١هـ — ١٩٦١م .

٤ — كتاب السيرة المطولة :

ذكر فيه سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبين مواقفه وغزواته بتفصيل يغلب عليه الأسلوب الخطابى ومطبوع عدة مرات آخرها طبعة المطبعة السلفية .

٥ — كتاب السيرة المختصرة :

اختصار لسيرة الرسول عن سيرة ابن هشام بأسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومطبوع عدة مرات آخرها طبعة المطبعة السلفية .

٦ — كتاب مختصر الهدى النبوى :

استعرض فيه الشيخ أثر الهدى النبوى على العرب وإخراجهم من ظلام جاهليتهم إلى نور الإسلام الحنيف مطبوع [1] .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، جـ ١ ، القسم الأول .

٧ — كتاب فضل الإسلام :

فيه بيان لفضل الإسلام . وتفسيره وما جاء فى الخروج عن دعوى الإسلام . ومطبوع طبعات كثيرة آخرها ضمن مجموعة الحديث النجدية ص ١٩٣ — ٢٠٤ طبع القاهرة سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م .

٨ — كتاب أصول الإيمان :

بين فيه معرفة الله والإيمان به ويحوى أيضاً شرح للإيمان بالقدر والتحريض على طلب العلم وكيفية طلبه . مطبوع ضمن مجموعة الحديث النجدية ص ١٦٥ — ١٩٢ طبع القاهرة سنة ١٣٧٥ هـ — ١٩٥٥ م .

٩ — كتاب الأصول الثلاثة وأدلتها :

به شرح لهذه الأصول وهى معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة . عنى بنشره وتحقيقه وتصحيح أصوله وكتابة حواشيه الشيخ محمد منير الدمشقى الأزهرى أحد علماء الأزهر طبع بالمطبعة اليوسفية بالقاهرة بدون تاريخ .

١٠ — كتاب مجموع الحديث على أبواب الفقه .

١١ — كتاب مختصر الأنصاف

١٢ — كتاب الشرح الكبير } لم نجد عنها شيئاً

١٣ — كتاب مسائل الجاهلية

وللشيخ عدا هذه المؤلفات كثير من الرسائل المطولة والمختصرة التى كان يرسلها إلى الأمراء وشيوخ العرب والعلماء [1] . والتى قام تلميذه الشيخ حسين ابن غنام بجمع ما وصل إليه منها وسجله فى الجزء الأول من تاريخه المسمى

---

(١) خير الدين الزركلى ، قاموس الأعلام، جـ ٧ ، ص ١٣٨ .
أنظر أيضاً مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ، جـ ١ ، القسم الأول .

« روضة الأفـكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام » . والذى قام الدكتور ناصر الدين الأسد بتحقيقه ونشره باسم تاريخ نجد طبع القاهرة سنة ١٣٨١ هـ — ١٩٦١ م .

وأسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى مؤلفاته وفى رسائله يتسم بطابع الوعظ ويكثر من سرد الآيات القرآنية والأحاديث وأقوال السلف إلى حد أن تصبح كتاباته أحياناً مجرد جمع للنصوص [١] ، وترتيبها وسردها للاستدلال بها وربما كان لطبيعة الدعوة السلفية تأثير كبير فى اتسام أسلوب الشيخ بهذه السمات الخطابية .

تقييم الدعوة السلفية :

أثارت الدعوة السلفيـة ولا تزال تثير جدلا كثيراً فأيدها الـكثيرون وعارضها الـكثيرون . والحقيقة أنها لم تأت بجديد فى الدين الإسـلامى ولم تـكن خارجة عن مبادئه . بل إنها دعوة سنية سلفية فصاحبها وأتباعها يؤمنون بمذهب أهل السنة والجماعة ويسيرون على طريقة السلف الصـالح فيما يتعلق بآيات الصفات وأحاديثها . فهم يقرون هذه الآيات على ظاهرها ويكلون علمها على الله مع اعتقادهم حقائقها وعدم الخوض فى تفاصيلها وتفاسيرها كما كان يفعل بعض الناس وقد قال بهذا ابن صاحب الدعوة عبد الله عندما سئل من علمـاء مكة حين دخلهـا مع الأمير سعود بن عبد العزيز سنة ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م قال : « مذهبنا فى الأصول مذهب أهل السنة والجماعة وطريقتنا طريقة السلف التى هى الطريق الأسلم والأعلم والأحكم خلافاً لمن قال طريقة الخلف أعلم وهى أننا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ونـكل علمهـا إلى الله مع اعتقاد حقائقها . فإن « مالـكا » وهو من أجل علماء السلف لما سئل عن الاستواء فى قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى قال الاستواء معلوم والـكيف مجهول

---

(١) الدكتور صلاح العقاد . دعوة حركات الإصلاح السلفى ، ص ٩٠ .

والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة »[١] فالدعوة فى أصولها تعتمد على مصدرين أصليين للتشريع هما القرآن والسنة[٢] .

أما فى الفروع أى فى التطبيق العملى للعبادات والمعاملات فكانت تعتمد على مذهب الإمام أحمد بن حنبل فى معظم الأحوال خلا ما يثبت لأصحاب الدعوة فيه دليل من القرآن والسنة ويؤيد برأى أحد الأئمة الآخرين فإنهم فى تلك الأحوال يخالفون مذهب الإمام أحمد ويتركون العمل به وقد قال عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى هذا « ونحن أيضاً فى الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم »[٣] .

أما أعداء الدعوة فلقد رموها بما لم يكن فيها وذلك باتهام أتباعها بالقول بأن العصا خير من النبى[٤] . وباتخاذهم راية شعارها : « لا إله إلا الله محد رسول الله » (بحذف ميم محمد) أى ليس هناك رسول الله[٥] . ولا شك أن هدفهم من وراء ذلك هو نشر دعاية سيئة للدعوة وأتباعها وإظهارها بأنها بدعة جديدة لتنفير الناس منها وكان من بين الذين عارضوا الدعوة فى بدء أمرها أخو الشيخ محمد بن عبد الوهاب سليمان بن عبد الوهاب مؤلف كتاب الصواعق الإلهية الذى أنكر على أخيه مرتبة الاجتهاد وانتقد آراءه وعارض تفسيراته بتفسيرات تقابلها معتمداً على نفس المراجع التى كان يعتمد عليها الشيخ صاحب الدعوة وهى كتب ابن تيمية وابن القيم وكان يقول للشيخ « نبهنا الله وإياكم من الضلال »[٦] .

---

(١) رشيد رضا : الوهابيون والحجاز : ص ١١ .

(٢) Burkhardt, Notes on Bedouins, p. 278.

(٣) د . محمد عبد الله ماضى ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(٤) أحمد بن زينى دحلان ، خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام ، ص ٢٣٠ .

(٥) حافظ وهبه ، المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

(٦) سليمان بن عبد الوهاب ، الصواعق الإلهية فى الرد على الوهابية ص ٣٠ انظر بشأن الخلاف بين أتباع الدولة ومعارضيهم ، عبد الله القصيمى ، الفصل الحاسم .

والواقع أن المبادىء التى نادى بها محمد بن عبد الوهاب كانت كلها مبادىء قديمة جديدة فى نفس الوقت [١] . قديمة لكونها لم تخرج عن تعاليم الإسلام ولم تأت فيه بجديد . وجديدة لأن الإسلام الصحيح أصبح غريباً عن النفوس فى ذلك الوقت . فرأى الناس أن إنكار أفعالهم التى يقومون بها ودعوتهم إلى أصول الدين التى أصبحت بعيدة عن نفوسهم رأوا فى ذلك شيئاً جديداً عليهم. ولم تكن رغبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تستهدف كما ظن البعض تعديل العقائد التى جاء بها الإسلام أو إعطاء التعاليم الإسلامية تفسيراً جديداً وإنما هدف أولا وقبل كل شىء إلى محاربة البدع والعودة بالإسلام إلى أصله الصادق .

ولكن مما يؤخذ على أصحاب الدعوة وأتباعها أنهم غالوا فى كثير من الأمور واعتقدوا أن من يرى غير رأيهم فيها كافر حلال الدم والمال فهم مثلا يغالون فى الأشياء التى يعتقدون أنها بدعة مكروهة كالتزين بالحلى والجواهر وشرب الدخان وغير ذلك من الأمور وربما كان مرجع هذه المغالاة والتزمت الشديد أن كثيراً من أتباع الدعوة كانوا من البدو الذين أساءوا فهم مبادئها فغالوا فى تكفير المسلمين الذين لا يرون رأيهم ولا يعتنقون مبادئهم وأوجبوا قتلهم [٢] . وتشددوا فى مسألة لبس العمامة وأنها السنة [٣] . كما أنهم عملوا على تنفيذ مبادئهم ونشرها بالقوة ولم ينتظروا حتى يقتنع الناس بها « وكان كثير منهم يرون أن ما عدا قطرهم من الأقطار الإسلامية التى تنتشر فيها البدع ليست ممالك إسلامية وأن دارهم دار حرب وجهاد » [٤] حتى إن الشيخ حسين بن غنام تلميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب سمى كتابه الذى كتبه بإيحاء من الشيخ ابن عبد الوهاب نفسه سماه « روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام

---

(١) د . طه حسين ، الحياة الأدبية فى جزيرة العرب ، مجلة الهلال مارس ١٩٣٣ ، ص ٦٠١ .

(٢) د . عبد الحميد البطريق ، المصدر السابق ، ص ٥٦ .

(٣) حافظ وهبه ، المرجع السابق ، ص ٣١٤ .

(٤) أحمد أمين ، زعماء الإصلاح ، ص ٢٠ .

وتعداد غزوات ذوى الإسلام » . وظل التعصب والمغالاة يلازمان أتباع الدعوة حتى قيام الدولة السعودية الثالثة فى مطلع هذا القرن فوقف أتباع الدعوة فى وجه تيار الحضارة الجديدة واعتبروا المخترعات الحديثة من البدع التى لا يرض عنها يرضى الدين وعارضوها أشد المعارضة ولكن الحكومة السعودية استطاعت فى النهاية إقناعهم بأن هذه المخترعات ليست بدعا وإنما تقدم من النوع الذى حث عليه الدين وأصوله .

ورغم وجود جانب المغالاة فى الدعوة السلفية فالذى لا شك فيه أنها أصبحت فى مقدمة الحوادث التى كان لها تأثير كبير فى هز الركود الذى سيطر على العالم العربى فى تلك الفترة من التاريخ . ولا شك أيضاً فى أنها كانت دعوة رائدة فى ميدانها رغم صعوبة الظروف التى تمت فيها حتى ذاعت مبادؤها وانتشرت وأصبحت نموذجاً لما جاء بعدها من حركات الإصلاح . بل إنها فى الواقع كانت كالنهر الكبير الذى تتفرع منه جداول صغيرة فقد قام كثير من الدعوات الإصلاحية فى العالم الإسلامى متأثرة بهذه الدعوة وكلها فى الحقيقة تنشد الرجوع بالإسلام إلى أصوله الأولى .

دخول الأمير محمد بن سعود فى الدعوة

وصل الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية عصر اليوم الذى أخرج فيه من العيينة وقضى الليلة الأولى عند عبد الله بن سويلم فى أعلا الدرعية[١] . وخاف ابن سويلم على نفسه من بطش ابن سعود أمير البلدة ، فوعظه الشيخ وهدأ من روعه[٢] . ثم انتقل فى اليوم التالى إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم الذى غمر بيته بأنصار الشيخ ومريديه وكان من بينهم ثنيان ومشارى أخوا الأمير محمد بن سعود اللذان حاولا إقناع أخيهما الأمير بمقابلة الشيخ

---

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١١ .

فتردد بادىء الأمر فلجأ إلى زوجته موضى بنت أبى وطبان من آل كثير وكانت ذات فطنة وذكاء فأخبرها بما يدعو إليه الشيخ وبأهداف دعوته فارتاحت نفسها لما سمعت من أخبار الشيخ محمد بن عبد الوهاب ثم اختارت الوقت المناسب للتحدث إلى زوجها فى هذا الأمر وقالت له « إن هذا الرجل ساقه الله إليك وهو غنيمة فاغتنم ماخصك الله به »[1] فاقتنع الأمير بقولها ودعا أخاه مشارى وطلب منه أن يدعو الشيخ لمقابلته ولكن مشارى استعطف أخاه الأمير فى أن يسير بنفسه لمقابلة الشيخ وقال له : « سر إليه برجلك وأظهر تعظيمه وتوقيره ليسلم من أذى الناس »[2] . فسار الأمير محمد بن سعود إلى بيت أحمد ابن سويلم وهناك رحب بالشيخ وقال له « أبشر ببلاد خير من بلادك وأبشر بالعز والمنعة فقال الشيخ وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهى كلمة « لا إله إلا الله من تمسك بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد وهى كلمة التوحيد وأول مادعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم »[3] . وليس هناك مايدل على تحديد يوم هذه المقابلة وهل حدثت بعد مجىء الشيخ إلى الدرعية بفترة قصيرة أو طويلة أن المراجع لاتشير إلى ذلك وإن فهم من كلام ابن غنام وابن بشر مؤرخى نجد أنها حدثت بعد مجىء الشيخ بفترة قصيرة وعلى أى حال فإن الأمير محمد بن سعود خشى أمرين بعد أن يقوم بنصرة الدعوة .

أولا : أن يهجره الشيخ إلى مكان آخر ويستبدل به غيره .

ثانياً : أن يقف الشيخ فى وجه ما يأخذه من مال من أهل الدرعية .

لذا أراد أن يكون بينه وبين صاحب الدعوة عهد وميثاق فقال له « يا شيخ إن هذا دين الله ورسوله الذى لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد لمن خالف التوحيد . ولكن أريد أن أشترط عليك اثنتين :

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١١ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١١ .

الأولى : نحن إذا قمنا فى نصرتك والجهاد فى سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان أخاف أن ترحل عنا وتستبدل بنا غيرنا .

الثانية : إن لى على الدرعية قانوناً آخذه منهم فى وقت الثمار وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئاً .

فأجاب الشيخ أيها الأمير أما الأولى فأبسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم .

وأما الثانية : فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها . ثم إن محمداً بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله والجهاد فى سبيل الله وإقامة شرائع الإسلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده[1]. وتم التحالف بين الشيخ والأمير على نصرة الحق ومحاربة مظاهر الشرك . والواقع أن هذا التحالف يدل على بعد نظر الأمير محمد بن سعود السياسى فهو قد رأى أن ليس لآل سعود شأن يذكر حتى وقته فكل أمرهم محصور فى الدرعية والسيطرة عليها وليس لهم نفوذ يذكر فى بقية بلدان نجد . ورأى أن خير وسيلة لتوسيع سيطرتهم وبسط

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢ ؛ حسين بن غنام ، المرجع السابق ص ٨١ . يذكر صاحب لمع الشهاب أن الاتفاق بين الشيخ والأمير قد تم على الصورة التالية فقد قال الأمير للشيخ عند وروده إلى الدرعية « هذه القرية قريتك والمكان أنت وليه ؛ فلا تخشى (تخش) أعداءك ، والله لو انطبقت علينا جميع نجد ما أخرجناك عنا فقال : أنت كبيرهم وشريفهم أريد منك عهداً على أنك تجاهد فى هذا الدين . والرياسة والإمامة فيك وفى ذريتك . وأن المشيخة والخلافة فى الدين فى وفى آلى من بعدى أبداً . بحيث لاينعقد أمراً ولا يقع صلحاً ولا حرباً (حرب) إلا ما نراه كذلك فإن قبلت هذا فأخبرك أن الله يطلعك على أمور لم يدركها أحد من عظماء الملوك والسلاطين ، وتكون عاقبة أمرك محمودة عند الله . لأنك اتبعت الدين ونصرته . ولم تقصر رتبتك عن رتبة الصحابة والخلفاء الذين نصروا رسول الله (ص) وأى منزلة أعلى من هذه ؟ فقال محمد بن سعود قبلت وبايعتك على ذلك فتبايعا واشترط كل منهما على صاحبه ما اشترط عليه » انظر لمع الشهاب . تحقيق الدكتور أحمد أبو حاكمة ، ص ٣٠ — ٣١ . وواضح أن صاحب لمع الشهاب يؤكد أن الشيخ والأمير اتفقا على اقتسام السلطة فيما بينهما .

سلطانهم وإعلاء شأنهم هو الجهاد الدينى الذى حالف عليه الشيخ ويؤيد ذلك أنه اشترط على محمد بن عبد الوهاب ألا يتركه إلى غيره عند ما يتسع أمره وأمر الدعوة لأن ذلك سيؤدى إلى انكماش ملكه ثانية . وسلم للشيخ نظير ذلك بالشرط الثانى من شروط التحالف بينهما حينما ضمن موافقته على هذا الشرط الذى رأى فيه قوام آماله السياسية .

وكان الاتفاق بين الأمير والشيخ النواة الأولى فى بناء صرح الدولة السعودية الأولى وعلو شأن آل سعود[1] .

وما أن ذاع أمر هذا الاتفاق ١١٥٨ هـ — ١٧٤٥ م فى بلدان نجد حتى أتى الوافدون إلى الدرعية من كل مكان فى نجد منهم المازل ومنهم المتجسس وإن استجاب فريق كبير لكلمة التوحيد وتحولت الدرعية إلى عاصمة دينية وسياسية وحربية فى نفس الوقت وضاقت دورها عن تحمل العدد الغفير الذى هاجر إليها من أنصار الشيخ من العيينة وغيرها من بلدان نجد[2] . وكان أهل الدرعية ومن هاجر إليها فى ذلك الوقت فى ضيق مالى . ثم تحسنت أحوالهم بعد ذلك بسبب ما حصلوا عليه من الغنائم والزكاة التى أصبحت تجبى من البلدان التى خضعت للدرعية .

وعند ما علم عثمان بن معمر أمير العيينة باتفاق الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود خشى كثيراً من الأمور فركب ومعه رجال من العيينة ورؤسائها إلى الدرعية يريد إرجاع الشيخ إلى بلده ولكنه لم يجد إلى ما أتى إليه سبيلا فرجع إلى العيينة حائراً فى أمره وإن أبدى فى الظاهر مناصرته للشيخ والأمير محمد بن سعود[3] ولكن تصرفاته إزاء الدرعية فيما بعد أكدت أنه لم يكن صادقاً فيما أبداه .

(١) د . عبد الحميد البطريق ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٤٨ .

(٣) عثمان بن بشر المرجع ، السابق ، ص ١٣ .

الفصل الثالث

الدولة السعودية وتوحيد نجد

---

١ — مناهضة الرياض لآل سعود .

٢ — صدام آل سعود مع المناطق النجدية الأخرى .

٣ — العوامل التي ساعدت آل سعود على توحيد نجد .

الفصل الثالث

الدولة السعودية وتوحيد نجد

أخذ شأن إمارة الدرعية يعلو بتحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود وخشى كثير من رؤساء البلدان فى إقليم نجد هذا الحدث. وأتى بعضهم إلى الدرعية يريد أن يؤمن نفسه وبلده ضد الجهاد وإن بدا فيما بعد أنه كان يظهر خلاف ما يبطن كعثمان بن معمر. ومنهم من أعلن مناهضته للدعوة السلفية ولاتساع نفوذ الأسرة السعودية ورغم إعلان كل من حريملا والعيينة والمنفوحة الإيمان بمبادىء الدعوة السلفية وقبول النفوذ السعودى. إلا أن عملية توحيد إقليم نجد استغرقت من آل سعود أكثر من أربعين عاماً. خاضت خلالها حرباً طويلة مريرة مع مدن وقرى هذا الإقليم. فلم تخل مدينة أو قرية إلا ودخلت مع آل سعود فى حرب.

وكان دهام بن دواس حاكم الرياض أكبر خصم للدعوة السلفية والنفوذ السعودى. ودهام بن دواس هذا كان والده رئيساً للمنفوحة. وكان رجلا ظالماً فلما مات تولى إمارة المنفوحة بعده ابنه محمد بن دواس. فقام ابن عمه زامل ابن فارس ومعه أهل المنفوحة بقتله وأجلوا إخوته ومن بينهم دهام عن بلدهم فهاجروا إلى الرياض واستقروا بها وكان حاكمها آنذاك زيد بن موسى أبا زرعة الذى قتل بيد أحد أبناء عمه ولكن خادمه خميس استطاع أن يقتل قاتله وأن يتولى إمارة الرياض لمدة ثلاث سنوات كان فى أثنائها دهام بن دواس خادماً للعبد خميس[1]. ثم جرت أمور فى الرياض جعلت خميساً يهرب إلى المنفوحة حيث لقى حتفه هناك وبعد هربه ترأس فى الرياض دهام بن دواس بحجة النيابة

---

(١) حسين بن غنام، المرجع السابق، ص ٨٩.

عن ابن أخته الصغير ابن زيد بن موسى أمير الرياض السابق[1] . ولكنه تنكر لهذا المبدأ الذى أعانه وأجلى ابن أخته عن البلاد . فهاجمه أهل الرياض وأرادوا الفتك به فأرسل أخاه مشاليا إلى الأمير محمد بن سعود يطالب منه أن ينجده ضد أهل الرياض . فبعث إليه أمير الدرعية أخاه مشارى على رأس قوة استطاعت أن تقدم له العون وأن تقره فى مكانه ووقف مشارى بن سعود بجانبه عدة شهور حتى استتب له الأمر فى الرياض فتركه عائداً إلى الدرعية[2] .

وبعد ما تحالف الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب دعا الأمير محمد بن سعود دهاما إلى اعتناق مبادىء الدعوة السلفية والدخول فى طاعة الدولة السعودية استنكر دهام هذه الدعوة وشبت بينهما حرب طويلة الأمد استمرت سبعة وعشرين عاماً . كان الدور الأول منها عشرين سنة أى طوال فترة حكم الأمير محمد بن سعود . كان دهام خلال هذه الفترة يحتل البلد اليوم ليخليه فى الغد . وكان يلجأ فى حرب آل سعود إلى سلاح الدسائس والفتن حيناً، وإلى المصالحة معهم أحياناً ؛ فقد عاهدهم أربع مرات ونكث عهده أربع مرات وانضم إليهم بجيوشه وحارب معهم المعارضين لنفوذهم ولكنه تنكر لهم بعد ذلك وحارب كل أمير سعودى .

إن دهام بن دواس ما كاد يعلم ١١٥٩ هـ — ١٧٤٦ م بتلبية المنفوحة لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودخولها فى طاعة آل سعود حتى هجم عليها بريد فتنتها وإجبارها على إعلان العصيان[3] . وربما كان الدافع له من وراء هذا العمل أنه كان يطمع فى استرداد المنفوحة والاستيلاء على مقاليد الحكم فيها بعد أن طرد منها هو وإخوته فلما رآها أذعنت لحكم آل سعود أسرع بغزوها آملا أن يعيدها إلى حوزة أسرته . ورغم استيلائه على قصر الإمارة فيها إلا أن

---

(١) Lady Anne Blunt, A Pilgrimage to Najd, vol. 2, p. 252.

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ٨٩ .

(٣) عبد الله القصيمى ، الثورة الوهابية ، ص ٦٧ .

أميرها على بن مزروع استطاع إجبار دهام ورجاله على الخروج منها بعد أن أصيب دهام نفسه بجرحين[١] .

استمر الصراع بين الدرعية والرياض متواصلا لا تكاد تخلو سنة من سنوات حكم الأمير محمد بن سعود دون أن يشن فيها غزوة أو غزوتين على الرياض داخل أراضيها نفسها ، وأحياناً أخرى كان دهام بن دواس ينجح فى نقل ميدان المعارك داخل أراضى الدرعية أو المناطق التى أذعنت لحكمها وفى كل غزوة كان يتحمل كل من الطرفين جزءاً من الخسائر .

فى ١١٧١ هـ — ١٧٥٧م قرر آل سعود أن تكون لهم نقطة انطلاق بالقرب من الرياض حتى يستطيعوا إنزال الهزائم المتتابعة بها وإسقاطها فقام الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ببناء حصن الغذوانة غربى الرياض فى وادى حنيفة ولكن هذا الحصن لم يأت بالثمرة المرجوة منه فى الوقت القريب[٢] . وظل دهام بن دواس صامداً للغزوات السعودية ومثيراً للفتنة ضد آل سعود تارة ومشهراً الحرب ضدهم تارة أخرى ومتحالفاً مع كل من أميرى الإحساء ونجران تارة ثالثة . بل إن دهام كان وراء كثير من عمليات الارتداد التى كانت تحدث فى المدن والقرى الأخرى ضد النفوذ السعودى .

وعلى أى حال فإن التفسير الصحيح لهذا الصراع المرير بين الرياض والدرعية هو أن أمير الرياض كان يخشى انهيار نفوذه وسلطانه أمام نفوذ وسلطان آل سعود اللذين أخذا فى الصعود . فهو صراع من أجل السلطة فى جوهره وليس صراعاً من أجل نشر مبادى الدعوة السلفية أو معارضتها . فإن الدعوة السلفية أصبح لها أتباع فى كل مدن نجد حتى فى الرياض نفسها فاعتناق

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٤٠ ؛ حسين بن غنام ، المرجع السابق ص ١٠٩ — ١١٠ .

مبادىء الدعوة كان دائماً سابقاً للاذعان لسلطة آل سعود فى تلك الفترة . والذى أزكى نار الصراع بين أمراء البلدان النجدية والدرعية هو مبدأ الاحتفاظ بسيطرتهم وسلطانهم فى مناطقهم .

وبالرغم من شدة غزوات الدرعية للرياض فإنها لم تستسلم حتى نهاية عهد محمد بن سعود ١١٧٩ هـ — ١٧٦٥ م وظل دهام بن دواس يمثل الخصم العنيد والعدو القوى للدولة السعودية ويعمل جاهداً على الحد من اتساعها وحاول أن يستغل فرصة وفاة الأمير محمد بن سعود ويعمل على تحطيم النفوذ السعودى الذى أصبح يشمل كثيراً من بلدان نجد فحالف زيد بن زامل حاكم الدلم والخرج وشنا هجوماً عاصفاً على الصبيخات فى منفوحة . سارع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدولة السعودية الجديد بمهاجمة الرياض وغزا أخوه عبد الله قبيلة السبيع حليفة دهام إلا أن هذا العمل لم يهن من جانب أمير الرياض(١) . وقدر الإمام عبد العزيز بن محمد قوة هذا الخصم وأدرك يقيناً أنه وراء كثير من عمليات الارتداد التى تحدث بين آونة وأخرى ضد النفوذ السعودى فعمل جاهداً فى القضاء سريعاً عليه فأكثر من غزواته للرياض آملا أن تسقط فى إحدى هذه الغزوات .

ازدادت حدة الصراع بين الدرعية والرياض فى الفترة الواقعة ما بين ١١٨١ هـ — ١٧٦٧ م : ١١٨٧ هـ — ١٧٧٣ م وكان الإمام عبد العزيز بن محمد ابن سعود يقود الحملات ضد الرياض بنفسه حتى كاد أن ييأس من سقوطها واستسلامها. بل إن جيوش دهام وصلت ١١٨٥ هـ — ١٧٧١م إلى بلدة عرقة أسفل الدرعية وهددت عاصمة آل سعود نفسها لولا أن الجيوش السعودية استطاعت مطاردة دهام فى الصحراء والاشتباك معها فى قتال شديد قتل فيه ابنا دهام دواس وسعدون قرب بئر الفوارة . وبعد هذه الحادثة بدأت قوة أمير الرياض تضعف واستغل الإمام عبد العزيز هذا الضعف الذى حل بجانب خصمه

---

(١) H. st. John Philby, Saudi Arabia, p. 61.

واستمر فى مواصلة غزواته للرياض طوال عام ١١٨٦ هـ — ١٧٧٢ م فغزاها فى هذا العام مرتين وفى ١١٨٧ هـ — ١٧٧٣ م استطاع هدم مرقبها(*) . وما إن حل ربيع الآخر من نفس العام حتى كان دهام قد مل القتال وفضل الهروب إلى الخرج ومعه أتباعه فدخل الإمام عبد العزيز الرياض بجيوشه فوجد سكانها قد هجروها نختم أبوابها حتى لا تسرق محتوياتها وأرسل جيوشه فى إثر الهاربين ليقتلوا المبطئين منهم ويستولوا على أموالهم وجد الجيش السعودى فى أثرهم حتى وصل إلى الدلم(١) . وبهذا الهروب الذى فرضه دهام على نفسه وعلى أتباعه « انتهى القتال الذى استمر زهاء السبعة والعشرين عاماً وتقدر خسائر الجانبين بأربعة آلاف قتيل من الطرفين . كانت خسائر دهام ألفين وثلاثمائة وخسائر الجانب السعودى ألف وسبعمائة ولا يزال الناس فى نجد يذكرون هروب دهام بالسخرية كلما قام شخص عندهم بعمل يدل على الحمق »(٢) .

والواقع أنه بهروب دهام من الرياض واستسلامها للنفوذ السعودى تخلصت الدولة السعودية من أكبر مناهض كان يقف فى وجه توسعها فى إقليم نجد .

الصدام بين الدولة السعودية والقوى النجدية الأخرى :

الواقع أنه إذا كانت كل من العيينة ومنفوحة وضرمى وحريملا والعمارية والقويعية والحوطة والجنوبية والمحمل وثادق والقصب والفرعة ومعظمها من بلدان العارض قد أعلنت الولاء لآل سعود منذ وقت مبكر بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود إلا أن هذه البلاد كثيراً ما كانت تتردد بين الولاء للدرعية أو الانضمام إلى جانب أعدائها ومحاربتها فالعيينة التى كان أميرها عثمان بن حمد بن معمر أول من اعتنق المبادىء السلفية وشارك فى

---

* المرقب : حصن المدينة والمكان الذى ترقب منه جيوش العدو .

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) H. St. John Philby, Saudi Arabia, p. 62.

هدم كثير من القباب وقطع الأشجار التى لها قداسة عند العرب البدو وكانت إمارته الميدان الأول لإذاعة مبادىء الدعوة السلفية . ورغم إعلان عثمان خضوعه للدرعية منذ البداية وإن كان ذلك حدث منه تأميناً لجانبه وحماية لنفوذه على بلده إذ أنه قدر أن الجيوش السعودية لابد أن تغزو العيينة إن عاجلا أو آجلا . ففضل الانضمام إلى جانب الدولة السعودية سلماً . وشارك فى حروب آل سعود ضد الرياض وتولى إمارة جيوشهم عدة مرات . إلا أن أحداثاً بدت منه أثبتت أنه لم يكن صادقاً فى طاعته للدولة ففى عام ١١٦٠ هـ - ١٧٤٧ م لم يشارك فى موقعة دلقة ضد دهام بن دواس ولما خشى اكتشاف أمره طلب من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود أن يصفحا عنه فأجيب إلى مطلبه ويذكر ابن غنام أن « محمد بن سعود نفسه صار له منقاداً لا يخالفه فى شىء بل يتابعه ويوافقه فى السفر والغزو والجهاد »[1] .

ولكن عثمان بن معمر استمر على نفاقه للدولة السعودية واستمر يعمل فى الخفاء على توجيه ضربة قوية لها . فحاول مرة عقد اتفاق سرى ضدها مع أمير ثرمداء وأمير الرياض دهام بن دواس وعندما كشف أهل العيينة أمره موّه عليهم بأن غرضه من وراء هذا الاتفاق إدخال دهام بن دواس فى دائرة الدعوة والدولة . وأظهر حسن نواياه [2] . ولكنه عاد وأظهر عدم صدقه فى الولاء للدولة السعودية للمرة الثالثة عندما رفض دخول ثرمداء مع عبد العزيز بن محمد ابن سعود وانسحب من أمامها بفرقته ولم يمكن عبد العزيز من دخولها .

وعندما تزايد مكر عثمان ضد الدولة وتأكد ذلك بالقرائن لأهل بلده قام جماعة منهم بقتل عثمان بعد انقضاء صلاة الجمعة فى رجب سنة ١١٦٣هـ — ١٧٤٩م ولما وصل نبأ قتله إلى الدرعية ذهب الشيخ محمد بن عبد الوهاب بنفسه إلى العيينة

---

(١) حسين بن غنام المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٢) حسين بن غنام ، نفسه ، ص ٩٥ .

(٣) نفس المرجع ، ص ٩٧ .

وأمر عليها مشاري بن معمر رغم معارضة أتباع الدعوة ورغبتهم في عدم تقليد أحد من آل معمر لأمور العيينة . فكان ذلك في منتصف رجب ١١٦٣ هـ — يونية ١٧٤٩ م . ولكن مشاري هذا بدت منه فيما بعد أمور كثيرة أثبتت عدم إخلاص بيت آل معمر لسلطة الدرعية وتوجس منها الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود خيفة فعزلاه بعد أن استمرت السلطة في يده عشرة أعوام وأمرا على العيينة سلطان بن محسن المعمري وأمرا بهدم قصر آل معمر (١) . وبهذا العمل نجحت الدرعية في القضاء على بيت من أكبر البيوت النجدية التي ناهضت الدولة السعودية في عهدها الأول وإن كانت مناهضة هذا البيت في الواقع لم تصل في حدتها إلى الدرجة التي كانت عليها مناهضة الرياض . فالعيينة لم تشهر حروباً ضد الدرعية وإنما مناهضة البيت الحاكم فيها كانت عبارة عن محاولات لإيجاد تجمع ضد الدولة فنجح آل سعود وأتباعهم في القضاء عليها في حينها .

أما أمر حريملا مع آل سعود فقد كان أيضاً أمر صراع من أجل قضية المصير فبالرغم من أن حريملا كانت من البلدان الأولى التي أعلنت خضوعها لسلطان الدرعية إلا أن عام ١١٦٥ هـ — ١٧٥١ م شهد مناهضة هذا البلد لنفوذ الدولة الجديدة ونظمها إذ قام أناس من أهلها بتحريض من قاضيها سليمان بن عبد الوهاب أخو الشيخ محمد (*) بنقض عهدهم الذي قطعوه على أنفسهم لكل من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود . ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إنهم قاموا بإخراج كل من لم ينقض عهده من بلدهم فكان على رأس هؤلاء المطرودين الأمير محمد بن عبد الله وأخوه عثمان وبعض رجاله ومن بينهم مبارك بن عدوان وأبيه عدوان بن مبارك . فقصد هؤلاء إلى الدرعية

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(*) كان سليمان بن عبد الوهاب من أكبر المعارضين للشيخ محمد وألف كتابه الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ولكنه عاد في النهاية واعتنق المبادىء السلفية .

ونزلوا ضيوفاً على أميرها [١] . نخشى المتمردون من وصولهم إلى الدرعية فأرسلوا فى أثرهم وفداً من قبيلة الأمير محمد بن عبد الله لاسترضاء المطرودين وإرجاعهم إلى بلادهم مع تقديم الاعتذار عما بدا من أهل بلادهم . خشية قيام الدرعية بإعلان الحرب ضد بلادهم . وفعلا نجح الوفد فى إرجاع المطرودين إلى بلادهم ولكن ما كاد يستقر بهم المقام بعد رجوعهم حتى هجمت عليهم قبيلة آل راشد ومعها أهل حريملا وقتلوا الأمير محمد بن عبد الله ومعه ثمانية من أتباعه واستطاع مبارك بن عدوان أن ينجو من القتل ويلجأ إلى الدرعية طالباً النجدة فسير معه الأمير محمد بن سعود جيشاً تحت إمرة ابنه عبد العزيز استطاع بمساعدة الأمير محمد بن عبد الله أمير ضرمى الاستيلاء على حريملا وإعلان الأمان لجميع السكان إلا من أحدث حدثاً . وأمر على حريملا من قبل آل سعود مبارك بن عدوان وعاد إلى الدرعية لسبع أو ثمان خلون من جمادى الآخرة ١١٦٨ هـ — ٢١ ، ٢٢ مارس ١٧٥٥ م بعد أن أصبحت دور ونخيل حريملا غنيمة للمجاهدين من أتباع الدعوة [٢] . واضطرت جيوش آل سعود للظهور مرة ثانية فى نفس العام ١١٦٨ هـ — ١٧٥٥ م لإنقاذها من هجمات أمير الرياض وحلفائه واستطاعت إنزال الهزيمة بقوات الحلف الذى تكون ضد حريملا بزعامة أمير الرياض دهام بن دواس فى « موقعة الدار » [٣] .

ولكن هل حفظ مبارك بن عدوان هذه اليد الطولى التى قدمها له أمير الدرعية من توليته لإمارة حريملا والوقوف بجانبه ضد أعدائه حتى ثبتت قدماه فى إمارة هذا البلد ؟

الواقع أن مباركاً لم يحفظ هذه اليد فقد ملأه الغرور والتعالى وأخذ يزدرى من أهل بلده كل من هو على طاعة مبادىء الدعوة السلفية والدولة السعودية .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٢٩ — ٣٠ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٠٤

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٣٠

ووصل به الأمر أنه أصبح لا يعير أوامر الأمير محمد بن سعود اهتماماً ولا يقوم بتنفيذها . فأصدر الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود أمرهما بعزله من إمارة حريملا واصطحبه الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود معه إلى الدرعية حيث اجتمع به الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقال له « يا مبارك خذ من نخيل حريملا ما تريد واجلس عندنا فى عز ووقار وما تحتاج من مال فنحن نقوم بمنحك إياه »[1] . وعين لإمارة حريملا ابن عمه أحمد بن ناصر بن عدوان . وحاول مبارك أن يستعيد إمارة حريملا بعد أن استنجد بأهل المجمعة وأهل سدير والوشم وثرمدا وجمع جيشاً كبيراً لتنفيـــذ خطته ولـكن قوات الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود تصدت له وأفسدت علية خطته وتشتت شمل مبارك وأتباعه وظل مطروداً حتى توفى مفلوجاً فى المجمعة ١١٧٤هـ — ١٧٦٠م[2] . وبوفاته انطوت صفحة أمير من الأمراء الذين ناهضوا الدعوة والدولة السعودية الأولى فى منطقة العارض .

والواقع أن جميع بلدان وقرى نجد كانت دائمة التردد بين الولاء للدولة السعودية والاستقلال عنها وإثارة الاضطرابات ضدها فالقويعية وثرمدا وضرمى وشقرا وأشيقر وثادق والمحمل والعودة والحوطة ومنفوحة والقصب ورغبة والفرعة جميع هذه البلدان كانت فى شبه ثورة ضد النفوذ السعودى فما تكاد الجيوش السعودية تترك البلدة منها حتى تفاجأ بارتداد فى بلدة أخرى مما جعل جيوش الدرعية فى حالة حرب دائمة مع هذه البلدان .

* * *

آل سعود والخرج :

كانت منطقة الخرج من أعنف المناطق النجدية مقاومة لاتساع نفوذ

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٤٠ — ٤٢ .

(٢) د . عبد الكريم غرايبة ، مقدمة تاريخ العرب الحديث ، جـ ١ ، ص ٣٥٥ .

الدرعية فقد تزعم المقاومة فى هذه المنطقة زيد بن زامل الديلمى الذى عقد حلفاً مع زعيم وادى الدواسر وزعماء المنطقة الآخرين وطلب المساعدة من أهل نجران وقبائلها نظير مبالغ من المال قدمت لزعماء نجران . وبهذه الوسائل استطاع زيد ابن زامل حشد جيش كبير سار نحو العارض وهدفه القضاء على الدرعية والنفوذ الذى أصبح لها واشتبك هذا الجيش فى عدة معارك مع القوات السعودية منى فى أثنائها بخسائر فادحة لأن القتال كان يدور بين أشجار النخيل ولم يكن لأفراده خبرة بطبيعة هذا النوع من القتال الذى كانت تجيده القوات السعودية . مما اضطر الزعماء النجرانيون إلى إيقاف حملتهم والعودة إلى بلادهم دون أن يحققوا هدف حليفهم فى القضاء على قوة آل سعود[1] . ولكن زيد بن زامل لم يتخل عن خطته وظل واقفاً معرضاً جيشه للقتال ولما أدرك حقيقة ألا جدوى من قتاله مع القوات السعودية التى كانت تفوق جيشه عدداً وقوة اضطر أن يعقد صلحاً مع الدرعية أعلن فيه خضوعه لسلطانها . ولكن هذا الصلح الذى تم ١١٨٩ هـ — ١٧٧٥ م لم يكن طويل الأمد ففى العام التالى لعقده ١١٩٠ هـ — ١٧٧٦ م أعلن زيد بن زامل خروجه على شروط الصلح ورفضه للنظام السعودى[2] . فأصدر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدولة آنذاك أمره بتنحية زيد عن إمارة الدلم وتعيين سليمان بن ابراهيم بن عفيصان أميراً لها من قبل آل سعود .

لم يستسلم زيد بن زامل لأمر الدرعية وعقد تحالفاً مع زعماء اليمامة والعناصر الساخطة على النظام السعودى وجمع قوة استطاع بها أن يجبر سليمان بن عفيصان والحامية السعودية التى معه على الانسحاب من الدلم وأمسك بزمام الأمور فيها مرة أخرى . وبدأ بالاشتراك مع حسن البجادى زعيم اليمامة فى التخطيط للثورة العامة فى إقليم الخرج ضد آل سعود مستغلا فرصة انشغال جيوش الدرعية

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٣٩ — ١٤٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤١ — ١٤٢ .

يغزو آل مرة للمرة الثانية[1] .

وصلت أنباء الاضطرابات فى منطقة الخرج إلى الإمام عبد العزيز بن محمد فأدرك أنه لابد من وضع حد لأمر هذه المنطقة التى أزعجت اضطراباتها الدرعية فأرسل ابنه سعود بجيش كى يقوم باستقصاء أخبار الوضع فى المنطقة . ولكن هذا الجيش التقى بقوات الخرج المحلية عائدة من رحلة استطلاعية فنشبت بين الطرفين معركة فى قناة الصهباء . انسحب على إثرها كلاهما عائداً إلى بلاده .

عبأ الأمير عبد العزيز بعد هذه الحادثة معظم جهوده الحربية لإخماد ثورة الخرج وقاد بنفسه بعض الحملات التى وجهت ضد هذه المنطقة . كما قاد ابنه سعود معظمها وبنى « حصن البدع » إلى الشرق من الدلم ليكون بمثابة نقطة انطلاق للقوات السعودية ضدها . ووضع فيه حامية سعودية بقيادة محمد بن غشيان فأدرك أهل الدلم أنه لا يستقيم لهم أمر وهذا الحصن على حاله هذه من المراقبة لهم والتهديد . فاستجاروا بسعدون بن عريعر وقاموا بمساعدته بهجمتين على الحصن فصدهما[2] .

وفى ١١٩٨ هـ — ١٧٨٣ م استطاعت إحدى الدوريات السعودية التى كان منوطاً بها إبقاء طرق القوافل الرئيسية مفتوحة وحفظ الأمن فيها . استطاعت هذه الدورية قتل زيد بن زامل أثناء عودته من غزو السبيع . فخلفه فى قيادة أهل الخرج ابنه براك .

وفى ١١٩٩ هـ — ١٧٨٤م قاد الأمير سعود بن عبد العزيز حملة على الخرج وسلب قافلة متجهة إلى الحوطة وقتل بعض رجال هذه القافلة وكان من بينهم زامل الابن الثانى لزيد بن زامل . فى تلك الأثناء جدت عن الموقف فى الخرج أمور أضعفت من كفتها فقد بدأ الصراع الأسرى بين أفراد الأسرة الحاكمة

---

(١) حسين بن غنام ، نفس المرجع ، ص ١٤٢ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ — ١٥١ .

يلعب دوره فى إضعافها فقد قام أبناء عم الأمير براك بن زيد أمير الخرج بقتله ولجأوا إلى الدرعية وكان الموقف صالحاً لتحقق قوات الدولة السعودية ما عجزت عنه من قبل فواصل الأمير سعود حملاته على الخرج .

وفى ١٢٠٠ هـ — نوفمبر ١٧٨٥ م بعد هجوم صاعق تمكن من الاستيلاء على الدلم وإخضاعها نهائياً لنفوذ الدرعية وبهذا العمل انتهى الصراع العنيف ضد نفوذ آل سعود فى هذه المنطقة فقد أعلنت بقية بلدان الخرج استسلامها وحذا حذوها أيضاً سكان وادى الدواسر المجاور لهذه المنطقة[١] . وهكذا شهدت نهاية ١٢٠٠ هـ — ١٧٨٥ م إمتداد حدود الدولة السعودية الأولى إلى هذا الحد نحو الجنوب والشرق .

آل سعود والقصيم :

إذا كانت الدرعية حتى ذلك الوقت بسطت سلطانها على المناطق الواقعة فى غربها وجنوبها وشرقها إلا أن بلدان الشمال فى منطقة القصيم قد قاومت النفوذ السعودى بعنف ففى ١١٩٦هـ —١٧٨٢م قام المناهضون بقتل دعاة الدولة والخاضعين لنفوذها ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن أهل القصيم أجمعوا أمرهم على إعلان العصيان وعدم قبول الحكم السعودى ونقضوا العهد الذى قطعوه على أنفسهم فى السابق للامام عبد العزيز بن محمد حاكم الدولة والشيخ محمد بن عبد الوهاب صاحب الدعوة السلفية[٢] .

وعلى أى حال فإن جميع سكان القصيم آزروا الثورة ضد النظام السعودى خلا مدن بريدة والرس وتنومة وإن أثبتت الشواهد على أن هناك عناصر من بين سكان هذه المدن مالأت الثورة مثل سليمان الحجيلانى وبعض أهل بريدة .

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ — ١٦١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٢ — ١٥٣ .

وكمادة المناهضين لآل سعود استجار ثوار القصيم بسعدون بن عريعر صاحب الأحساء الذى ظهر بجيش كبير أمام بريدة التى كانت تعتبر مركز الثقل للنفوذ السعودى فى المنطقة . ولما طال حصارها دون جدوى رفع المهاجمون الحصار عنها . وسار سعدون إلى المبيض لينظم جيشه الذى انضم إليه زعماء السدير المنفيون إلى الزبير[1] . وانضم إليه فى تلك الأثناء أيضاً زيد بن زامل أمير الخرج وكان لا يزال حتى هذا الوقت كما سبق أن أوضحنا يناهض النفوذ السعودى ، وقرر قادة هـذا الجيش أن يكون هجومهم أولا على الروضة واستطاعوا فعلا احتلالها بعد أن استسلمت القوة السعودية الموجودة بها بعد أن تعهد المهاجمون بحماية حياة أفرادها .

وكان الجيش السعودى الذى أعدته الدرعية للقضاء على ثورة القصيم معسكراً فى بلدة ثادق يستطلع الموقف وتطوراته ، ويرقب الأحداث عن كثب. وعندما أدرك قادته أن الظروف فى صالحهم بدأوا الهجوم على الروضة واشتبكت القوات السعودية مع قوات آل ماضى زعماء المقاومة فى عدة معارك قتل فى أثنائها الأمير عون بن نافع رئيس آل ماضى . وفى تلك الأثناء وصل الأمير سعود بن عبد العزيز بجيشه المنظم إلى ميدان القتال . واشتد الهجوم السعودى على الروضة ولم يبق فى يد الأمير عقيل الذى خلف أخاه عون فى الإمارة غير الحصن وإزاء هذا الموقف المتدهور اضطر إلى طلب الصلح وتعهد :

أولا : القيام بدفع مبالغ كثيرة كتعويض عما حدث من إتلاف .

ثانياً : طرد آل ماضى من الروضة ومعهم جميع مؤيديهم وأتباعهم[2] .

وبعد إخضاع الروضة بدأ الأمير سعود بن عبد العزيز بحث أمور المدن والقرى المجاورة التى اتهمت بمساعدة الخارجين على نظام الحكم السعودى مثل الدخيلة والفارغة ، وبعمليات عسكرية سريعة نجح فى إخضاع منطقة القصيم

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٧٦ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .

للنفوذ السعودى . وعاد إلى الدرعية بعد أن عين عمالا على مدن وقرى هذه المنطقة وأصبحت حدود الدولة السعودية الشمالية تمتد حتى نهاية حدود القصيم فى الشمال .

آل سعود وجبل شمر :

أدرك الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حاكم الدولة السعودية بعد أن نجحت جيوشه فى القضاء على ثورات الخرج والقصيم ، أهمية منطقة جبل شمر الاقتصادية فأرضها خصبة التربة وتتوفر بها عيون المياه التى تكفل قيام الحياة الزراعية المزدهرة بالإضافة إلى أن هذه المنطقة لها علاقة تجارية مع مدن العراق وقراه مما زاد فى أهميتها الاقتصادية . وأصبح إخضاع هذه المنطقة لنفوذ آل سعود ضرورة تمليها الظروف نظراً لمجاورتها المباشرة لحدود ملك آل سعود . بالإضافة إلى القيمة الاقتصادية التى ستكسبها الدولة بإخضاع منطقة جبل شمر التى كانت تخضع لنفوذ آل على . فأصدر الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود أمره إلى حجيلان أمير القصيم بإعداد حملة وغزو منطقة جبل شمر وقام حجيلان بإعداد الحملة التى كلف بها . ولكن جنود الحملة التقوا فى أثناء طريقهم إلى جبل شمر بقافلة محملة قادمة من العراق إلى حايل فسلبوها كل ما تحمل وعاد حجيلان وجنوده مسرعين إلى بلادهم مكتفين بهذه النتيجة دون تحقيق أمر الدرعية[١] .

قرر ثوينى زعيم المنتفق الانتقام من حجيلان لاعتدائه على القافلة العراقية . فقاد فى (١٢٠١ هـ — نوفمبر ١٧٨٦ م) جيشاً مجهزاً بالذخائر الحربية ووصل إلى تنومة فهاجمها ثم اتجه إلى بريدة نفسها يريد أن يحطمها ويقضى على أميرها حجيلان . ولكن ثوينى اضطر إلى إنهاء عملياته الحربية فى القصيم قبل الاستيلاء على بريدة لوقوع اضطرابات فى بلاده أجبرته على إنهاء

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

عملياته . وكان عبد المحسن صاحب الأحساء قد جهز جيشاً لمساعدة ثوينى فى عملياته فى القصيم ولكن جيش عبد المحسن لم يصل إلى القصيم بل عاد إلى بلاده عند ما سمع عبد المحسن بانسحاب ثوينى إلى بلاده[1].

استغل حجيلان انشغال ثوينى زعيم المنتفق بالقضاء على الاضطرابات التى ثارت ضده فى بلاده وجدد هجومه على منطقة جبل شمر وبعد عمليات حربية نجح فى إخضاع المنطقة وسكانها للحكم السعودى . ولكن بعض عناصر من قبائل شمر بقيت مناوئة للنظام السعودى وكانت تتحالف تارة مع قبائل مطير وتارة مع قبائل حرب ضد الدرعية حتى انهارت مقاومتهم ومن لم يفضل من هذه العناصر البقاء تحت سلطة الدولة الجديدة ، هجر بلاده إلى أراضى العراق . وكانت آخر العمليات العسكرية السعودية فى منطقة جبل شمر ١٢٠٧ هـ - ١٧٩٢ م[2].

وهكذا تم للدولة السعودية توحيد إقليم نجد فى وحدة سياسية واحدة تحت سيادة الحاكم السعودى الذى أصبح له أمراء وقضاة وعمال ودعاة فى جميع مناطق نجد الموحدة . وبإتمام هذا العمل أصبح على الدولة أن توجه جهودها الحربية إلى ميادين أخرى جديدة خارج حدود نجد داخل أراضى شبه الجزيرة العربية وخارجها . ولابد لنا قبل أن نتتبع جهود الدولة فى هذه الميادين من ذكر العوامل التى نرى أنها ساعدت آل سعود فى نجاحهم فى توحيد إقليم نجد رغم طول الفترة التى استغرقها هذا العمل من ١١٥٨ هـ — ١١٧٤٥ م ، ١٢٠٧ هـ — ١٧٩٢ م . وأهم هذه العوامل :

أولا : عدم توحيد وتنسيق جهود الإمارات النجدية إزاء التوسع السعودى جعل الدرعية تستغل هذا الموقف غير الموحد وتلجأ إلى حرب الإمارات النجدية واحدة تلو الأخرى فهى تبدأ بإمارات العارض ثم الخرج

---

(١) عثمان بن بشر ، نفس المرجع ، ص ٨١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٩٩ .

فالقصيم وغيرها من المناطق النجدية . حتى فى الأوقات التى جمع بعض الإمارات تحالف ضد النفوذ السعودى كنا نجد أنه سرعان ما ينفرط عقد هذا التحالف إما بانسحاب جيش أحد أعضائه من الميدان وإعلانه الخضوع للنفوذ السعودى أو بسبب خوف أحد أمراء الحلف على ضياع نفوذه إذا استمر فى المقاومة فكان يعلن تحلله من الحلف نظير الإبقاء على إمارته مع الخضوع للدولة السعودية فميوعة الموقف فى إمارات نجد إزاء التوسع السعودى كانت من أهم العوامل التى ساعدت على نجاحهم فى النهاية فى توحيد الإقليم .

ثانياً : الانقسامات الأسرية فقد أصبحت البيوت الحاكمة فى معظم إمارات نجد منقسمة على نفسها إزاء السيطرة السعودية فبينما كان بعض أفراد هذه البيوت يقاوم آل سعود ونفوذهم كان البعض الآخر يؤيدهم ويعمل على ترجيح كفتهم ضد ذويهم ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك من بينها آل معمر فى العيينة وآل زامل فى الخرج وآل عدوان فى حريملا وآل حجيلان فى القصيم وما حدث فى هذه البيوت حدث فى معظم البيوت الحاكمة فى واحات نجد وقراها ومدنها .

ثالثاً : هجرة كثير من القبائل النجدية إلى العراق إما هروباً من العمليات العسكرية السعودية أو بسبب القحط والجفاف الذى كثيراً ما كان يلم ببلدان نجد ترك الميدان مخلخلا أمام القوات السعودية التى كانت عملياتها العسكرية متواصلة ومتصاعدة مما ساعدها على النجاح .

رابعاً : وجود عناصر اعتنقت مبادىء الدعوة السلفية فى معظم بلدان نجد وقراه قبل أن يصل إليها النفوذ السعودى . فأصبحت هذه العناصر بمثابة طابور خامس داخل بلدانهم لآل سعود الذين يعملون على نشر مبادىء الدعوة بالإضافة إلى أن هناك عناصر أخرى تركت بلدانها وهاجرت إلى الدرعية حتى من الرياض نفسها التى كانت عقبة فى سبيل التوسع السعودى لفترة طويلة والتى

بسقوطها انتهى دور تردد مدن نجد الأخرى بين الولاء لآل سعود أو أعدائهم. وكان وجود هذه العناصر فى الدرعية خير عون لها فى معرفة نقط الضعف فى مواقع البلدان الأخرى المناهضة لها.

وقامت العناصر التى اعتنقت مبادىء الدعوة بدور كبير فى القضاء على رؤوس المقاومة ضد النفوذ السعودى كما حدث مع عثمان بن حمد بن معمر فى العيينة إذ قام أتباع الدعوة بقتله عندما رأوا انحرافه كما سبق أن بينا ذلك.

ووجود هذه العناصر يفسر لنا حقيقة هامة وهى أن انتشار مبادىء الدعوة كان دائماً يسبق الخضوع للنفوذ السعودى. وكان يمهد له سبيل النجاح فى معظم الأحوال ويعمل على ترجيحه.

الفصل الرابع

ضم الأحساء

---

١ — العوامل التي دفعت الدولة السعودية إلى ضم الأحساء .

٢ — الصراع الداخلي في الأحساء واستغلال آل سعود له .

٣ — نجاح آل سعود في ضم الأحساء .

٤ — أثر ضم الأحساء على الدولة السعودية .

الفصل الرابع

ضم الأحساء

إقليم الأحساء يقع فى المنطقة الشرقية من شبه الجزيرة العربية وهو فى جملته عبارة عن واحة كبيرة أو عدة واحات توجد بها الآبار التى تتميز بغزارة مياهها فى المناطق الساحلية حيث تحيط بها المراعى الوفيرة . وتوجد بإقليم الأحساء فى الداخل واحتان كبيرتان هما: واحتا الأحساء والقطيف[1] . ولكثرة الآبار التى توجد بالأحساء فإن البدو الرحل كانوا يقصدونها وخاصة فى فصل الصيف وغالب هؤلاء العرب من بدو العجمان .

أما القبائل التى كانت تقطن الأحساء فى الفترة التى عاصرت قيام الدولة السعودية الأولى فهى قبائل بنى خالد وقبائل العجمان وبنى هاجر وعناصر من آل مرة . وكان أقوى هذه القبائل بنى خالد الذين كانوا يحكمون الساحل الشرقى للجزيرة العربية تحت السيادة العثمانية وإن كانت السلطة الحقيقية أصبحت فى أيديهم منذ ١٠٨٠ هـ — ١٦٧٠ م[2] .

وكان سكان الأحساء فى ذلك الوقت ينقسمون إلى طائفتين كبيرتين هما السنة والشيعة وكان يطلق على الشيعة اسم البحارنة وكانوا يشكلون معظم سكان واحة القطيف ونصف سكان الأحساء . وأهم مدن الأحساء آنذاك المفوف والمبرز[3] .

---

(١) أنور الرفاعى ، جزيرة العرب جغرافياً ، ص ٥٥ .

(٢) Dickson, The Arab of the Desert, p. 248.

(٣) British Admiralty, A Handbook of Arabia, vol. 1, p. 300.

محمود شكرى الألوسى ، تاريخ نجد ، ص ٣٠ .

ولعب إقليم الأحساء دوراً كبيراً فى مناهضة الدعوة السلفية والدولة السعودية الأولى وخاصة شيعة هذا الإقليم واستمر الصراع بينهما قرابة النصف القرن وكان وراء هذا الصراع عوامل كثيرة أزكت من ناره ، كما جدت على الموقف عوامل دفعت بالدولة السعودية إلى العمل لضم إقليم الأحساء إلى أملاكها . وأهم هذه العوامل :

(أولا) الخلاف المذهبي: ففى الأحساء كان يسود المذهب الشيعى وكذلك ينتشر فيه أتباع مذهب الخوارج والقرامطة وتنتشر فى معظم قرى ومدن الإقليم المبادىء الإباحية . ومبادىء الدعوة السلفية السنية تتعارض مع هذه للبادىء . وكان أمراء الأحساء يجدون فى ظل هذه المبادىء السائدة فى مجتمعهم حماية لسلطانهم . ولذا حدث أول صدام بين الدعوة وأمراء الأحساء عندما ذاع أمر رجم الشيخ محمد بن عبد الوهاب للزانية أثناء مقامه فى العيينة يوم أن كان حكم الأحساء بيد سليمان بن محمد بن عريعر الذى كان له نفوذ كبير فى بعض بلدان نجد والذى أمر عثمان بن معمر بطرد الشيخ من بلده فأطاع عثمان كما سبق أمره: ولما بدأت مبادىء الدعوة تجد سبيلها إلى القوة والذيوع بفضل مناصرة آل سعود لها بدأت أسباب العداء بين أمراء الأحساء وآل سعود تظهر وتتضح معالمها وزاد من حدتها وقوتها حث علماء الأحساء وغيرهم من العلماء المعادين للدعوة لأمراء بنى خالد وتشجيعهم فى القضاء على الدعوة ومبادئها التى تحمل فى ثناياها هدم نفوذهم وتقويض سلطانهم أمام ازدياد وقوة آل سعود الذين يحملون لواء الجهاد لنشر هذه المبادىء وظل هذا العامل من الأسباب الرئيسية للصراع بين الدولة السعودية والأحساء حتى نجحت الدولة فى تحقيق هدفها بإخضاع الأحساء لسلطانها وفرض مبادىء الدعوة على سكانه .

(ثانياً) هروب بعض القبائل النجدية إلى الأحساء ووقوفها بجانب بنى خالد ضد آل سعود جعل أمراء الدرعية يفكرون جدياً فى تأديب هؤلاء

الفارين ومطاردتهم مثل آل فدعان الذين لجأوا إلى الأحساء[1] . بالإضافة إلى أن أمراء الأحساء قاموا بدورهم بتقديم المساعدة لكل من طلبها منهم من أمراء المدن النجدية بل إنهم أنفسهم عملوا على التحالف مع بعض هذه البلدان مثل الوشم وسدير والمنيخ والخرج والرياض والمحمل ضد النفوذ السعودى لأنهم رأوا فى اتساعه خطراً يهددهم إذا ما قدر لهم أن يجاورهم مباشرة . فكان لهذه الأعمال التى قام بها أمراء بنى خالد أكبر الأثر فى إزكاء روح العداء بين الطرفين وانتظرت الدرعية حتى تهيأت لها الظروف لغزو الأحساء .

(ثالثاً) العامل الاقتصادى كان من بين العوامل التى دفعت الدولة السعودية لضم الأحساء ، فلا شك أنه بعد أن نجح عبد العزيز بن محمد بن سعود فى توحيد إقليم نجد وأصبح لدولته أوجه صرف عديدة رأى من الخير أن يزيد من مواردها بأن يضم إليها إقليم الأحساء الذى تكثر فيه الواحات الخصبة التى تتوفر فيها المياه والتى طالما جذبت أنظار عدد كبير من القبائل النجدية بالإضافة إلى أن إقليم الأحساء يشرف على الخليج حيث الحركة التجارية والمصايد التى كانت تشكل مورد رزق كبير فى ذلك الوقت . لاشك أن هذه الموارد الضخمة بالنسبة لاقتصاد العصر ستزيد من دخل الدولة السعودية وتساعدها فى سد مصروفاتها والقيام بأعبائها بالإضافة إلى أنها ستجعل منها دولة خليجية وتوسع من دائرة اتصالاتها وتمهد لها السبيل فى ضم بقية مناطق الخليج إلى حوزتها .

وعلى أى حال فإن ظروف الأحساء الداخلية فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر هيأت الفرصة للدولة السعودية للتدخل فى أمور الأحساء والنجاح فى إخضاعه لسلطانها . تلك فى رأينا أهم العوامل التى دفعت بالدولة إلى القيام بهذا العمل .

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٦٢ .

وقد بدأ الصدام المباشر بين الدولة السعودية والأحساء منذ ١١٧٢ هـ — ١٧٥٨ م عندما تحالف عريعر بن دجين وعشائر بنى خالد مع عدد كبير من مناطق نجد وعلى الأخص مع الوشم وسدير ومنيخ والخرج والرياض بقصد محاربة الدرعية والقضاء على نفوذها الدينى والسياسى . ولكن أخبار هذا التحالف وصلت إلى الدرعية فأخذت أهبتها لصد هجمات أعدائها عليها ورغم وصول قوات عريعر وأحلافه إلى الجبيلة فى وادى حنيفة إلا أن تصدعاً حدث فى صفوفها حيث أرسل أهل ثادق والمحمل يطلبون الصلح مع الدرعية وإعلان خضوعهم لها مع إقرارهم بدفع غرامة كبيرة عقاباً لما حدث منهم[1] . فقامت الدرعية بإرسال سارى بن يحيى إلى المنطقة ليؤكد الطاعة والإخلاص للحكومة المركزية[2] . ولم يقدر لجهود عريعر ضد الدولة السعودية الأولى أن تلقى نجاحاً فى هذه المرحلة .

والواقع أن قوة الدولة السعودية الأولى فى ذلك الوقت لم تكن قادرة على شن غاراتها على الأحساء نفسها لأن الأمر لم يصفو لها فى كل نجد وطرقها إلى الأحساء غير ميسرة لذلك اكتفت بالاستعداد لصد هجمات آل خالد عليها وعلى البلدان التابعة لها حيث أن قوة الأحساء آنذاك كانت قادرة على توجيه ضرباتها إلى الدولة السعودية داخل نجد نفسها يؤازرها فى ذلك بعض البلدان النجدية التى كانت لا تزال تعادى آل سعود . ورغم فشل عريعر فى المرحلة السابقة من القتال مع قوة آل سعود إلا أنه فى ١١٧٨ هـ — ١٧٦٥ م قام بمحاولة ثانية لمحاربة الدرعية لعله فى هذه الجولة يستطيع إسكات صوتها فاستنفر بنى خالد وأهل الأحساء وراسل كلا من حسن بن هبة الله المكرمى صاحب نجران الذى كان بدوره يتحرك صوب الدرعية يجمعه مع عريعر نفس الهدف . ودهام بن دواس الذى قام بإخبارهما بأن الدرعية فى حالة سيئة والفرصة مواتية لإسقاطها.

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(٢) H. St. John Philby, Saudi Arabia, p. 54.

وانضمت إلى جيش عريعر أثناء تحركه صوب الدرعية عناصر نجدية كثيرة كانت ساخطة على النظام السعودى الذى فرض عليها . واستطاع أمير نجران أن يوجه إلى قوات الدرعية أقصى ضربة شهدتها منذ بدء حربها مع أعدائها بل إنها هددت الدولة الناشئة بالسقوط ولكن الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب استطاعا عن طريق الدبلوماسية عقد صلح مع أمير نجران ولم يمكناه من مواصلة هجماته على الدرعية والحق أن هزيمة قوات نجران لقوات آل سعود جعلت محمد بن سعود يخشى على دولته من الأخطار التى تحيق بها وتوفى فى هذا العام وهو لا يعلم ما المصير الذى ستئول إليه بعده .

وعندما وصلت قوات عريعر بن دجين بالقرب من الدرعية كان الصلح قد تم بينها وبين حسن بن هبة الله الذى كتب إلى عريعر يقول له : « لو كان هـذا الاتفاق قبل أن يجرى الصلح بيننا وبينه (أى بين محمد بن سعود) لانتظم الأمر على وفق خاطرك ، لـكن الآن نحن حصل مرادنا من الانتقام ، وقد طلب منا العفو ونحن أهل له عند القدرة،وأعطيناه فلا يمكننا إبدال القول، أما أنت فمختار بحربك معه . نحن لانتعرض بشىء »[1] استاء عريعر من مسلك حليفه أمير نجران ولـكنه استطاع بقواته وقوات أحلافه من النجديين محاصرة الدرعية لمدة شهر ورميها بالمدافع ولـكن قوات الدرعية بقيادة عبد العزيز ابن محمد بن سعود تمكنت من الخروج خارج الدرعية ومقاتلة قوات عريعر وأحلافه لمدة أيام فاشتد الضيق بعريعر ومن معه وقرر الانسحاب وفك حصار الدرعية ورغم إغراء أهل الحريق له بالاستمرار فى العمليات الحربية حتى سقوط الدرعية إلا أنه رحل ومعه أتباعه بعد أن خلفوا وراءهم أربعين قتيلا[2] .

والواقع أن غارات وهجمات زعماء بنى خالد خلال الفترة الأولى من تاريخ الدولة السعودية أى فترة حكم محمد بن سعود كانت متتابعة إن لم تـكن

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب تحقيق د . أحمد أبو حاكمة ص ٤٢ .

(٢) عثمان بن بشر، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

على الدرعية ذاتها فعلى المدن التى خضعت لنفوذها وكان هدفهم من وراء هذه العمليات القضاء على الدولة السعودية قبل أن يتم لها توحيد إقليم نجد وتصبح خطراً جسيما يهدد إقليمهم والنفوذ الذى أصبح لهم فيه منذ أن استأثروا بالحكم فى هذا الإقليم دون الدولة العثمانية منذ ١٠٨٠هـ/ ١٦٧٠ م .

أما فى الفترة الثانية من تاريخ الدولة السعودية أى فى عهد الإمام عبدالعزيز ابن محمد بن سعود الذى نجح فى إسقاط الرياض ١١٨٧هـ/١٧٧٣م وبذلك وضع حداً لتردد المدن النجدية الأخرى بين الولاء لدولته والولاء لأعدائها . فإن قوات ابنه سعود الذى أصبح القائد العام لجيوش الدولة السعودية تغلغلت فى المناطق المتاخمة لحدود العراق والأحساء فأدرك عريعر بن دجين الخطر الذى أصبح يحيق بأقليم الأحساء نفسه إن عاجلا أو آجلا . فقرر القيام ببعض الأعمال الحربية لعله عن طريقها يستطيع إبعاد هذا الخطر السعودى عن بلاده . وكان الميدان الذى اختاره لهذه الأعمال الحربية التى قرر القيام بها منطقة القصيم النجدية ففى ربيع ١١٨٨ هـ / ١٧٧٤م قام بشن هجوم عاصف على بريدة عاصمة القصيم ونجح فى إقصاء أميرها عبد الله بن حسن وأسرته الموالين لآل سعود وأولى أمرها لراشد الدريبى الذى كان مناهضاً لنفوذ الدرعية ووجدت أعمال عريعر فى منطقة القصيم قبولا من لدن بعض العناصر النجدية التى لم تكن راضية عن النظام السعودى وإنما قبلته خشية تهديد السلاح .

وأغرى عريعر النجاح الذى لقيه فى منطقة القصيم بمهاجمة الدرعية نفسها وشجعه على ذلك العناصر النجدية التى انضمت إلى جيشه . ولكن الموت كان أسبق إليه من تنفيذ خطته فقد توفى فى الخابية بعد شهرين من انسحابه من بريدة[٢] . ويعتبر موت هذا الزعيم الأحسائى الحد الفاصل بين فترتى القوة

---

(١) أحمد أبو حاكمة ، تاريخ الكويت ، حـ ١ ، القسم الأول ، ص ٧٥ ؛ عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، حـ ١ ، ص ٦٥ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

والضعف فى تاريخ بنى خالد فقد أصاب كفتهم بعد موته الخلل والاضطراب لتنازع أمرائهم وضعف هؤلاء الأمراء وعدم سيطرتهم على أمور الجند والحكم فى بلادهم بالدرجة التى كانت لأسلافهم .

فقد تولى رياسة بنى خالد والأحساء بعد وفاة عريعر ابنه الأكبر بطين فاتفق عليه أخواه دجين وسعدون وخنقاه فى بيته وآل الأمر بعده لدجين ولكن مدة إمارته لم تطل فقد دس له سعدون السم ليخلص له الأمر . . هذه الأحداث تبين لنا إلى أى مدى وصل الضعف والتنازع بأمراء بنى خالد نتيجة للصراع على الرياسة .

وإذا كانت الدولة السعودية فى المرحلة السابقة من الصراع السعودى ـ الأحسائى قد استطاعت أن تصد هجمات بنى خالد التى قصدوا من ورائها الحيلولة دون قيام دولة واحدة فى نجد إلا أنه فى الوقت الذى حل فيه الضعف بكفة الأحساء كانت الدولة السعودية قد نجحت فى بسط سلطانها على كل إقليم نجد . وأصبح نظر آل سعود ممتداً إلى الأحساء نفسها للأسباب التى سبق ذكرها . مستغلين حالة الإقليم الأحسائى الداخلية من ضعف حكام بنى خالد وكراهية السكان لهم . ولكن سعدون بن عريعر حاول فى ربيع ١١٩٢هـ/١٧٧٨م أن يقوم بالتحالف مع زيد بن زامل ببعض الأعمال العسكرية ضد الدولة السعودية لعله يستطيع استرجاع مكانة أسرته فى نظر سكان الأحساء الذين أصبحوا يملون حكم هذه الأسرة . وفى الوقت نفسه قام ببعض التصرفات التى تدل على ضعفه وارتباك سياسته فهو لسبب غير واضح قرر التفاهم مع الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود حول عقد صلح بين الطرفين وقبل أن تعقد بينهما معاهدة من أجل ذلك ولكن اجتماعاً بين عبد العزيز وسعدون لم يحدث بشأن هذا الصلح بل إن سعدون نفسه قام ببعض الأعمال التى كانت نقضاً وإخلالا للصلح قبل أن يولد[1] .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .

والمراجع تلزم الصمت إزاء هذا التصرف من سعدون ولم تذكر سبباً أو تعليلا لطلبه الصلح مع الدولة السعودية وربما كان الأقرب إلى الصواب تفسير هذا التصرف من جانب سعدون أمير الأحساء يرجع إلى أحد العاملين الآتيين أو كلاهما معاً :

أولا : أن سعدون أصبح لا يأنس فى نفسه القدرة على الوقوف أمام الدولة السعودية خاصة وأن شوكة حلفائه النجديين قد ضعفت وأصبح لآل السعود السلطة على كل مناطق نجد وأصبح فى قدرة الدرعية وبنظامها العسكرى الذى سندرسه فيما بعد أن تقضى على من يقف أمام تحركاتها . ربما أدرك سعدون ذلك فطلب عقد صلح مع الدرعية لعله يستطيع عن طريق السبل الدبلوماسية أن يضمن استمرار نفوذه ونفوذ أسرته على إقليم الأحساء وإبعاد الخطر السعودى عنه .

ثانياً : لعل سعدون كان يهدف من وراء هذا الصلح الذى لم يتم أن يضمن مساندة الدولة السعودية له ضد المؤامرات التى بدأ أمراء بنى خالد يدبرونها ضد بعضهم عندما دب الانقسام بينهم يؤيد هـذا الرأى أن سعدون نفسه لجأ إلى الدرعية فيما بعد عندما هزم أمام قوات أخيه دويحس الذى تولى أمر الأحساء بعده بالاتفاق مع عبد المحسن بن سرداح وثوينى بن عبد الله رئيس المنتفق . وفعلا قبلته الدرعية لاجئاً حتى وفاته ١٢٠٤ هـ ١٧٩٠ م .

وعلى أى حال؛ فإن سعدون بن عريعر لم ييأس من محاولاته ضد آل سعود رغم الضعف الذى حل بكفته فنى ١١٩٣ هـ/١٧٧٩م حاول أن يثير بعض المدن النجدية ضد نفوذ الدرعية بالتحالف مع حرمة وزلفى ضد المجمعة التى كانت تمثل مركز الحماس للنظام السعودى ولم تنجح محاولته بل إنه كان أول من تخلى عن خطة القتال . وفى ١١٩٥ هـ ١٧٨٠ م قدم مساعداته العسكرية لأهل الدلم ضد حصن البدع السعودى . وفى ١١٩٦ هـ ١٧٨٢ م سار بقواته إلى منطقة القصيم

لمساعدة أهل هذه المنطقة ضد بريدة . ولـكن جميع هذه المحاولات التى قام بها سعدون بن عريعر تغلبت عليها قوات آل سعود ولم تنجح فى تحقيق أهدافها[1] .

وبدأ آل سعود منذ ١١٩٨ هـ ١٧٨٣ م يتخذون موقف الهجوم على الأحساء فقد أصبحت سيطرتهم تامة على كل إقليم نجد فبدأت قواتهم تقوم ببعض الأعمـال الحربية ضد الأحساء وفى عقر دارها حيث أن سعود بن عبدالعزيز سار فى ذلك العام على رأس جيش ووصل إلى قرية العيون من أعمال الأحساء وأخذ كثيراً من حيواناتها وسلب بيوتها وأمتعتها ثم قفل راجعاً إلى بلاده .

وفى العام التالى ١١٩٩ هـ ١٧٨٤ م واصل عملياته الاستفزازية ضد الأحساء إذ اعترض بقواته سبيل قافلة من أهل الخرج والفرع ظاهرة من الأحساء فسلبها وقتل رجالها .

والواقع أن هذه العمليات التى قام بها الأمير سعود فى هذين العامين ضد الأحساء كانت من قبيل استطلاع قوة العدو والوقوف على مدى تحصيناته فى دياره تمهيداً لتوجيه الجيوش إليه وتحطيم قوته . وكانت الظروف الداخلية فى الأحساء فى ذلك الوقت من العوامل المشجعة للجيوش السعودية فى توجيه ضرباتها ضد الأحساء . فقد وصلت الخلافات والانقسامات بين زعماء بنى خالد إلى درجة إعلان الحرب على سعدون بن عريعر والاستعانة ضـده بثوينى ابن عبد الله شيخ المنتفق . فلجأ سعدون إلى الدرعية بعد هزيمته كما سبق أن أشرنا لذلك . على أثر هذه الأحداث أمر الإمام عبد العزيز بن سعود قائده سليمان ابن عقيصان بإعداد جيش والإغارة على الأحساء فقام هذا القائد بالإغارة على بلدة الجشة وغزا المقير البندر المعروف عند الأحساء وأشعل فيه النيران بعد

---

(١) حسين بن غنام : المرجع السابق ص ١٥٠ — ١٥٥ .
انظر أيضاً : أحمد مصطفى أبو حاكمة ، محاضرات فى تاريخ شرق الجزيرة ، ص ١٣٠ — ١٣٣ .

أن استولى على ما فيه من أموال[١] .

ووصلت عمليات الأمير سعود بن عبد العزيز العسكرية فى الأحساء ١٢٠٣ﻫ ١٧٨٨ م إلى بلدان أهل القرى — والمبرز والهفوف وقرية الفضول فى شرق الأحساء وسلبت جيوشه كثيراً من أموال وأمتعة هذه البلدان واستطاع الأمير أن يقتل عيوناً لعبد المحسن بن سرداح كانوا يتجسسون عليه ويرصدون حركاته[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن القوات السعودية منذ ١٢٠٤ ﻫ ١٧٨٩ م أصبحت تضم بعض زعماء بنى خالد منهم زيد بن عريعر . وبعد انتصار قوات آل سعود فى ذلك العام على قوات الأحساء لجأ بعض رؤساء بنى خالد إلى قطر ولاذ بعضهم الآخر بالفرار إلى بعض مدن الأحساء وتحصن بها وطلب الأمان والطاعة من الأمير سعود بن عبد العزيز الذى أجاب هذا الفريق إلى مطالبه . وأراد سعود أن يعين زيد بن عريعر الذى كان موجوداً بين قواته أميراً على الأحساء من قبل الدرعية ، ولكن زيداً خشى عاقبة قبوله لمنصب الرياسة فى إقليم الأحساء ورفض أمر سعود له . فشك الأمير سعود فى الأمر ورحل عائداً إلى الدرعية مكتفياً بهذا القدر من النصر .

واستمرت عمليات الأمير سعود العسكرية ضد الأحساء متواصلة حتى استطاع فى ١٢٠٧ ﻫ ١٧٩٢ م أن يصل إلى ماء اللصافة وكانت إمارة بنى خالد إذ ذاك قد آلت إلى براك بن عبد المحسن بعد قتل أبيه .

وحاول براك أن يصد قوات الأمير سعود ولكن قواته هزمت فى معركة الشيط شرق اللصافة . وعلى أثر هزيمة القوات الأحسائية أرسل الأمير سعود مندوبين إلى أهل الأحساء وزودهما بكتب يدعوهم فيها إلى الدخول فى طاعة آل سعود

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٨٥ .

والعمل بموجب نظامهم والإيمان بمبادىء الدعوة السلفية ويحذرهم عاقبة صدهم واستمرارهم فى المقاومة .

أدرك أهل الأحساء فداحة ما حل بهم من خسائر فى الأموال والأرواح نتيجة للعمليات العسكرية السعودية التى هددتهم فى معاشهم ولذا أرسلوا إلى الأمير سعود يدعونه للقدوم عليهم ليعلنوا له البيعة فقام الأمير سعود بترتيب كمينين ليدرك من يريد الهرب من أهل الأحساء ثم قدم إليهم ونزل قرب « عين نجم » حيث قاموا بمبايعته على قبولهم النظام السعودى ومبادىء الدعوة السلفية .

وأعان سعود إعفاءهم من الجهاد أعواماً . وتنفيذاً لمبادىء الدعوة السلفية أمر بهدم ما فى الأحساء من القباب والأضرحة وظواهر الشرك وأمر بإقامة الشعائر الدينية والصلوات فى المساجد . وعين محمد بن سليمان أميراً على القوات السعودية فى الأحساء . ومحمد الحلى أميراً إدارياً من قبل الدرعية على الإقليم كله. وحسين أبو سبيت صاحب بيت المال فى هذا الإقليم . وقفل راجعاً يريد العودة إلى الدرعية ليطلع أباه على ما فعله . وفى طريق عودته وصلته الأنباء بأن أهل الأحساء ثاروا على ممثلى الدرعية لديهم وقتلوهم فاستشار سعود رجاله هل يعود إلى الأحساء ليضع حداً لهذا التمرد أم يستمر فى عودته إلى الدرعية ليتمكن من إعداد قوة عسكرية ضخمة تكفل له إنهاء الصراع الأحسائى — السعودى . ورجح رجال سعود الرأى الأخير وعادوا بقواتهم إلى الدرعية[1] .

وفى العام التالى ١٢٠٨ هـ ١٧٩٣ م عبأ آل سعود قوات ضخمة لشن غزوة انتقامية على الأحساء ووصلت قواتهم إلى قرية الشقيق من قرى الشمال فى الأحساء وأطلق الأمير سعود فرق البدو على جميع قرى ومدن الشمال تدمرها وتنهبها فاضطر أهالى هذه المنطقة تحت ضغط هذه العمليات التخريبية إلى الاستسلام والخضوع لحكم الدرعية .

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٨١ — ١٨٠ .

وأدرك أهل الأحساء أن قوتهم لم تعد تستطيع الوقوف أمام قوات آل سعود فتوجه براك بن عبد المحسن بن سرداح من أمراء بنى خالد إلى عبدالعزيز ابن محمد بن سعود بالدرعية وطلب منه الأمان وكف يد ابنه سعود عن بلادهم فأرسل عبد العزيز بن محمد إلى ابنه سعود يطلب منه رفع يده عن بنى خالد وأمر عبد العزيز بتعيين براك حاكما على بنى خالد من قبل آل سعود. فقام براك نفسه بمطاردة أولاد عريعر الثائرين ضد النفوذ السعودى[(١)] .

ورغم وصول النفوذ السعودى إلى هذه الدرجة فى إقليم الأحساء إلا أن أهل الشرق من هذا الإقليم لم يقبلوا الخضوع للحكم السعودى لأنهم شيعة وآل سعود سنيون ويذكر صاحب لمع الشهاب ذلك بقوله: «وبقى شرق الأحساء لم يطع . وهذا الشرق بلادين* كثير يبلغ عددها أربعين قرية ، وأهل ذلك شيعة المذهب ، وكبيرهم قاطبة على بن أحمد، وكان شجاعاً فأرسل له سعود بن عبدالعزيز أن يطيع ولا يكاتب آل حميد ، فأبى عن ذلك وأظهر العداوة لسعود . فسار سعود بنفسه إلى بلاد الشرق وجعل يحاربه على بن أحمد ، ستة أشهر ، فلم يدرك سعود من حرب على على بن أحمد شيئاً[(٢)] . ولم يقف الأمر بأهل الشرق الشيعة عند هذا الحد بل إنهم شجعوا العناصر الساخطة على نفوذ آل سعود فى ١٢١٠هـ ١٧٩٥ م عندما ثار بعض زعماء المناطق الأخرى ضد النفوذ السعودى وعلى رأسهم صالح بن النجار وعلى بن حمد وسلطان الجبيل أقبلت إليهم قبائل الرفعة والعائل الشيعة واتجه الجميع إلى المبرز للقضاء على النفوذ السعودى هناك ويذكر ابن بشر أن براك بن عبد المحسن الذى كان يحكم باسم آل سعود فى الأحساء مالأ المتمردين ؛ لأنه طمع فى أن يحكم مستقلا عن نفوذ الدرعية التى كان يتلقى منها الأوامر . ولكن المتمردين لم يتمكنوا من دخول المبرز . إذ قام أمير

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٨٧ .

(*) يقصد بلداناً كثيرة .

(٢) لمع الشهاب . ص ٧١ .

السياسب بإبلاغ خبر هـذا التمرد للدرعية [١] . فأسرع عبد العزيز بن محمد بن سعود بإرسال القائد إبراهيم بن عفصان بقوة استطلاعية أمام جيش ابنه سعود. ورغم انشقاق صالح بن النجار عن حلفائه المتمردين إلا أن الرفعة والقبائل الشيعة ثبتوا فى عصيانهم فقاتلهم إبراهيم بن سليمان بن عفيصان وأنزل بهم الهزيمة [٢] .

وأقام الأمير سعود شهراً فى الأحساء يقيم الحد والقصاص على من رأى أنه يستحق ذلك وأجلى البعض عن البلاد وأمر بهدم كثير من الأسوار والبروج وبنى قصراً وضع فيه مرابطين من الجيش السعودى لردع كل من تسول له نفسه الخروج عن طاعة الدرعية وولى إمارة الإقليم لناجم بن دهيم [٣] .

ولـكن أهل الشرق لم يذعنوا للنظام السعودى وأرسوا إلى سليمان باشا والى بغداد يطلبون منه النجدة ويرجونه أن يفك أسر ثويني بن عبد الله رئيس المنتفق ليقود جيش النجدة ولما كثرت رسائل أهل الأحساء إلى سليمان باشا أفرج عن ثويني وعقد له إمارة الجيش وندبه إلى قتال الجيوش السعودية وأمره أن يعمل على تدمير نجد ومن فيها [٤] . ورغم قوة الحملة التى قادها ثويني إلى الأحساء إلا أنها لم تحقق الهدف المرجو منها بل انتهت بقتل ثويني نفسه على يد أحد عبيد بنى خالد ويدعى « طعيسا » لميله للنفوذ السعودى [٥] . ولم يستطع جيش ثويني مواصلة العمليات العسكرية فى الأحساء بعد قتله وبانتهاء هذه العمليات الحربية التى وضع طعيس حداً لها بقتله ثويني . أصبحت الغلبة للقوات السعودية ويذكر صاحب لمع الشهاب أن الأمر استقر لآل سعود فى أرض بنى خالد أتم الاستقلال ، ماعدا بلادين الشرق من تبعة الأحساء والقطيف كذلك،

---

(١) عثمان بشر ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ .
(٢) نفسه ، ص ١٠٥ .
(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٠٦ .
(٤) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ١٩٥ .
(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

فسار سعود ثانياً على حرب على بن أحمد صاحب بلاد الشرق فافتتح جملة قرى من قراه ، وقد انحصر على بن أحمد فى قلعة صغيرة كانت محفظاً له هو وأبناء عمه ومائة رجل . فحاصرهم سعود ورماهم بالمدفع حتى هدم طرفاً من البنيان»[1] وتمكن سعود فى النهاية من هزيمة أهل الشرق الشيعة وإخضاع هذه المنطقة لنفوذ آل سعود . وتطبيق مبادىء الدعوة السلفية السنية فى جميع قرى هذه المنطقة الشيعية .

أما القطيف فقد سار إليها إبراهيم بن عفيصان وجعل يغزو أطرافها وينهب ويقتل من يقع تحت يديه فأطاعه أكثر قرى القطيف وبعد عمليات عسكرية واسعة النطاق تمكن إبراهيم بن عفيصان من الاستيلاء على قلعتى القطيف وتاورت « ثم استقر الأمر لآل سعود فى أرض القطيف وكتب إبراهيم ابن عفيصان إلى عبد العزيز بالفتح . فبعث إليه عبد العزيز بأن أقبل إلى الدرعية وولى فى القطيف على جملة الرعايا أحمد بن غانم ، وعلى القلاع والعسكر زيد بن نبهان التميمى ففعل كما أمره به وسار إلى الدرعية . فأقام شهراً » . ثم قال له عبد العزيز « قم يا إبراهيم سر على بركات الله تعالى إلى الأحساء وكن أميرها ، وأمير القطيف من توابعك ، وكل ما تراه صلاحاً للدين ومقوياً لأحوال المسلمين افعله . واستمد من إخوانك المسلمين ما شئت من العسكر فأنت عيننا فى ذلك القطر»[2] . وبهذا العمل تمكنت الدرعية من إزالة حكم بنى خالد من الأحساء بعد أن دام فيها أكثر من مائة وثلاثين عاماً .

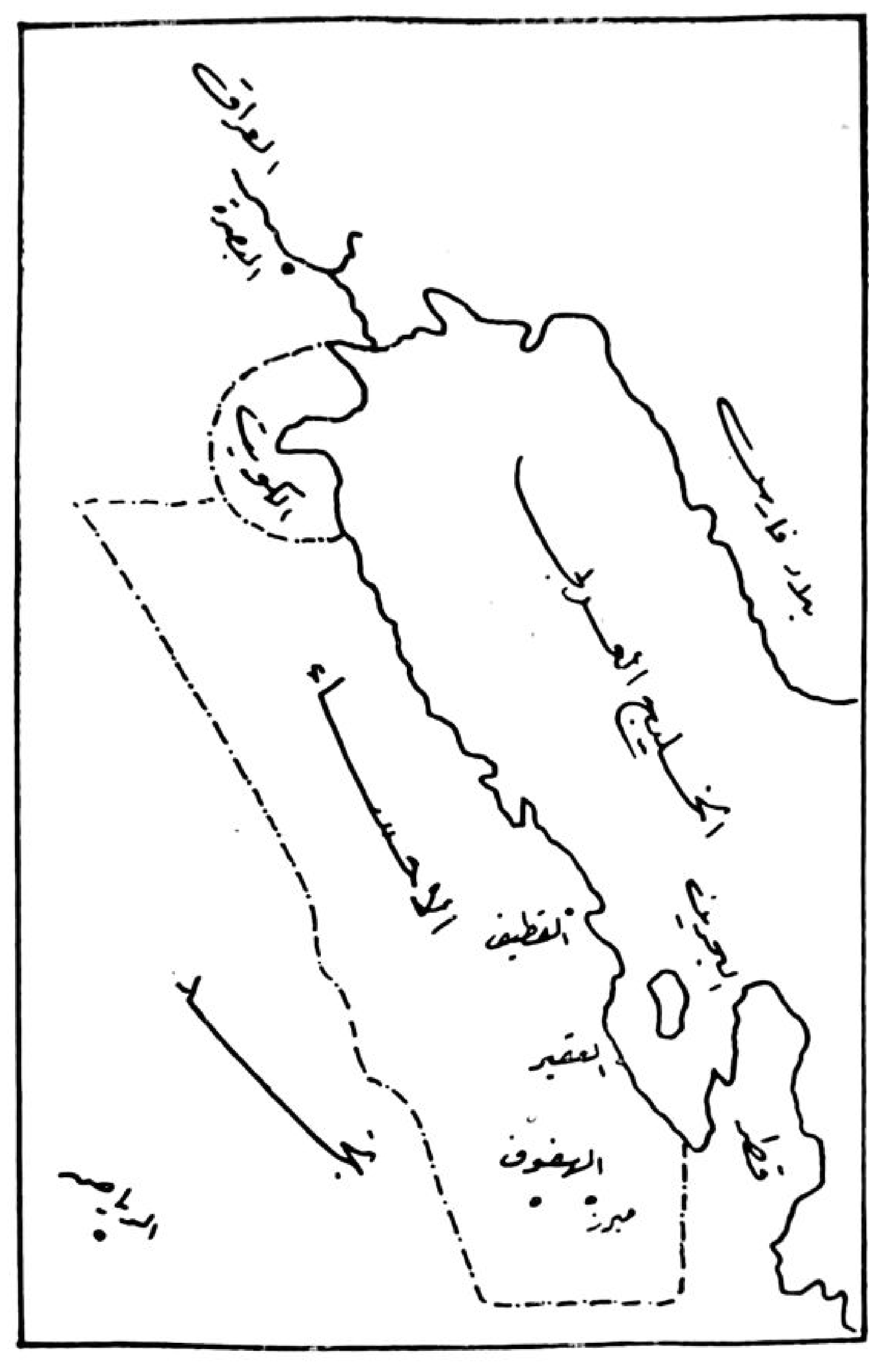
ومما تجدر الإشارة إليه أن تدخل آل سعود فى الأحساء مر بثلاث مراحل يمكن إجمالها فيما يلى :

أولا : المرحلة الأولى بدأت بالغزوات السعودية ١١٩٤ هـ / ١٧٨٠ م وهدفها الأساسى محاربة المدن الإحسائية والقبائل التابعة لبنى خالد .

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٧١ — ٧٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٥ — ٧٦ .



عن اطلس سعيد الصباغ مقاطعة الاحساء

ثانياً : المرحلة الثانية مرحلة استغلال الصراع الذى حدث بين أمراء بنى خالد وشجعه آل سعود لإضعاف كفة أعدائهم « وقد جعل عبد العزيز يكتب إلى بعض مشايخ بنى خالد ويدس إليهم الرشوة ويعدهم بأن الأمر كذا وكذا ، إن تفرقتم عن آل حميد ، وآل الأمر إلينا . أجعل كل طائفة منكم برأسها ورأسها منها . وأملكها أرضاً وبلاداً تكون ذخيرة لها »[1] .

ثالثاً : المرحلة الثالثة تمثلت فى غزو المدن الأحسائية وتحطيم أسوارها وقلاعها وإقامة حصون سعودية فى داخلها أو بالقرب منها لتكون بمثابة نقط وثوب على هذه المدن إذا ثارت ضد نفوذ الدرعية وعلى أى حال فقد كان لخضوع الأحساء للدولة السعودية آثار ذات أهمية كبيرة على تطور ونمو هذه الدولة فقد زاد من مواردها الاقتصادية نظراً لما تجبيه من ضرائب شرعية طبقاً لنظامها المالى الذى سندرسه فيما بعد . بالإضافة إلى أنه وسع من دائرة النفوذ السعودى السياسى الذى أصبح يشرف على مياه الخليج فى الشرق مباشرة . وصار للدولة السعودية منفذاً بحرياً وانتشرت المبادىء السلفية فى كل قرى ومدن الأحساء وأضعفت من كفة الشعائر الشيعية والقرمطية التى كانت ذائعة فى هذه القرى والمدن قبل خضوعها لنفوذ آل سعود .

وفتح خضوع الأحساء للدرعية الطريق أمامها إلى قطر والبحرين والكويت على ساحل الخليج أى إلى المناطق المتاخمة لهذا الإقليم، كما فتح أمامها الطريق إلى عمان .

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٦٨ .

الفصل الخامس

التوسع السعودى فى الخليج وعمان

* آل سعود وقطر .
* آل سعود والبحرين .
* آل سعود والكويت .
* آل سعود وعمان .

الفصل الخامس

الخليج وعمان

بعد أن أتمت الدولة السعودية إخضاع الأحساء لنفوذها وأصبحت تشرف على مياه الخليج بدأت تتطلع إلى المناطق الأخرى الواقعة على ساحله لتضع يدها على هذه المناطق التى كانت آنذاك تموج بالحركة التجارية بالإضافة إلى أن بعض هذه المناطق خصب التربة صالح للزراعة واتجهت أنظار آل سعود أولا إلى قطر وكان ذلك بإيعاز من إبراهيم بن عفيصان .

قطر :

كان يسكن قطر فى ذلك الوقت ثلاث قبائل هم آل مسلم وهم أكثر سكانها عدداً ويقطنون قرى فريحة والقويرط ، وآل أبى حسن ويقطنون قرية اليوسفية ، والمعاضية ويسكنون الرويضية والطيبخ . وترجع هذه القبائل بنسبها إلى ربيعة ، بالإضافة إلى آل خليفة من العتوب الذين استقر بهم المقام فى « الزبارة »(*) بعد انفصالهم عن التحالف الذى كان قائماً بينهم وبين آل صباح والجلاهمة منذ سنة ١١٢٨ هـ — ١٧١٦ م والزبارة موضع على الساحل تجاه جزيرة البحرين من جهة الجنوب . وكانت لقطر آنذاك مكانة تجارية وزراعية كبيرة بالنسبة لاقتصاد العصر . وقام إبراهيم بن عفيصان القائد السعودى فى أواخر ١٢٠٧ هـ — ١٧٩٢ م بغزو قطر واستطاع إخضاع معظم قراها [1] . مثل فريحة والحويلة واليوسفية والرويضة وغيرها ولم تبق غير الزبارة لم تخضع

(*) يذكر صاحب البحرين درة الخليج العربى أن استقرار آل خليفة فى الزبارة تم فى عام ١١٤٠هـ / ١٧٢٧ م . ثم بنوا بها قلعة عظيمة تسمى اليوم قلعة مرير عام ١١٨٢ هـ ١٧٦٨ ، انظر : البحرين درة الخليج العربى لمحمود بهجت سنان ، ص ١٢٢ .

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ .

له بل إن العتوب الذين كانوا يقطنونها تصدوا لأهل البلدان الأخرى الذين هاجموهم وأنزلوا بهم كثيراً من الخسائر . فرأى ابن عفيصان أن يتعرض لأهل الزبارة بنفسه فكتب إلى الدرعية يخبرها بذلك فرد عليه عبد العزيز بن محمد « نعم هذا هو الصلاح »[1] فقاد جيشاً واستطاع أن يدمر قرية الحويلة . ويذكر صاحب لمع الشهاب « أن إبراهيم بن عفيصان بعث بعض الغزاة حول الزبارة يغزون المترددين إليها من طريق البر من حطابة وسقاة المترددين دائماً وزيارة بغير تردد هؤلاء يضيق المعاش بها لأن لا ماء فيها وحطب يحصل بقربها فماؤها وحطبها على فرسخ ونصف فرسخ وعند أكثرهم مواش من إبل وغنم وبقر ولا مرعى لها إلا البرية [2] واستمر إبراهيم بن عفيصان فى تشديد هجماته على الزبارة حتى استولى على قلعتها ويذكر صاحب لمع الشهاب أن « العتوب لما شاهدوا محاصرة إبراهيم بن عفيصان لهم ، وأنه لا يندفع إلا بقوة تامة وهم ليسوا بالمقاتلين له خارج السور اتفق رأيهم بالحل من الزبارة بالكلية ، وترك الزبارة على حالها ظناً منهم أن دولة بنى سعود ما تدوم ، وأنهم سيعودون إليها . فركبوا بأجمعهم وساروا إلى البحرين ، ولم ينزلوا منها إلا بلد الجو »[3] . وبهجرة العتوب من الزبارة إلى البحرين انتهت كل مقاومة فى قطر لنفوذ آل سعود . وأصبحت شبه جزيرة قطر جزءاً من الأملاك السعودية على ساحل الخليج .

آل سعود والبحرين :

البحرين جزيرة على مسافة اثنتى عشر ميلا من بر الظهران وتمتاز بسعة أرضها وكثرة محاصيلها بالإضافة إلى شهرتها باللؤلؤ فى ذلك الوقت . وكان آل خليفة قد ضموا البحرين سنة ١١٩٦ هـ — ١٧٨٢ م قبل هجرتهم إليها — إلى

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٧٦ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٧٦ .

(٣) نفسه ، ص ٧٨ .

مركز حكمهم فى الزبارة على أثر الاضطراب الذى ساد فارس بعد مقتل كريم خان الزندى وكان أثر هذا الاضطراب قد امتد إلى البحرين نفسها [(١)].

وعلى أى حال فإن الشيخ سلمان آل خليفة نقل جميع أفراد أسرته من الزبارة سنة ١٢١٢ هـ — ١٧٩٧ م إلى قرية جوا فى البحرين على إثر اشتداد الهجمات السعودية على الزبارة كما سبق ذكره . ولكن السيد سلطان بن أحمد حاكم مسقط نجح فى غزو البحرين سنة ١٢١٥ هـ — ١٨٠٠ م وعين أخاه سعيداً حاكماً عليها من قبله وأخذ معه إلى مسقط الشيخ محمد أخا الشيخ سلمان رهينة عنده . ونزل سعيد قرية عرادا « وبنى قلعة على ساحلها الغربى الشمالى لتكون مقراً لحكم مسقط وتحصن بها . عندئذ اضطر آل خليفة إلى الرحيل بعائلاتهم وأتباعهم مرة ثانية إلى بلدتهم القديمة الزبارة « بأمان من آل سعود »[(٢)] ويجب أن نشير إلى أن أطماع اليوسعيد فى البحرين قديمة ، ويدعمون ادعاءهم بخضوع البحرين لمسقط سنة ١١٣٠ هـ — ١٧١٨ م فى عهد الإمام سلطان بن سيف الثانى اليعربى [(٣)] فى سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م بلغ آل خليفة خبر وفاة الشيخ محمد رهينتهم لدى حاكم مسقط وأصبحوا آمنين من الفتك به فطلبوا من سعود بن عبد العزيز حاكم الدرعية أنذاك مساعدتهم بالمال والرجال لاسترداد البحرين فوجدها فرصة مناسبة لتوجيه ضربة إلى نفوذ عدوه حاكم مسقط بالإضافة إلى بسط نفوذه على البحرين ونشر مبادىء الدعوة السلفية فى ربوعها ولذا سارع بإرسال جيش تحت قيادة إبراهيم بن عفيصان لمساعدة آل خليفة فى تخليص البحرين من صاحب مسقط [(٤)] . ونجحت قوات إبراهيم ابن عفيصان فى استردادها سنة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٨ م . ولكن هذا القائد

---

(١) يوسف الفلكى ، قضية البحرين بين الماضى والحاضر ، ص ١٥ - ١٦ .

(٢) لمع الشهاب ، ص ٨٤ .

(٣) أحمد أبو حاكمه ، تاريخ الكويت جـ ١ ، ص ٦٧ .

(٤) Bombay Government, Selection, vol. XXV, p. 141.

السعودى لم يسلم زمام أمورها إلى آل خليفة بل أعلن ضمها لسلطان آل سعود . وعندما حاول آل خليفة إجلاء القوات السعودية من البحرين ردت هذه القوات على محاولتهم بمهاجمة الزبارة نفسها وسوق آل خليفة كرهاً إلى الدرعية ليفصل سعود نفسه فى أمرهم[1] فأمر سعود باعتقال رؤساء آل خليفة فى الدرعية وعين فهد بن سليمان بن عفيصان قائداً للحامية السعودية فى البحرين وإبراهيم بن عفيصان أميراً لها من قبل الدولة السعودية ويدل هذا التصرف الذى قامت به سلطات الدرعية إزاء آل خليفة والبحرين أن نية آل سعود كانت مبيتة لاحتلال البحرين وأن أطماعهم كانت ترنو إليها ، قبل طلب آل خليفة لمساعدتهم .

ولكن أبناء آل خليفة لم يستسلموا للقوة السعودية فطلبوا المساعدة من سعيد حاكم مسقط نفسه ومن الفرس وأقاربهم من العتوب وكونوا جيشاً كبيراً هاجموا به البحرين وطردوا إبراهيم بن عفيصان أمير البحرين من قبل آل سعود ومعه رجاله الذين نزلوا عند رحمة بن جابر الجلاهمة[*] فى مكان يقال له الخوير شرقى الزبارة . وتمكن آل خليفة من اعتقال فهد بن عفيصان أمير الجيش السعودى فى البحرين ومعه ستة عشر رجلا واتخذوهم كرهينة لرجالهم المعتقلين فى الدرعية[2] .

حاول إبراهيم بن عفيصان بمساعدة رحمة بن جابر الجلاهمة استرداد البحرين من آل خليفة ولكنه فشل فى ذلك وحلت الهزيمة بقواته فى واقعة

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

(*) ينتمى رحمة بن جابر الجلاهمة ، إلى العتوب ، وكان ناقماً على آل خليفة وآل صباح لانفراد كل منهما بحكم منطقة من مناطق الخليج ، دون أسرته ولذا فإنه كان يقدم المعونة للسعوديين وحكام مسقط ضد آل خليفة كعمل انتقامى على ما أصاب أسرته .

انظر مقال رحمة بن جابر الجلاهمة لجمال زكريا بحولية كلية آداب عين شمس سنة ١٩٦٤ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٧ .

خسكيكيرة سنة ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م فاضطر الأمير سعود إلى إطلاق سراح زعمائهم المعتقلين فى الدرعية وسمح لهم بالعودة إلى البحرين (١) . وعجز النفوذ السعودى فى فرض سيطرته على البحرين بعد ذلك وخلص حكمها لآل خليفة . ولم يعاود السعوديون محاولاتهم فى غزو البحرين لانشغالهم بالحروب ضد قوات محمد على فى الحجاز .

آل سعود والكويت (*) :

تقع الكويت شمالى الأحساء وكانت قبل أن يستقل آل صباح بحكمها تسمى كوت بنى عريعر إذ كانت جزءاً من أملاك بنى خالد حكام الأحساء . ولما نزل العتب هذه المنطقة سنة ١١٢٨ هـ — ١٧١٦ م قبلوا عن رضا حماية بنى خالد لهم ولكن عندما حل الضعف بحكام الأحساء أراد العتب تأمين مركزهم من قبل الدولة العثمانية فأرسلوا الشيخ صباح إلى الباشا العثمانى فى بغداد ليوضح له أنهم نزحوا فى طلب العيش ولا يريدون ضرراً بأحد ويتعهدون بألا يسببوا إزعاجاً للسلطات فنجح الشيخ صباح فى سفارته لدى باشا بغداد ومنح لقب قائمقام الكويت فى سنة ١١٣٠ هـ — ١٧١٨ م . وبرزت أسرة الصباح من بين العتب بوصفها الأسرة الحاكمة فى الكويت منذ ذلك الوقت (٢) .

---

(١) محمد بن خليفة الطائى ، التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ، ص ١٣٧ — ١٤٠ ؛ أمين الريحانى ، ملوك العرب ج ٢ ص ٢٢٣ — ٢٣٤ .

(*) الكويت تصغير لكلمة كوت التى كانت تطلق فى لغة جنوب العراق والبلدان المجاورة على البيت الذى يبنى على هيئة قلعة شريطة أن يقع هذا البيت بالقرب من الماء . ثم أصبح الاسم يطلق على القرية التى تبنى فى مثل هذا الموقع .

انظر مجلة المشرق البيروتية العدد العاشر سنة ١٩٠٤ ص ٤٤٩ — ٤٥٨ مقال « فى تسمية الكويت » للأب أنستاس مارى الكرملى .

انظر أيضاً : سيد نوفل ، الأوضاع السياسية ، ج ١ ، ص ١٦١ — ١٦٢ .

(٢) د . جمال زكريا قاسم : رحلة بن جابر الجلاهمة حولية كلية آداب عين شمس ص ١٨٢ .

والواقع أن أمر الكويت خلص نهائياً لآل صباح بعد انفراط عقد الحلف الثلاثي الذي كان يربطهم وأقاربهم العتوب آل خليفة والجلاهمة سنة ١١٥٩ هـ — ١٧٥٦ م [١] . وقد كان هذا الحلف قائماً على أساس أن يقوم آل صباح بشئون الحكم ، وآل خليفة بشئون التجارة والمال والجلاهمة بشئون العمل في البحر على أن تقسم الأرباح بينهم بالتساوي [٢] .

وساعد احتلال الفرس للبصرة سنة ١١٩٠/١١٩٣ هـ — ١٧٧٦/١٧٧٩ م على ازدهار الكويت وعمرانها . . إذ هاجر إليها كثير من أهل البصرة . كما تحولت اليها أيضاً السفن التي تنقل البضائع من الهند ومنها براً إلى بغداد وحلب ودمشق وأزمير والآستانة . وغدت الكويت في هذه الفترة مركزاً هاماً للتجارة بدلا من البصرة [٣] . إذ أقام فيها ممثل شركة الهند الشرقية بعد نقل مركزه اليها [٤] .

ويبدو أن الدرعية أدركت أهمية الكويت باعتبارها ميناء تموين لنجد وغيرها فقاد إبراهيم بن عفيصان سنة ١٢٠٨ هـ — ١٧٩٣ م جماعة من أهل الخرج والعارض وسدير إلى الكويت . ورغم استيلائه على قسم كبير من الأسلحة والماشية إلا أنه لم يتمكن من إخضاعها لنفوذ آل سعود [٥] . وأوكل أمر غزوها بعد ذلك إلى مناع أبي رجلين الزغبي الذي قاد سرية إليها واستطاع هزيمة قوات الكويت ولكنه لم يتعقب فلولهم ورجع رجاله دون أن يحقق هدف الدرعية . وأراد أهل الكويت أن ينتقموا من آل سعود فهاجموا القبائل

---

(١) H.B.P. Dickson, Kuwait and her Neighbours, p. 26.

(٢) حسين خلف خزعل ، تاريخ الكويت ، جـ ١ ص ٤١ ؛ جمال زكريا ، الخليج العربي ، ص ١٨ .

(٣) عبد العزيز حسين ، المجتمع العربي في الكويت ، ص ٢٤ .

(٤) رشد عبد الله الفرحان ، مختصر تاريخ الكويت ، ص ٦٣ .

(٥) حسين خلف خزعل ، المرجع السابق ، ص ٥٦ .

النجدية المتاخمة لحدودهم ولـكن سريتهم التي كلفت بذلك لم تنجح في مهمتها فعادت دون أن تفعل شيئاً [١] .

واضطر أهل الـكويت تحت ضغط التهديدات السعودية من ناحية والمنتفق من ناحية أخرى إلى إحاطتها بسور منيع وتم لهم ذلك سنة ١٢١٣هـ — ١٧٩٨ [٢] .

عاود سعود في سنة ١٢١٩ هـ — ١٨٠٤ غزوم الـكويت وعسكر بجيشه في قرية الجهرة ولـكنه انسحب قبل أن يشتبك معه أهلها في القتال وكان هذا العمل آخر عهد الـكويت بالتهديدات السعودية [٣] . ولم يستطع آل سعود إخضاعها لسلطانهم . وحاول الانجليز أن يستفيدوا من تهديدات آل سعود للـكويت فعرضوا في سنة ١٢٢٠ هـ — ١٨٠٥ م على آل صباح وضعها تحت حمايتهم كي يجنبوها شر هجمات جيوش الدرعية ولـكن الأمير عبد الله الأول حاكمها إذ ذاك لم يوافق على العرض الانجليزي [٤] . وبذلك حافظ على استقلال الـكويت وحمايتها .

* * *

آل سعود وعمان :

إقليم عمان يحتل قسما كبيراً من جزيرة العرب الواقع بين الساحل المهادن وساحل عمان وبين ساحل جزيرة العرب الجنوبي في اتجاه جزيرة مصيرة . ويمكن تقسيم إقليم عمان إلى ثلاث مناطق رئيسية :

---

(١) سيف مرزوق الشملان ، من تاريخ الـكويت ، ص١٢٢ .
(٢) نفس المرجع ، ص١٢٣ .
(٣) نفسه ، ص ١٢٣ .
(٤) عبد العزيز حسين ، المجتمع العربي بالـكويت ، ص ٢٥ .
دولة الـكويت ، الـكتاب السنوي ، سنة ١٩٦٦ ، ص ١٢ .

أولا : منطقة الظاهرة وتمتد من رأس الخيمة والصير إلى قبال جزيرة مصيرة على ساحل الجزيرة العربية الجنوبى ومن أهم مدن هذه المنطقة نزوى وبهلى وبلدان جعلان .

وثانياً : الحجر عبارة عن جبل يمتد من الجنوب إلى الشمال وفيه بلدان كثيرة من مدن وقرى كرستاق والجبل الأخضر وسمائل وأزكى والبلدان الواقعة بين الحجر والبحر تسمى الباطنة وأهم بلدان هذه المنطقة صحار وشناص ومضلعة ومسقط عاصمة أئمة عمان .

ثالثاً : الصير أول حد هذه المنطقة من عمان خيران بنى ياس وآخره رؤوس الجبال من جهة الجنوب شرقاً[١] .

ويحد إقليم عمان عموماً جنوباً ببحر عمان وشمالا بالخليج العربى وشرقاً بخليج عمان وغرباً بصحراء الربع الخالى .

وقد أعطى هذا الموقع الجغرافى الممتاز لعمان مركزاً هاماً بالنسبة لطرق المواصلات والحركة التجارية بين الشرق والغرب .

وكانت القبائل التى تقطن عمان فى ذلك الوقت هى : بنى ياس ؛ المناصير؛ العوامر ؛ النعيم ؛ العجمان ؛ بنى كتب ؛ بنى كعب ؛ الدروع ؛ آل وهيب؛ بنى مهير ؛ المطاريش[٢] . وقد انقسم هؤلاء السكان حاضرهم وباديهم إلى طائفتين كبيرتين :

١ — القبائل الهناوية وتنتمى إلى مذهب الأباضية .

٢ — القبائل الغفارية وينتمى معظمها إلى أهل السنة[٣] .

---

(١) لمع الشهاب ، ص ١٥١ — ١٥٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٦٧ — ١٦٨ .

(٣) British Admiralty, A Handbook of Arabia, vol. 1, p. 240.

وكان هذا الانقسام المذهبي سبباً أساسياً في إشعال نار العداوات بين القبائل العمانية وانقسامها في غالب الأوقات على بعضها : كما أن نظام الإمامة الذي كان سائداً فيها أزكى هذا الصراع بالإضافة إلى أنه جر عليها التدخل الخارجي في شئونها فإن سيف بن سلطان الثاني اليعربي اضطر نتيجة الصراع الداخلي إلى الاستعانة بنادر شاه لينجده فوجد نادر شاه أن الفرصة مناسبة لبسط السيطرة الفارسية على عمان والخليج[1] ولذا أرسل حملة تحت قيادة لطيف خان سنة ١١٥٠ هـ ١٧٣٧ م وقدمت لها شركة الهند الهولندية بعض السفن وتمكنت الحملة من بسط السيطرة الفارسية على عمان ثلاث سنوات من سنة ١١٥١ — ١١٥٤ هـ / ١٧٣٨ — ١٧٤١ م حتى استطاع أحمد بن سعيد حاكم إقليم صحار من قبل اليعاربة قيادة الحركة العمانية التحريرية ضد الفرس ونجح في طردهم من سهل الباطنة واستعادة مسقط . فقام أهل عمان بانتخاب أحمد بن سعيد للامامة تقديراً لعمله الوطني وتم بذلك انتقال الإمامة الأباضية من أسرة اليعاربة إلى أسرة البوسعيد سنة ١١٥٤ هـ / ١٧٤١ م[2] التي ارتبط التدخل الاستعماري في مسقط وعمان باسمها إلى يومنا هذا .

وعاصر استيلاء أسرة البوسعيد على الإمامة في عمان بدء ازدياد نفوذ آل سعود في نجد وفي الوقت الذي وصل فيه نفوذ الدرعية إلى ساحل الخليج وأصبح يجاور عمان مباشرة كان حاكم عمان البوسعيدي هو سلطان بن أحمد بن سعيد (سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢م — ١٢١٩ هـ / ١٨٠٤ م) ، وفي عهده بدأت جيوش آل سعود تغزو عمان وتهدد جميع مناطقها حتى مدينة مسقط نفسها مقر الحاكم .

أمر عبد العزيز بن محمد بن سعود مطلق المطيري بغزو عمان الصير حيث

---

(١) Lock Hart, Nadir Shah, p. 182.

(٢) د . محمود علي الداود ، التطور السياسي الحديث لقضية عمان ص ٢٠ — ٢١ .

تقطن قبائل بنى ياس فقام مطلق بغزوها ورغم حصوله على كثير من الغنائم إلا أنه لم يستطع إخضاع هذه المنطقة العمانية لنفوذ الدرعية [1] ، فأوكل آل سعود أمر غزو عمان للقائد إبراهيم بن عفيصان الذى قاد معظم الحملات العسكرية السعودية التى اتجهت إلى سواحل الخليج العربى ، فقاد هـذا القائد السعودى جيشاً كبيراً وقام بغزو عمان الصير واستطاع إرهاب أهل هذه المنطقة حتى أرسلوا للدرعية يطلبون الأمان وتبعهم فى ذلك قبائل نعيم الذين كانوا يقطنون فى البريمى ويذكر صاحب لمع الشهاب ذلك فيقول « وحين رأوا بنى ياس قوة آل سعود أرسلوا رسلا إلى الدرعية ليعاهدوا عنهم على تبعية هذا الدين ، وأن يسوقوا الزكاة كل عام . فعاهدوا وأرسل معهم عبد العزيز عالماً يعلمهم أمور دينهم ، فسمع نعيم ، أهل البريمى بذلك فبعثوا إناساً منهم إلى عبد العزيز ، يلتمسون البيعة والطاعة . فقبل منهم وأرسل معهم من يعلمهم أمر الدين ، ثم إنه قال لهم ، يانعيم أنتم المجاهدون الموحدون [2] » وكانت قبائل بنى ياس ونعيم من القبائل الغفارية السنية التى لم تجد فى مبادىء الدعوة السلفية السنية شيئاً جديداً عليها بل ربما رأت فى قوة آل سعود السنية ما يعينها فى صراعها ضد القبائل الهناوية الأباضية .

تقدم ابراهيم بن عفيصان بعد ذلك إلى واحة البريمى ١٢١٠ هـ / ١٧٩٥ م وأنشأ أثناء وجوده بهذه المنطقة قصر الصبارة فى منتصف الطريق بين بلدة البريمى وحماسا [3] واتخذت منه القوات السعودية قاعدة لها .

وفى ١٢١٤ هـ / ١٨٠٠ م أرسلت سلطات الدرعية القائد سالم بن بلال الحرق إلى منطقة البريمى أميراً لها بدلا من ابن عفيصان فزحف هذا القائد بجيوشه إلى داخل عمان حتى بلغ المداخل الغربية لها . واستولى على كل واحة

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٧٨ .

(٢) لمع الشهاب ، ص ٧٩ .

(٣) أمين سعيد ، الخليج العربى فى تاريخه السياسى ونهضته الحديثة ص ٤٩ .

البريمى التى ظلت المعقل الرئيسى للقوات السعودية [١] التى استمرت تقوم بعمليات حربية متواصلة فى عمان فى السنوات التالية .

وقد كان للأعمال الحربية التى قام بها القائد سالم بن بلال الحرق تأثير كبير على كثير من القبائل العمانية فأعلنت جميع قبائل نعيم والظواهر وبنى قتب خضوعها لسلطان آل سعود وتسلم منها القائد سالم الزكاة وأرسلها للدرعية [٢] . ثم حذا حذو هذه القبائل قبيلتى بنى بو على وبنى راسب اللتين أعلنتا قبولهما للحكم السعودى [٣] .

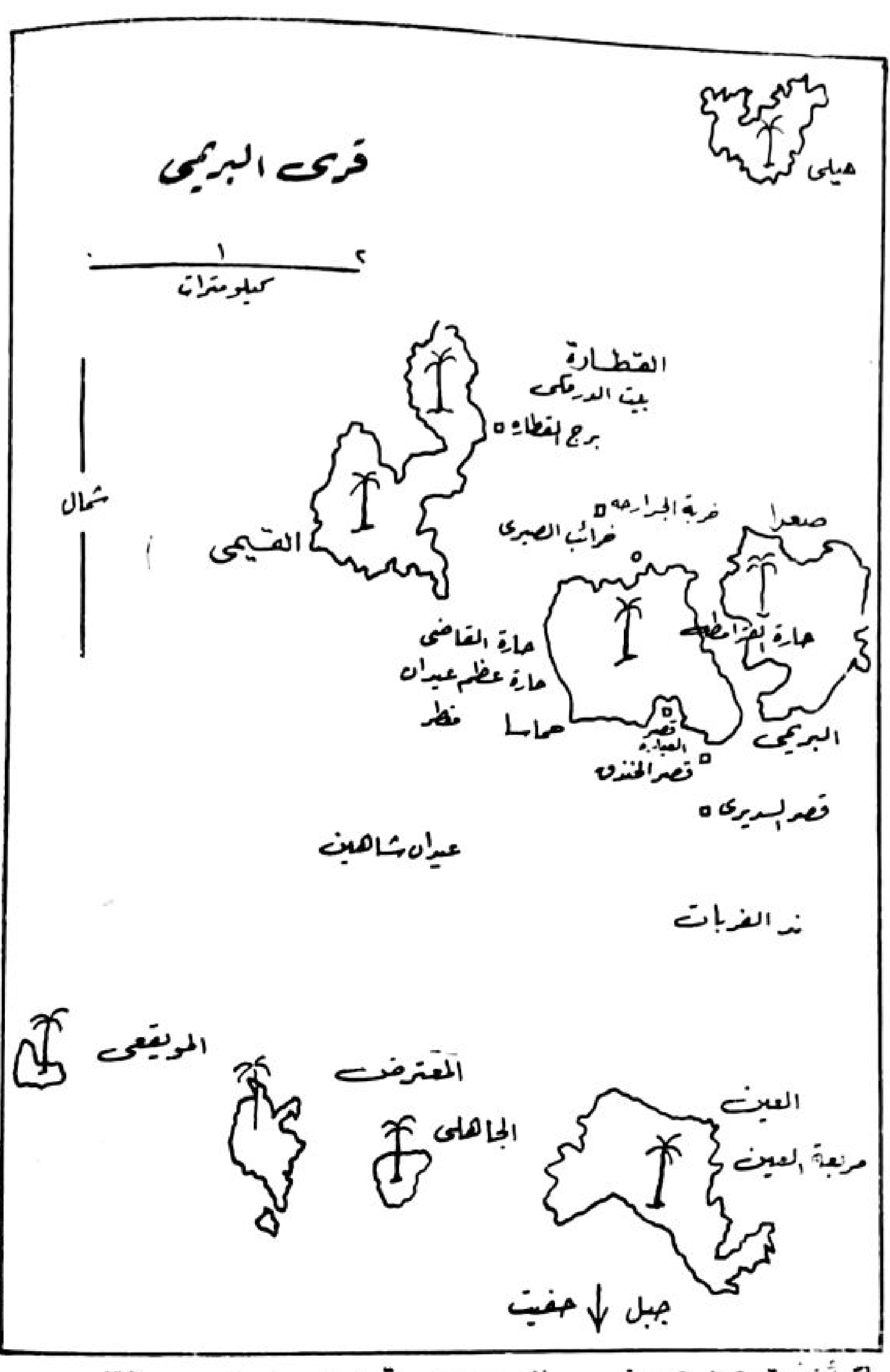
أقلق ازدياد النفوذ السعودى فى الساحل العمانى والظاهرة كثيراً من الأطراف الأباضية فى الداخل التى اعتبرت تعاليم الدعوة السلفية بدعة جديدة ورأت فيها انحرافاً عن الدين الحنيف ، مما أثار النزاع بين الغافرية والهناوية . واتهم الهناوية الغافرية بأنهم من النجديين [٤] ؛ إذ أن معظمهم انضم إلى صفوف السعوديين .

واصل سالم الحرق عملياته العسكرية فى عمان وتحرك من البريمى إلى سهل الباطنة وهاجم السويق . وكاد يحتل الباطنة مما دعا السيد سلطان بن أحمد إلى عقد اجتماع لمشايخ عمان فى قلعة بركا للمشورة حول الموقف . ولكن الظروف فى ذلك الوقت لم تمكن القائد السعودى من مواصلة انتصاراته؛ إذ أن اغتيال الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود فى الدرعية أثناه عن عزمه [٥] .

وكان السيد سلطان بن أحمد اضطر تحت ضغط العمليات الحربية السعودية

---

(١) شركة الزيوت العربية ، عمان والساحل الجنوبى للخليج الفارسى ، ص ٢ .
(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرض ، ج ١ ، ص ١٤٤ .
(٣) شركة الزيوت العربية الأمريكية ، المصدر السابق ، ص ٢٠ .
(٤) د . سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربى ج ٢ ، ص ٥١ .
(٥) Bombay Government, Selections from the Records of Bombay, op. cit., p. 175.



□ أخذت عن عرض السعودية ، مجلد ١ ص ٣١

التى اقتربت من مسقط نفسها إلى طلب الصلح من عبد العزيز بن محمد بن سعود قبل اغتياله وتم الصلح بينهما على إقامة هدنة لمدة ثلاث سنوات . وتعهد أن يدفع إتاوة سنوية قدرها خمسة آلاف ريال إلى سلطات الدرعية مقابل حماية أراضيه [١] . ويذكر سعيد روت Said Ruete أن السيد سلطان ابن أحمد قد فعل ذلك لأنه خشى على مدنه وقراه من آثار المعارك . هذا الى جانب أن الهزيمة بالنسبة له كانت تعنى ضرراً بالغاً . أما بالنسبة لآل سعود فى البوريمى فلا تعنى أكثر من الارتداد إلى داخل الصحراء ثم العودة ثانية [٢] .

إن ارتداد القائد سالم الحرق ووصول الأنباء باغتيال عبد العزيز بن محمد هيأ الفرصة للسيد سلطان لمحاولة تجديد اتفاقاته السابقة (١٢١٣هـ — ١٧٩٨م ، ١٢١٥ هـ — ١٨٠٠ م) مع الانجليز لحماية أراضيه ضد الهجمات السعودية ولكن المنية وافته سنة ١٢١٩ هـ — ١٨٠٤ م دون أن يلقى المعونة البريطانية من حكومة بمباى [٣] كما سنرى ذلك فى فصل العلاقات الخارجية .

وتولى أمر الإمامة فى مسقط بدر بن سيف من البوسعيد وكان أقوى أعضاء الأسرة إذ ذاك .

وكان بدر قد اعتنق مبادىء الدعوة السلفية ومال الى النظام السعودى قبل أن يؤول إليه الأمر ولما أصبح الحكم بيده ، وكان الأمير سعود بن عبد العزيز قد بدأ عهده بتعزيز القوات السعودية فى البريمى تمهيداً لغزو عمان . لذا سارع بدر بطلب الصلح مع الدرعية ويذكر صاحب لمع الشهاب أن بدر بن سيف أرسل رسلا إلى سعود من طريق القطيف وأرسل معهم تحفاً وهدايا كثيرة وكتب له كتاباً : «إنى أعاهدك على هذا الدين ومطيعاً له ، هذا كل ما تأمرنى

(١) Bombay Government, Selections from the Records of Bombay, op. cit., p. 174.

(٢) Said Ruete, Said Bin Sultan, p. 19.

(٣) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرض ، ج ١ ، ص ١١٧ .

به من الأوامر والجهاد أفعل لا محالة » [١] . وتتفق هذه الرواية مع ما ذكره بادجر Badger من أن بدراً قد عقد اتفاقاً مع سعود تعهد بمقتضاه بدفع الزكاة وإقامة وكيل سعودى فى مسقط يتولى جمعها والسماح لقوة سعودية باحتلال مقاطعة بركا [٢] .

وكره أفراد أسرة البوسعيد خضوع بدر لنفوذ الدرعية ودار الصراع بين أفراد الأسرة إذ أن عمه قيس حين سمع باطاعته لسعود وأنه أدخل قضاة نجد فى مسقط « وأجرى حكمهم على أهل عمان ، أخذته الغيرة وهم بمدافعة بدر » [٣] وأسفر الصراع بين أفراد أسرة البوسعيد عن مقتل بدر بن سيف سنة ١٢٢١هـ — ١٨٠٦ م على يد سعيد بن سلطان الذى ولى الأمر بعده . ولا شك أن قتل بدر فى تلك الفترة التى لم يكن الحكم السعودى فيها قد استقر بصورة نهائية فى عمان كان أشد ضربة وجهت إلى مشروعات آل سعود التوسعية فى عمان .

اعتلى السيد سعيد بن سلطان سلطنة مسقط فى هذه الفترة التى اشتدت فيها المنازعات بين أفراد أسرة البوسعيد فاضطر إلى بذل جهود جبارة لتوطيد الأمن والاستقرار ولذا فإنه حاول أن يخدع سلطات آل سعود فى الدرعية ؛ إذ أرسل إلى الأمير سعود كتاباً يذكر له فيه أنه برىء من قتل بدر بن سيف وأن الذى قتله هو محمد بن ناصر الجبرى ووعد فى رسالته بأنه سوف يستمر فى دفع الإتاوة المعتادة وأنه سيسمح بإعادة وضع القوات السعودية فى الباطنة .

وتذكر الوثائق السعودية أن إيرادات الجزء الأعلى من عمان « الظاهرة » ظلت تدفع إلى الحاكم السعودى فى البريمى حتى يناير سنة ١٢٢٣هـ — ١٨٠٨ م

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٨٥ ، ٧٦ .

(٢) Badger, Salil Bin Razik. History of the Imams and Seyyids of Oman, p. LXVI.

(٣) لمع الشهاب ، ص ٨٦ .

ولم يحل دون الوصول إلى مناطق عمان السفلى سوى تذال سعيد بن سلطان وخضوعه [١] كى يتمكن من تدبير أمر توجيه ضربة للنفوذ السعودى .

تمكن سعيد بن سلطان حاكم مسقط بمساعدة عمه قيس بن أحمد من إعداد جيش كبير فى سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م لمحاربة القوات السعودية وطردها من المناطق العمانية . عندئذ تقدمت قوات مطلق المطيرى الذى ولى أمر الجيوش فى عمان للمرة الثانية سنة ١٢٢٢ هـ — ١٨٠٧ م ، ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م من قاعدته فى البريمى . تساعده قوات القواسم الذين كانوا قد أعلنوا خضوعهم لنفوذ آل سعود واعتناق المبادىء السلفية [٢] منذ سنة ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م . وسنتعرض لموضوع القواسم فى فصل العلاقات الخارجية .

ودارت بين الطرفين معركة فى « خور فكان » على ساحل خليج عمان أسفرت عن هزيمة قوات البوسعيد وقتل قيس نفسه وكثير من رجاله . وجمع صقر بن سلطان صاحب رأس الخيمة كثيراً من الغنائم أرسل خمسها الى بيت المال فى الدرعية ويذكر ابن بشر أنه بعد هذه المعركة « صار جميع عمان تحت ولاية سعود » [٣] .

ويبدو أن هذا النصر الذى أحرزه مطلق المطير بمساعدة القواسم كان حافزاً له على التوغل فى الأراضى العمانية وشجعه على ذلك انضمام محمد بن ناصر الجبرى اليه بقواته بعد أن كان واقفاً بجانب سعيد بن سلطان . واستطاعت هذه القوات السعودية أن تدخل مطرح وأن تصل مدينة مسقط نفسها وتشعل النيران فى البيوت الواقعة خارج سورها . وأعلنت كثير من بلدان الظاهرة الخضوع لآل سعود وكان من بين هذه البلدان بهلى ونزوى . ويذكر صاحب لمع الشهاب مدى القوة التى وصول اليها النفوذ السعودى فى الأراضى العمانية

---

(١) حكومة المملكة العربية ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ — ١٢٤ .

(٢) د. محمود على الداود ، التطور السياسى الحديث لقضية عمان ، ص ٢٥ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

وخضوع سعيد بن سلطان حاكم مسقط للدولة السعودية فيقول « واستمرت حكومة سعود بتلك الأطراف مستقلة تزيد يوماً فيوماً حتى طاعت بعض بلاد الحجر الواقع بين الباطنة والظاهرة مثل الحضرى وغيرها .

ثم إن سعيداً أدى ذلك الزمان شيئاً من الدراهم طاعة لسعود ، قيل إنه دفع له كل سنة مائة ألف ريال »[1].

ولم يكن خضوع سعيد بن سلطان للنفوذ السعودى ودفعه أتاوة سنوية معناه الاستسلام الكامل لنفوذ الدرعية وإنما استمر يواصل جهوده الحربية ويبذل مساعيه لدى الحكومة البريطانية فى الهند كى تمده بمساعدة حربية تكفل له القضاء على النفوذ السعودى الذى امتد على معظم بلاده . وكانت حكومة الهند قد أزعجتها العمليات البحرية التى يقوم بها القواسم والتى اتسع نطاقها بعد اعتناق هؤلاء مبادىء الدعوة السلفية وخضوعهم لآل سعود واعتبارهم الأعمال البحرية التى يقومون بها نوعاً من الجهاد الدينى . لذا أرسلت حكومة الهند حملة حربية استطاعت أن تستولى على رأس الخيمة فى نوفمبر سنة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م وتحت إلحاح سعيد بن سلطان على قائد الحملة اتجهت إلى خاليج عمان وقامت ببعض الأعمال التمهيدية فى ميناء شناص على ساحل هذا الخايل وانسحبت بعد يوم واحد من وصولها إلى هذا الميناء .

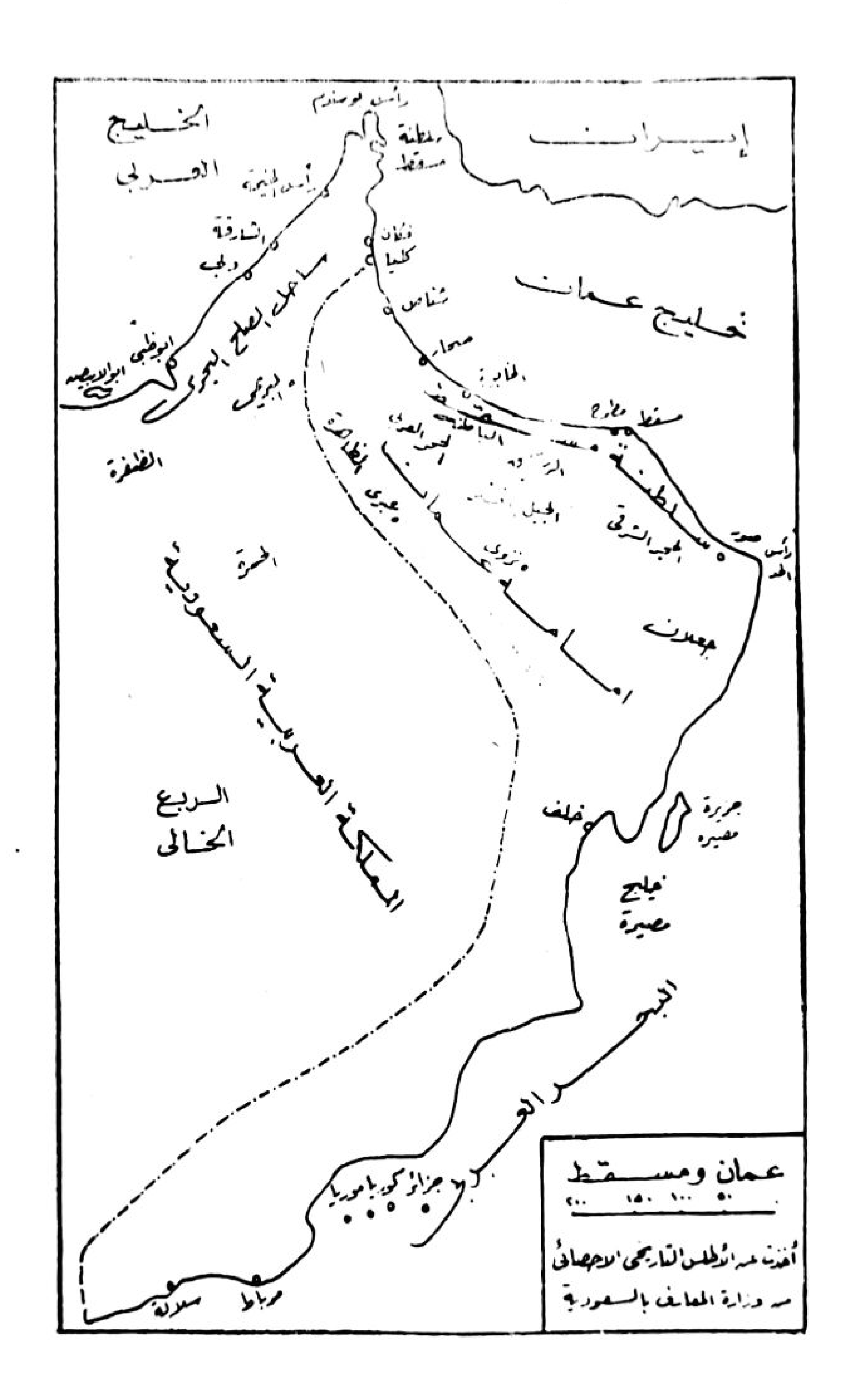
وعلى أثر هذه الحادثة أسرع مطلق المطيرى بقواته وأنزل هزيمة بقوات مسقط التى كانت بالقرب من شناص . وقام ببعض الأعمال العسكرية السريعة فى سهل الباطنة ثم عاد إلى قاعدته فى البريمى[2] . ويدل هذا العمل على مبلغ قوة نفوذ الدرعية فى أرض عمان .

واستمرت الأعمال العسكرية السعودية متواصلة فى إقليم عمان دون

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٨٨ .

(٢) قدرى قلعجى ، الخليج العربى ، ص ٤١٠ .



الخليج العربي
إيران
رأس مسندم
مسقط
الشارقة
دبي
ساحل الصلح البحري
أبوظبي
خليج عمان
كلبا
شناص
صحار
البريمي
مسقط
الظفرة
الظاهرة
عبري
الجبل الشرقي
رأس الحد
جعلان
امامة عمان
المملكة العربية السعودية
الربع الخالي
جزيرة مصيرة
خليج مصيرة
البحر العربي
جزائر كوريا موريا
مرباط
صلالة
عمان ومسقط
٥٠ ١٠٠ ١٥٠ ٢٠٠
أخذت عن الأطلس التاريخي الإحصائي
من وزارة المعارف بالسعودية

انقطاع ففى سنة ١٢٢٥ هـ — ١٨١١ م خرج أبناء سعود الثلاثة تركى وناصر وسعد إلى عمان وانضموا إلى قوات مطلق المطيرى وتمكنوا بمساعدة قبائل الظواهر والجنبة وبنى قتب والدروع من القيام ببعض العمليات الحربية التى مكنتهم من الاستيلاء على مطرح البلد المعروف قرب الساحل وعلى خلفان وجعلان وسور وسحار وكثير من القرى والبلدان وسلبوا كثيراً من الأموال [1].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الأمير سعود بن عبد العزيز لم يكن راضياً عن حملة أبنائه إلى عمان بل إن غضبه اشتد عليهم عندما علم بذلك؛ إذ كان متغيباً عن الدرعية لأداء فريضة الحج وقت خروجهم إلى عمان ولذا سارع فور وصوله إلى الدرعية بإرسال أربعين رجلا إلى عمان وقال لهم « أقصدوا قصر البريمى المعروف فى عمان وأخرجوا منه المرابطة الذين فيه وأمسكوه، ولا تدعوا أحداً من أبنائى ولا أحداً من جنودهم يدخله » [2]. وكان أبناء سعود يأوون إلى هذا القصر للاستراحة فيه بعد العمليات الحربية. وأرسل إلى مطلق المطيرى ومن معه من الرؤساء يأمرهم بالعودة إلى الدرعية. وأصدر أمراً بتعيين عبد العزيز بن غردقة صاحب الأحساء قائداً للجيوش السعودية فى عمان » [3].

وربما كان التفسير الصحيح لموقف الأمير سعود العدائى من غزو أبنائه فى عمان رغم أنه وسع من دائرة النفوذ السعودى بإخضاع كثير من المدن والقرى العمانية لنفوذ الدرعية. إنه كان لا يريد أن يتوغل فى عمان إلى أبعد مما وصلت إليه قواته حتى لا يجر عليه ذلك الاصطدام المباشر مع القوى الأجنبية وبخاصة الانجليز الذين كانت أطماعهم بدأت تتطلع إلى سواحل عمان.

---

(١) J.B. Kelly, Eastern Arabia Frontiers, p. 56.

(٢) عثمان بن بشر، المرجع السابق، ص ١٥٣.

(٣) J.B. Kelly, op. cit., p. 57.

ونزول قواتهم بميناء شناص ماثل أمام عينيه . بالإضافة إلى أنه فى ذلك الوقت كانت أنباء الاستعدادات المصرية لحملة الحجاز قد بدأت ولا بد أن أنباء هذه الحملة قد وصلت إلى الأمير سعود عن طريق الحجاج المغاربة وغيرهم . فأولى به أن يركز جهوده الحربية فى الميدان الغربى مع تجميد الموقف فى عمان .

وقد كان لأعمال أبناء سعود الحربية فى عمان أثر سيىء على نفوس كثير من السكان نظراً لما صاحب هذه الأعمال من القسوة ولذا فإنه على أثر انسحابهم نقض بنى ياسر عهدهم للدرعية واجتاحت عمان موجة اضطراب لم تستطع قوات عبد العزيز بن غردقة القائد الجديد إخمادها بل إن الهزيمة حلت بقواته وقتل عبد العزيز نفسه أثناء القتال . فاضطر الأمير سعود إلى إرسال مطلق المطيرى مرة أخرى إلى عمان للاستفادة من خبرته فى هذه البلاد واستطاع مطلق فعلا إنزال الهزيمة بقوات سعيد بن سلطان واستولى على كثير من الغنائم وأكثر من عشرة مدافع وأرسل الى الدرعية خمس هذه الغنائم مع عمال سعود . واستمر مطلق المطيرى فى عملياته الحربية فى عمان لإخماد الاضطرابات القبلية التى ثارت ضد آل سعود ولكن هذا القائد المشهور قتل أثناء عملياته الحربية فى جملان سنة ١٢٢٨ هـ — ١٨١٣ م [١] . وفى تلك الأثناء كانت قوات محمد على بقيادة ابنه طوسون تقوم بعملياتها الحربية فى الحجاز ضد آل سعود . ولذا اضطرت القوات السعودية الى التمركز فى البريمى واستمرت بها حتى انهيار الدولة وكان آخر أمير سعودى فى المنطقة هو بتال المطيرى .

وعلى أى حال؛ فإن جهود آل سعود أسفرت عن اعتناق القبائل العمانية الآتية لمبادىء الدعوة السلفية وهى قبائل : القواسم . نعيم . آل على .

---

(١) J.B. Kelly, op. cit., p. 56.

العوامر . بنى قتب . بنى كعب . المشم . بنى بو على . الجنبة . بنى راسب . وكل هذه القبائل سنية غافرية .

وكان لامتداد النفوذ السعودى إلى عمان آثار كبيرة؛ فقد أمدها بكثير من المكاسب المادية بالإضافة إلى أنه وسع من دائرة امتداد مبادىء الدعوة السلفية ، وفتح أمامها باب الاتصال الخارجى وخاصة مع الإنجليز كما سنرى ذلك فى الفصل الذى سنعقده للعلاقات الخارجية .

الفصل السادس

آل سعود والحجاز

---

١ — تمهيد .

٢ — الأشراف والحجاز .

٣ — علاقة الأشراف بنجد قبل قيام الدولة السعودية .

٤ — علاقة الأشراف بآل سعود .

٥ — المرحلة الأولى من الصدام بين الأشراف وآل سعود .

٦ — المرحلة الثانية من الصدام بين الأشراف وآل سعود .

٧ — تدهور موقف غالب .

٨ — الصلح مع الدرعية .

٩ — إنشقاق عثمان بن عبد الرحمن المضايفى .

١٠ — فتح مكة والمدينة .

١١ — عوامل نجاح آل سعود فى ضم الحجاز .

١٢ — نتائج ضم الحجاز .

الفصل السادس

آل سعود والحجاز

تمهيد :

سعى آل سعود جادين — بعد أن استقر لهم الأمر فى نجد - لضم إقليم الحجاز إلى حوزة دولتهم تدفعهم وتشجعهم إلى ذلك عوامل دينية وسياسية واقتصادية ولابد لنا من إلقاء نظرة سريعة على وضع الحجاز آنذاك لنرى إلى أى مدى شجع هذا الوضع أمراء الدرعية فى اندفاعهم نحو الغرب .

فإقليم الحجاز يقع فى الناحية الشمالية الغربية من شبه الجزيرة العربية وهو فى جملته . مستطيل الشكل يمتد من معان شمالا إلى نقطة بين الليث والقنفذة على الشاطىء الشرقى للبحر الأحمر جنوباً[1] . وإذا كان يحده من الغرب البحر الأحمر إلا أن حدوده من جهة الشرق إذ ذاك — أى طوال فترة تاريخ الدولة السعودية الأولى — لم تكن حدوداً ثابتة شأن بقية أقاليم شبه الجزيرة العربية فى ذلك الوقت بل كانت تمتد وتتقلص تبعاً لقوة الأشراف والأتراك ومدى سيطرتهم على شئون البلاد . فقد كانت أحياناً تمتد حتى تشمل أجزاء كثيرة من نجد وأحياناً تتقلص بعيداً عنه[2] .

ويطلق على السهل الساحلى منه اسم تهامة الحجاز ، وتوجد به أيضاً جبال السراة .

وتوجد بالحجاز أيضاً بعض الواحات الخصبة ولكنها متفرقة وتقع بين الأخدود الرئيسى فى هـذا الإقليم وأعلى حافة المنحدر الشرقى فى اتجاه قلب الجزيرة[3] .

---

(١) عمر رضا كحالة — جغرافية شبه الجزيرة ، ص ١٠٠ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٠٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٠٨ - ١١٣ .

ورغم هذا فإن الحجاز لم يكن يعد منطقة زراعية حيث إن إنتاجه فى ذلك الوقت وفى العهود السابقة لم يكن يفى بحاجة السكان ولهذا السبب كان الحجاز دائماً محل عطف ورعاية الحكام المسلمين[١] ، وكانت الزراعات القليلة الموجودة تشكل الحرفة الرئيسية للسكان المستقرين فى المدن الذين كانوا يشكلون ثلث السكان بينما كان الثلثان الآخران عبارة عن قبائل متفرقة تعيش عيشة البداوة وكان سكان الساحل يعيشون من صيدهم وزوارقهم[٢] .

ولهذا نجد أن واردات الحجاز كانت تنحصر فى بعض المواد الغذائية وما يحتاجه القاصدون للبلاد المقدسة . وكانت أهم صادراته التمر والجلود والحناء والصمغ وغيرها . وتشير المصادر إلى أن البضائع كانت ترد إلى مكة من كل الجهات إذ أنها تعتبر أعظم مركز تجارى فى قلب جزيرة العرب نظراً لموقعها الجغرافى ومكانتها الدينية التى حافظت عليها منذ فترة مبكرة[٣] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تجارة القمح كانت لها مكانة عظيمة فى ذلك الوقت وكان يحتكرها بعض التجار ويذكر لنا الرحالة بركهارت الذى زار بلاد العرب فى ذلك الوقت أن الشريف غالب أمير مكة كان يضارب فى هذه التجارة وكانت تلى تجارة القمح فى الأهمية تجارة الأرز الذى كان يجلب من مصر والهند وينقل من جدة إلى مكة والطائف والمدينة[٤] .

وكان سكان الحجاز آنذاك ينتمون إلى قبائل عربية معروفة أشهرها جهينة . وحرب . بنوسليم . بلى . الحجادلة . الجعافرة . هزيل . ثقيف . جبيلة . الناصرة . زهران وغامد ، وإن وجدت قبائل أخرى غير معروفة النسب ، وكانوا

---

(١) مصطفى مراد الدباغ ، الجزيرة العربية موطن العرب ومهد الإسلام ، جـ ١ ص ٦٦ .

(٢) عمر رضا كحاله ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٣) British Admirality, op. cit., vol. 1, p. 178.

(٤) Burkhardt, Travels in Arabia, vol. 1, p. 63.

يسمون أحلافاً(١) . وكان يوجد بين أفراد القبيلة الواحدة البدو والحضر .

الأشراف والحجاز :

خضع الحجاز لسلطة الأشراف منذ القرن الرابع الهجرى ؛ فقد تولى أبو محمد جعفر الموسوى مؤسس العائلة الشريفية الأولى حكم إمارة مكة . ومنذ ذلك الوقت والأشراف يتمتعون باعتبار دينى لدى جميع السكان (٢) . وانقضت على الشرافة فترات من الزمن كانت فيها كل شىء فى الحجاز ، كما أنها فى بعض الفترات أصابها الضعف ولم تكن شيئاً مذكوراً . وكان الشريف يختار لمنصب الإمارة من لدن كبار الأشراف فى الحجاز ويطلب إلى سلطان مصر أو السلطان العثمانى فيما بعد تثبيته فى منصبه(٣) ولذا كان يصبح القائم بهذا المنصب أحياناً ألعوبة فى أيدى الملوك والسلاطين أو الخلفاء الذين كانت لهم السيطرة السياسية على الحجاز .

وكانت أهم الأعمال المنوطة بشريف مكة تأمين قوافل الحج الوافدة من بقاع العالم الإسلامى ولذا كان شريف مكة دائماً يسعى إلى أن تكون علاقاته بالقبائل العربية القاطنة على طول طرق القوافل طيبة . خاصة وأنه لم تكن لديه قوات عسكرية منظمة ، وإنما كان فى الغالب يعتمد على عصبيته الخاصة (٤) .

واستطاع الشريف قتادة وقومه الذين كانوا يقيمون فى جهات ينبع ووادى الصفراء الاستيلاء على مكة ٥٩٧هـ — ١٢٠١م وبهذا العمل مكن هذا الشريف لنفسه وعائلته فى الحجاز وأنشأوا إمارة ظلت قائمة بالأمر رغم ما أصابها فى بعض

---

(١) لمع الشهاب ، تحقيق أحمد أبو حاكمه ، ص ١٦٣ — ١٦٤ ؛ فؤاد حمزة ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ — ٢٠٤ .

(٢) D.G. Hagarth, Arabia, p. 82.

(٣) د محمد أنيس ، الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ٣١ .

(٤) نفس المرجع ، ص ٣١ .

الفترات من ضعف وصراع إلى حين تأسيس حكومة آل سعود الحالية . وعلى أى حال فإن الشريف قتادة استطاع أن يخضع لسلطانه كافة الأراضى الحجازية من خيبر شمالا حتى القنفذة جنوباً(١) .

على أن مركز الشرافة ازداد قوة وازدهاراً حينما تولى إمارة مكة الشريف أبو نمى ٩٣٢ هـ — ١٥٢٥ م الذى وضع قانوناً عرف باسمه أعطى للأشراف سلطة قوية على الحجاز(٢)* . ومنذ ذلك الوقت وحتى انهيار نظام الشرافة على يدى آل سعود فى القرن العشرين تعاقب على شرافة مكة ثلاث عائلات من نسل أبى نمى الأولى ذوو بركات والثانية عائلة ذوى زيد والثالثة عائلة ذوى عون واستقلت العائلة الأولى بالأمر وحدها ما يقرب من قرن من الزمان ثم نافستها عائلة ذوى زيد حوالى ١٠٩٠ هـ — ١٦٧٩ م . وظل منصب إمارة مكة ينتقل من زيدى إلى بركاتى حتى استقل به آل زيد دون آل بركات وظل الأمر بأيديهم إلى فتح محمد على للحجاز(٣) .

ويبدو أن منصب الشرافة كان يجلب كثيراً من المكاسب المادية على صاحبه مما أدى إلى الصراع المرير الذى دار بينهم وخاصة فى العصر العثمانى ؛ إذ أن سلاطين آل عثمان احتفظوا بنظام الشرافة على وضعه الذى كان عليه أيام سلطنة المماليك مع إنشاء صنجقية عثمانية فى جدة يتولاها أحد الحكام أو الأمراء العثمانيين (كانت تسمى أحياناً صنجقية الحبش ثم ولاية الحبش(٤)، وكان كل

(١) فؤاد حمزة ، قلب جزيرة العرب ص ٣٠٧ ؛ انظر سمط النجوم ج ٤ ، ص ٨ ٢ - ٢١٤ .

(٢) حسين بن محمد نصيف ، ماضى الحجاز وحاضره ص ١٧ ، نفس المرجع ، ص ٢٨٩ — ٣٠٩ ؛ قانون أبى نمى مكون من ستة وثلاثين مادة ، جعلت الأمارة وراثية فى الأسرة الهاشمية وحرمت على الأشراف الاشتغال بأية مهنة أو صناعة . وجعلت من الأشراف طبقة ممتازة لها حقوق ، يجب ألا يمارسها العامة ، بالإضافة إلى أنها حرمت على الرعية عدم التطاول على الأشراف أو معارضة نفوذهم ويذكر صاحب كتاب ماضى الحجاز وحاضره أن هذا القانون توجد منه نسخ عند الأشراف . ولكنه لم يستطع الحصول على أى منها .

(٣) فؤاد حمزة ، المرجع السابق ، ص ٣٠٧ — ٣١١ .

(٤) د. محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص ٢٢ .

فريق من الأشراف المتصارعين يستميل إليه مجموعة من القبائل ويتقاتل الفريقان ومن تأتى نتيجة القتال فى صالحه يستولى على كرسى الإمارة ويكتب أتباعه إلى دار السلطنة يطلبون تعيينه . فكان السلطان يرسل فرمان التعيين ويكتفى من الشريف بإظهار الولاء واعتبار نفسه تابعاً للسلطان فى صغير الأمور وجليلها وموظفاً عثمانياً يصدر بتعيينه فرمان سلطانى .

والحقيقة أن الصراع داخل الحجاز فى العهد العثمانى لم يكن قصراً على الأشراف فيما بينهم . وإنما كان له مظهر آخر بين الأشراف والولاة العثمانيين حول واردات جدة ونصيب الأشراف من هذه الواردات . ولذا كان الولاة الأتراك دائماً يعملون كل جهدهم لإزكاء روح الصراع بين الأشراف ليتمكنوا عن طريق التفرقة بينهم من السيطرة عليهم جميعاً . مما يجعل السلطان العثمانى يثق فى قدرة هؤلاء الولاة ومقدرتهم على التحكم فى مقدرات البلاد وإبقائهم فى منصب الولاية أكبر وقت ممكن[١] . على أنه لم يعد يهم السلاطين العثمانيون منذ أن شغلوا بالفتن الداخلية والحروب الخارجية إلا دوام إرسال المحامل الثلاثة من العراق والشام ومصر وإرسال الصدقات السنوية إلى أهل الحرمين . وتركوا أمور الحكم فى أيدى الأمراء المحليين من أشراف وأمراء[٢] .

ولم يكن للعثمانيين فى مكة حتى العهد العثمانى الثانى موظفون من الأتراك يتولون شيئاً من أمور الحكم خلا ما كان من أمر القاضى والمحتسب . ورغم أن صنجق جدة كان له حق الإشراف على شئون الحرمين إلا أنه ظل مقيماً بحكم منصبه فى جدة ولم ينتقل إلى مكة إلا فى العهد العثمانى الثانى . وكان صنجق جدة يستطيع أن يسيطر على مقدرات البلاد الحجازية كلها عندما يتولى أمر مكة شريف مسالم أو ضعيف . ولكن الأشراف الأقوياء كانوا يتجاهلون

---

(١) عبد القدوس الأنصارى ، تاريخ مدينة جدة ، ص ٢٤٢ .
(٢) فؤاد حمزة ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

سلطة هذا الصنجق ، كما يتجاهلون فى بعض الأحيان أوامر الخلافة العثمانية نفسها[١] .

وعلى أى حال ، فإن دخل البلاد من مواسم الحج والمكوس أصبح منذ ١٠٤٠ هـ — ١٦٣٠ م قسمة بين الأشراف والحكومة العثمانية نظير قيام الحكومة بشئون الحجاج وعمارة الحرمين[٢] . ومنذ أن انتقل منصب الشرافة إلى أسرة آل زيد . بدأ أشراف هذه الأسرة العمل من أجل استقلال الشرافة التى بدت عليها مظاهر الغنى عن طريق موارد الثروة الخارجية والهدايا التى أصبحت تصل من الهند مباشرة إلى الحجاز منذ انسحاب الأسطول العثمانى من المياه الشرقية .

ويذكر هوجارث أن أشراف عائلة آل زيد كانوا قادرين على تكوين سياسة شعبية لهم بمناصرتهم الفقراء ضد الأغنياء[٣] .

والواقع أن سلطة الإشراف على الحجاز ظلت قوية رغم الخلاف والصراع فيما بينهم حتى خضع الحجاز لآل سعود ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن هذه الخلافات التى وجدت بين الأشراف كانت من بين العوامل القوية التى ساعدت آل سعود ومهدت لهم الطريق أثناء فتح الحجاز وإخضاعه لسلطانهم .

علاقة الاشراف بنجد قبل قيام الدولة السعودية :

يذكر لنا مؤرخو نجد أنه لما قوى أمر إشراف مكه بسطوا سلطانهم على كل ما كانوا يستطيعون الوصول إليه من الأراضى النجدية . وكان سلطانهم

---

(١) أحمد السباعى ، تاريخ مكة ، جـ ١ ، ص ٣١٩ .

(٢) نفسه ، ص ٣٢٠ .

(٣) D.G. Hagarth, Arabia, p. 97.

يتمثل فى جباية الأموال وأخذ الهدايا . من أمراء المناطق التى يخضعونها .
ولا نعرف بالضبط متى بدأ نفوذ أشراف مكة يتغلغل فى داخل الأراضى النجدية . وليس لدينا مصادر أصلية تحدد بداية هذه الصلة . ولكن من الثابت أن هذا النفوذ بلغ قمته فى عهد الشريف أبى نمى الذى يعد من أعظم الأشراف الذين تولوا منصب إمارة مكة (٩٣٢ هـ / ١٥٢٥ م — ٩٩٠ هـ / ١٥٨٠ م) .

ويذكر عثمان بن بشر المؤرخ النجدى فى سوابقه غزوات عديدة قام بها أشراف مكة على البلاد النجدية تدل على تدخلهم فى أمور نجد منذ القرن العاشر الهجرى حتى الثانى عشر . فيحدثنا أن الشريف حسن بن أبى نمى تمكن ٩٨٦ هـ — ١٥٧٨ م من الوصول إلى نجد وحاصر معكال المكان المعروف فى الرياض[1] . وتمكن هذا الشريف ٩٨٩ هـ — ١٥٨١ م من الوصول إلى ناحية الشرق من نجد فى جيش كثيف واستولى على مدن وحصون تعرف بالبديع والخرج والسلمية واليمامة ومواضع أخرى[2] . واستمر هذا العمل الهجومى من جانب الأشراف على المدن والقرى النجدية طوال القرن الحادى عشر والنصف الأول من القرن الثانى عشر الهجريين واتخذ تدخل الأشراف فى شئون نجد أحياناً مظهر الشدة والقسوة فيذكر ابن بشر أن الشريف سرور بن زيد ظهر على نجد ١١٠٩ هـ — ١٦٩٧ م ونزل روضة سدير ثم نزل قرى جلاجل وفعل بهذه البلدان ما فعل ثم ربط ماضى بن جاسر أمير الروضة ونزل الغاط واتسمت عملياته فى كل هذه البلدان النجدية بالقسوة والعنف[3] . وتجاوز تدخل الأشراف فى شئون نجد منطقة اليمامة إلى غيرها من المناطق النجدية ولم تكن سيرة الأشراف مع أهل نجد حسنة[4] .

وتشير المصادر إلى أنه منذ النصف الثانى من القرن الثانى عشر الهجرى

---

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ج ١ ، ٣٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٤ ، انظر سمط النجوم ، ج ٤ ، ص ٣٦١ — ٣٧٠ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٢١ .

(٤) الدكتور منير العجلانى ، تاريخ البلاد العربية السعودية ، ج ١ ، ص ٣٠ .

بدأ تدخل الأشراف فى أمور نجد بضعف وانقطعت غزواتهم أو كادت تنقطع لا تعففاً منهم كما تثبت الأحداث ولكن لانشغالهم بالمنازعات فيما بينهم على منصب الإمارة وانقسامهم إلى بيوت متصارعة . بالإضافة إلى أنه فى هذا الوقت بدأت قوة آل سعود تظهر على مسرح الأحداث فى شبه الجزيرة العربية .

ومن الأهمية أن نؤكد هنا أنه منذ ظهور قوة آل سعود ومحاولة توحيدها لإقليم نجد بدأت علاقة الأشراف بنجد تتحول إلى عداء بينهم وبين أتباع الدعوة السلفية .

علاقة الأشراف بآل سعود :

اعتبر الأشراف أتباع الدعوة السلفية خصوماً الدين . ولم يمنعهم الصراع فيما بينهم من اتخاذ تدابير سلمية فى مكة نفسها ضد أتباع آل سعود فقد رفض الشريف مسعود بن سعيد الذى عاصر عهد الأمير محمد بن سعود أن يسمح لأهل نجد بأداء فريضة الحج ومنعهم من دخول مكة وطلب من الدرعية بعض علماء الدعوة لمناظرة علماء مكة وتمت فعلا المناظرة ولكنها لم تسفر عن وفاق بين الطرفين[1] .

ولم يكن فى استطاعة آل سعود حتى عهد الشريف أحمد بن سعيد مهاجمة الأشراف لأن الوضع فى نجد لم يكن قد استتب لهم تماماً ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يخشون عاقبة ما يجره عليهم اصطدامهم بالأشراف الذين استمروا فى منعهم لأهل نجد من أداء فريضة الحج .

وتجددت المراسلة بين مكة والدرعية فى عهد الشريف أحمد بن سعد ١١٨٥ هـ — ١٧٧١ م الذى أرسل إلى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب يطلب منهما إيفاد أحد علماء الدعوة السلفية ليوضح

---

(١) أحمد السباعى ، تاريخ مكة ، جـ ١ ، ص ٣٠٢ .

له ولعلماء الحجاز حقيقة ما يدعوان إليه ، فأجاباه إلى مطلبه وأرسلا إليه الشيخ عبد العزيز الحصين مزوداً منهما برسالة وهدايا إلى الشريف أحمد بن سعيد رداً على رسالته إليهما وحاولا فى رسالتهما شرح وجهة نظر الدرعية وإقناع الشريف بأن مايدعوان إليه ليس جديداً وأن الشريف أحق الناس بالوقوف إلى جانبهما لأنهما يعملان على إحياء تعاليم الإسلام التى أتى بها جده عليه السلام .

وحرصت رسالة الدرعية على تلقيب آل سعود بأنهم «من جملة الخدام» أى خدام الشريف : وفعلا وصل مبعوث آل سعود إلى مكة واجتمع بعلمائها وناظرهم ودار بين الطرفين جدال ونقاش حول حقيقة مبادىء الدعوة السلفية واحتكم الفريقان إلى كتب الحنابلة . ولكنهما لم يصلا إلى إتفاق فى الرأى أو إيجاد تفاهم بين الدرعية ومكة [1] . والحقيقة أن هذا الصراع وإن اتخذ مظهراً دينياً إلا أنه كان يحمل فى طياته تياراً سياسياً يحول دون قيام مثل هذا التفاهم فكلا الطرفين له أهدافه السياسية التى يسعى من ورائها لتأكيد هذه الحقوق السياسية والاحتفاظ بسيطرته على إقليمه ومحاولة مد نفوذه إلى ما وراء ذلك .

وإننا لنتساءل لماذا بدأ الشريف أحمد بن سعيد بمراسلة الدرعية ١١٨٥ هـ — ١٧٧١ م محاولا التفاهم معها رغم أن قوة آل سعود حتى ذلك الحين لم تكن قد وصلت إلى الدرجة التى تستطيع معها أن تهدد الحجاز أوغيره من مناطق الجزيرة العربية فحتى ذلك الوقت لم يكن آل سعود قد نجحوا فى توحيد نجد ولم تكن أنظارهم قد اتجهت بعد إلى ما وراء حدود هذا الإقليم ؟

الواقع أن هذا العمل حدث من جانب الشريف أحمد بن سعيد نتيجة للصراع المرير الذى حدث فى ذلك الوقت بين الأشراف أنفسهم . فما كاد أحمد

---

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد (تحقيق ناصر الدين الأسد) ص ١٣١ — ١٣٣ .

ابن سعيد يتولى منصب الشرافة ١١٨٤ هـ — ١٧٧٠ م حتى شد أحد الأشراف من آل بركات وهو عبد الله بن الحسين رحاله إلى مصر وطلب العون من على بك الكبير ضد الشريف أحمد بن سعيد من آل زيد . فقام على بك الكبير بتجريد حملة عسكرية بقيادة محمد أبى الذهب لتعضيد عبد الله بن الحسين البركاتى وتسليمه منصب الشرافة[١] . ونرى أن هذا العامل هو الذى دفع الشريف أحمد بن سعيد إلى التفاهم مع الدرعية ، التى غدت رغم قوتها المحدودة حتى ذلك الوقت أقوى القوى المحلية داخل شبه الجزيرة ، لعله يجد لديها التأييد العسكرى الذى يمكنه من صد الحملة المصرية التى تبغى إبعاده عن مركزه . ولكن قبل أن يصل مبعوث الدرعية إلى مكة كانت الحملة المصرية قد تمكنت فعلا من إقصاء أحمد بن سعيد عن إمارة مكة وتولية عبد الله بن الحسين البركاتى مكانه . ولكن أحمد بن سعيد اتصل ببعض العربان واستطاع أن يسترد مكة على إثر انسحاب أبى الذهب عائداً إلى مصر[٢] . ولهذا العامل جاءت نتائج سفارة الشيخ عبد العزيز الحصين غير محققة للتفاهم التام بين الجانبين ؛ إذ أن الشريف أحمد بن سعيد لم يعد بحاجة إلى مساعدة الدرعية . بعد أن استقر به المقام فى أمارة مكة للمرة الثانية منذ ٢٣ جمادى الثانية سنة ١١٨٤ هـ — ١٥ أكتوبر سنة ١٧٧٠ م ولم نعثر بعد ذلك طوال فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد على أية محاولة للتفاهم مع الدرعية . بل إن الشريف أحمد نفسه لم يسمح لأحد من أهل نجد بأداء فريضة الحج .

وعقب انتهاء فترة حكم الشريف أحمد بن سعيد أرسلت الدرعية إلى الشريف سرور بن مساعد الذى آل إليه الأمر ١١٨٦ هـ — ١٧٧٢ م تطلب إليه أن يسمح لأهل نجد بأداء فريضة الحج . فاشترط نظير ذلك أن يأخذ منهم ضريبة فأبى عليه آل سعود ذلك ولم يتمكن أحد من أهل نجد فى

---

(١) أحمد بن زينى دحلان ، خلاصة الكلام فى أمراء البلد الحرام ، ص ٢٠٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٠٥ .

عهد الشريف سرور من أداء الفريضة إلا خفية[١] .

واستمرت العلاقة بين آل سعود والأشراف بعد ذلك حوالى عشرين عاماً يسودها الركود وعدم التفاهم حتى تولى أمر الشرافة الشريف غالب بن مساعد ١٢٠٢ هـ — ١٧٨٧ م الذى لعب دوراً بارزاً فى العلاقات السعودية الحجازية . وفى عهده بدأت هذه العلاقات تتخذ طابعاً جديداً تطور إلى الصدام المباشر بين الطرفين وانتهى بتغلب كفة آل سعود وإخضاعهم الحجاز لسلطانهم ، ويجب أن نؤكد أن هذا الدور بدأ فى الوقت الذى كان فيه آل سعود قد نجحوا فى توحيد نجد ووصلت تحركاتهم العسكرية إلى شاطىء الخليج العربى وغدت قوتهم مرهوبة الجانب . وكانت مبادىء الدعوة السلفية قد تسربت إلى الحجاز واعتنقها بعض الأعراب ولذا خشى الشريف غالب أن تصبح خطراً يهدد بلاده . خاصة وأن أخبار نجاح آل سعود فى عملياتهم الحربية ضد أهل الأحساء وبنى خالد كانت تصل إلى الحجاز تباعاً بصورة تظهر مدى القوة التى وصلت إليها الدرعية . ولهذ قام الشريف غالب بدوره كما فعل أسلافه بإرسال كتاب إلى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود والشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى ١٢٠٤ هـ — ١٧٨٩ م يطلب منهما إرسال أحد علماء الدعوة ليوضح له حقيقتها فأرسل إليه عبد العزيز الحصين الذى سبق له أن قام بنفس المهمة أيام شرافة الشريف أحمد بن سعيد وأرسل معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب كتاباً إلى الشريف غالب شرح فيه بإيجاز مبادىء دعوته وبين له أنه وأتباعه متبعون لمذهب الإمام أحمد بن حنبل وليسوا مبتدعين كما يتهمهم أعداؤهم[٢] .

وصل مبعوث الدرعية إلى مكة واجتمع بالشريف غالب عدة مرات

---

(١) أحمد السباعى ، تاريخ مكة ، جـ ١ ، ص ٣٤٥ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ — ١٧٥ .

شرح له فى أثنائها مبادىء الدعوة السلفية ثم طلب من الشريف أن يأتى له بعلماء مكة ليناظرهم ويبين لهم حقيقة الدعوة . ولكن علماء مكة أبوا ذلك . وأوعزوا إلى الشريف غالب بأن آل سعود يعملون على إزالة نفوذ آبائه وأجداده ، ويرغبون فى الاستيلاء على خيرات البلاد التى تحت يديه وذلك بقولهم « هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة نهج آبائك وأجدادك ورفع يدك عما يصل إليك من خيرات بلادك »(١) .

وانتهت سفارة الشيخ عبد العزيز الحصين فى هذه المرة أيضاً دون أن تحقق الوفاق بين الطرفين . بل إن تحريض علماء مكة لغالب أزكى روح العداء بين الأشراف وآل سعود . وعجل بالصدام المسلح بين الطرفين . ويذكر صاحب لمع الشهاب أن السبب المباشر للصدام يرجع إلى عاملين :

أولا : غزو الأمير سعود لقوم من مطير خرجوا عن طاعة آل سعود والتجأوا إلى الشريف غالب .

ثانياً : رأى الشريف غالب أن نجداً كلها قد دانت لآل سعود بدواً وحضراً ورأى أنهم أدخلوا أيديهم فى ملك بنى خالد فخشى أن يدخل النقص عليه فى ملكه . ولهذا بدأ بتهيئة الحرب وأسبابها واستمال إليه بعضاً من بداة نجد كمطير وعتيبة والبقوم أهل تربة وسبيع وغيرهم من القبائل وكثيراً من قحطان وبعض الدواسر الذين أعلنوا عصيانهم للدرعية (٢) .

ولم تكن أنظار الدرعية حتى ذلك الوقت قد اتجهت صوب الغرب وإنما كان اتجاه الشرق هو المسيطر على تحركاتها لأسباب سبق ذكرها . بالإضافة إلى أن آل سعود كانوا يخشون الصدام المباشر مع الأشراف خشية أن

---

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، ص ١٧٥ .

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب (تحقيق دكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه) ، ص ٩٥ — ٩٦ .

يثير عليهم ذلك العمل الرأى العام الإسلامى فى تلك المرحلة من مراحل نمو دولتهم . وهذا واضح فى إجابتهم دائماً لمطالب الأشراف وإرسال الرسل إليهم ومحاولة إقناعهم بصحة مبادىء الدعوة . أما وأن الأشراف هم الذين فرضوا عليهم الصدام . فأصبح حتماً عليهم مواجهته . وتستطيع أن تؤكد أن الصدام المسلح بين آل سعود والأشراف قد مر بمرحلتين متميزتين :

المرحلة الأولى :

بدأت هذه المرحلة ١٢٠٥ هـ — ١٧٩٠ م وكان الأشراف يقومون فيها بدور الهجوم بينما اكتفى آل سعود بصد هجمات الأشراف وغاراتهم التى وصلت إلى مناطق نجدية كثيرة ، ومن الأهمية أن نؤكد أن الشريف غالب فى هذه المرحلة كان قادراً على تكوين جيوش كبيرة من بلدان وقرى الحجاز بالإضافة إلى بعض القبائل التى هاجرت من نجد وانضمت إلى جانب الأشراف مثل أعراب مطير . وقد استطاع الشريف غالب إرسال جيش كبير بقيادة أخيه عبد العزيز ١٢٠٥ هـ — ١٧٩٠ م لغزو نجد واستطاع هذا الجيش أن يصل إلى « قصر بسام » فى السر وهو بمثابة حصن سعودى فى هذه المنطقة . ولم يتمكن هذا الجيش الحجازى من الاستيلاء على الحصن السعودى رغم طول مدة حصاره التى استمرت أربعة شهور ، وقلة حامية الحصن التى ذكرت المصادر أنها لم تكن تزيد على عشرين رجلا[1] .

وربما أعطانا هذا صورة عن قوة المقاتل السعودى الذى كان يؤمن أنه يقاتل من أجل عقيدة .

ومما تجدر الإشارة إليه أن ثقل القوات السعودية المحاربة فى هذا الوقت كان مركزاً فى مناطق شرق الجزيرة وخاصة فى الأحساء حيث كانت العمليات

---

(١) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

السعودية فى مرحلتها الأخيرة ضد بنى خالد ، الذين أصابهم الضعف إلى درجة كبيرة . ويذكر صاحب لمع الشهاب أن اتصالا بين الشريف غالب وعبد المحسن ابن سرداح آل عبد الله قد تم فى ذلك الوقت لإيجاد تناسق بين الجبهتين فى حربهما ضد آل سعود فيقول « ولما علم الشريف غالب بهذه الحال (أى حال بنى خالد مع آل سعود) كتب لعبد المحسن يرغبه فى حرب آل سعود وقد بذل له شيئاً من المال نقداً وأعطاه بيده خمسين عبداً من عبادلة السند والأوغان (الأفغان) لأنه لا يمكنه توصيله إلى عبد المحسن بغير ذلك ، لإحاطة ملك آل سعود بجميع أرض بنى خالد براً بحراً ، وجعل معهم اثنى * من خدامه لأجل التوصيل . وقال استعن بهذا على حرب عبد العزيز واغزوه (اغزه) من تلك الأطراف التى تليكم . لئلا تقوى شوكته فيميل عليكم ميلة واحدة . وهذا أنا أمشى عليه من جهة الحجاز ، فأجاب عبد المحسن لما قال »[1] .

وينفرد صاحب لمع الشهاب بذكر هذا الاتصال بين الشريف غالب وعبد المحسن بن سرداح . ولم يذكره لنا أى مصدر آخر معاصر بل إن مؤرخى نجد فى هذه الفترة ابن بشر وابن غنام لم يشيرا إلى حدوث مثل هذا الاتصال . ونحن لا نستبعد حدوثه بين الطرفين المعاديين لآل سعود لعلهما يجدان فى توحيد قوتهما الوسيلة للقضاء على هذه القوة التى أصبحت تمثل خطراً كبيراً على الكيانات الأخرى فى أنحاء الجزيرة العربية خصوصاً وأن نفوذها أوشك أن يستتب على شاطىء الخليج . يؤيد ماذهبنا إليه أنه فى هذا الوقت الذى كانت جيوش الأشراف تجوس فيه الحدود النجدية وتهددها شهد إقليم الأحساء اضطرابات وعمليات حربية ضد نفوذ آل سعود وصل إلى حد قتل دعاتهم وحامياتهم فى بعض مدن الأحساء .

والحقيقة أن قوة آل سعود أصبحت أكبر من قوة أعدائهم رغم أن

(*) هكذا فى الأصل ولعله يقصد اثنين .

(١) لمع الشهاب (تحقيق دكتور أحمد مصطفى أبو حاكمه) ، ص ٩٧ .

الشريف غالب سار بنفسه على رأس جيش كبير لتعزيز قوة أخيه الشريف عبد العزيز ومحاولته استمالة جماهر وحويل من أهل وادى الدواسر إلى جانبه . إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن عمليات الأشراف فى الغرب لم يقدر لها القيام بعمل حربى ناجح ضد الدرعية ، كما لم يقدر لقوة الأحساء أن تقوم ضدها بأى عمل ناجح فى الشرق . وبذلك فشلت كلتا القوتين المعاديتين الدرعية فى القضاء على نفوذها ولم يقدر لهما توحيد جهدهما والقيام ضدها بعمل مشترك ناجح .

أدرك الشريف غالب عدم جدوى عملياته الحربية على أطراف البلاد النجدية وكان موسم الحج ١٢٠٥ هـ — ١٧٩٠ م قد قرب وخشى أن يقوم أحد أمراء الدولة العثمانية بالاستيلاء على مكة وإسناد إمارتها إلى أحد أبناء عمه من الأشراف لعدم رضاء الدولة عليه ولذا فضل الانسحاب بقواته عائداً إلى مكة وإن ذكر صاحب لمع الشهاب أن هذه الأسباب ليست الحقيقة « لكن الحق الصحيح أنه عجز عن الحرب ، وكان فى مدة عمره متأسفاً على ما وقع فى صغر سنه من قلة التدبير »[1] . ولقد كان انسحاب قوة الأشراف إلى مكة فى تلك الآونة النهاية فى مرحلة هجومهم على الأراضى النجدية والتزامهم منذ ذلك الوقت بخطة الدفاع ضد القوات السعودية التى أحرزت النصر فى هذه المرحلة على قوات الأشراف فى موضع يسمى « اللدام »[2] وكان لانسحاب القوات الحجازية أثر كبير فى تدعيم مركز القوات السعودية حيث إنه أتاح الفرصة للأمير سعود بن عبد العزيز القائد العام لجيوش آل سعود للقيام بعمليات تأديبية ضد القبائل التى ساندت قوات الأشراف أثناء قيامهم بالهجوم على الأراضى النجدية مثل قبائل مطير وقحطان وشمر التى أنزل بها الهزيمة عند جبل سلمى حول ماء « العدوة » قرب بلدة حائل . كما تمكنت القوات

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٩٩ .

(٢) حسين غنام ، المرجع السابق ، ص ١٧٧ .

السعودية فى أثناء عملياتها التأديبية من قتل مطلق الجربا رئيس البوادى الذى قام بعمليات كثيرة كانت تستهدف القضاء على قوة آل سعود[١] .

وبانتهاء هذه العمليات التأديبية التى قام بها الأمير سعود على الأعراب الذين عاضدوا الأشراف ضد قوات الدرعية انتهت المرحلة الأولى من الصدام بين الأشراف وآل سعود .

ونرى أن هناك عوامل كثيرة ساعدت على إنهاء هذه المرحلة بسرعة وغيرت موقف كل من الطرفين المتحاربين واتخذت قوات الدرعية طبقاً لها خطة الهجوم لا الدفاع . ومن بين هذه العوامل انضمام بعض القبائل الحجازية فى تربة . ورنية وبيشة إلى الدعوة السلفية وانشغال الشريف غالب بمحاربتهم منذ ١٢٠٦ هـ — ١٧٩١ م . بالإضافة إلى أن القوات السعودية كانت قد أتمت عملياتها الحربية فى الأحساء وأخضعته تماماً لسلطان الدرعية وبدأت تحركاتها تتجه إلى الغرب والشمال والجنوب . ومن العوامل التى أضعفت من مركز الأشراف فى تلك الآونة إعلان قبائل عسير القوية وتهامة اعتناق مبادىء الدعوة السلفية والخضوع لنفوذ الدرعية ولذا أصبحت أملاك الأشراف فى الحجاز مهددة من الداخل والخارج مما أجبرهم على تغيير خططهم الحربية والتزامهم موقف الدفاع « ثم إنه بعد ذلك جعلت بداة نجد تغزو الحجاز فأطاعت عقبة الحجاز وحرب كذلك . وقد ضاق الحال على الشريف وكاتب أهل الطائف عبد العزيز فبايعوه وأتوا منه بقضاة يعلمونهم التوحيد »[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن من العوامل التى أضعفت كفة الأشراف فى تلك المرحلة موقف الدولة العثمانية حيث إن صاحب الخلاصة ذكر ضمن أحداث ١٢٠٧ هـ — ١٧٩٢ م . أن الشريف غالب طلب من الدولة النجدة دون جدوى.

---

(١) المرجع نفسه ، ص ١٧٨ — ١٧٩ .

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٠٠ .

« أرسل مولانا الشريف (غالب) للدولة العلية يخبرهم بظهور أمر الوهابية وأرسل لذلك السيد محسناً بن عبد الله الحموى والسيد حسيناً مفتى المالكية فلم تكترث الدولة لهذا ولم تلتفت إليه »(١) .

ولا شك أن لهذا الموقف أثراً كبيراً فى إضعاف جانب الأشراف . وحدث هذا من جانب الدولة العثمانية لأنها حتى ذلك الحين لم تكن تقدر خطورة قوة آل سعود ومدى القوة التى وصلوا إليها ، بالإضافة إلى انشغالها بمشاكلها الداخلية والخارجية الأخرى ولذا لم تجد مراسلة الشريف غالب لأولى الأمر فيها آذاناً صاغية .

وبانتهاء هذه المرحلة من الصدام ١٢٠٨ هـ — ١٧٩٣ م صار لآل سعود كفة الرجحان على كفة الأشراف . ولم يعد أمام الدرعية من سبيل سوى تركيز هجماتها إلى جهة الغرب وإخضاع الحجاز لسلطانها خاصة وأنها أصبحت تطل على مياه الخليج فى الشرق وبدأت تتطلع أن يتم لها الإشراف على مياه البحر الأحمر فى الغرب وإدخال الحرمين الشريفين فى حوزة أملاكها وهذا ما سعت إليه جادة فى المرحلة التالية .

المرحلة الثانية من الصدام بين الأشراف وآل سعود :

قاد الأمير سعود العمليات الحربية فى هذه المرحلة وتمكن فى ١٢٠٩ هـ — ١٧٩٤ م . من الوصول إلى قرب تربة وحاصر قرى وبلاد تلك الناحية واتسمت عملياته بالعنف مما اضطر أهالى بعض القرى إلى مصالحته وإعلان خضوعهم للدرعية فأتاح ذلك الفرصة أمامه لإنزال العقاب بالقرى التى لم تصالحه(٢) .

---

(١) أحمد بن زينى دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢٦٦ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٨٩ — ١٩٠ .

ورغم نجاح عملياته إلا أنه لم يتوغل فى الأراضى الحجازية إلى أكثر من هذا الحد . وربما لأنه رأى أن استعداداته الحربية غير كافية لمواصلة القتال ضد القبائل الحجازية وقوات الأشراف لذا فضل العودة إلى الدرعية ليقوم بالاستعداد لمرحلة أبعد خاصة وأن الطريق أمامه إلى داخل الأراضى الحجازية قد أصبح مفتوحاً وصار لقواته بعض الخبرة بالتحصينات الموجودة داخل هذه الأراضى .

والواقع أن موقف الأشراف إزاء الهجمات السعودية كما أثبتت الأحداث لم يكن سلبياً . فقد رد الشريف غالب على عمليات سعود بإعداد جيش بقيادة الشريف ناصر بن يحيى تمكن من الوصول إلى منطقة « ماء الجمانية » بعالية نجد إلا أن القوات السعودية تمكنت من هزيمة هذا الجيش وأوقعت به كثيراً من الخسائر [١] .

وعلى إثر هذه الأحداث قررت الدرعية أن تقوم قواتها بهجوم شامل على أطراف الأراضى الحجازية ، فأصدر الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢١١ هـ — ١٧٩٦ م أمره إلى القائد السعودى ربيع بن زيد أمير الدواسر ليقوم ببعض العمليات العسكرية فى الأراضى الحجازية . وتمكن فعلا هذا القائد السعودى من الإغارة على فريق من أعراب شهر وهزمهم ثم سار إلى بيشه ونزلت قواته على الشقيقة والجنينة وتحت وطأة الهجمات السعودية اضطر أهل هذه المنطقة إلى إعلان خضوعهم لسلطان الدرعية .

وصدرت أوامر الدرعية بعد ذلك إلى ربيع بن زيد بمواصلة تحركاته صوب رنية . وتمكن فعلا هذا القائد من القيام ببعض العمايات الحربية الناجحة فى هذه المنطقة وبعد أن تم له إخضاعها عقد إمارتها لمحمد بن سعيد بن قطنان [٢] ممثلا لنفوذ آل سعود فى تلك الناحية .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٢) حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

كان لهذه الأعمال العسكرية الناجحة التى قام بها القائد السعودى تأثير كبير على السكان الذين أعلن معظمهم الخضوع لسلطان آل سعود ، وإن أثبتت الأحداث بعد ذلك أن هذا العمل من جانب السكان لم يكن عن اقتناع وإنما كان من قبيل إعلان المغلوب خضوعه لسلطان الغالب حتى تحين له الفرصة لاسترداد حريته التى يعتز بها وخاصة فى مجتمع قبلى مثل مجتمع الحجاز .

تدهور موقف الشريف غالب :

على إثر هذه العمليات السعودية بدأ موقف الشريف غالب يضعف ومما زاد من حرج موقفه أن القبائل التى كانت تسانده فى قتاله ضد الدرعية مثل مطير وقحطان وعتيبة وسبيع القبلة وغيرهم من البداة أدركوا ألا جدوى من قتال جيوش آل سعود ولذا طلبوا الأمان من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وأعلنوا خضوعهم لنفوذ آل سعود [١] .

بالإضافة إلى أن الشريف غالب رغم مكاتباته العديدة للدولة العثمانية لم يتلق منها حتى هذا الوقت أية مساعدة . بل إنه فى نفس الوقت كان يخشى أن يصدر السلطان العثمانى فرماناً بعزله حيث إنه لم يكن مرغوباً فيه . وفى تلك الآونة قلت الميرة والمتاع لدى الشريف غالب [٢] . وازداد الوضع الاقتصادى فى الحجاز سوءاً بسبب الحصار الذى كانت تفرضه الجيوش السعودية على كثير من الطرق الرئيسية الموصلة إلى كل من مكة والمدينة والطائف .

ولم يكن أمام الشريف غالب من سبيل إلا مقاتلة القبائل الحجازية التى أعلنت خضوعها للدرعية لعله يستطيع إرجاعها إلى حوزته مرة ثانية . خاصة بعد أن أرسل الشيخ أحمد التركى للدولة العلية فى سنة ١٢١٢ هـ — ١٧٩٧ م

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٠٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٩٨.

يطالب منها العون فلم تجبه ولم تـكترث بما يحدث له[١] . ولذا استمر القتال بينه وبين القبائل الحجازية متواصلا . مما أتاح الفرصة أمام الجيوش السعودية أن تتوغل كثيراً داخل أراضى الحجاز .

وهددت الهجمات السعودية جهات مختلفة من إقليم الحجاز فى وقت واحد فبينما كان ربيع بن زيد الدوسرى يهاجم بيشة ويقاتل جيشاً شريفيـاً بقيادة الشريف فهيد بن عبد الله كان القائد هادىء بن قرملة يهاجم البقوم وينزل بهم كثيراً من الهزائم والخسائر[٢] .

وإزاء سوء الحالة الاقتصادية وفقدان كثير من الأعراب وخاصة القبائل التى تقطن حول مكة لموارد معاشهم نتيجة للعمليات السعودية اضطر هؤلاء الأعراب وخاصة قبائل العتبان إلى إرسال حمود بن ربيعان مندوباً عنهم إلى الدرعية لمبايعـة الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود على اتباع نظام الحـكم السعودى واعتناق مبادىء الدعوة السلفية . وعند وصول هذا المندوب إلى الدرعية وعرضه مطلب الأعراب على الأمير عبد العزيز رحب بذلك وأجابه إلى طلبه بعد أن تعهد نيابة عن قومه بدفع مقدار معين من المـال عن كل بيت واتباع كافة نظم الدرعية[٣] .

ويدل هذا العمل من جانب بعض القبائل الحجازية وخاصة القبائل التى تقطن حول مكة على مدى تغلغل النفوذ السعودى داخل الأراضى الحجازية ، ويرسم لنا صورة واضحة للخطر الذى أصبح يحيق بنفوذ الأشراف .

واستمر تقدم القوات السعودية متواصلا حتى تمـكنت من إنزال هزيمة بقوات حجازية كان يقودها الشريف غالب بنفسه عند قرية الخرمة . ونظراً

(١) أحمد بن زينى دحلان ، الخلاصة ، ص ٢٦٦ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١١١ .

لكثرة ما فقده فى هذه الموقعة من الأموال والرجال قرر الانسحاب إلى مكة . فى الوقت الذى تمكن فيه القائد السعودى ربيع بن زيد من الاستيلاء على قرى بيشة بعضها بالصلح والبعض بالقوة . وصدرت أوامر الدرعية بتعيين سالم ابن محمد بن شكبان أميراً على بيشة من قبل آل سعود [١] .

ولم يتمكن الشريف غالب فى ذلك الوقت من القيام بأى عمل عسكرى ضد آل سعود خاصة وأن الدولة العثمانية أرسلت إليه فرماناً بوجوب تحصين الحرمين خوفاً من زحف الفرنسيين على بلاد الحجاز بعد أخذهم مصر فاضطر لى القيام بعمل التحصينات اللازمة وإصلاح سور جدة [٢] . وأراد فى نفس الوقت أن يكون بينه وبين الدرعية صلح حتى يتضح له الموقف . وعلى ضوء ما يتضح له يقرر مصير العلاقة بينه وبين الدرعية .

الصلح مع الدرعية :

طلب الشريف غالب من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود عقد صلح بين الطرفين وأجابت الدرعية الشريف غالب إلى طلبه ونرى أن العوامل التى دفعته إلى طلب الصلح فى هذه الفترة هى :

أولا : الضعف الشديد الذى حل بالجانب العسكرى للشريف غالب خاصة بعد هزيمة الخرمة التى فقد الشريف فيها جانباً كبيراً من قواته المحاربة . بالإضافة إلى فقده لمنطقة بيشة بعد أن استولى عليها القائد ربيع بن زيد وإخضاعها لسلطان الدرعية .

ثانياً : خروج كثير من القبائل الحجازية التى كانت تقيم حول مكة وانضمامها إلى جانب آل سعود الشريف غالب يشعر بحرج مركزه وتوجيه تهديد مباشر لقوته من داخل أراضى الحجاز .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

(٢) أحمد بن زينى دحلان ، المرجع السابق ، ص ٢٦٧ .

ثالثاً : سوء الحالة الاقتصادية فى الحجاز نتيجة للعمليات الحربية وخضوع كثير من مناطق الحجاز للدرعية ودفع الضرائب لها بدلا من دفعها للأشراف أفقد الشريف غالب كثيراً من موارده الاقتصادية بالإضافة إلى أن القوات السعودية استولت على خزائن الشريف فى موقعة الخرمة حيث كان يصطحبها معه [1] مما زاد من تدهور المركز الاقتصادى للشريف ولم يجد لديه المال الكافى للقيام بعمليات حربية جديدة .

رابعاً : موقف الدولة العثمانية من الشريف غالب حتى ذلك الوقت وعدم اهتمامها بما يحدث له كان عاملا هاماً فى دفع الشريف غالب إلى طلب الصلح مع الدرعية التى وصلت قوتها العسكرية إلى درجة كبيرة لم يعد فى مقدور الشريف التصدى لها بقوته التى أصبحت محدودة . تلك فى رأينا أهم العوامل التى دفعت الشريف غالب إلى عقد صلح مع آل سعود .

ويذكر صاحب الخلاصة وهو مؤرخ حجازى أنه « فى غاية جمادى الأولى من سنة ثلاث عشرة ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م انعقد الصلح بين مولانا الشريف غالب وعبد العزيز بن محمد بن سعود بعد مكاتبات بينهما وجعلوا حدود الممالك والقبائل التى تحت طاعة مولانا الشريف والتى تحت طاعتهم فكان ممن فى حدوده وطاعته القبائل التى حول مكة والمدينة والطائف وبنو سعد وناصرة وبجيلة وغامد وزهران والمخوا وبارق ومحائل وغير ذلك »[2] ونستخلص من هذه الرواية أن نفوذ الشريف غالب أصبح قاصراً على المناطق التى حول مكة والمدينة والطائف وماعداها من المناطق الحجازية أصبح خاضعاً لسلطان الدرعية.

كما نستخلص منها أيضاً أن القبائل الكبرى مثل حرب وجهينة وقحطان

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(٢) أحمد بن زينى دحلان ، المرجع السابق ، ص ٢٦٧ — ٢٦٨ .

أصبحت تدين بالولاء لآل سعود حيث إنها لم تذكر ضمن القبائل الخاضعة لنفوذ الأشراف .

ومما هو جدير بالذكر أن المصادر النجدية المعاصرة لم تعطنا أية تفصيلات عن هذا الصلح فابن بشر عندما ذكره لم يزد على قوله « فلم يلبث بعدها (أى بعد معركة الخرمة) أن صالح عبد العزيز وأذن لهم فى الحج »[١] .

تم الصلح بين الطرفين وكانت مدته ست سنوات وبالإضافة إلى نفوذ آل سعود قد امتد على معظم الأراضى الحجازية وأصبح معترفاً به من جانب الأشراف . فإن هناك كسباً آخر حققه هذا الصلح لآل سعود وهو أن الحجاج النجديين أصبح لهم حق دخول مكة لأداء فريضة الحج دون أن يعترض أحد طريقهم بعد أن منعوا من أداء هذه الفريضة فترة طويلة ونودى فى مكة بعد عقد الصلح بالأمان وعدم التعرض لآل سعود وأتباعهم باليد أو اللسان وفعلا دخل حجاج الدرعية مكة ١٢١٤ هـ / ١٧٩٩ م وكان من بينهم على بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وظل الأمير سعود طوال مدة الصلح يصل إلى مكة على رأس قافلة الحج النجدى دون عائق . وظل الصلح بين الطرفين قائماً حتى عام ١٢١٧ هـ / ١٨٠٣ حينما طرأت على الموقف عوامل جعلته عديم الجدوى . ومن بين هذه العوامل انضمام بعض القبائل التى كانت تابعة للشريف غالب إلى جانب الدرعية واعتناقها لمبادىء الدعوة السلفية بالإضافة إلى ازدياد النفوذ السعودى بصورة سريعة فى تهامة وعسير وتوغل القوات السعودية فى شمال اليمن وخاصة فى المخلاف السليمانى الذى كان تحت سيطرة فرع آخر من الأشراف تحت سيادة إمام اليمن . ومنها أيضاً استمرار العمليات السعودية فى منطقتى بيشة ورنية بقيادة ربيع بن زيد .

واتهم الشريف غالب الدرعية بأنها تعمل على نقض الصلح وذلك بأنها

---

(١) عثمان بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٣ .

تراسل كثيراً من مشايخ القبائل التابعة له ومن بينهم شيخ قبيلة محايل سعدى ابن شار وشيخ قبيلة بارق أحمد زاهر اللذان أوعزا إلى كثير من القبائل بالتخلى عن كفة الشريف غالب ورغبا إليهم الانضمام إلى الجانب السعودى [١] . كما اتهم الشريف غالب الدرعية أيضاً بأنها ترسل إلى القبائل من يقومون بإفسادها ويبث فيها روح الكراهية ضده ورأى فى هذه الأعمال من جانب الدرعية نقضاً للصلح [٢] . ولذا أرسل إليها وفداً من لدنه ليطلعها على حقيقة الأمر كما يراه الشريف وكان على رأس هذا الوفد عثمان بن عبد الرحمن المضايفى .

وليس من شك فى أن اتهامات الشريف غالب للدرعية كانت على جانب كبير من الصحة حيث إن الدرعية فى ذلك الوقت كانت قد أولت معظم اهتمامها بالجبهة الغربية من شبه الجزيرة ولا نستبعد أنها قامت بمراسلة القبائل التى كانت تابعة للشريف أو أنها اتخذت لها طابوراً خامساً من جانب بعض مشايخ القبائل ولا شك أن نجاح عملياتها فى عسير وتهامة شجعها على القيام بمثل هذه الأعمال التى فيها إخلال بالصلح بينها وبين الشريف غالب .

وعلى أى حال فإن الأمير عبد العزيز رد على الوفد الحجازى بأنه سيعمل على إنهاء مثل هذه الأمور التى يزعمها الشريف . ولكن على إثر عودة الوفد إلى مكة ازداد الموقف بين الطرفين سوءاً وحدث تصدع فى كفة الشريف غالب كان من أبرز العوامل التى ساعدت على هزيمته الهزيمة النهائية وخضوع الحجاز كله لسلطان الدرعية ونقصد بهذا التصدع انشقاق عثمان بن عبد الرحمن المضايفى عن جانب الشريف . وانضمامه إلى جانب الدرعية .

انشقاق عثمان بن عبد الرحمن المضايفى :

لم يقتنع الشريف غالب برد الدرعية على اتهاماته لها خاصة وأنه رأى أن

---

(١) أحمد بن زينى دحلان ، خلاصة الكلام ، ص ٢٦٨ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٢٦٧ .

تتابع العصيان عليه من القبـــائل التى تقطن فى جنوب مكة وجنوبها الشرق وازداد ، بصورة مقلقة ولذا عاد الأمر بين الطرفين إلى ما كان عليه قبل الاتفاق وبدأت الدرعية تركز جهودها الحربيـة لوضع حد لتصرفات الشريف غالب نحوها وفى أثناء ذلك أعلن عثمان بن عبد الرحمن المضايفى شيخ قبيلة العدوان حول الطائف[١] ووزير الشريف غالب وصهره خروجه عن طاعة الشريف وانضمامه إلى جانب آل سعود . وتلزم معظم المصادر الأصلية الصمت إزاء هذا الموقف فلا تزيد على ذكر أن هذا الانشقاق حدث نتيجة لخلاف بين الشريف وصهره عثمان ، ولـكن على أى شىء كان الخلاف بينهما فلا تذكر شيئاً عن ذلك . وبعضها يذكر أن عثمان أعجب بالنظام السعودى واقتنع بمبادىء الدعوة أثناء وجوده بالدرعية ،وفداً من قبل الشريف غالب وطمع فى أن يكون أميراً من قبل آل سعود على منطقته وبذلك يكفى نفسه شر الحروب والقتال ويذكر صاحب خلاصة الـكلام أنه بمجرد وصول الوفد إلى الدرعية واستقباله استقبالا حسناً كان « أول مانطق به عثمان أن قال يا عبدالعزيز بشرنى بالإمارة وأبشرك بمكة تملـكها وأطلب منك أن تخلى لى المجلس لأمور سأبديها فاختلى معه وحدثه بكلام طاب له وأمّره على الطائف وما حوله من العربان ... وكان عثمان ذكر له أسماء شيوخ القبائل التى يريد التآمر عليها فـكتب لهم كتباً يخبرهم فيها بأنه أقام عثمان المضايفى أميراً عليهم وسلمها بيده . والجمـاعة الذين معه لا علم لهم بذلك كله »[٢] وينفرد صاحب الخلاصة زينى دحلان بهـذه الرواية ولم نجد تفصيلا لها عند المؤرخ النجدى ابن بشر الذى ذكر انشقاق عثمان المضايفى عن الشريف غالب وانضمامه إلى جانب آل سعود بصورة مقتضبة ودون تعليق ففى أثناء تدوينه لأحداث ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م قال « وفى هذه السنة ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م ، انتقض الصلح بين غالب الشريف وبين عبدالعزيز بن محمد بن سعود وفارق الشريف وزيره عثمان بن عبد الرحمن المضايفى وخرج من مكة وترك

---

(١) Burkhardt, J.L., op. cit., p. 326.

(٢) أحمد بن زينى دحلان ، السابق ، ص ٢٧١ .

الشريف ونابذه ووفد على عبد العزيز وبايعه على دين الله ورسوله والسمع والطاعة »[١] وهكذا نرى أن ابن بشر لم يذكر لنا ما هى الأسباب التى دعت عثمان إلى القيام بهذا العمل فى وقت بدأت الدرعية تحرك جيوشها صوب الحجاز .

ولا نستبعد حدوث وفاق بين سلطات الدرعية وبين عثمان المضايفى خاصة وأن هذا العمل كان أحد أساليب الدرعية فى محاربتها لأعدائها فقد سبق لها كما رأينا أن جربت هذا الأسلوب مع بنى خالد وساعدها على النجاح إلى حد كبير . ولابد أن عثمان المضايفى قدر حقيقة الموقف وأدرك أن جانب الأشراف هو الخاسر لمعركة المصير فى النهاية فلا عليه أن يحصل لنفسه على بعض المكاسب وطمع فى أن يتولى إمارة الحجاز تحت سيطرة الدرعية التى لابد أنها شجعته على القيام بمثل هذه العمل ومنته بما أراد[٢] .

وكان لانشقاق عثمان أثر كبير فى إضعاف كفة الأشراف فعلى إثر إعلانه الانشقاق ونزوله قرية العبيلا المعروفة بين الطائف وتربة انضمت إليه كثير من قبائل الحجاز وأعلنت خروجها على الأشراف وأرسل عثمان إلى الدرعية يطلب منها أن تمد له يد العون ضد الشريف غالب[٣] . وصدرت أوامر الدرعية إلى قوادها فى بيشة ورنية وغيرها بالمسير لمساعدة عثمان . وتمكنت القوات السعودية من الاستيلاء على الطائف بعد هجوم صاعق عليها ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م[٤] . وفرار الشريف غالب منها بقواته صوب مكة . وأرسل عثمان المضايفى خمس غنائم الطائف إلى الدرعية التى صدر قرارها بتولية عثمان بن عبد الرحمن المضايفى إمارة الطائف والحجاز[٥] .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٢٢ .

(٢) Jacqueline Pirenne, A la découverte de l'Arabie, p. 131.

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٤) Brydges, H.J., vol. 2, p. 30.

(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

إن عوامل الانقسام الداخلية التى كانت تحدث فى الجبهات التى يتصدى لها آل سعود وكانت من أبرز أسباب انتصارهم فى النهاية لأنها كانت تحدث خللا وضعفاً فى هذه الجبهات فاتحاد العناصر المنشقة مع أتباع الدعوة السلفية فى هذه الجبهات كان يمهد الطريق أمام القوات السعودية ويساعدها فى إحراز كثير من الانتصارات على أعدائها وهذا ما حدث فى جبهة الحجاز . فوجد العناصر السلفية والعناصر الساخطة على حكم الأشراف الذين أنهكهم الصراع فيما بينهم . وانشقاق عثمان المضايفى . كل هذه العوامل التى مهدت للنفوذ السعودى أن يمتد حتى الطائف التى تعتبر نقطة وثوب إلى مكة مركز الشرافة

فتح مكة :

قرر آل سعود وضع حد للصراع القائم بينهم وبين الشريف غالب ولذا قاد الأمير سعود جيشاً كبيراً انضم إلى القوات السعودية التى قامت بعملية الاستيلاء على الطائف وزحفت هذه القوات السعودية إلى مكة بهدف الاستيلاء عليها وتحطيم قوة الشريف غالب الذى كانت مكاتباته فى تلك الفترة ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م تصل إلى استانبول وإلى مختلف الجهات تصف آل سعود بأنهم كفار خارجون عن الدين[١] وتجب محاربتهم والقضاء على بدعتهم بالإضافة إلى أنه حاول فى هذا العام ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م إغراء الحجاج بالحرب معه ضد القوات السعودية وهم الحجاج الشاميون والمصريون والمغاربة وإمام مسقط بالوقوف إلى جانبه ، ولكنهم فى النهاية أثروا الرجوع إلى بلادهم سالمين ولم يدخلوا القتال معه ضد القوات السعودية التى كانت تحاصر مكة . كما غادر مكة صنجق جدة ومن معه من الجنود الأتراك[٢] . ولم يستطع الشريف غالب الصمود أمام القوات السعودية فانسحب إلى جدة وأخلى السبيل أمام الأمير سعود ليدخل مكة ويعلن الأمان لأهلها . وأمر بتطبيق مبادىء الدعوة السلفية

---

(١) Ali Bey, Travels of Ali Bey, vol. 2, p. 63.

(٢) أحمد السباعى ، تاريخ مكة ، ج ١ ، ص ٣٤٨ .

فهدمت القباب والمشاهد التى على القبور وأمر أيضاً بتدريس كتاب كشف الشبهات للشيخ محمدبن عبد الوهاب فى المسجد فى حلقة عامة يحضرها العلماء والأهالى[١]. وبعد أن تم إخضاع مكة للنظام السعودى. زحفت القوات السعودية إلى جدة لمحاصرة الشريف غالب والتضييق عليه ولكنها لم تنجح فى ذلك الوقت فى فتح جدة نظراً لمناعة أسوارها[٢]. وأمر سعود برفع الحصار عنها وبعد أن رتب حامية سعودية فى مكة عاد إلى الدرعية تاركاً الأمر إلى الحكام المحليين المعينين من قبل الدرعية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشريف غالب استغل فرصة رحيل القوات السعودية الأساسية عن مكة فأسرع بمهاجمتها واستردها ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م بعد أن أمن الحامية السعودية الموجودة بها[٣].

وصل نبأ استرداد الشريف غالب لمكة إلى الدرعية فى الوقت الذى كان الأمر فيها قد أصبح بيد سعود على إثر اغتيال والده بيد أحد الأكراد ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م ولذا كان أول ما فعله حاكم الدولة الجديد بالنسبة للصراع الدائر فى الحجاز أن أصدر أمره ببناء قلعة عسكرية فى وادى فاطمة بالقرب من مكة لتكون بمثابة برج مراقبة ترصد منه حركات الشريف غالب ووضع الخطط المضادة لها وتضييق الخناق على الشريف حتى يستسلم. وكان بناء القلاع العسكرية قد أثبت نجاحه مع آل سعود فى أثناء حروبهم ضد المدن النجدية ومدن الأحساء. وفعلاً تم بناء هذه القلعة العسكرية فى وادى فاطمة ١٢٢٠ هـ — ١٨٠٥ م[٤]. وصدرت أوامر الدرعية إلى عبد الوهاب أبو نقطة أمير المع وعسير ونواحى

---

(١) المرجع نفسه، ص ٣٤٩.

(٢) Burkhardt, Notes on Bedouins and Wahaby, p. 322.

(٣) أحمد السباعى، المرجع السابق، ص ٢٤٩.

Ali Bey, vol. 2 p. 135.

(٤) صلاح الدين المختار، تاريخ المملكة العربية السعودية، ج ١، ص ٨٩.

تهامة بأن يسير إلى جدة ليكون قائداً عاماً للجيوش السعودية التى أعدت لحرب الشريف غالب ، وتمكنت القوات السعودية من هزيمة قوات الشريف غالب وواصلت قوات الدرعية التقدم صوب مكة ومحاصرتها وأصبحت الطرق المؤدية إليها من جميع الجهات مسدودة مما كان له تأثير سيء على الحالة الاقتصادية فى مكة وعم الجوع واشتد الغلاء ففضل معظم السكان الهروب والالتجاء إلى الجيوش السعودية حتى إن كثيراً من الأشراف دخل فى طاعة آل سعود ولم يعد يوجد فى مكة القوة الكافية للدفاع عنها « حتى شوهد الصف الأول فى المسجد لا يتكامل من المصلين فى أوقات الصلاة »[1] وأدرك الشريف أنه لم يعد فى إمكانه الوقوف أمام قوة الدرعية فأرسل يطلب الصلح وقبل أن يبقى فى إمارته تابعاً للدرعية منفذاً لنظمها وتم الصلح بين الطرفين[2] . وعلى أثره دخلت القوات السعودية مكة وفتحت الطرق المؤدية إليها وراجت حالتها الاقتصادية .

ورغم أن الشريف غالب أصبح أميراً سعودياً إلا أن أموراً بدت منه جعلت الدرعية تشك فى نواياه وترتاب فى إخلاصه ومن بين هذه الأمور :

أولاً : أبقى بعض الجنود من الترك والمغاربة وغيرهم من الخارج وأظهر أن باشا الحاج عبد الله العظم هو الذى رتبهم بأمر الدولة العلية .

ثانياً : قيام الشريف غالب بتحصين جدة بالبناء وإحاطتها بخندق ومنعه النجديين من دخولها . وبقائه بها معظم أيامه[3] .

أثارت هذه الأعمال تساءل الدرعية . لماذا إبقاء جند الترك ؟ ولماذا تحصين جدة وبقاء الشريف بها معظم الأيام وهى ميناء بحرى ؟ مع أن مركز إمارته هى مكة لا جدة ؟ لا بد أن فى الأمر شيئاً يضمره الشريف غالب . ومن الأهمية أن

---

(١) أحمد السباعى ، تاريخ مكة ، ص ٣٥١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٥١ .

(٣) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

نؤكد أن استيلاء القوات السعودية ١٢٢٠هـ — ١٨٠٥ م[١] على المدينة المنورة وإقامتها لمبادىء الدعوة السلفية واستيلائها على ما فى الحجرة النبوية من مجوهرات . جعل مركز الشريف غالب أمام الدولة العثمانية حرجاً . وأرادت الدرعية أن تضعه أمام الأمر الواقع فصدرت أوامرها ١٢٢١ هـ — ١٨٠٦م بمنع محامل الحاج التى تأت من جهة الشام واستانبول ومصر والعراق . ورجع عبد الله باشا العظم بالمحمل بعد أن وصل إلى حدود المدينة المنورة[٢] . وحج الأمير سعود فى نفس العام وأمر بإخراج من كان فى مكة من الجنود الأتراك وكان فى هذا العمل تحد من جانب آل سعود للدولة العثمانية التى كانت لها السيادة على الحرمين . وسار سعود إلى المدينة المنورة وطرد منها من يخشى منهم على نفوذ الدرعية ورتب فيها حامية سعودية . وقام بطرد القاضيين التركيين من مكة والمدينة وأعلن إنكار وجود أية سلطة روحية للخليفة العثمانى على الحرمين[٣] .

وبذلك تم الأمر لآل سعود فى جميع أنحاء الحجاز وأصبحت الحاميات السعودية توجد فى كل مدن هذا الإقليم ودخل الحرمان فى حوزة أملاك الدولة العربية الجديدة . ورغم أن الشريف غالب قبل أن يكون أميراً سعودياً إلا أنه لم ينقطع عن دس الدسائس ضد آل سعود[٤] . واتهمه عبد الله بن سعود فيما بعد بأنه استمر يراسل الدولة العثمانية ويزوِّر لها فى رسائله إمضاءات الأمير سعود برسائل يوجهها إلى السلطان باسم سعود يستثيره فيها[٥] واستمر على حاله هذه

---

(١) Gerald de Gaury,, Arabia Phenix, p. 95.
All Bey, vol. 2, p. 159.

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٣٧ .

(٣) Lady Anne Blunt, A Pilgrimage to Najd, V., p. 252.

(٤) أمين الريحانى ، تاريخ نجد الحديث ، ص ٧٢ .

(٥) دار الوثائق القومية ، من عبد الله سعود إلى محمد على ، محفظة رقم ٤/٣٢ بحريرا صورة عربية أصلية بدون تاريخ .

حتى وصول القوات المصرية التى بوصولها يبدأ دور جديد فى تاريخ الحجاز والدولة السعودية .

وليس من شك فى أن هناك عوامل كثيرة ساعدت آل سعود فى عملية ضم الحجاز إلى أملاك دولتهم ، لابد من مناقشتها حتى تتضح لنا الصورة كاملة .

أولا : كراهية كثير من القبائل الحجازية لحكم الأشراف الذين كان الصراع فيما بينهم سبباً فى إيجاد روح العداء بين كثير من القبائل ، وإرهاق السكان بما ليس فى طاقتهم ، بالإضافة إلى ما عرف عن الشريف غالب الذى حدث الغزو السعودى للحجاز فى عهده من الشح وعدم إشراكه قبائل الحجاز فيما يحصله من الأرباح الوفيرة التى تحققها له مواسم الحج . كل هذه الأسباب حدت بمعظم القبائل الحجازية بالانضمام إلى جانب آل سعود لعلها تجد فيهم وفى حكمهم خيراً من الأشراف وحكمهم وكان هذا من أهم العوامل التى ساعدت آل سعود فى ضمهم للحجاز .

ثانياً : انتشار مبادىء الدعوة السلفية بين كثير من سكان الحجاز حيث أن بعض العناصر أقبلت على اعتناق مبادىء التوحيد قبل أن يصل نفوذ آل سعود إليها ، ومهدت هذه العناصر الطريق أمام سلطان الدرعية حيث أنها أصبحت على وفاق مع آل سعود من الناحية الدينية وعند ما أتيحت لهذه العناصر فرصة الاتصال بآل سعود فإنها سرعان ما أعلنت ولاءها التام لسيطرة الدرعية .

ثالثاً : ازدياد النفوذ السعودى فى عسير وتهامة وشمال اليمن كان أحد العوامل التى شجعت آل سعود على استمرار عملياتهم الحربيةفى الحجاز حتى تم لهم إخضاعه خاصة وأن قبائل عسير القوية أصبحت تعاضد الحركات السعودية بل وأصبح لرئيسها فى الأدوار النهائية من عملية فتح الحجاز أمر قيادة الجيوش السعودية فى عمليات الحجاز . بالإضافة إلى أن الحجاز أصبح فى وضع المحاصرمنذ

أن أصبحت عسير وتهامة وشمال اليمن تخضع لنفوذ الدرعية فقد أصبح النفوذ السعودى يضرب حصاراً على الحجاز من الجنوب والشرق والشمال وكان هذا من أبرز العوامل التى عجلت بخضوع الحجاز لسلطان الدرعية .

رابعاً : موقف الدولة العثمانية السلبى من العمليات السعودية فى الحجاز فهى لم تمد يد المساعدة للشريف غالب واعتمدت على ولاتها فى بغداد والشام للقيام بعملية محاربة الدرعية وهدم كيانها ولم يقدر لهؤلاء الولاة النجاح فى هذه المهمة التى كلفوا بها كما سنرى فى حينه .

ولم تكن ظروف الدولة نفسها تسمح لها فى ذلك الوقت بتجريد جيوشها لمحاربة السعودية فقد كانت مشغولة بعصيان الانكشارية فى بلغراد وثورات الصربيين فى بلاد الصرب والغزو الفرنسى لمصر واعتداءات روسيا على البلاد المتاخمة وغزو الإنجليز للدردنيل[1] ثم مصر سنة ١٢٢٢هـ — ١٨٠٧ م كل هذه المشاكل التى كانت تعيشها الدولة العثمانية جعلتها تصم آذانها عن نداءات الشريف غالب ، مما أتاح الفرصة أمام القوات السعودية أن تنجح فى النهاية فى ضم الحجاز لسلطانها .

خامساً : ومن الأهمية أن نؤكد أن السياسة التى اتبعها الشريف غالب نفسه فى محاربة آل سعود كانت أحد الأسباب التى ساعدتهم فى نجاحهم على إخضاع الحجاز لنفوذهم فهو يحاربهم تارة ويهادنهم تارة أخرى مما كان يتيح لهم فرصة إعداد قوتهم إعداداً أكثر قوة وقدرة بالإضافة إلى أن سياسته إزاء القبائل كانت سبباً فى تنفير معظم هذه القبائل منه فأعلنت خروجها على طاعته وانضمت إلى جانب الدرعية حتى إن وزيره وقائده قام بمثل هذا العمل كما رأينا سابقاً وليس من شك فى أن ذلك أضعف من جانب الشريف غالب فى الوقت الذى وصلت فيه قوة آل سعود إلى درجة كبيرة وأصبحت قوتهم القوة الوحيدة

---

(١) أحمد السباعى ، تاريخ مكة ، ص ٣٥٠ .

القادرة على التحرك على أرض الجزيرة العربية فى ذلك الوقت . تلك فى رأينا أهم العوامل التى مكنت آل سعود من النجاح فى ضم الحجاز إلى أملاك دولتهم ، ولقد ترتب على نجاح آل سعود فى إخضاع الحجاز لسلطانهم وإشراف دولتهم على إدارة الحرمين الشريفين نتائج خطيرة كانت ذات أهمية كبيرة فى تاريخ دولتهم بل وفى التاريخ العربى الحديث ومن أهم هذه النتائج :

أولا : انقطاع وصول قوافل الحج من مصر والشام والعراق واستانبول لأن السعوديين كانوا يرون فيما يصحب هذه القوافل من المظاهر ما يخالف قواعد الدين ولا يتفق مع مبادىء الدعوة السلفية بالإضافة إلى أن هذه المحامل كان يصحبها قوة عسكرية خشى منها آل سعود ولذلك لم يسمح السعوديون لهذه القوافل بأن تصل إلى الأماكن المقدسة . مما كلف أهل الحجاز كثيراً من الخسائر المادية علاوة على انقطاع المساعدات التى كانت تصل إليهم من الأوقاف فى الولايات العثمانية(١) . وليس من شك فى أنه كان لهذا التصرف الذى قام به السعوديون إزاء قوافل الحج الإسلامية أثر سىء فى العالم الإسلامى الذى أزعجه استيلاء السعوديين على الحرمين الشريفين .

ثانياً : ترتب على استيلاء السعوديين على الحجاز وخضوع الحرمين لسلطان الدرعية أن شعرت الدولة العثمانية بخطورة حركة آل سعود . ورأت فى خروج الحرمين الشريفين عن دائرة نفوذها صفعة قوية موجهة لها حيث أن ذلك يفقدها الزعامة التى تتمتع بها على العالم الإسلامى بحكم إشرافها على هذين الحرمين اللذين حرص خلفاؤها على تلقيب أنفسهم بلقب خادم الحرمين الشريفين(٢) . ولذا بدأت تهتم اهتماماً جدياً بأمر القضاء على نفوذ آل سعود

---

(١) دكتور صلاح العقاد ، دعوة حركات الإصلاح السلفى ، المجلة التاريخية جـ ٧ ص ٩٨ .

(٢) R. Bayly Winder, Saudi Arabia, in 19 Century, p. 7.

وإرجاع الأماكن المقدسة إلى حوزتها وإن لم تجرد جيوشها المباشرة لهذا العمل وإنما اعتمدت فى ذلك على ولاتها فى العراق والشام وأخيراً مصر .

ثالثاً : ترتب أيضاً على خضوع الحجاز لسلطان الدرعية أن أصبحت أملاكها تمتد من الخليج العربى شرقاً إلى البحر الأحمر غرباً ، وزادت بالتالى مواردها الاقتصادية مما جعلها تتطلع إلى ما وراء حدود شبه الجزيرة العربية أى إلى العراق والشام كما سنرى ، وقد قدر دخل آل سعود من الحجاز بمائتى ألف ريال سنوياً .

وليس من شك فى أن هذا المبلغ يعتبر بمقياس العصر مبلغاً ضخماً ، وعلى كل فإن نجاح آل سعود فى ضم الحجاز لنفوذهم كان له أثر اقتصادى كبير بالإضافة إلى آثاره الدينية والسياسية . ولكن يجب أن نذكر أن الحجاز فى النهاية كان هو الصخرة الأولى التى تحطمت عليها قوة الدرعية . بل إننا لا نغالى فى شىء إذا ذكرنا أن نجاح آل سعود فى ضم الحجاز إلى أملاكهم وإشرافهم على إدارة الحرمين وإن كان ذلك لفترة قصيرة إلا أنه كان المسمار الأول الذى دق فى نعش الدولة السعودية الأولى وقادها إلى سبيل انهيارها فقد نبه إلى خطورتها وأوحى بأهمية القضاء عليها سريعاً كما سنرى ذلك فى حينه .

الفصل السابع

آل سعود واليمن

---

١ — تمهيد
٢ — آل سعود والمخلاف السليماني
٣ — الشريف حمود وآل سعود
٤ — الشريف حمود يضم أجزاء من اليمن باسم آل سعود
٥ — الشريف حمود يسعى للانفصال عن إمارة عبد الوهاب
٦ — الشريف حمود يعلن انشقاقه عن الدرعية
٧ — القوات السعودية تحارب حمود
٨ — نتائج التدخل السعودي في اليمن

الفصل السابع

آل سعود واليمن

تمهيد :

إن دراسة العلاقة بين آل سعود واليمن ، توجب منذ البداية أن نضع فى الاعتبار عدة عوامل دفعت آل سعود وشجعتهم على التدخل فى شئون اليمن ، والعمل على ضمه إلى أملاك دولتهم ، فى أثناء توسعهم داخل أراضى شبه الجزيرة العربية ومن بين هذه العوامل :

أولا : ازدياد قوة آل سعود بصورة سريعة ومتلاحقة فقد نجحوا فى ضم معظم مناطق شرق الجزيرة ، وقضوا على معظم الكيانات السياسية الصغيرة التى كانت توجد بهذه المناطق ، وأضعفوا البقية الباقية منها ودخلوا معها فى صراع مرير حتى أصبحوا القوة الأولى فى الجزيرة ، وأما عن الجبهة الغربية من جزيرة العرب فإنه فى الوقت الذى بدأت قواتهم تدخل فيه حدود اليمن ، كانوا قد نجحوا أو كادوا فى إخضاع الحجاز كلية إلى سيطرتهم المباشرة ، ولكن من المؤكد أن قوتهم أصبحت تطل على البحر الأحمر . وأصبح الحرمان الشريفان تحت سيطرتهم ، وترتب على هذا أن غدت الدولة السعودية الأولى تشكل أعظم قوة سياسية وحربية على أرض جزيرة العرب ، فأغرى ذلك النجاح آل سعود فى العمل على ضم اليمن إلى حوزة أملاكهم ، حتى يعيدوا إلى الجزيرة العربية وحدتها الأولى . ومما شجعهم على التفكير فى ذلك العمل ما كان لليمن من أهمية اقتصادية كبيرة فى ذلك الوقت نظراً لما كانت تعمر به موانيه من أنواع التجارات التى يأتى بها إليه التجار الهنود وغيرهم[1] .

---

(1) Burkhardt, Travels in Arabia, pp. 312-320.

ثانياً : أدرك آل سعود وضع اليمن السياسي فى ذلك الوقت وما حل بأئمة صنعاء الزيديين من ضعف نتيجة للصراع والتنافس بين مشايخ القبائل والأئمة من جهة ، وبين القبائل اليمنية فيما بينها من جهة أخرى . وأدى ذلك بدوره إلى استمرار الحروب المحلية فترة طويلة أضعفت فى النهاية نفوذ أئمة صنعاء[١] الذين استقلوا باليمن منذ ١٠٥٤هـ — ١٦٤٤ م عن الدولة العثمانية[٢] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المذهب الزيدى ، منذ دخوله اليمن فى القرن الثالث الهجرى العاشر الميلادى ٢٨٨ هـ — ٩٠٠ م على يد يحيى بن الحسين بن القاسم الرسى الذى سمى بالهادى[٣] .وقد ساعد هذا المذهب على خلق وحدة عقائدية مترابطة . إلا أن المبادىء الزيدية نفسها كانت تسمح بوجود ثغرة فى البناء السياسى للامامة ، وصارت موضع تأويلات وتفسيرات كثيرة لخدمة أغراض شخصية[٤] أدت فى بعض الأحيان إلى تعدد الإمامات وانقسام الدولة نفسها ، بالإضافة إلى الكراهية الشديدة التى أوجدتها بين سكان تهامة الشوافع وبين أتباع المذهب الزيدى سكان المرتفعات[٥] .

هذه التناقضات التى وجدت فى داخل اليمن ، بجانب تشكيله القبلى ، أدت إلى ضعف قواه فى الوقت الذى أخذت فيه تشكيلات الدرعية السياسية والحربية تأخذ سبيلها إلى القوة والازدهار .

وشجع ضعف أئمة صنعاء وعدم سيطرتهم سيطرة تامة على مقدرات البلاد إلى استقلال كثير من مناطق اليمن وانفراد شيوخ القبائل والأمراء المحليين

---

(١) دكتور السيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن ، ص ٢٠ .

(٢) د. أحمد فخرى ، اليمن ماضيها وحاضرها ، ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٣) عمارة اليمنى ، تاريخ اليمن ، ص ١٣٥ — ١٣٦ .

R.H. Kiernan, L'exploration de l'Arabie, pp. 76-77.

(٤) دكتور السيد مصطفى سالم ، تكوين اليمن الحديث ، ص ١٩ .

(٥) H. St. Philby, Saudi Arabia, p. 107.

بالسلطة دون إمام صنعاء ، واستمرت هذه الظاهرة طوال القرن الثامن عشر ، أى صاحبت فترة قيام الدولة السعودية وتوسعها . فقد أعلن شريف أبو عريش (جازان حالياً) استقلاله بتهامة اليمن : بعد أن كانت أسرته تحكم المخلاف السليماني تحت إشراف الأئمة الزيديين منذ ١١٠٢ هـ — ١٦٩٠م [١] . كما أن حاكم لحج أعلن استقلاله سنة ١١٤٥ هـ — ١٧٣٢ م [٢] ، واستولى على عدن وضمها إليه ، وتكررت هذه الظاهرة فى كثير من المناطق اليمنية الأخرى .

ونستطيع أن نؤكد أن نفوذ أئمة صنعاء قد وصل إلى درجة كبيرة من الضعف فى الربع الأخير من القرن الثامن عشر أى منذ أن ولى أمر الإمامة المنصور على بن العباس ١٢٢٤هـ — ١٨٠٩م [٣] فتذكر المصادر أن عصره كان عصر تغلب أمراء النواحى والأطراف [٤] . ويتحدث الشيخ عبد الواسع بن يحيى المؤرخ اليمنى عنه عن سياسته فيقول « سلك مسلك الملوك وجعل له ثلاثة وزراء وولاهم جميع الأمور ، ولم يشتغل بشىء من أمور مملكته إلا بالعماير والإصلاحات فى صنعاء وحولها من المحلات المشهوره وكان من دأبه الاحتجاب والميل إلى مجالسة النساء من الحراير الإماء . وكان من دأبه الكرم والضيافة والتفقد للأرامل وذوى الحاجات واستمرت إمارته فى سعادة وإقبال إلى ١٢١٦هـ — ١٨٠١ م ثم تلاشت عليه الأمور بخروج التهايم وثورها إلى الخوارج (السعوديين) . ومن نجد قامت الفتنة وعظمت المحنة بقيام عبد العزيز وولده سعود . . . فخرجوا على تهامة وغلبوا الأشراف وكثر منهم النهب والقتل وقطع الطرق ، وحوصرت صنعاء ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م محاصرة شديدة وكاد

---

(١) محمد بن أحمد عيسى ، من تاريخ المخلاف ، جـ١ ، ص ٤٠٤ .

(٢) Hogarth, Arabia, p. 99.

(٣) عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٠ .

(٤) محمد بن يحيى الحسنى ، نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر ، جـ١ ، ص ١٤١ .

أن يهلك أهل صنعاء »[١] .

وهكذا نجد أنه فى الوقت الذى بدأ آل سعود يتدخلون فيه فى شئون اليمن كان نفوذ إمام اليمن قد تقلص كثيراً وأصبح قاصراً على منطقة صنعاء وما حولها ولم يعد الإمام يهتم إلا بهذه المناطق . وترك بقية بلاده لسيطرة الأمراء المحليين وشيوخ القبائل . وأصبح الوضع السياسى فى اليمن مفككاً بصورة شجعت آل سعود على التدخل فى شئون اليمن[٢] . أملا فى إضافة مكاسب سياسية واقتصادية جديدة إلى ما حصلت عليه من قبل . ويجب ألا نغفل أن السياسة البريطانية آنذاك كانت تسعى إلى بسط سيطرتها على موانى البحر الأحمر لتأمين مواصلاتها وتجارتها مع الشرق فى ذلك الوقت واتخذت من الحملة الفرنسية على مصر وسوريا ذريعة لذلك ، فأسرعت باحتلال جزيرة بريم عند باب المندب جنوب البحر الأحمر ولصعوبة التموين فى هذه الجزيرة وطبيعتها الصخرية ، نقلت الحامية البريطانية مركز تموينها إلى ثغر عدن بالاتفاق مع سلطان لحج الذى وقع مع المبعوث البريطانى السير بوبهام اتفاقية حول هذا الوضوع ، مما حدا بأحد اللوردات ويدعى فالنسيا بالقول بأن عدن ستكون جبل طارق الشرق[٣] ولا شك أنه كان لسيطرة الإنجليز على مدخل البحر الأحمر ومحاولاتهم احتلال ثغور اليمن تأثير كبير على وضع اليمن الاقتصادى السياسى آنذاك .

ثالثاً : من بين العوامل التى شجعت آل سعود على التدخل فى اليمن إدراكهم وجود تعاطف بين بعض علماء اليمن وبين المبادى التى دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وصل إلى حد الإعجاب والإيمان بهذه المبادىء منذ فترة

---

(١) عبد الواسع بن يحيى ، تاريخ اليمن ، ص ٦٠ .

(٢) Playfair, R.L., A History of Arabia, pp. 127-128.

(٣) دكتور محمد أحمد أنيس ؛ دكتور السيد رجب حراز ، الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، ص ١٠٢ .

مبكرة من تاريخ الدعوة . ولم يقف هذا التعاطف عند حد الإعجاب بمبادىء الدعوة ، وإنما تعداه إلى الإشادة بجهود آل سعود الحربية فى سبيل نشر هذه المبادىء . وأعلن هؤلاء العلماء تأييدهم لكل جهود الدرعية فى هذا الميدان .

وكان أول من أبدى هذا التعاطف أحد علماء صنعاء نفسها الشيخ محمد ابن اسماعيل الصنعانى فقد أرسل إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب قصيدة طويلة أظهر فيها إعجابه وأثنى على الشيخ لقيامه بالدعوة إلى التوحيد وإقامة شرائع الإسلام فقال :

سلامى على نجد ومن حل فى نجد ... وإن كان تسليمى على البعد لا يجدى
سرت من أسير ينشد الريح إن سرت ... ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد
قفى واسألى عن عالم حل سوحها ... به يهتدى من ضل عن منهج الرشد
وقد جاءت الأخبار عنه بأنه ... يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدى
لقد سرنى ما جاءنى من طريقه ... وكنت أرى هذى الطريقة لى وحدى
فيرميه أهل الرفض بالنصب فرية ... ويرميه أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه أتى ... بتحكيم قول الله فى الحل والعقد[1].

وكان لوفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أثر عميق فى نفوس هؤلاء العلماء حتى أن العلامة محمد بن على الشوكانى الزبيدى رثاه بقصيدة طويلة وبعد أن عزى آله . أشاد فى نفس القصيدة بآل سعود وجهودهم فى سبيل نشر الدعوة فقال :

مصاب ذابت حشاشة مهجتى ... وعن حمله قد كل متنى وكاهلى
فقد مات طود العلم قطب رحى العلا ... ومركز ادوار الفحول الأفاضل
أفق يا معيب الشيخ ماذا تعيبه ... لقد عبت حقاً وارتحلت بباطل

(١) محمد حامد الفقى ، أثر الدعوة الوهابية ، ص ٧٣ - ٧٤ .

أفيقوا أفيقوا إنه ليس داعياً إلى دين أباء له وقبـــائل
دعا لـكتاب الله والسـنة التى أتانا بها طه النبى خير قائل

وبعد أن عزى آل الشيخ فى مصابهم قال فى آل سعود :

وأضافها للمقرنيين كلهم هداة الورى من محتدى فرع وائل
هم النـاس أهل البأس يعرف فضلهم جميع بنى الدنيـــا فما للمجادل
لقد جاهدوا فى الله حق جهاده إلى أن أقاموا بالظبى كل مائل
لقد نصروا دين الإله وحزبه كما دافعوا داعى الهوى بالقنابل[1]

ووجود هذا التعاطف بين علماء اليمن والدعوة السلفية وآل سعود فى وقت لم يكن فيه نفوذ الدرعية قد وصل بعد إلى حدود اليمن ، ولم يكن الأمر قد استقام لها فى نجد نفسها يؤكد حقيقتين هامتين : أولاهما ، أن بعض علماء اليمن ومن بينهم علماء صنعاء نفسها أصبحوا فى شبه ثورة على الأحوال السائدة فى بلادهم ، ولم تعد نفوسهم راضية عن نظام الإمامة والجمود الذى أصبحت تعيش فيه ، ولذا كانت تهفو إلى الإصلاح الذى يشد من أزرهم فى معارضتهم للامامة حتى ولو أتى هذا الإصلاح من خارج حدود اليمن .

أما الحقيقة الثانية، فهى تأكيد ما وصلنا إليه سابقاً من أن انتشار مبادىء الدعوة السلفية كان دائماً سابقاً لانتشار نفوذ آل سعود السياسى بل إن سبق الدعوة إلى كثير من المناطق كان من العوامل التى دفعت آل سعود إلى هذه المناطق وشجعتهم على غزوها ومهدت لهم السبل إليها .

وبالإضافة إلى هذه العوامل يجب ألا نغفل أن الدرعية كانت تريد أن تحطم قوة قبائل نجران اليمنية التى قامت ضدها بدور عدائى طوال فترة توحيدها لإقليم نجد وحمل أفراد هذه القبائل كجنود مرتزقة ضـدها . وأصابت عملياتهم

---

(١) محمد حامد الفقى ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

الفجاح فى بعض الأحيان ولم يكن من السهل على آل سعود أن ينسوا الهزيمة التى أنزلها حسن بن هبة الله المكرمى بقواتهم فى عهد الأمير محمد بن سعود[١] ١١٧٨هـ — ١٧٦٥ م وكاد أن يحطم الدرعية ويقضى على قوتها آنذاك لولا السياسة الحكيمة التى اتبعها الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ذلك الوقت ، واستطاعا عن طريقها صد هذا الخطر وإبعاده عن منطقتهم[٢].
ولم تكن هذه المحاولة نهاية المطاف فى أعمال قبائل نجران العدائية ضد آل سعود وإنما أمد هؤلاء يد العون لكثير من مدن نجد التى كانت تعارض نفوذ الدرعية . ووصل الأمر بحسن بن هبة الله المكرمى زعيم قبائل نجران فى بعض الأحيان أن يعقد اتفاقاً مع سعدون بن عريعر صاحب الأحساء ضد الدرعية بهدف تحطيمها وإن نجح آل سعود فى القضاء على هذا الاتفاق كما سبق أن أوضحنا ذلك ولم يتمكنوا قوات الحلف من الاجتماع ضدهم وباء الاتفاق بالفشل .

ولقد كانت هجمات قبائل نجران تهديداً مباشراً للدرعية فى مراحل نمو نفوذها الأولى . حتى إن الأمير محمد بن سعود توفى ١١٧٩ هـ — ١٧٦٥ م وهو يخشى جانب قبائل نجران وخاصة قبائل يام المشهورة بوحشيتها وشدة ضراوتها على دولته الوليدة .

واستمرت عمليات هذه القبائل الفدائية ضد نفوذ الدرعية حتى نهاية القرن الثامن عشر . ولا بد أن الدرعية حينما وصلت قوتها إلى الدرجة التى أصبحت عليها فى مطلع القرن التاسع عشر . فكرت فى تحطيم قوة قبائل نجران وكان هذا التفكير من بين العوامل التى دفعتها إلى توجيه قوتها صوب اليمن .

---

(١) حسين بن غنام ، تاريخ نجد ، ص ١٢٠ — ١٢١ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢١ .

وإذا كنا بصدد دراسة علاقة آل سعود باليمن بشيء من الدقة والعمق، فيجب علينا أن نعرض أولا بإيجاز لامتداد نفوذهم إلى عسير وتهامة حيث أنه من هذه المنطقة بدأ انطلاق النفوذ السعودى إلى شمال اليمن وبالتالى هدد كثيراً من مناطقه .

ويجب أن نشير إلى أننا لم نجد فى المصادر المعاصرة تحديداً معيناً لتاريخ إمتداد النفوذ السعودى إلى منطقة عسير . إلا أن هناك دلائل تشير إلى تسربه لهذه المنطقة منذ نهاية القرن الثامن عشر عن طريق انتشار المبادىء السلفية بين بعض قبائل هذه المنطقة . فقد كان النفوذ السعودى فى تلك الآونة قد وصل إلى مناطق بيشة ورنية والدواسر فى جنوب الحجاز وهى المناطق التى تتاخم منطقة عسير .

وبعد أن انتشرت مبادىء الدعوة بين بعض قبائل عسير وأصبحت تؤيد عمليات آل سعود . وصل وفد من عسير إلى الدرعية وطلب من الأمير سعود أن يرسل معه بعض علماء الدعوة لتعليم أهل عسير أمور الدين أصولا وفروعاً[1] . ورحبت سلطات الدرعية بطلب وفد قبائل عسير ورأت فيه كسباً جديداً لها . واختارت بعض علمائها للذهاب مع وفد عسير إلى دياره .

وترتب على وصول علماء الدرعية إلى عسير حدوث انشقاق بين قبائل المنطقة فإن بعض القبائل كانت تعارض انتشار المبادىء السلفية ونفوذ آل سعود فى مناطقها ويذكر صاحب لمع الشهاب أن « قبائل عسير تقاتلت والظفر يقع من جانب القوم الذين تابعوا سعود . فازدادوا اعتقاداً كلما رأوا النصر ، حتى إنه البقية من عسير دخلوا فى الطاعة لسعود بغير حرب منه »[2] .

---

(١) لمع الشهاب ، (تحقيق أبو حاكمة) ، ص ١٣٤ .

(٢) نفسه ، ص ١٣٤ .

وليس من شك فى أن دخول قبائل عسير القوية فى طاعة آل سعود شد من أزر الدرعية فإن قوة هذه القبائل لعبت دوراً هاماً فى نجاح العمليات العسكرية السعودية فى الحجاز وبالتالى شجعتهم على توجيه عملياتهم ضد مناطق اليمن الشمالية . وخاصة المخلاف السليمانى . وكانت مبادىء الدعوة السلفية قد تسربت إلى بعض مناطق المخلاف وأصبح لها دعاة فيها . وهكذا أصبحت الظروف مهيأة أمام آل سعود للتدخل فى اليمن . وكانت منطقة المخلاف السليمانى هى المنطقة الأولى التى وصلت إليها السرايا السعودية .

آل سعود والمخلاف السليمانى :

وكلمة المخلاف تقابل المقاطعة . ووصفها بالسليمانى ترجع إلى نسبتها إلى سليمان بن طريف أحد ولاة المنطقة فى القرن الرابع الهجرى . وهذه المنطقة لها شهرة زراعية حتى إن الخبراء الزراعيين فى الوقت الحاضر أطلقوا عليها « سلة خبز المملكة السعودية » هذا بالإضافة إلى غناها بالثروة الحيوانية »[١] .

وقد وصلت مبادىء الدعوة السلفية إلى قبائل بنى شعبة فى المخلاف السليمانى عن طريق قبائل عسير ، ولقيت نجاحاً كبيراً بين هذه القبائل ، وكان لنجاحها أثر كبير على حياة السكان وبهرت مبادىء الدعوة الشيخ أحمد بن حسين الفلقى من أهل صبيا . فذهب إلى الدرعية نفسها ليتلقى مبادىء الدعوة ويتصل بآل سعود مباشرة . وفى الدرعية لقى ترحيباً من قبل الأمير عبد العزيز ابن محمد بن سعود . وطلب من الأمير أن ينتدبه من قبل الدرعية لنشر مبادىء الدعوة فى المخلاف . فأجابه الأمير عبد العزيز إلى طلبه وزوده بكتاب منه موجه إلى أهل المخلاف محتوياً على إيضاح لمبادىء الدعوة وأهدافها واتخذ الفلقى من هذا الكتاب وثيقة يعرضها على القبائل عند وصوله أرض المخلاف . أصبح

---

(١) محمد بن أحمد عيسى ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ٣٠ — ٤٦ .

الفلقي مندوباً سعودياً واستقر به المقام في وادي بيش عند قبائل الجعافرة [١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الفلقي جلب معه من الدرعية مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأخذ يقوم بتدريسها بين أتباعه وقام بمهمة الوعظ والإرشاد في المنطقة حتى سرت مبادىء الدعوة بين كثير من القبائل المجاورة وانتشرت في كثير من قرى المنطقة [٢] .

ترتب على جهود الفلقي أن كثيراً من القرى التي كانت تابعة لأمير صبيا اعتنقت مبادىء الدعوة ورأى سكانها أنه يجب عليهم التحلل من سلطة أمير صبيا لأنهم رأوا أنه لا يحق لمن لم يعتنق مبادىء الدعوة أن يكون له عليهم سلطاناً . وتذكر المصادر أن أهل مدينة صبيا نفسها بدأوا يتصلون بالفلقي ويعربون له عن رغبتهم في الدخول في سلك الدعوة [٣] .

وليس من شك في أن هذا التصرف من قبل سكان صبيا كان له خطورته على أمراء المخلاف المحليين ، كما يفسر حقيقة أخرى لها أهميتها وهي أن النجاح السريع الذي لقيته الدعوة بين سكان المنطقة حاضرهم وباديهم ساعد عليه كراهية هؤلاء السكان لأمرائهم ، نتيجة لإرهاقهم بالضرائب وللنزاع المستمر بين حكام المخلاف على السلطة . وترتب على ازدياد انتشار الدعوة ، أن أصبح السكان يرغبون في الخضوع إلى الدرعية قبل وصول قواتها إليهم .

ذاع أمر الدعوة حتى وصل إلى قبائل شهران في جنوب المخلاف ورغب عرار بن شار الشعبي من قبيلة بني شعبة في اعتناق مبادئها . فاتصل بأمير بيشه السعودي وعاهده على القيام بنشر هذه المبادىء في قبائل بني شعبة [٤] . وهذا

---

(١) محمد بن أحمد عيسى العقيلي ، من تاريخ المخلاف السليماني ، ص ٤٨٣ – ٤٨٤ .
(٢) نفسه ، ص ٤٨٤ .
(٣) نفسه ، ص ٤٨٤ .
(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٨٤ .

يؤيد ما ذكرناه سابقاً من أن انتشار النفوذ السعودى فى بيشه كان له أثر كبير على إمتداد هذا النفوذ إلى مناطق اليمن .

أصبح عرار بن شار أحد دعاة الدرعية فى قبائل بنى شعبة اليمنية ، ولم تكن المهمة التى تكفل عرار القيام بها سهلة أو هينة ، فقد وجد معارضة شديدة من بعض القبائل فاتصل بالدرعية وأوضح لها حقيقة الموقف الذى يواجهه . فأصدرت سلطات الدرعية أوامرها إلى القائد حزام بن عامر العجمانى بالتحرك إلى الجنوب على رأس سرية سعودية للوقوف بجانب عرار (١) .

وكانت سرية حزام أول قوة سعودية حقيقية تدخل حدود اليمن .

ووصل حزام إلى درب بنى شعبة والتقى بعرار ، ونسق القائدان العمل فيما بينهما وتمكنت القوة السعودية من إرغام المعارضين على الدخول فى طاعة آل سعود والخضوع لسلطان الدرعية وبذلك استقر الأمر لعرار بن شار كأمير سعودى فى المنطقة الممتدة من بلاد موسى وأهل قناوينى زيد وغيرهم من هل سافلة الحجاز إلى الشقيق وعتود فى اليمن (٢) .

وتمكن القائد حزام بالاتفاق مع الفلقى من توجيه ضربة قوية للخبت لأنها كانت تمثل مركز مقاومة لنفوذ آل سعود فى المنطقة . وأزعجت عمليات حزام الحربية سكان القرى والبوادى التابعين للأمير منصور بن ناصر صاحب حصن صبيا وطلبوا منه أن يصالح حزام الذى هدمهم فى معاشهم . وفى تلك الأثناء وصل الفلقى إلى الأمير منصور يحمل إليه إنذاراً من حزام يطلب إليه الخضوع للدرعية وإلا أصبحت دياره ديار حرب وجهاد ، طبقاً لتعاليم الدعوة السلفية (٣) .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٨٦ .

(٢) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٨٦ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٨٧ .

وهكذا نرى أن مركز أمير صبيا أصبح حرجاً للغاية . فأهل منطقته فى شبه ثورة عليه وفى نفس الوقت أصبح واقعاً تحت تهديد القوات السعودية المباشر . لذا قرر عرض الأمر على الأمير العام للمخلاف فى أبى عريش . وبعد مباحثات تقرر إرسال وفد يمثل جهات المخلاف الثلاث (أبو عريش ، ضمد ، صبيا) ليلقى حزام فى معسكره فى الحجرين ويفاوضه فى الأمر ووصل الوفد إلى معسكر القائد السعودى وتمكن من الاتفاق معه على أساس دخول المخلاف فى طاعة آل سعود وقيام أمرائه باتباع كافة نظم الدرعية الدينية والمالية والإدارية ، فقام القائد السعودى بتوزيع السلطة فى المخلاف على الوجه التالى :

أولا : الأمير يحيى بن محمد الخيراتى أميراً على منطقة أبى عريش مع قيامه بأمور الدعوة فيها .

ثانياً : الأمير منصور يقوم بالإمارة والدعوة فى منطقة صبيا عدا منطقة بيش والجعافرة التى داعيتها الفلقى .

ثالثاً : يقوم شيخ الإسلام أحمد بن عبد الله الضمدى بالإشراف العام على الشئون الدينية فى جميع مناطق المخلاف [١] .

وهؤلاء جميعاً من الأمراء المحليين الذين أعلنوا ولاءهم للدعوة ولآل سعود قام حزام بعد توزيعه الاختصاصات فى المخلاف على النحو السابق بإنهاء عملياته العسكرية عائداً إلى الدرعية ليضع أمام أمرائها صورة كاملة للموقف كما رسمه . والواقع أن الأمور لم تستقر فى المخلاف تماماً للدرعية ، كما لم تستقر بين أمراء المخلاف أنفسهم . فليس من السهل على المجتمع القبلى أن يسلم قياده بسهولة ويخضع لنظم مشتركة دون إيجاد التمهيد الكافى لهذا الأمر .

---

(١) المرجع نفسه ، ص ٤٨٨ .

وعلى أى حال فإنه نتيجة للصراع بين أشراف المخلاف انتهى الأمر بتنازل الأمير على بن حيدر عن إمارة المخلاف العامة لعمه الشريف حمود بن محمد الذى لقب بأبى مسمار . ورفع الأمر إلى إمام صنعاء لتتم له شكليات الحكم كما هو متبع فوردت الموافقة من الإمام على إقرار الوضع الجديد فى المخلاف[1] . وهذا التصرف من أمراء المخلاف يضعنا أمام تساءل ، لماذا طلب موافقة إمام صنعاء إذا كان أمراء المخلاف قد أعلنوا خضوعهم للدرعية ؟ إن التفسير المنطقى لهذا التصرف أن أمراء المخلاف لم يكونوا على صدق فى ولائهم لنفوذ آل سعود ونستطيع أن نصف ما حدث بينهم وبين القائد السعودى حزام بن عامر بأنه إتفاق هدنة بين طرفين متحاربين . ولا نستبعد أن وفد المخلاف قبل الاتفاق مع حزام وأقره على شروطه كسباً للوقت والاستعداد لجولة تالية تستطيع فيها قبائل المخلاف مواجهة قوات آل سعود .

ومما تجدر الإشارة إليه أن العمليات السعودية فى المخلاف التى قام بها حزام لم تحرك ساكن أمام صنعاء . ولم يقدم لأمرائه مساعده ضد قوات الدرعية. وربما كان مرجع ذلك إلى أن :

أولا : كان إمام اليمن يعتبر المخلاف مستقلا عن سلطته ، حيث أن الأمر كله فى المخلاف أصبح بيد أشراف أبى عريش ، ولا شىء يعود من موارده إلى إمام اليمن ، بالإضافة إلى أن شريف أبو عريش كثيراً ما سبب الاضطراب والقلق لإمام صنعاء ، الذى لم يجد حرجاً عليه فى ترك أمراة المخلاف يواجهون الضربات السعودية منفردين .

ثانياً: لم يكن لدى إمام اليمن قوة محاربة ليدفع بها لمواجهة قوات آل سعود فى المخلاف. ودرجة الضعف التى وصل إليها إمام صنعاء لم تمكنه من السيطرة

---

(١) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٨٩ .

على القبائل اليمنية وتكوين جيش من أفرادها يكون قادراً على ردع حركات القوات السعودية فى المخلاف .

وعلى أى حال فإنه بوصول الشريف حمود إلى السلطة فى المخلاف تغير الوضع وأصبح على الدرعية أن تعد نفسها لمواجهة عهد جديد هناك .

الشريف حمود وآل سعود :

بوصول الشريف حمود بن محمد الملقب بأبى مسمار والذى يعد من أقوى الشخصيات التى حكمت المخلاف وأبرعها وهو من نسل الشريف أحمد ابن أبى نمى إلى منصب شرافة أبى عريش ، أصبح النفوذ السياسى فى المخلاف موزعاً على النحو التالى :

أولا : من وادى ضمد وجنوباً تحت سلطة الشريف حمود .

ثانياً : وادى صبيا تحت سلطة الأمير منصور بن ناصر .

ثالثاً : من صبيا شمالا وغرباً إلى بيش تحت سلطة أحمد بن حسين الفلقى عامل الدرعية عدا قرية الملحا التى لم تخضع لنفوذ آل سعود وكانت مركزاً من مراكز المقاومة .

رابعاً : من بيش شمالا إلى رجال ألمع تحت سلطة عرار بن شار الممثل لنفوذ آل سعود فى المنطقة وأحد دعاة الدعوة السلفية [١] .

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشريف حمود ابتدأ عهده بمعارضة امتداد النفوذ السعودى إلى أرض المخلاف وقام بتقديم المساعدة إلى قرية الملحا فى صراعها ضد الفلقى . وفعلا تمكنت قوته من هزيمة الفلقى وبذلك أصبح الشريف حمود خطراً على نفوذ الدرعية فى المنطقة .

---

(١) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٩٠ .

أدرك عرار بن شار هذا الخطر فأسرع لنجدة الفلقى ضد قوات أبى عريش . وتدخل فى النزاع بين الطرفين أمير صبيا الذى نجح فى عقد هدنة بينهما تقضى بعودة كل فريق إلى دياره [١] .

وعلى إثر عقد الهدنة جدت على الموقف ظروف غيرت من صورته من بينها نجاح عرار فى إخضاع منطقة السلامة السفلى لنفوذ الدرعية . وإعلان أمير صبيا وهو الأمير منصور بن ناصر ابن أخى الشريف حمود قبوله لمبادىء الدعوة والنظام السعودى وتعهده بالقيام على نشر مبادىء الدعوة فى المناطق المجاورة . وبذلك أصبحت جميع منطقة صبيا تابعة سياسياً واقتصادياً ودينياً لنفوذ الدرعية .

أزعجت هذه الأحداث شريف أبى عريش . فقرر القيام بعملية انتقام واسعة ضد أتباع آل سعود فى المنطقة وابتدأ عملياته بمحاربة كل من عرار والفلقى . وتمكن من هزيمة عرار ١٢١٦ هـ / ١٨٠١ م . ولكن لم تنجح فى محاولته إقناع ابن أخيه الأمير منصور بالعدول من تبعية الدرعية [٢] .

وأصبح الموقف خطيراً فى المخلاف وأدرك آل سعود هذه الخطورة فصدرت الأوامر إلى القائدين السعوديين حزام بن عامر وزيران القحطانى بالتحرك بقواتهما صوب المخلاف والوقوف بجانب أتباع آل سعود فى المنطقة . وصل القائدان إلى المخلاف ، واجتمعا مع كل من عرار والفلقى والأمير منصور ، على هيئة مجلس عسكرى لتنسيق خطة الهجوم على منطقة الشريف حمود . واستقر رأى الجميع على مهاجمة ضمد حيث النشاط الروحى والعلمى للزيدية فى ذلك الوقت [٣] .

---

(١) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٠٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٩٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٤٩٢ .

أدرك الشريف حمود ضخامة القوة السعودية التى كان عليه أن يواجهها ولذا أسرع يطلب من إمام صنعاء النجدة التى تعينه على مواجهة الموقف، ولكنه كما تذكر المصادر لم يظفر منه بشيء سوى المواعيد ويذكر صاحب لمع الشهاب أن الدرعية كانت وراء تقاعس إمام صنعاء فى ذلك الوقت «كان يومئذ من جملة تدابير سعود أنه كاتب المنصور * إمام صنعاء، وأخذ يرغبه فى حرب الشريف حمود، ويوعده بالنصرة له . وكان إمام صنعاء يحب ذلك إلا أنه خائف أن يتحرك بحرب الشريف حمود، فيميل سعود بعسكره على أرض اليمن، لكن لما كتب له سعود بذلك وحلف له أنه لا يتعرض ملكه بسوء، هم إمام صنعاء على حرب الشريف حمود لأن الملك الذى بيده كله من تهامة اليمن، وهو يتبع إمام صنعاء، وإنما ملك الشرفا تهامة الحجاز»[١] .

ونحن لا نستبعد حدوث اتصال بين إمام صنعاء والأمير سعود كما ذكر صاحب لمع الشهاب، لأن مثل هذه الاتصالات ومحاولة إيجاد خلل فى الجبهات التى كان يتعرض لها آل سعود، كانت جزءاً من سياستهم حيال أعدائهم والواقع أنهم نجحوا فى هذه السياسة إلى حد كبير . كما حدث فى الأحساء والحجاز وعمان قبل اليمن . وقول صاحب لمع الشهاب يؤكد فوق ذلك وجود خلفية سياسية وراء تقاعس إمام اليمن عن مد يد المساعدة لشريف أبى عريش أوجدها الصراع على مناطق النفوذ .

وعلى أى حال فإن القوات السعودية شددت هجماتها ضد الشريف حمود . وفى نفس الوقت أصدرت الدرعية أوامرها إلى عبد الوهاب أبو نقطة وغيره من الأمراء السعوديين المجاورين للمخلاف، بالتحرك إلى منطقة الشريف حمود، ومعاضدة القوات السعودية فى عملياتها الحربية هناك . وعين عبد الوهاب أبو نقطة قائداً عاماً على جميع القوات السعودية التى فى المخلاف[٢] . وتمكنت

(*) حكم الإمام المنصور اليمن من ١٧٧٥ — ١٨٠٩ . محمد بن محمد الصمانى، إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين، صنعاء ١٣٤٣، ص ٧٩، ٨٠ .

(٢) لمع الشهاب، ص ١٣٦ .

(٣) عثمان بن بشر، عنوان المجد، ص ١٣٦ .

قوات آل سعود من القيام بعمليات حربية ناجحة ضد الشريف حمود . وأضعفت قوته . وأدرك حمود أنه لم يعد فى مقدرة قواته مواجهة قوات الدرعية وأتباعها من أهل المخلاف ، كما أدرك أنه باستمراره فى الأسلوب العدائى ضد آل سعود سيفقد إن آجلا أو عاجلا كل ماله من نفوذ . ورأى أن من الخير له أن يعلن ارتباطه بأمير الدرعية بدلا من ارتباطه بإمام اليمن الضعيف . ولذا أعلن قرار دخوله فى طاعة آل سعود كما أعلن التزامه بكافة نظم الدرعية[1] .

بعد إعلان الشريف حمود قراره ، قام عبد الوهاب أبو نقطة بوصفه ممثلا الدرعية فى المنطقة بتقليده إمارة المخلاف لحمود كعامل سعودى ، انتظاراً لصدور أوامر الأمير سعود حاكم الدولة بالموافقة على ذلك .

وبنجاح القوات السعودية فى إخضاع منطقة أبى عريش لنفوذ الدرعية أصبحت جميع مناطق المخلاف السليمانى تابعة لسلطان آل سعود . وأصبحت ملتزمة باتباع نظامهم بدفع ما تفرضه عليها الدرعية من ضرائب وعشور حسب نظامها المالى ، بالإضافة إلى المشاركة فى العمليات السعودية الحربية حسب نظام الدولة السعودية آنذاك كما سنرى ذلك فى حينه . وهكذا بات المخلاف السليمانى نقطة الوثوب إلى مناطق اليمن الأخرى ، خاصة بعد أن صدرت أوامر الدرعية بالموافقة على تقليد الشريف حمود شئون المخلاف ، على أن يكون مرتبطاً فى إدارته بالأمير عبد الوهاب بن عامر أمير عسير وتهامة وألمع .

الشريف حمود يضم اجزاء من اليمن باسم آل سعود :

كان الشريف حمود طموحاً . ولذا أراد أن يستغل تطلع الدرعية إلى بقية أجزاء اليمن ليوسع من دائرة نفوذه ، خاصة وأن موقف إمام اليمن معه أثناء صموده لهجمات قوات الدرعية ليس بعيداً ، وكانت هذه العوامل جميعها

---

(١) Harold Ingrams, The Yemen Imams and Fevolations, p. 50

معتملة فى نفس الشريف حمود تدفعه إلى استقلال خضوعه لسلطة آل سعود فى التقدم نحو المناطق اليمنية الأخرى ، ووجدت رغبته هذه تشجيعاً من آل سعود ولذا تقدم بقواته صوب الجنوب متوغلاً فى الأراضى اليمنية التى كانت تابعة لإمام صنعاء . وتمكن الشريف حمود أثناء زحفه فى مناطق الإمام من أن يجذب إلى جانبه قبائل بنى حسن وعيسى وقبائل بنى مور[١] . وليس من شك فى أن انضمام هذه القبائل شجعه على مواصلة عملياته . كما يدل فى نفس الوقت على أن بعض قبائل اليمن كانت لا تمانع فى امتداد النفوذ السعودى على مناطق حماها . ولم تكن تقيم معياراً لخضوعها لإمام صنعاء . وتمكن الشريف حمود من الاستيلاء على اللحية[٢] . وغنمت قواته الكثير من الأموال . كما فرض على تجارها ضرائب باهظة بحجة إرسالها إلى الدرعية[٣] . واستمرت قوات حمود فى عملياتها وتمكنت من إخضاع بيت الفقيه ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م . ثم نجحت فى ضم زبيد[٤] . وهكذا نجد أن عمليات أمير أبى عريش باسم آل سعود وصلت إلى هذا الحد من بلدان اليمن . وكان حمود حريصاً على أن تكون الدرعية راضية عن عملياته فى الأراضى اليمنية لتتخذ هذه العمليات صفة الجهاد ، وليؤكد لها ولاءه ، كان يقوم بإرسال خمس الغنائم التى تستولى عليها قواته ، ويوافيها بالزكاة المقررة على المناطق التى أخضعها[٥] .

وليس من شك فى أن نجاح عمليات الشريف حمود يدل بصورة أكيدة على مدى الضعف الذى أصبح عليه إمام صنعاء الذى تذكر عنه المصادر أنه لم يخرج عن صنعاء لغزو[٦] . كما يؤكد ما ذكرناه سابقاً من أن التفكك السياسى

---

(١) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٩٦ .

(٢) عبد الله عبد الكريم الجفرانى ، المقتطف من تاريخ اليمن ، ص ١٩١ .

(٣) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٩٧ .

(٤) عبد الله عبد الكريم الجفرانى ، المرجع السابق ، ص ١٩١ .

(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

(٦) القاضى حسين بن أحمد ، بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ، ص ٧٠ .

كان أهم سمات اليمن آنذاك . لذا لم تستطع مناطقه المفككة الصمود أمام القوات التى كانت تداهمها . ولا بد أن الشريف حمود كان يعلم ذلك سلفاً ، يؤكد ذلك أنه قام بقيادة السرايا السعودية التى توغلت فى هذه المناطق بنفسه . ولكننا من جانب آخر نستطيع أن نؤكد أنه كان يهدف من وراء ذلك إلى مطامع شخصية أيدتها الأحداث فيما بعد . منها :

أولا : توسيع دائرة نفوذه سياسياً مع إظهار خضوعه للدرعية حتى يحين الوقت المناسب لإعلان الإستقلال عنها .

ثانياً : كان يدرك ضخامة الكسب الاقتصادى الذى يعود عليه من وراء قيامه بمثل هذا العمل . وبالتالى يتوفر لديه المال الكافى لتوطيد سلطته وتقوية جبهته حتى يتمكن من الصمود أطول مدة عند إعلانه الإنفصال عن الدرعية .

ورغم ما وصل إليه الشريف حمود من القوة والنفوذ كعامل سعودى إلا أنه كان لا يزال من الناحية الإدارية تابعاً للأمير عبد الوهاب أبو نقطة أمير عسير وتهامة والمع وكانت هذه التبعية مصدر ضيق له .

الشريف حمود يسعى للانفصال عن إمارة أبى نقطة :

كان الشريف حمود يرى فى إرتباطه إدارياً بعبد الوهاب أبو نقطة . إهداراً لمكانته بين أهل منطقته ، وإن كان فى حقيقة الأمر كما تدل الأحداث أنه كان يشعر بأن هذه التبعية تقف حجر عثرة أمام طموحه وأهدافه السياسية التى بدأ يمهد لها . لذا بدأ يسعى فى العمل على انفصاله إدارياً عن أمير عسير فاجتمع بابن أخيه الأمير منصور بن ناصر أمير صبيا وتشاورا فى ذلك الأمر . واستقر رأيهما فى النهاية أن السبيل إلى ذلك هو الاتصال المباشر بالدرعية ، وإيقافها على حقيقة رغبة الشريف فى أمر فصل إدارة المخلاف عن عبد الوهاب

وربطه مباشرة بإدارة الدرعية[١] .

وتقرر لهذا الغرض إرسال وفد إلى عاصمة الدولة كون من الحسين بن خالد وأحمد بن حيدر ، والأمير منصور نفسه . وقصد الدرعية مزوداً بكثير من الهدايا[٢] . واستقبل وفد المخلاف فى الدرعية استقبالا حسناً . وبدأ اتصالاته فور وصوله مع الأمير سعود وأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب حسين وعبد الله وعلى . ونجح الوفد فى مهمته وحصل على موافقة الدرعية على أن يستقر الوضع فى المخلاف على النحو التالى :

١ – فصل إمارة المخلاف عن عبد الوهاب وربطها بالدرعية مباشرة .

٢ – فصل إمارة صبيا عن عبد الوهاب وربطها إدارياً بالدرعية ، ماعدا أمر الجهاد فترتبط فيه بعبد الوهاب[٣] .

ومن المهم أن نؤكد أن نجاح وفد المخلاف فى مهمته ترتب عليه ازدياد الصراع والمنافسة بين عبد الوهاب وشريف أبى عريش، وبدأ الصراع الخافت بينهما يتحول إلى مؤامرات ودسائس . وبدأ كل منهما يعمل على أن يجذب إليه الأنصار ويحشد القوى استعداداً للوقت المناسب .

وبدأ الشريف حمود يقوم بمحاولات أخرى من شأنها إضعاف جانب عبد الوهاب فقد سعى فى إيجاد الفرقة بينه وبين عرار بن شار الذى كان تابعاً له[١] وحثه على طلب الانفصال عن إمارة عبد الوهاب ونجح فعلا فى إثارة الموقف بينهما حتى اضطر الأمير عبد الوهاب إلى تجريد جيوشه على عرار الذى حات به الهزيمة وانسحب قاصداً حليفه حمود .

---

(١) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٤٩٩ .
(٢) المرجع نفسه ، ص ٤٩٩ .
(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٠٠ .
(١) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٥٠١ .

وفى الوقت الذى كان فيه الشريف حمود يسعى إلى إضعاف كفة عبد الوهاب كان يقود قواته ضد بعض المناطق اليمنية بغية ضمها إلى سلطانه باسم آل سعود وتمكن ١٢١٩ هـ — ١٨٠٤ م من الاستيلاء على قلعة الزيدية من صالح بن يحيى أمير الحديدة[١] الذى وجد بدوره أن من الخير له الخضوع إلى نفوذ آل سعود. وشجعه على ذلك شعوره بسخط إمام اليمن عليه وعزمه على مصادرة أمواله. وإن قيل إن الشريف غالب قد كاتب الشيخ صالح ورغب له أمر الانضمام إلى آل سعود، واتباع مبادىء الدعوة السلفية[٢].

فى تلك الأثناء عزم عبد الوهاب أبو نقطة عامل الدرعية على عسير على غزو إمارة الشريف حمود. وبدأ بتجهيز السفن من الشقيق لغزو اللحية، ولكن الأمور لم تسر وفق هوى أمير عسير. فقد أقبل وفد من الدرعية يحمل أوامر إلى كل من عبد الوهاب والشريف حمود والأمير منصور بالمثول لدى الأمير سعود ليفصل فى الأمر بينهم.

إمتثل عبد الوهاب لرغبة الدرعية وسرح جنده، وقصد الأمير سعود، وفعل مثله أمير صبيا. أما الشريف حمود فقد أظهر للوفد خوفه من انتهاز إمام اليمن لفرصة غيابه وقيامه بالعمل على استرجاع البلاد الجنوبية التى استولى عليها باسم آل سعود ونشر فيها نفوذهم، وأظهر استعداده ببعث ابنه أحمد مع عرار نيابة عنه. وقبل وفد الدرعية عذر الشريف واصطحب مندوبيه عائداً إلى الدرعية. وأيد الأمير عبد الوهاب دعواه ضد كل من حمود ومنصور بإبراز وثائق خطية صدرت منهما إلى عرار لتحريضه ضده[٣]. ولكن رغم ذلك، أصدر الأمير سعود حكمه بالإبقاء على عرار فى الدرعية، وإقرار الوضع

---

(١) العقيلى، المرجع السابق، ص ٥٠٠.

(٢) المرجع نفسه، ص ٥٠٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٥٠٥.

فى المخلاف على النحو الذى سبق له أن أقره ، على أن يقوم الشريف حمود بتنفيذ الشروط التالية :

أولا : ألا يقوم باستخدام رجال همدان إلا بعد دخولهم فى الدعوة .

ثانياً : أن لا يصالح عمال إمام صنعاء ، ولا يعقد لهم هدنة وأن يعتبرهم فى حالة حرب .

ثالثاً : أن يقرر لأمير صبيا مبلغاً من خراج اللحية(١) .

والواقع أن إصرار الدرعية على استقلال الشريف حمود إدارياً عن عبد الوهاب لم يحسم الموقف بينهما ، رغم ثقة آل سعود التامة فى الأمير عبد الوهاب وإخلاصه لهم . ورغم أن الدرعية قد أوكلت إليه القيادة العامة لمعظم جيوشها التى حاربت فى الحجاز واليمن . إلا أنها على ما يبدو من تصرفها فى هذا الأمر أنها لم ترد أن تركز فى يده سلطة إدارية قوية . ولعل هذا سياسة من الدولة خشية أن تغريه الإدارة الواسعة والسلطة فيتطلع إلى انفصاله عنها أو يخرج عن طاعتها .

والتساؤل الذى أمامنا الآن هو : ما هى أسباب الصراع بين الشريف حمود والأمير عبد الوهاب وكلاهما أمير نصبه السعوديين على منطقته ؟ وهل حب الإدارة هو العامل الأول فى الصراع ؟

الواقع أن المصادر تلتزم الصمت إزاء أسباب هذا الصراع ، وإن ذكرت شيئاً فإنه لا يقنع الباحث . ولكننا نستطيع أن نؤكد أن الإجابة على هذا التساؤل لها شقان هما :

أولا — أن وراء هذا الصراع عامل سياسى .

---

(١) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٥٠٥ .

ثانياً — عامل اقتصادى .

فالشريف حمود الذى تولى حكم المخلاف مستقلا ، لم يكن من السهل عليه أن يسلم بتبعيته لإدارة صارمة كإدارة عبد الوهاب أبو نقطة ، ويفقد إستقلاله السياسى حقاً إنه تابع للدرعية ولكنه فى نفس الوقت لا يريد أن يشعر بتبعيته لأمير آخر . وفى نفس الوقت كان الأمير عبد الوهاب يمد بصره على أن تخضع له مناطق اليمن إدارياً ؛ لأن ذلك يعطيه نفوذاً سياسياً أوسع ويوطد مركزه ومكانته لدى الدرعية . وهكذا نجد أن الصراع السياسى كان عاملا هاماً من عوامل الاحتكاك بين الأميرين . أما الخلفية الاقتصادية لهذا الصراع فإنها أكثر وضوحاً حيث إن المناطق التى كانت تخضع للأمير عبد الوهاب فى عسير وتهامة وألمع لم تكن ذات إقتصاد قوى فى ذلك الوقت ، بل إن جزءاً كبيراً من اقتصادها كما تذكر المصادر كان يعتمد فى المرتبة الأولى على التجارات المختلفة مع مناطق اليمن[1] . وكان عبد الوهاب يطمع فى أن تخضع لإدارته هذه المناطق اليمنية مباشرة ، وهذا يساعد على إنعاش الحالة الاقتصادية بين قبائله ويزيد من مواردها خاصة وأن موانى اليمن آنذاك كانت عامرة بأنواع التجارة[2] . وإذا عرفنا أن الموارد المالية للأمراء السعوديين وأتباعهم وجندهم فى ذلك الوقت كانت تتوقف على ما يربحونه من غنائم وزكاة مع إرسال الخمس إلى الدرعية لأدركنا أن العامل الاقتصادى كان عاملا قوياً فى إيجاد هذا الصراع ولا نستطيع أن نغفل أن الدرعية بتأكيد موقفها بإستقلال كل من الأميرين عن الآخر قد أكدت هذا الصراع بينهما ، مما ألهب الشريف حمود فأخذ يعمل على تقوية جبهته وبسط نفوذه على بعض مناطق اليمن بإسمها وأخذ يعد العدة لإعلان استقلاله عن نفوذ آل سعود كلية .

---

(١) H. St. Philby, Saudi Arabia, p. 107.

(٢) Burkhardt, Travels in Arabia, vol. 1, pp. 312-320.
Playfair, R.L., op. cit., p. 128.

ومن عجب أن المصادر لا تشير بأى جهد لإمام صنعاء إزاء هذا الصراع أو إزاء التحركات العسكرية التى كانت تحدث داخل أراضى إمامته حتى ذلك الوقت الذى تم فيه للشريف حمود السيطرة على كثير من المناطق التى كانت تابعة للامام .

الشريف حمود يعلن إنشقاقه عن الدرعية :

وصلت عمليات شريف أبى عريش إلى ثغر اليمن الحديدة وتمكن من الاستيلاء عليها بعد أن قطع عنها الإمدادات ونجح فى إثارة قبائل يام ضد أميرها صالح بن يحيى وأعلن أنه استولى عليهم باسم آل سعود وقام بتنفيذ مبادىء الدعوة السلفية فيها[1] . وتمكن من إخضاع زبيد لسلطانه إخضاعاً تاماً . وبذلك وصلت حدود إمارته من زبيد جنوباً إلى الدرب شمالا [2] . وأغراه ذلك بالانفصال عن الدرعية ومنذ ١٢٢٣هـ — ١٨٠٨م بدأ يفصح عن مقاصده فى أمر الاستقلال بتهامة عن نفوذ آل سعود . وصرح لرسل الدرعية بما يفهم منه الخلاف . وأصبح يضيق بوجود ممثلين لآل سعود يشرفون على الشئون المالية كالزكاة والغنائم فى إمارته ، ويحدون من تصرفه فى موارد البلاد التى خضعت له . خاصة الحديدة وبيت الفقيه وزبيد وهى من أغنى مناطق اليمن ويذكر صاحب لمع الشهاب أن الأمير سعود أرسل إلى الشريف حمود يقول له «أريد أن أرسل رسلا منى إليك لتجعلهم ضباطاً على الحديدة وبيت الفقيه وزبيد حيث أنى لا أئتمن أهلها بما يقولون به من الزكاة ، وإنى قد بلغنى أنهم يأخذون العشر على أموال التجار ، لا بأس ، هؤلاء التجار ، فيما يبلغنا أنهم يترددون من أطراف بلاد المشركين من الهند ونحوها ، فيحل أخذ العشر منهم ولكن العشر لإمام المسلمين يجعله بيت مال . فالحاصل أن قلبى قد داخله شك من أهل

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٥١٤ .

هذه البلادين ، فهذه جماعة منا تصل إليك ، فلتمشى كل أربعة من أولئك إلى إحدى البلادين الثلاثة ، ولما عرف الشريف حمود أن مراد سعود هو التسلط التام فى هذا الملك والإطلاع على حقيقة الحال منه ، أضمر ذلك فى نفسه إذ لا يمكنه حينئذ المخالفة »[1] .

ونستطيع أن نتبين من هذه الرواية أمرين :

أولا : أن الدرعية بدأت تشك فى نيات تصرفات الشريف حمود ، وأخذ يداخلها الريب فى مقدار العشور التى يرسلها لها ، ولذا أرادت أن تضع عليه رقابة شديدة من لدنها دون أن تصرح له بحقيقة الأمر ولكنها صرحت له بأن شكها منصب على أهل البلاد أنفسهم لا عليه ، حتى لا تثير مخاوفه .

ثانياً : إدراك الشريف حمود لهدف الدرعية ، وشعوره بأن هذه الرقابة التى تفرضها عليه سوف تحد من سلطته . وهذا الشعور قوى من إحساسه بضرورة الاستعداد للمواجهة مع قوات الدرعية إن آجلا أو عاجلا .

وأصبح جو الخلاف والتوتر يغلب على العلاقة بين الشريف حمود والدرعية وأراد الأمير سعود أن يختبر مدى ولاء حمود للدولة فأصدر أمره إليه بأن يعد جيشاً ويهاجم صنعاء ويعمل على إخضاعها للدولة ويقضى على سلطة الإمام الزيدى فيها فتقاعس حمود ولم ينفذ أمر سعود دون أن يذكر سبباً لتقاعسه . فأيقن الأمير سعود أن الشريف فى حالة عصيان[2] . وأنه لم يكن صادقاً فى ولائه للحكم السعودى فأصدر أوامره إلى جميع أمراء الدولة فى الحجاز واليمن بالإستعداد لحرب الشريف حمود على أن تكون القيادة العامة فى يد الأمير عبد الوهاب أمير عسير . وأرسل قوة من فرسان الدرعية لتشارك فى حرب حمود[3] .

---

(١) لم الشهاب ، ص ١٣٧ .

(٢) H. St. Philby, Saudi Arabia, p. 113.

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ — ١٤٤ .

القوات السعودية تحارب حمود :

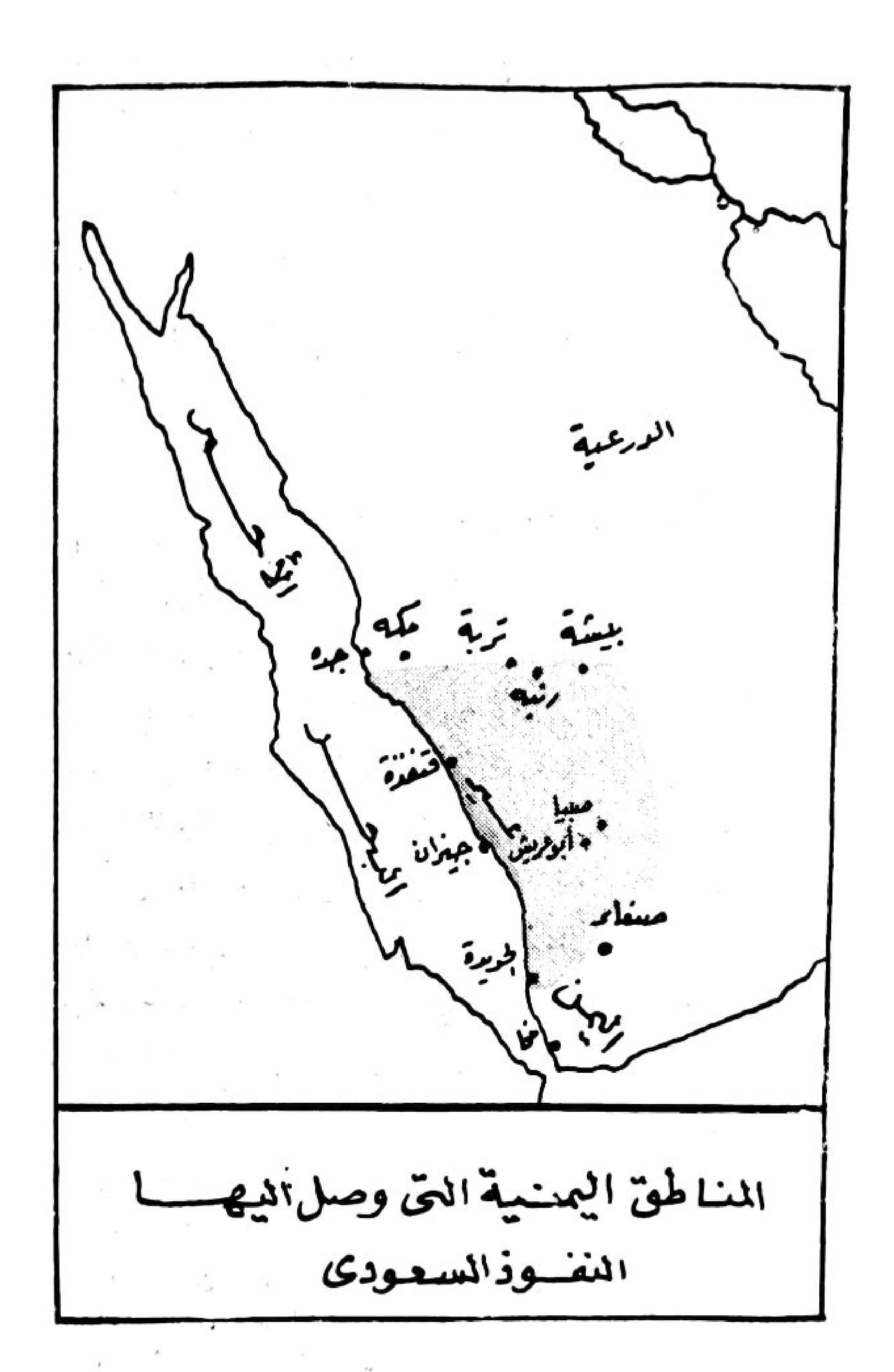
رحب الأمير عبد الوهاب بهذه الفرصة التي أتاحتها له الدرعية نفسها، وقاد جيوش الحجاز ودخل حدود الأراضي اليمنية بهدف القضاء على حمود. وكان الأخير عندما وصلته الأنباء عن استعداد آل سعود لحربه جمع جيشاً كبيراً من رجال الهضبة اليمنية ونجران ويام وقبائل حاشد وباقل (يسميها بن بشر بكيلي) وهمدان، ورتب حاميات في جميع الحصون الموجودة في منطقته، وسار بنفسه على رأس قوة لمقابلة قوات آل سعود. والتقى مع قوات الأمير عبد الوهاب في وادي بيش، وركزت قوة الشريف هجماتها على فرقة عبد الوهاب بالذات، ونجحت في إنزال خسائر كبيرة بهذه الفرقة. زاد من فداحتها أن الأمير عبد الوهاب نفسه قتل في هذه المعركة ورغم انتصار الشريف على فرقة عبد الوهاب إلا أن قواته لم تستطع الصمود أمام القوات السعودية الرئيسية ؛ فأسرع حمود بالانسحاب لائذاً بحصنه في أبي عريش، فأتاح الفرصة أمام قوات آل سعود للاستيلاء على حصن صبيا، كما استولت على كثير من الغنائم من قرى هذه المنطقة.

وكان يرافق القوات السعودية البرية قوة بحرية تسير بمحاذاة القوات البرية. وقامت هذه القوة البحرية بحمل ما حوته جمارك جيزان من بضائع وأمتعة وخاصة القهوة (البن) عندما نجحت القوات البرية في الإستيلاء عليها واستخلاصها من رجال حمود[1].

ورغم أن الشريف حمود خسر جميع المعارك التي خاضها ضد القوات السعودية إلا أنه لم يستسلم برغم قسوة الهزيمة التي أنزلها عثمان المضايفي بقواته ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م ولم تهن قوته وإصراره على الإستمرار في القتال ضد

---

(١) عثمان بن بشر، المرجع السابق، ص ١٤٥.



المناطق اليمنية التى وصل أليها النفوذ السعودى

قوات آل سعود[1] . وأصبح الوضع فى تهامة فى ذلك الوقت على النحو التالى:

أولا : من صبيا وشمالا تحت السلطة السعودية المباشرة .

ثانياً : من أبى عريش وجنوباً إلى زبيد تحت سلطة الشريف حمود وكانت القوات السعودية مستمرة فى عملياتها العسكرية ضد هذه المنطقة .

ثالثاً : القسم الأعلى من تهامة اليمن تحت سلطة إمام صنعاء . وأصبح مهدداً بالعمليات السعودية[2] .

وفى تلك الأثناء قررت الدرعية تركيز معظم قواتها فى القتال الدائر ضد حمود ، وأصدر الأمير سعود أمراً بتعيين طامى بن شعيب أميراً على تهامة وعسير وألمع خلفاً لإبن عمه عبد الوهاب ، على أن يتولى طامى بنفسه قيادة القوات السعودية التى تحارب ضد حمود ، ويعمل كل ما فى جهده لتحطيم قوة شريف أبى عريش امتثل طامى لأمر سعود ، وقام ببعض العمليات الحربية الناجحة التى مكنته من الاستيلاء على اللحية. وغنم ما بها من أموال وأمتعة[3]. وتوالت العمليات التى كان يقودها طامى حتى تمكن من الاستيلاء على الحديدة وهى أقصى نقطة إلى الجنوب وصل إليها النفوذ السعودى[4] . وبعد ذلك أدرك حمود حرج مركزه الحربى وشعر أنه لا يستقر له أمر والغارات السعودية متواصلة ضده . ومما زاد من هذا الحرج أن عمليات آل سعود ضد قبائل نجران وبدر قد كللت بالنجاح لذا أسرع حمود يستنجد بأمير صعدة أن يتوسط له لدى سلطات الدرعية كى تعفو عنه على أساس تنازله عن صبيا وبيش وقيامه بدفع خراج سنوى للدرعية عن جميع ما يملكه من أبى عريش إلى زبيد[5] .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٢) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٥١٦ — ٥١٧

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

(٥) العقيلى ، المرجع السابق ، ص ٥١٧ .

وقبلت الدرعية مطالب الشريف حمود . وتم الاتفاق بين الطرفين ، واستقرت الأمور فى وضعها الطبيعى لآل سعود فى المنطقة الممتدة من الحديدة جنوباً إلى أقصى الشمال اليمنى .

وإننا لنتساءل عن موقف إمام اليمن من النفوذ السعودى الذى استقر فى هذه الأجزاء اليمنية ؟

والجواب على هذا التساؤل ليس يسيراً أو سهلاً لعدم توفر المادة الكافية للاجابة عليه . ولكن ليس من شك فى أن وصول النفوذ السعودى إلى الحديدة وتهديده المباشر لصنعاء جعل الإمام يبذل الجهد الذى أصبح فى طاقته نظراً للظروف المحيطة به أنذاك ، أو التى أحاط نفسه بها ، لمجابهة هذا الخطر ؛ فقام بإعداد قوة على قدر الإمكانيات التى توافرت لديه وحاول محاربة القوات السعودية التى بقيت فى الحديدة كحامية لها وإن كانت صغيرة العدد وتمكن من إستردادها من يد القوة السعودية[1] .

ويجب ألا نغفل أن وصول النفوذ السعودى إلى الحديدة يوضح مدى الضعف الذى وصل إليه أئمة صنعاء فى ذلك الوقت ، حتى إن القوات السعودية بدأت تهدد صنعاء نفسها ، كما سبق أن ذكرنا .

والواقع أن التدخل السعودى فى أراضى اليمن استمر حتى بدأت الدولة السعودية تدخل فى دور إنهيارها ، واضطر إمام اليمن أن يطلب النجدة من السلطان العثمانى ومن والى مصر محمد على باشا . فردا عليه ووعداه بالمساعدة . وفعلا تم فى النهاية استخلاص تهامة اليمن من نفوذ آل سعود على يد قوات حمود على سنة ١٢٣٤ هـ — ١٨١٩ م[2] . كما سنرى فى فصل إنهيار الدولة .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(٢) G. Stitt, A Prince of Arabia, p. 20.

نتائج التدخل السعودى فى اليمن :

كان للتدخل السعودى فى اليمن نتائج ذات أهمية كبيرة منها :

أولا : ذيوع مبادئ الدعوة السلفية فى معظم الأرجاء اليمنية[٢] . فقد حرصت الدرعية طوال فترة إمتداد نفوذها فى أرض اليمن على إرسال الدعاة والقضاة ونشر كتب الدعوة بين قبائل اليمن ، وأصبح لها دعاة من بين أهل البلاد أنفسهم وأمامنا النماذج حسين الفلقى وعرار بن شار وغيرهم وإن لم يقدر للنفوذ السعودى السياسى أن يتمكن من نفوس أهل اليمن ، فإن مبادئ الدعوة تمكنت من نفوس بعض اليمنيين . ولم يقض عليهما بالقضاء على نفوذ آل سعود السياسى سنة ١٢٣٤ هـ — ١٨١٩ م وظلت آثار الدعوة باقية بعد زوال نفوذ الدرعية وخاصة بين قبائل عسير وتهامة وألمع .

ثانياً : إزدياد الدخل السعودى .

لا شك فى أن خضوع أجزاء من اليمن لنفوذ آل سعود كان له آثار اقتصادية كبيرة فما أصبح يصل إلى خزانة الدولة من هذه الأجزاء من زكاة وغنائم كان له أثر كبير فى إزدياد دخلها . وكان دخل الدولة من أراضى اليمن حسب رواية المصادر المعاصرة يقدر بثلاثمائة ألف ريال سنوياً[٣] . ويذكر ابن بشر أن « الذى يأخذ سعود على بندر اللحية المعروف فى اليمن مائة وخمسون ألف ريال وهو لا يأخذ إلا ربع العشر ، ومن بندر الحديدة نحو ذلك »[٤] .

وهكذا نرى ضخامة ما كانت تدفعه المدن اليمنية من عشور لخزانة

---

(١) Hugh Scott, In the High Yemen, pp. 13-17.

(٢) لمع الشهاب ، ص ١٧٠ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

الدولة ، ولا شك أن ذلك ساعدها على القيام بأعبائها والاستمرار في عملياتها الحربية .

وبالإضافة إلى هذه النتائج الاقتصادية والسياسية والدينية فإن اتساع حدود الدولة السعودية إلى هذا الحد وبسطها لسيطرتها على جزء كبير من الساحل الشرقي للبحر الأحمر أزعج إمام اليمن وهز من مكانته لدى القبائل . كما أزعج السلطات العثمانية . وعجل في النهاية بدخول الدولة الفتية في دور إنهيار وهي في أوج إزدهارها .

الفصل الثامن

تطلع آل سعود إلى العراق والشام

(ا) آل سعود والعراق .

١ — تمهيد .

٢ — آل سعود والعشائر فى جنوب العراق .

٣ — حملة ثوينى .

٤ — حملة على باشا .

٥ — مذبحة كربلاء .

٦ — آل سعود والعراق بعد مذبحة كربلاء .

(ب) ١ — تطلع آل سعود إلى الشام

٢ — موقف ولاة الشام .

٣ — منع آل سعود لمحامل الحج .

٤ — سوء أحوال بلاد الشام الداخلية .

٥ — الغزو السعودى لبلاد الشام .

٦ — فشل ولاة الشام فى صد آل سعود وحماية حدود بلادهم .

٧ — عزل يوسف كنج وإسناد ولاية دمشق لسليمان باشا .

الفصل الثامن

تطلع آل سعود إلى العراق والشام

(ا) آل سعود والعراق :

تمهيد :

بدأ تطلع آل سعود إلى العراق منذ أواخر القرن الثامن عشر ، لأن كثيراً من القبائل النجدية والأحسائية هربت من وجه القوات السعودية أثناء عملياتها الحربية فى نجد والأحساء ، ولجأت إلى أطراف العراق وخاصة إلى المناطق الواقعة غربى الفرات ، ووجدت هذه القبائل العون من عشائر المنتفق والظفير وغيرها من العشائر العراقية التى تعيش فى هذه المناطق .

ولم يقف الأمر بالعشائر العراقية عند حد حماية القبائل النجدية الهاربة فقط وإنما تعدى ذلك إلى مهاجمة الأراضى النجدية نفسها . فقد قاد ثوينى بن عبد الله زعيم المنتفق ١٢٠١ هـ / ١٧٨٦ م قبائل وأهل المجرة وأهل الزبير وبوادى شمر وغالب وطيء وشن هجوماً على القرى الشمالية فى نجد ووصل إلى منطقة القصيم واستولى على بلدة التنومة عنوة « وقتل جميع أهلها إلا الشريد »[1] وحاصر بريدة وكاد ينجح فى الاستيلاء عليها ، لكن الظروف فى بلاده اضطرته إلى الرجوع إليها ورفع الحصار عن بريدة دون أن يحقق هدفه فى الاستيلاء عليها .

ومما أزكى تطلع آل سعود إلى العراق الخلاف المذهبى . ففى العراق يكثر أهل الشيعة وتوجد به المزارات المقدسة عندهم ، وكان أتباع الدعوة يرون فى المشاهد والمزارات « إحياء وتجسيداً للوثنية »[2] . ولهذا سارع الأمير عبد العزيز

---

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، جـ ١ ، ص ٨١ .

(٢) H. t. Philby, Saudi Arabia, p. 93.

ابن محمد بن سعود بإرسال رسالة إلى سليمان باشا الكبير والى بغداد مصحوبة بنسخة من كتاب الشيخ محمد بن عبد الوهاب « كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد » وطلب منه أن يجمع علماء بغداد للنظر فى كتاب الشيخ والإيمان بما جاء فيه ، وقام سليمان باشا بإسناد دراسة الكتاب إلى بعض علماء بغداد ، وكلف عبد الله أفندى الراوى خطيب مسجده إعداد الرد على دعوة الأمير السعودى بعد الفراغ من دراسة الكتاب ، وأنكر علماء بغداد دعوة الشيخ وتعاليمه . وجاء فى رد الراوى على دعوة الدرعية : « فبعد أن طالعناه وفهمنا فحواه وجدناه كتاباً جامعاً لشتات من المسائل مشتملا على عدة رسائل ، لكنه قد جمع فيه بين غث وثمين وقوى ووهين ووجدنا أحواله أحوال من عرف من الشريعة شطراً ولم يمعن فيها نظراً ولا قرأ على أحد ممن يهديه إلى النهج القويم ويدله ويوقفه على العلوم النافعة التى هى الصراط المستقيم »(١) .

وحدد رد بغداد هذا موقفها الرسمى من الدعوة السلفية وأتباعها وكان هؤلاء يعتبرون ديار كل من لم يعتنق مبادىء الدعوة ديار حرب خاصة وأنهم يرون فى المبادىء الشيعية خروجاً على تعاليم الإسلام . فتطلع آل سعود إلى العراق لتحقيق أهدافهم السياسية والدينية وبالإضافة إلى رغبتهم فى إستيلائهم على كثير من الثروات التى توجد فى العراق وخاصة فى مزارات الشيعة ، ومما تجدر الإشارة إليه أن العراق آنذاك كان أكثر رخاء من غيره من الأقطار المجاورة حتى إن « بردجز » ذكر أن العراق فى ذلك الوقت كان أكثر رخاء من بعض الممالك الأوربية وأبدى دهشته مما ذكره « بوركهارت » عن سوء أحوال العراق الاقتصادية(٢) .

---

(١) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق فى جواب أهل العراق ، ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) H.J. Brydges, A Brief History of the Wahaby, p. 19.
J.L. Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, p. 323.

ولا بد لنا من إلقاء نظرة سريعة على الوضع الداخلى فى العراق آنذاك لنرى إلى أى مدى كانت ظروف العراق الداخلية مشجعة لآل سعود للقيام بعملياتهم العسكرية داخل الأراضى العراقية .

فقد كان العراق مقسما إلى عدة إيالات أو باشوات : إيالة بغداد ونشرف على العراق الأوسط ، وتضم أخصب المناطق وأشهرها . وكانت أقوى باشويات العراق . وإيالة الموصل ، وإيالة البصرة ، بالإضافة إلى إقرار زعماء العشائر فى الشمال والوسط والجنوب كحكام على عشائرهم . وقد كان لباشا بغداد التفوق على غيره من باشوات العراق ، كما كان له حق عزل ونصب باشوات كردستان باعتراف السلطان[1] .

كان حكم بغداد فى فترة بحثنا بيد باشوات المماليك تحت السيادة العثمانية وفى الفترة التى بدأ آل سعود يتطلعون فيها إلى العراق ، كان أمر بغداد بيد سليمان باشا الكبير (١١٩٣ هـ / ١٧٧٩ م إلى ١٢١٥ هـ / ١٨٠١ م) الذى أسندت إليه الولاية على إثر الضعف والاضطراب الذى ساد العراق فى عهد سلفه حسن باشا ، وبدأ سليمان باشا عهده بالقضاء على المتمردين ، وإخماد الفتن التى كانت تسود العراق ، وسعى فى تأمين مصالح الناس[2] .

ولكن مما تجدر الإشارة إليه أن سليمان باشا قد واجه ثورات مستمرة من جانب العشائر العربية والكردية على السواء بدافع رغبتهم فى التخلص من السيطرة العثمانية المباشرة أو بتشجيع من الحكومة الإيرانية لبعض العشائر ، وعمت هذه الثورات العشائرية أجزاء العراق وكانت مصدر إزعاج لوالى بغداد[3] .

---

(١) د. أحمد عزت عبد الكريم وآخرون ، تاريخ العالم العربى الحديث ، ص ٢٦ ؛ د. عبد العزيز نوار ، داود باشا ص ١٢ — ١٤ .

(٢) الشيخ رسول الكركوكلى ، دوحة الوزراء ، ترجمة موسى كاظم ، ص ١٧٧ .

(٣) S.H. Longrigg, Four centuries of Modern Iraq, pp. 200-212

الواقع أن تحركات سليمان باشا ضد القبائل والعشائر الثائرة لم تكد تنقطع ولم تخل سنة من سنوات حكمه إلا وخرج فيها لقتال العشائر . ورغم قوة شخصية سليمان باشا وسياسته الحكيمة فى كسب ود العشائر بالإضافة إلى تجاربه الطويلة التى مكنته من الانتصار على كل ثائر ، إلا أنه ليس من شك فى أن كثرة هذه الاضطرابات استحوذت على معظم جهوده ، بالإضافة إلى إستنزافها لكثير من موارده[١] .

وينبغى أن نذكر أن النفوذ البريطانى فى تلك الفترة إزداد فى العراق بشكل ملحوظ ولم يعد قاصراً على حماية السفن الانجليزية من هجمات القوى العشائرية العربية على جانبى نهر دجلة ، بل تطور إلى استخدام قوتهم البحرية ضد تلك القوى ، وضد حكام العراق إذا ما اتخذوا موقفاً معادياً للأطماع البريطانية[٢] . وبذلك استطاع الإنجليز أن يزيدوا من نفوذهم فى العراق حتى قيل إن سليمان باشا الكبير تولى منصب الولاية بفضل التأييد البريطانى له ، وأصبحت العلاقة بينه وبين المستر لاتوش Latuch الوكيل الانجليزى ودية وأكثر من الودية [٣] . وتمكن الانجليز عن هذا الطريق من ممارسة امتيازات جديدة فى العراق ، ظهرت بشكل سافر فى أعقاب نزول الحملة الفرنسية على السواحل المصرية سنة١٢١٣هـ — ١٧٩٨م ، وتردد الأنباء بأن الحملة لن تكون قاصرة على مصر وإنما ستسعى فى الوصول إلى الهند ، ولهذا أسرع الإنجليز بإرسال سفن مسلحة لترابط تحت نوافذ المقيمية البريطانية فى بغداد ، وأصبح لكلمة الوكيل السياسى البريطانى فى بغداد وزنها [٤] .

وهكذا نجد أنه فى الوقت الذى كان العراق يمر فيه بأعنف المشاكل

---

(١) أحمد على الصوفى تاريخ المماليك فى العراق ، ص ٧٦ ، ٧٧ .

(٢) د. عبدالعزيز نوار : المصالح البريطانية فى أنهار العراق ١٦٠٠ — ١٩١٤ ، ص ٢٨ .

(٣) S.H. Longrigg, op. cit., pp. 197-198.

(٤) د . عبد العزيز نوار ، المرجع السابق ، ص ٣٠ .

الداخلية وبخاصة مشكلة العشائر ، كان النفوذ الإنجليزى يدعم أركان سياسية فيه .

تلك صورة موجزة عن الوضع الداخلى فى العراق فى الفترة التى بدأت قوات آل سعود فيها تدق حدوده وتصطدم بالعشائر العربية هناك بقصد تحقيق أهدافها .

وليس من شك فى أن هذا الوضع شجعها على مواصلة عملياتها المتكررة ضد الأراضى العراقية ، كما سنراه مفصلا فيما يلى :

آل سعود والعشائر فى جنوب العراق :

قامت العشائر العراقية وعلى رأسها الخزاعل الشيعة [1] والمنتفق والضفير بدور فعال فى مساندة بنى خالد والمدن النجدية التى طلبت مساعدة هذه العشائر ضد العمليات السعودية ، وتأكد لدى الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود أن هذه العشائر تقف وراء كثير من الاضطرابات التى تنشب بين حين وآخر فى الأحساء وفى بعض المدن النجدية [2] .

وأدرك أنه لا بد من القيام ببعض الأعمال التأديبية ضدها وبخاصة عشائر المنتفق التى كانت تقوم بالدور الأول فى مساندة الثائرين ضد آل سعود وعشائر المنتفق عبارة عن تحالف بين ثلاث عشائر كبيرة هى : بنو مالك وبنو سعد والأجود . ثم الاتفاق فيما بينها بعد صراع مرير على حقن الدماء وتوحيد رياستها فى أسرة آل شبيب الشريفة الأصل ، ثم قدرت بعض العشائر الأخرى قيمة هذا الاتحاد فدخلت تحت لوائه وبذا أصبحت عشائر المنتفق تضم العدنانية والقحطانية على قدم المساواة ، وكانت هذه العشائر تقطن جنوب العراق ،

---

(١) د . عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٢٩ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٧٥ .

وكانت دائماً تطمع فى البصرة وفى السيطرة على المنطقة الواقعة بينها وبين السماوة وكما كانت تمردات المنتفق مصدر قلق لحكومة بغداد [١] فإن المنتفق أيضاً كانت مصدر إزعاج لآل سعود لمساندتها لأعدائهم ، ولذا فإن الأمير سعود قاد سنة ١٢٠٣ هـ — ١٧٨٨ م جيشاً وفاجأ المنتفق فى الموضع المعروف بالروضتين بين المطلاع وسفوان [٢] ، وكانت هذه هى المرة الأولى التى تدخل فيها القوات السعودية الحدود العراقية . ولم يستطع الأمير سعود فى هذه الغزوة أن يحقق هدفه فى وضع حد لأعمال المنتفق العدائية .

ظلت عشائر المنتفق فى أعمالها العدائية لآل سعود وإستقبال كل هارب من وجه نفوذهم ، ففى العام التالى لغزو سعود لهم سنة ١٢٠٤ هـ — ١٧٨٩ م لجأ إليهم عبد المحسن بن سرداح وأتباعه من آل خالد وأهل الأحساء [٣] . وتكرر هذا العمل أيضاً حينما لجأ إليهم ابنه براك بن عبد المحسن سنة ١٢٠٧ هـ ١٧٩٢ م .

أدرك آل سعود أنه لا بد من القيام بعمل جاد ضد العشائر العراقية وتحطيم قوتها ، واتباع أسلوب الهجوم المستمر عليها ولذا توالت الغزوات السعودية ضد هذه العشائر ، فقاد الأمير سعود فى سنة ١٢٠٩ هـ — ١٧٩٤ م غزواً ضد بنى ظافر على الحدود العراقية فى مقاطعة الحجرة ، وغنم منهم كثيراً من الأموال [٤] .

ومما لاريب فيه أن آل سعود نجحوا فى نقل ميدان الهجوم إلى الأراضى الجنوبية من العراق نفسه ، وشجعهم على ذلك إستقرار الوضع لهم فى الأحساء

(١) عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٥٣ — ٩٥ ؛ العزاوى ، عشائر العراق جـ٤ ، ص ٤ — ١٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٨٥ .

(٤) H. St. Philby, op. cit., pp. 87-88.

كلية سنة ١٢١٠ هـ — ١٧٩٥ م [1]، وتمكنت القوات السعودية من القيام بعمليات تهديدية ضد العشائر العراقية ووصلت عملياتها إلى ضواحي البصرة. وفي تلك الأثناء كان الضغط السعودي على الحجاز قد وصل ذروته، وكانت مكاتبات الشريف غالب للدولة العثمانية متواصلة يحثها على مد يد العون له ولكن ظروف الدولة الداخلية والخارجية آنذاك لم تكن تساعدها على تجريد جيش عثماني للقضاء على الحركة السعودية[2].

أرسل السلطان العثماني إلى سليمان باشا والي بغداد يأمره بالزحف على الدرعية والقضاء عليها، ولكن سليمان باشا كان يقدر الصعوبات التي تواجه قواته إذا خاضت حرباً صحراوية ضد قوات آل سعود السريعة الحركة، والتي أتقنت الانسحاب والمناورة [3]، بالإضافة إلى خشيته من ثورات العشائر وبخاصة العشائر الكردية في الشمال. وفي تلك الأثناء وصلت إلى والي بغداد رسائل كثيرة من أهل الأحساء وعشائر المنتفق تطالبه بإطلاق صراح ثويني ابن عبد الله * أمير المنتفق السابق وإسناد أمر قتال آل سعود إليه.

رأى سليمان باشا أن من الخير له أن يرمي آل سعود بعرب العراق الذين

---

(١) و (٢) د. أحمد أبو حاكمه، تاريخ الكويت، ج ١، القسم الأول، ص٢٠٦.

(٣) عبد العزيز نوار، داود، ص٨٣.

(*) ثويني بن عبد الله من آل شبيب، آلت إليه زعامة المنتفق، وكانت العلاقة بنه وبين آل سعود طيبة إلا أن ثويني أقحم نفسه في النزاع الذي كان قائماً بين آل سعود وبني خالد (١٧٨٦م، ١٢٠٠ هـ) ثم هاجم قرى القصيم النجدية ولم يتمكن من الاستيلاء على القصيم لأن الأحداث في البصرة إضطرته إلى الرجوع مسرعاً وحاول الاستقلال بالبصرة فخرج إليه سليمان باشا وهزمه ففر ثويني إلى بني كعب، ومن هناك لجأ إلى الدرعية (١٧٨٩ م، ١٢٠٣ هـ). وعامله عبد العزيز بن محمد بن سعود معاملة حسنة وظل طوال مدة إقامته في الدرعية يرسل إلى سليمان باشا يطلب منه أن يعفو عنه، فعفا عنه باشا بغداد بشرط إقامته في بغداد نفسها فوافق وعاد إلى بغداد، وظل بها حتى كلفه سليمان بحرب آل سعود (١٧٩٦ م، ١٢١١ هـ) وأسند إليه إمارة المنتفق مرة ثانية.

انظر ابن غنام. تاريخ نجد، ص ١٦١ — ١٦٢ وابن بشر، ص ١٠٧.

لم يقبلوا على مبادىء الدعوة السلفية . وفى نفس الوقت رأى فيهم قوة أقدر على حرب الصحراء من قواته المملوكية .

أفرج سليمان باشا عن ثوينى وأسند إليه إمارة المنتفق بدلا من حمود بن ثامر ، وعقـد له لواء حرب آل سعود ، وجد ثوينى فى جمع جيش كبير من المنتفق وأهل الزبير والبصرة ، والعناصر الساخطة من بنى خالد [١] . وكانت هذه الحملة أول صدام مباشر بين آل سعود وبين قوة مكافئة من قبل والى بغداد بحربهم .

حملة ثوينى :

لم يتجه ثوينى بحملته إلى الدرعية مباشرة وإنما اتجه بها إلى الأحساء ونرى أن ذلك يرجع إلى عوامل عديدة دفعت بثوينى أن يتخذ لحملته هذا الاتجاه منها :

أولا : وجود زعيمين من زعماء بنى خالد هما : براك بن عبد المحسن ومحمد ابن عريعر وأتباعهما بين قوات الحملة [٢] لعل ذلك يسهل له أمر فتح الأحساء وإدارة الحرب منها ضد الدرعية .

ثانيـاً : اتخاذ طريق الخليج وسيلة لنقل بعض الجنود وبخاصة الجنود الأتراك فى البصرة إلى القطيف التى قرر أن يتخذها القاعدة الرئيسية لعملية فتح الأحساء .

ثالثاً : قدر ثوينى أنه من اليسير عليه أن يثير بعض العناصر الساخطة فى الأحساء وبخاصة الشيعة ضد آل سعود وهذا يسهل له أمر النجاح فى مهمته .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

(٢) H. St. Philby, op. cit., p. 83-84.

رابعاً : ليس من شك فى أن ثوينى أدرك أهمية الأحساء كمركز تموين لقواته إذا طال أمد الحرب بينه وبين آل سعود [١] . أما إذا سار إلى الدرعية مباشرة فإنه لن يجد فى المدن النجدية مركز تموين مثل الأحساء . خاصة وأنه على دراية سابقة بهذه المدن .

خامساً : كانت المبادىء السلفية فى ذلك الوقت قد ركزت فى نفوس معظم سكان المدن النجدية وأنه من العسير على ثوينى أن يثير عناصر كثيرة ضد آل سعود ، الذين تدعمت سلطتهم على كل المدن النجدية بشكل قوى بعكس مدن الأحساء الحديثة العهد بهذه المبادىء والتى توجد بها عناصر كثيرة ساخطة على الدعوة وآل سعود [٢] .

ليس من شك فى أن هذه العوامل ، دفعت بثوينى بالاتجاه بحملته صوب الأحساء بدلا من الاتجاه المباشر صوب الدرعية .

على أننا نستطيع أن نؤكد أن حملة ثوينى هذه لم يقدر لها أن تلعب الدور الذى كان منوطاً بها ، وكانت عوامل فشلها تسير معها بين عناصرها المتباينة وخاصة بين صفوف رجال بنى خالد الذين كانت تضمهم هذه الحملة ، فقد تأكد براك بن عبدالمحسن من ميول ثوينى إلى محمد بن عريعر ، والاتفاق معه على إسناد حكم الأحساء إليه بعد إسترجاعه من آل سعود . ولذا أضمر الغدر بثوينى [٣] . واتصل سراً بحسن بن مشارى القائد السعودى [٤] . وكانت الدرعية قد سيرت قوات ضخمة صوب الأحساء لملاقاة حملة ثوينى وصدها قبل أن تتمكن من تحقيق أهدافها .

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٢٨ .

(٢) لمع الشهاب ، ص ١٢٨ .

(٣) رسول الكركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ — ٢١٥ .

(٤) H. St. Philby, op. cit., p. 88.

ومما تجدر الإشارة إليه أن ثويني لقي مصرعه على يد أحد عبيد بني خالد [١] قبل أن يتمكن من القيام بأي عمل ناجح ضد آل سعود . وتذكر بعض المصادر أن قتل ثويني كان بترتيب من براك بن عبد المحسن وأن القاتل كان من عربة [٢] .

ما كاد نبأ مصرع ثويني ينتشر بين الجنود حتى وقع الاضطراب فى صفوف القوات العراقية . واضطرت إلى التراجع والعودة إلى بلادها دون أن تحقق أى هدف من أهدافها ، وطاردت القوات السعودية فلول القوات العراقية حتى حدود الكويت ، واستولت على كثير من معداتها من المدافع والعتاد [٣] ، وغنمت غنائم كثيرة فى أثناء مطاردتها لعشائر المنتفق بالذات [٤] . وليس من شك فى أن القوات العراقية المنهزمة تحققت من غدر براك بن عبد المحسن عندما رأته فى أثناء عودتها هاربة يقود جيشاً سعودياً كبيراً [٥] .

نستطيع أن نؤكد أن حملة ثوينى رغم استعداداتها الضخمة ورغم أنها لقيت ، كما تذكر بعض المصادر العون من عتوب الكويت الذين كانوا يقاسون من خطر التهديدات السعودية المستمرة [٦] ، إلا أن كل ذلك لم يحل دون فشلها وهزيمتها ، مما أدى إلى إستياء سليمان باشا . وأدرك أنه لا بد من إعداد قوة ضخمة تضم قوات نظامية إلى جانب قوات العشائر لمحاربة هذا العدو ومحاولة صد خطره الذى بدأ منذ فترة يهدد الأراضى العراقية نفسها ، وكلف باشا بغداد على باشا الكخيا بإعداد هذه الحملة .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٠٨ .

(٢) عباس العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ١٢٤ ، رسول الكركوكلى المرجع السابق ص ٢٠٥ .

(٣) رسول الكركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٤) H. St. Philby, op. cit., p. 88.

(٥) عباس العزاوى ، المرجع السابق ، ج ٦ ، ص ١٢٤ .

(٦) د. أحمد مصطفى أبو حاكمه ، تاريخ الكويت ، ج١ ، القسم الأول ص٢٥٦ .

حملة على باشا :

واصل آل سعود هجومهم على العراق بعد فشل حملة ثويني ، فهاجم الأمير سعود بجيوشه سوق الشيوخ والسماوة ووصل إلى قرية « أم العباس » وقتل كثيراً من أهلها ونهب أموالها وحرق الكثير من دورها [١] . وشن هجوماً على قبائل شمر والظفير وآل بعيج والزقاريط وغيرهم من العربان وتمكن من قتل مطلق الجربا رئيس بوادي شمر [٢] .

في تلك الأثناء كان الضغط السعودي قد بلغ ذروته على الحجاز وبات يهدد الحرمين ووصلت سليمان باشا أوامر مشددة من الباب العالي ، تأمره بإعداد حملة قوية والقضاء على الخطر السعودي الذي بات يهدد أملاك الدولة من الداخل [٣] . وكان سليمان باشا نفسه قد استاء من المصير الذي آلت إليه حملة ثويني ورأى هذا الخطر يقف على عتبة دياره ، ولذا أدرك ألا مندوحة من إعداد حملة قوية يقضي بها على قوة آل سعود ، وعهد بقيادتها إلى كخياه على باشا وكان مملوكاً كرجياً [٤] ، والواقع أن قلة خبرة على باشا الحربية وضعف شخصيته كانا من بين العوامل التي أدت إلى فشل هذه الحملة في النهاية كما سنرى .

وقد بذل سليمان باشا وكخياه جهداً كبيراً في إعداد الحملة وتجهيزها بكل وسائل القتال ، وضمت عناصر مختلفة من المقاتلين منهم الجنود المدربون وقوة من العشائر الكردية والعشائر العربية ، وقبائل الخزاعل الشيعة [٥] وقد شاهد هارفورد جونز الوكيل الإنجليزي في بغداد الاستعدادات الضخمة في العاصمة

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٢) عباس العزاوي ، عشائر العراق ، ج ١ ، ص ١٣٩ .

(٣) د. عبد الحميد البطريق ، ذكرى إبراهيم البطل الفاتح ، ص ٤ .

(٤) د. أحمد مصطفى أبو حاكمة ، تاريخ الكويت ، ج١ ، ص ٢٥٩ .

(٥) عباس العزاوي ، العشائر ، ج١ ، ص١٤٥ ؛ عبدالحميد البطريق ، المرجع السابق ، ص٤ .

لهذه الحملة لدى وصوله إليها فى أوائل سبتمبر سنة ١٢١٣هـ — ١٧٩٨ م ، حيث كانت قوات الحملة تعسكر خارج بغداد على الضفة الغربية من نهر دجلة [١] . وقد تضاعف عدد الحملة فى أثناء تقدمها صوب الجنوب بإنضمام أهل الزبير وسكان الجزيرة والبصرة وعشائر المنتفق وبوادى شمر والظفير إليها .

ومما يسترعى الإنتباه أن هذه الحملة اتجهت كسابقتها إلى الأحساء ولم تتجه إلى الدرعية مباشرة وليس من شك فى أن ذلك يرجع إلى نفس الأسباب التى سبق ذكرها عند الحديث عن حملة ثوينى ، يؤيد هذا الرأى ما رواه صاحب لمع الشهاب فى هذا الصدد فقد ذكر أنه « سار بوجهه نحو الأحساء لأن رأيه أن يقبض الأحساء أولا من يد عبد العزيز ، وهو ملك كثير الخير كالبصرة فى كثرة الطعام والأشجار والأنهار وفيه من الرنز (الأرز) شىء يكفى كل جزيرة العرب قاطبة ومن التمر كذلك . وكذا لم يبسط الملك لآل سعود حتى أخذوا الأحساء ، وهذا كل طائفة هلكت بالقحط من أطراف مملكة آل سعود يأمرهم بالذهاب إلى الأحساء فترد حالهم فى أقل الأيام . وليس ذلك إلا من بركة فيها ، وحاصل كثير ، وهو الذى دعا على باشا أن لا يقصد الدرعية أولا بل يسير إلى الأحساء ، وكان أيضاً أهل الأحساء أعداء فى الباطن مع آل سعود وهم رعايا الروم (الأتراك) سابقاً لذلك كاتبوا على باشا أوعدوه أنه (بوصوله) يخرجون كل من هو مود (ذو مودة) لآل سعود »[٢] .

وتذكر المصادر أن الحملة انقسمت عند البصرة إلى فريقين : فريق الفرسان وكان معه على باشا سار عن طريق البر قاصداً الأحساء وفريق المشاة والمدفعية ومعه المعدات والذخائر الثقيلة نقل عن طريق البحر على ظهر السفن

---

(١) H.J. Brydges, op. cit., p. 19.

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٢٨ ، انظر أيضاً رسول كركوكلى ، دوحة الوزراء ص ٢٠٥ — ٢٠٦ .

J.L. Burkhardt, Notes on the Bedouins and Wahabys, p 322.

التى استأجرها عبد الله أغا متسلم البصرة من أبى شهر وكنكون على الساحل الإيرانى من الخليج [١] إلى البحرين وموانى الأحساء .

ومما هو جدير بالذكر أن عتوب الكويت بدورهم قد ساهموا فى نقل معدات هذه الحملة فقد استأجر شيخ الكويت بعض السفن من عجير لهذا الغرض [٢] وهذا يتضح بصورة أكيدة أن العتوب فى البحرين والكويت كانوا منحازين إلى أعداء آل سعود ، فقد قدموا العون البحرى لحملة على باشا . وإن ذكرت سجلات حكومة بومباى أنهم كانوا ينوون المشاركة العسكرية الفعلية فى هذه الحملة [٣] ، ولكنهم اكتفوا فى النهاية بتقديم العون البحرى .

والواقع أن الحملة بقسميها البحرى والبرى واصلت سيرها حتى دخلت أراضى الأحساء ، وما كاد فريق الفرسان بقيادة على باشا يقترب من مدينة الأحساء — بعد المتاعب والأهوال التى لاقاها فى الطريق وأثناء إجتيازه للصحراء — حتى أرسل على باشا إلى وجوه هذه المدينة بقصد استمالتهم وترغيبهم فى الانضمام إلى جانبه ووجدت دعوته إستجابة وخاصة من السكان الشيعة [٤] ، الذين كانت نفوسهم غير راضية عن حكم آل سعود ومبادىء الدعوة السلفية [٥] .

ورغم شدة هجمات قوات على كخيا ضد الحصون السعودية فى المبرز والمفوف إلا أن هذه الحصون صمدت لها بقوة ، وأثبت كل من القائدين السعوديين سليمان بن محمد بن ماجد الذى كان على رأس حامية حصن المبرز ، وإبراهيم بن سليمان بن عفيصان الذى كان على رأس حامية حصن المفوف ،

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، تحقيق أحمد أبو حاكمة ، ص ١٢٧ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٨ .

(٣) Bombay Government, Selections, vol. 24, p. 429.

(٤) رسولى كركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٦ .

(٥) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١١٨ .

أثبتا هذان القائدان ، شدة مراسهما ، وحالا دون إحراز أى نصر لقوات على باشا الذى طال حصاره لهما . وكان لصمود هذين الحصنين السعوديين أثر سيء على نفوس جنود على باشا ، وأتباعه من أفراد العشائر[١]. وزاد من شدة سوء هذه الحالة تناقص قوات الحملة يوماً بعد يوم ، وموت كثير من دواب النقل التى كانت لدى قوات الحملة[٢] ، وازدياد إلحاح الجنود على قوادهم فى المطالبة بالعودة إلى بلادهم . ولم يكن أمام على باشا من سبيل بعد أن أدرك ألا أمل فى نجاح حملته سوى الأمر بالرحيل والعودة إلى بغداد ، دون إحراز أى نجاح ذى أهمية ضد آل سعود .

ونظراً لموت كثير من دواب النقل وهزال ما بقى منها فإن أفراد الحملة قاموا بحرق كثير من الأمتعة والعتاد ، وبصورة خاصة المعدات الثقيلة منها ، وقاموا بدفن رصاص مدافعهم عند حويرات الأحساء ، خشية أن يستفيد العدو من هذه المتروكات لو تركت سليمة[٣]. وصحب الحملة عند عودتها العناصر التى تعاونت معها من أهل الأحساء ، خوفاً من عقاب آل سعود لهم لخروجهم على سلطتهم[٤] .

ومما يلفت النظر أن قوات آل سعود حتى ذلك الحين لم تكن قد وصلت إلى الأحساء لنجدة حامياتها التى تعرضت لقصف مدفعية على باشا بشدة ، وفى الوقت الذى بدأت الحملة فيه سبيل عودتها وصل الأمير سعود بن عبد العزيز بجيوشه إلى الأحساء . وعلم بذلك فقرر أن يغير على ساقتها وجد السير بجيشه فى أثرها واستطاع أن يسبقها وينزل بقواته على « ماء تاج » وكان على كخيا قد

---

(١) رسول كركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .
(٢) عباس العزاوى ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ج ٦ ، ص ١٢٩ .
(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٨ — ١١٩ .
(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٩ ؛ رسول كركوكلى ، المرجع السابق ص ٢٠٨ .

نزل على « ماء الشباك » قريباً منه[1] ، وبدأت المناوشات بين الطرفين أدرك على باشا بعدها ، سوء حال جيشه الذى فقد كثيراً من زاده وعدته ، بالإضافة إلى حدوث الإنقسام والشقاق بين قواده . وتذكر بعض المصادر أن هذا الانقسام كان بتدبير من القائد السعودى إبراهيم بن عفيصان الذى تمكن من تقديم رشاوى لبعض هؤلاء القادة الذين جرت المكاتبات بينهم وبين الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود ، بعد أن تمكن بإغرائهم بكثير من الهبات والأموال[2] .

وليس من شك فى أن على باشا أدرك ألا جدوى من القتال مع قوات آل سعود ، ورأى أن الأمر أصبح أمر إنقاذ ما بقى من قواته من الهلاك الذى بات يتهددهم من كل ناحية . ولذا قبل المفاوضة مع الأمير سعود حول صلح يعقد بينهما ، وكانت شروط على باشا التى أراد أن يتم الصلح على أساسها ، هى :

أولا : جلاء آل سعود من الأحساء ورحيلهم عنها .

ثانياً : إرجاع الأسلاب والغنائم التى أخذتها القوات السعودية من جيش ثوينى .

ثالثاً : دفع جميع ما تكلفته حملته هذه .

رابعاً : عدم التعرض للحجاج الذين يأتون من العراق ويمرون بالأراضى التابعة لآل سعود ، مع تعهد آل سعود بالمحافظة على سلامة الطرق وأمنها[3] .

وكان الأمير سعود يدرك أنه فى موقف المنتصر ، ورغم ذلك فإنه رد على

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٩ .

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٣٠ .

(٣) عثمان بن سند البصرى ، مطالع السعود ، ص ٦٢ ؛ رسول كركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

على باشا برسالة تحمل فى ظاهرها قبول هذه الشروط ، وفى باطنها رفضها ونرى من الأهمية أن نذكر نص الرسالة التى تؤيد هذا الرأى قال سعود :

« جاءنا كتابكم وفهمنا معناه : فأما الحساء فهى قرية خارجة عن حكم الروم (العثمانيين) ولا تساوى التعب وما فيها شىء يوجب الشقاق ، وأما الأطواب (الأسلاب) فهى عند والدى فى الدرعية إذا صدرت إليه أعرض الحال بين يديه ، والوزير سليمان باشا أيضاً يكتب له ، فإن صحت المصالحة وارتفع الشقاق من الطرفين فهى لكم وأنا الكفيل بها حتى أوصلها إلى البصرة . وأما مصاريفكم فإنى لم أملك من الأمر شيئاً والشورى فى يد والدى ، وأما الأمنية (الأمن) فهى التى لا زلنا نقاتل الناس عليها حتى جعلنا الأرض كلها لله وجميع المسلمين مشتركين فيها وصار الذئب لا يقدر يضر الشاة فى أحكامنا »[1]. وقنع على باشا بهذا الرد الذى يتسم باللباقة والكياسة .

رجع على كخيا بما بقى من جيشه ودوابه دون أن يحقق الآمال التى عقدها على حملته كل من السلطان العثمانى ووالى بغداد ، ولم يستطع أن يوقف العمليات السعودية أو يحد منها . ولقد كانت هزيمة هذه الحملة عاملا مشجعاً لآل سعود فى استمرارهم فى الإغارة على أطراف العراق وتحديهم لوالى بغداد والسلطان العثمانى بالإضافة إلى أنها كلفت خزينة سليمان باشا كل ما كان قد ادخره منذ سنة ١١٩٤ هـ — ١٧٨٠ م حتى وقت الحملة سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م[2] .

ونستطيع أن نوجز العوامل التى أدت إلى فشل هذه الحملة فيما يلى :

أولا : كانت الحملة تضم عناصر متباينة بالإضافة إلى وجود الحزازات بين

---

(١) عثمان بن سند البصرى ، المرجع السابق ، ص ٢٦ ؛ رسول كركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٩ .

(٢) رسول كركوكلى ، دوحة الوزراء ، ص ٢١٠ ؛ عباس العزاوى ، تاريخ العراق ج ٦ ، ص ١٣٤ .

زعماء العشائر التى انضمت إليها[١] .

ثانياً : ضعف قدرة على باشا الحربية وقلة خبرته بحروب الصحراء التى تتطلب المهارة والخفة وسرعة الحركة ويضيف هارفورد جونز إلى ذلك سوء معاملته للأعراب الذين التحقوا به واعتماده عليهم فى أكثر الأجزاء صعوبة فى عمله الحربى[٢] .

ثالثاً : استبسال دفاع الحاميات السعودية فى المبرز والمفوف الذى تسبب فى طول مدة الحصار وفقدان الحملة لكثير من معداتها وأدخل اليأس فى نفوس أفراد العشائر، وبالتالى أدى إلى الانقسام بين زعماء الحملة واختلافهم مع على باشا فى الوقت الذى وصلت فيه إمدادات الدرعية إلى حامياتها[٣] .

على كل ، فإن هذا الصلح الذى تم بين سعود وعلى كخيا لم يقدر له أن يكون طويل الأمد ؛ فقد حدث فى سنة ١٢١٤هـ — ١٧٩٩م أن تصدت قبيلة الخزاعل الشيعة لبعض أتباع آل سعود بالقرب من النجف وقتلت منهم حوالى ثلاثمائة رجل[٤] فاستغل أمير الدرعية هذا الحادث وأرسل يحتج لدى والى بغداد ويطالبه بدفع دية المقتولين وإلا نقض عهده . فكلف والى بغداد عبد العزيز بن عبدالله الشاوى بالمرور على الدرعية فى أثناء عودته بعد أداء فريضة الحج ومباحثة كل من الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود وولده سعود حول هذا الموضوع ، ولم ينجح هذا المبعوث فى مهمته، ورأى أن سلطات الدرعية تصر على أن يكون لها غربى الفرات من عانة إلى البصرة[٥] . وقال له الأمير سعود « أما كفا

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ١٣٠ — ١٣١ .

(٢) H.J. Brydges, op. cit., vol. 2, pp. 27-28.

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٩ ؛ لمع الشهاب ، ص ١٣٠ ، ١٣١ .

(٤) رسول كركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢١٢ ؛ أحمد عبد الغفور ، السابق ، ص ٦٧ .

(٥) د. عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٢٩ .

الوزير أننا تاركوه يحكم فى بغداد والله عن قريب ترى جميع غرب الفرات لنا وشرقيه له »[1] . وعاد عبد العزيز الشاوى إلى العراق وقد اقتنع بالمبادىء السلفية وصار داعية لها[2] . وبات الصلح بين الطرفين منتقضاً وعادت القوات السعودية تهاجم أطراف العراق .

مذبحة كربلاء :

لم يكن من السهل على آل سعود نسيان قتل الخزاعل الشيعة لبعض رجالهم ولعل هذا كان السبب الرئيسى فى هجوم القوات السعودية فى ٢٠ أبريل ١٨٠١ م — ١٢١١ ﻫ على المزارات الشيعية مباشرة للانتقام من الشيعة وهدم مزاراتهم التى كان أتباع الدعوة السلفية يرون فيها تجسيداً وإحياء للوثنية ؛ فقد قاد الأمير سعود بنفسه جيشاً كبيراً ودخل حدود العراق وبعد مناوشات بينه وبين عربان المنتفق والظفير ظهر فجأة أمام كربلاء مدينة الشيعة المقدسة ، وعندما تمكنت القوات السعودية من دخول المدينة أمر سعود بهدم ما بها من قباب ومشاهد وهدم القبة الموضوعة على قبر الحسين وقتلت القوات السعودية غالب أهل المدينة فى الأسواق والبيوت دون تمييز بين كبير أو صغير[3] ، واستولت على ما فى مشهد الحسين من مجوهرات ومصاحف ثمينة كانت مهداة من الملوك وشيعة الهند وإيران إلى ذلك المشهد المقدس عندهم[4] . خرجت القوات السعودية بعد ذلك من المدينة بسرعة عائدة إلى الدرعية مباشرة[5] . ولم تستطع

---

(١) عثمان بن سند البصرى ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٢) عباس العزاوى ، تاريخ العراق ، ج٦ ، ص١٦١ .

(٣) عثمان بن سند ، مطالع السعود ، ص ٢٨ .

Hogarth, Arabia, p. 102.
Rev. S.M. Zwemer, Arabia, p. 195.

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٥) H.J. Brydges, op. cit., vol. 2, p. 27.

السعودية قوات على باشا التى خرجت لملاقاتها أن تلحق بها[1]، وبذلك استطاع آل سعود الانتقام من شيعة العراق على أعمالهم السابقة ضد القوات السعودية .

وتدل قسوة الأعمال التى قام بها الأمير سعود فى كربلاء والتى لم يستطع المؤرخ النجدى ابن بشر أن ينكر أو يدافع عنها كعادته إزاء العمليات السعودية[2]، على أن المقصود بها أولا وقبل كل شىء الإنتقام من الشيعة . ولكن قسوة هذه الأعمال كان لها أثرها السيء على سمعة آل سعود ؛ فقد زادت من كراهية الشعور الإسلامى العام ضدهم ، وجعلت الكثيرين يتخوفون من أعمالهم التى وصفت بالبربرية ، وكان دويها مريعاً لدى سلطات إيران والباب العالى على السواء[3] .

وترتب على غزو القوات السعودية لكربلاء عدة نتائج خطيرة منها :

أولا : إنتشار الفزع والرعب فى معظم قرى ومدن العراق وخاصة الشيعية منها مما جعل سلطات العراق تنشط فى تسويرها خوفاً من غزو سعودى آخر ، وأرسل سليمان باشا بعض رجاله لنقل خزينة النجف الأشراف إلى خزينة موسى الكاظم[4] .

ثانياً : هوت هذه الأعمال السعودية بسمعة سليمان باشا والى بغداد لدى العاهلين الفارسى والعثمانى على السواء ، وأظهرته بمظهر العاجز عن حماية الأماكن المقدسة التى تقع فى نطاق ولايته ، وهدد شاه إيران بغزو العراق بقصد حماية الأماكن الشيعية المقدسة لدى الإيرانيين ، وطلب السماح لقواته بالمرور

---

(١) رسول الكركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٢ .

(٣) عباس العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .
Corancez, Histoire de Wahabis, p. 25.

(٤) رسول كركوكلى ، ص ٢١٧ .

عبر أراضى العراق لقتال آل سعود . ولكن سليمان باشا رفض ذلك المطلب الإيرانى بلباقة[1] ، ويذكر بريدجز أن سليمان باشا كان يخشى شاه إيران أكثر من سلطان تركيا خوفاً من أن يجرد الشاه ضده حملة بحجة حماية الأماكن المقدسة[2] .

ولا ريب أن مذبحة كربلاء كانت صدمة عميقة لسليمان باشا الذى تمتع طوال فترة حكمه بانتصارات حافلة على الثورات الداخلية . ومات فى نفس العام الذى حدثت فيه هذه المذبحة ١٢١٦ هـ — ١٨٠١ م[3] . ولم يستطع رغم جهوده التى بذلها أن يضع حداً للخطر السعودى الذى بدأ يداهم أطراف بلاده فى الفترة الأخيرة من حكمه .

آل سعود والعراق بعد مذبحة كربلاء :

استمرت الهجمات السعودية على الأراضى العراقية ، وهددت كل المناطق الواقعة غربى الفرات ، ووصلت بعض قواتهم إلى شفاثا ، وكانت قوات العشائر تتصدى لها حيناً وتفر هاربة أحياناً ، وكان أمر ولاية بغداد بعد موت سليمان باشا قد أصبح بيد على باشا الذى سبق أن جرب حظه مع آل سعود ، وفى عهده أصبح دعاة الدرعية يثيرون الفتنة فى داخل العراق نفسه فى الوقت الذى كان الأمير سعود يجد فى تنفيذ سياسته فى السيطرة على كل ما يقع غربى الفرات[4] ، مما أدى فى ذلك الوقت إلى ظهور فكرة قيام تعاون فارسى — مملوكى القضاء على الحركة السعودية لدى كل من الإيرانيين والإنجليز[5] . إلا

---

(١) Corancez, op. cit., pp. 25, 28-29.

(٢) H.J. Brydges, op. cit., vol. 2, pp. 27-28.

(٣) رسول الكركوكلى ، المرجع السابق ، ص ٢١٧ .

(٤) عثمان بن سند البصرى ، مطالع السعود ، ص ٣٣ .

(٥) عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٤٤ .

أن السلطان العثمانى ألح على باشا والى بغداد الجديد فى ضرورة استئناف الجهود فى القضاء على هذا الخطر وتسلم هذا الباشا بالفعل فرماناً يقضى بتعيينه قائداً عاماً (سر عسكر) لغزو الأراضى السعودية، وتحطيم الدرعية. ولكن هذا الوالى الذى سبق له أن خبر الحرب مع السعوديين فى حملة الأحساء المشهورة أسرع بإرسال إيضاحات إلى الباب العالى عن الوضع الراهن آنذاك فى بغداد والصعوبات التى تكتنف مثل هذه الحملة التى يطالب منه الباب العالى القيام بها[1]. فذكر فى إيضاحاته :

أولا : إن إرسال حملة عسكرية صغيرة إلى نجد للاستيلاء على الدرعية لا يجدى نفعاً.

ثانياً : إن الوضع الحربى يتطلب تجريد جيش كبير كامل العدة متدرب على حرب الصحراء.

ثالثاً : إن إيصال الماء والأرزاق إلى بلاد تكتنفها الصحارى الرملية ليس بالأمر الهين.

رابعاً : إن حكومة بغداد لا تستطيع أبداً أن تنهض بهذه التبعات الشاقة وحدها إلا إذا ساهمت حكومة الباب العالى معها.

خامساً : الجيش الذى يقضى تجريده لمحاربة السعوديين سيكون عدده على الأقل تقديره خمسة عشر ألفاً (١٥٠٠٠) مقاتل من الجيوش النظامية عدا القبائل. ونقل هذا العدد الضخم لا يتم إلا بواسطة الإبل التى يلزم منها نحو ستين ألفاً (٦٠٠٠٠) وأن إعداد هذه العدة يلزم مدة لا تقل بأى حال عن ستة أشهر.

سادساً : إن مقدار المصاريف يمكن تقديرها مبدئياً بثمانية عشر ألف كيس *.

(١) أحمد على الصوفى، المماليك فى العراق، ص ٨١.

(*) الكيس ٥٠٠ قرش.

وصرف هذا المبلغ الضخم ينوء به كاهل خزينة بغداد ولا تقوى عليه البتة [١] .

ولكن سلطات الدولة العثمانية التي كانت على مايبدو — إلى ذلك الحين — تجهل مدى القوة التي أصبح عليها آل سعود ، لم تسترح لإيضاحات على باشا بل وأسخطها كتابه وحفزها في نفس الوقت على إصدار أمر نهائي إلى هذا الباشا بلزوم الامتثال لأوامر السلطان والمبادرة لغزو نجد والاستيلاء على الدرعية [٢] التي نجحت في إخضاع الحرمين لسلطانها وأزالت السيارة العثمانية من الحجاز .

لم يكن أمام على باشا سوى الامتثال للأوامر التي صدرت إليه ، خشية أن يجر عليه تقاعسه غضب السلطان ، وكان هذا الباشا يؤمن في نفسه بفشل كل حملة تسير إلى نجد ، ومما يؤيد ذلك أنه لم يصل بحملته الجديدة إلا إلى حدود جبل شمر ، وأخذت قواته تتجول في تلك الربوع دون أن تجسر على دخول الأراضي النجدية ، وإنما استمرت في تجولها علها تعثر على قوة سعودية صغيرة وتشتبك معاً لتظاهر أمام الباب العالي بجدية عملها ولكنها لم تنجح في ذلك ، ورجع على باشا بقواته دون أن يقوم بأي عمل جدي ضد الدرعية [٣] .

وليس من شك في أن على باشا بقيامه بهذه الحركات العسكرية المظهرية خيب أمل السلطان وأكد له أن العراق ليس هو القوة القادرة على قمع الحركة السعودية [٤] .

استمرت الهجمات السعودية بعد ذلك متواصلة على قرى ومدن العراق

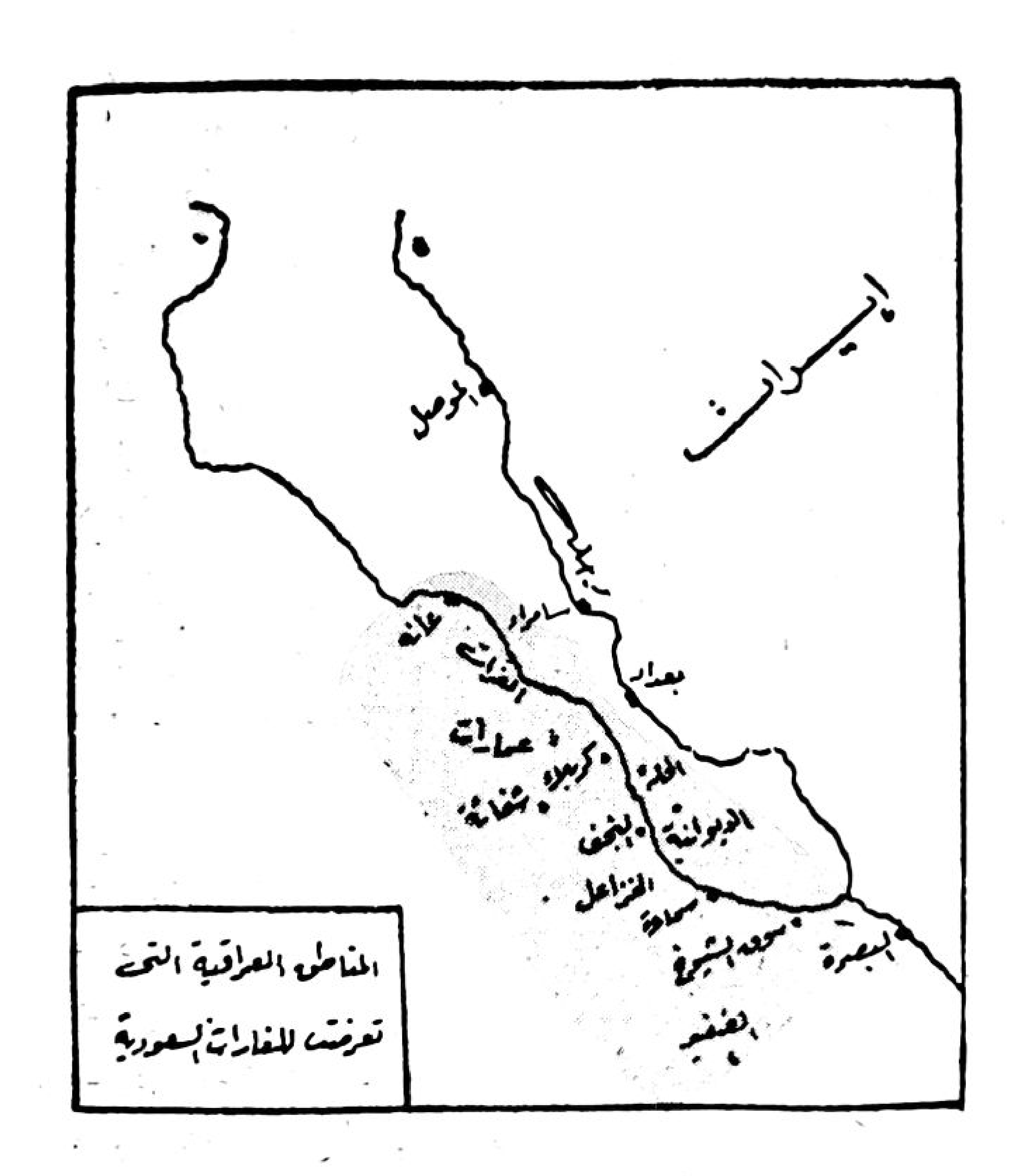
---

(١) أحمد على الصوفي : المماليك في العراق ، ص ٩٥ — ٩٦ .

(٢) أحمد على الصوفي ، المرجع نفسه ، ص ٩٦ .

(٣) د. عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٤٥ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ٤٥ .



المناطق العراقية التي
تعرضت للغارات السعودية

عاماً بعد عام وكان أقسى هذه الهجمات بعد مذبحة كربلاء مداهمة القوات السعودية للزبير والبصرة وهدم جميع القباب والمشاهد التى فى الزبير بالإضافة إلى هدمها لقصر الدريهمية[1] . وعانت المناطق الواقعة غربى الفرات من التهديدات السعودية كثيراً ، مما اضطر العشائر النازلة فى تلك المناطق أن تشد رحالها إلى أرض الجزيرة العراقية حاملة معها عناصر الاضطراب[2] . وأصبحت مصـدر إزعاج جديد لحكومة بغداد . وصار العراق خلال فترة حكم على باشا بين شقى رحى . فآل سعود يجوثون بقواتهم خلال دياره وخاصة فى المناطق الغربية من الفرات . واقتربت عملياتهم من بغداد فى بعض الأحيان ، وأصبح لهم دعاة فى العراق نفسه مما أزعج سلطات بغداد هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان الخطر الإيرانى يهدد العراق من الشرق بالتحالف مع البابانيين فى الشمال[3] . فإذا أضفنا إلى ذلك اضطرابات العشائر العديدة لأدركنا أنه لم يعد فى مقدور بغداد أن تقوم بأى عمل حربى جدى ضد آل سعود حتى نهاية حكم على باشا سنة ١٢٢٢ هـ — ١٨٠٧ م .

ولم يكن سليمان باشا الصغير الذى آلت إليه ولاية بغداد وتوابعها أسعد حظاً من سلفه . رغم اعتداله حتى قيل إنه وهابى الميول[4] . إلا أن قوات آل سعود داهمت فى عهده كربلاء للمرة الثانية سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م وإن لم تتمكن من دخولها نظراً لإحكام تحصينها وتسويرها[5] . وظلت القوات السعودية تقوم بحملات سنوية ضد العراق وتمكنت فى إحدى غزواتها من عبور نهر الفرات إلى الشامية ووصلت إلى بلاد الزبير . وتعاظم الخطر السعودى فى عهد سليمان باشا حتى إن الرعب والهلع استوليا على أهل بغداد

(١) عباس العزاوى ، تاريخ العراق ، جـ ٦ ، ص ١٦٠ .

(٢) د. عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٤٥ .

(٣) أحمد على الصوفى ، المرجع السابق ، ص ١٠١ — ١٠٢ .

(٤) د. عبد العزيز نوار ، داود باشا ، ص ٤٧ .

(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٠ .

نفسها وتسلح كل صاحب دكان أو متجر استعداداً لمجابهة هذا الخطر [١] وتمكن عبد الله بن سعود فعلا فى إحدى الغزوات من الوصول إلى قرب بغداد وهددها مباشرة [٢] واستمر الرعب يستولى على سكان العراق من الخطر الذى أصبح يهددهم فى داخل بلادهم حتى سنة ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م [٣] عندما نزلت القوات المصرية ينبع على ساحل البحر الأحمر وانشغلت القوات السعودية بالخطر الذى بدأ يهددها . ومنذ ذلك الحين انقطعت الغزوات السعودية عن الأراضى العراقية .

ورغم أن التحركات السعودية ضد العراق استمرت فترة طويلة بلغت حوالى ربع قرن (١٢٠٢ / ١٢٢٦ هـ — ١٧٨٨ / ١٨١١ م) إلا أن النفوذ السعودى لم يستطع أن يوطد أركانه فى أى جزء من الأراضى العراقية ولم تستطع الدرعية أن تعين لها عمالا فى أى بلدة عراقية ، أو تقوم بجباية الضرائب فى أى منها . وربما كان مرجع ذلك أن العمليات السعودية ضد قرى ومدن العراق كما سبق أن ذكرنا كانت تتسم بالسرعة ولم تستطع الاستقرار فى إحدى هذه القرى أو المدن ، بالإضافة إلى أن معظم المناطق التى تعرضت للغزو السعودى كانت مناطق عشائرية ، ولا نستطيع أن نغفل الاختلاف المذهبى بين معظم هذه المناطق التى كان سكانها يعتنقون المذهب الشيعى وبين مبادىء الدعوة السلفية التى كان آل سعود يقاتلون من أجل نشرها .

ومما يسترعى الانتباه أيضاً أن مبادىء الدعوة لم تلق الرواج والانتشار السريع فى العراق كما حدث فى الأحساء والحجاز وعمان واليمن . واقتصر نجاح آل سعود طوال فترة غزوهم للعراق على ما تمكنت جيوشهم من سلبه من غنائم أثناء غزوهم ، وإن جر عليهم هذا النجاح فى بعض الأحيان نقمة الشعور الإسلامى وخاصة من أهل الشيعة .

---

(١) عباس العزاوى ، تاريخ العراق ، ج ٦ ، ص ١٦٢ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٣ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

آل سعود وبلاد الشام :

بدأت أطماع آل سعود تتجه إلى بلاد الشام منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، وعلى وجه الخصوص بعد نجاحهم فى إخضاع إقليم الأحساء لسلطانهم. ويذكر المؤرخ النجدى عثمان بن بشر أن الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود فى ١٢٠٨ هـ — ١٧٩٣ م أمر بعض قواته بالاتجاه صوب دومة الجندل ومنازلة أهل هذه الناحية[١] دون أن يذكر سبباً لذلك . وإن كنا نرجح أن الدافع الرئيسى وراء مثل هذا العمل هو رغبة آل سعود فى اختبار مدى إستعداد ولاة الشام لمواجهة قواته فى المستقبل ، خاصة وأن فكرة التوسع قد بدأت تتضح فى ذهن الأمير عبد العزيز . ويؤكد لنا صاحب عنوان المجد أن هذه القوة تمكنت من إخضاع ثلاثة بلدان لنفوذ آل سعود مباشرة ونجحت فى إجبار باقى أهل الناحية فى إعلان خضوعهم وطاعتهم لأمير الدرعية ومبادىء الدعوة السلفية[٢] .

وبعد أربع سنوات من هذه الغزوة ١٢١٢ هـ — ١٧٩٧ م قاد حجيلان بن حمد أمير القصيم قوة سعودية أغار بها على بوادى الشرارات بأرض الشام وسلب الكثير من أموالهم ومتاعهم[٣] . ويبدو أن هذه الغزوات السعودية كان لها تأثير على بعض قبائل البدو التى كانت تتجول فى بادية الشام أو بعض الواحات التى تتناثر فى هذه البادية فأقبلت على اعتناق مبادىء الدعوة ، وتلزم المصادر المعاصرة الصمت عن ماهية الغزوات السعودية فى هذه الفترة ولم تذكر شيئاً عن موقف والى دمشق منها . وإن كنا نستطيع أن نقدر مدى انتشار النفوذ السعودى

---

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٠١ .
H. St. Philby, op. cit., p. 84.

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١١ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٠١ .

فى بادية الشام من مقدار الزكاة التى أصبح يدفعها أهل بادية الشام الذين أذعنوا للنفوذ السعودى ومبادىء الدعوة . فيذكر صاحب عنوان المجد أنه فى عهد الأمير عبد العزيز الذى توفى ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م « ظهر مع عمال من حلب الشام قاصدين الدرعية وهم ست نجائب محملات ريال زكوات بوادى أهل الشام »[1] .

ونستخلص من هذه الرواية أن كثيراً من بوادى الشام أصبح على طاعة آل سعود ونظامهم وأصبح ولاؤهم السياسى والدينى لأمير الدرعية وليس لوالى دمشق والسلطان العثمانى وأن هذا النفوذ إمتد إلى حلب الشام . ولكننا نشك فى مقدار هذه الزكاة ، ولم نستطع أن نعثر على مصدر آخر يؤيد رواية صاحب عنوان المجد ، ولكن الذى لا شك فيه أن بعض بوادى الشام أصبحت تدين بالولاء لآل سعود .

وفى مطلع القرن التاسع عشر كان النفوذ السعودى قد شمل الحجاز وأزال النفوذ العثمانى من الحرمين ، وأدركت الدولة العثمانية أنه لم يعد فى مقدور ولاتها فى بغداد تحطيم القوة السعودية بعد أن فشلوا فى حماية حدود بلادهم من الغارات السعودية ولذا اتجهت إلى ولاتها فى الشام خاصة وأن آل سعود بدأوا يتعرضون لمحامل الحج التى تأتى من الشام واستانبول ومصر ويمنعونها من أداء فريضة الحج[2] . ولنا أن نتساءل هل كان فى مقدور ولاة الشام تحقيق ما فشل فيه ولاة بغداد ؟

الواقع أن الوضع الداخلى فى بلاد الشام لم يكن أسعد حالا مما كان عليه الوضع فى العراق ، فإذا كان العراق قد عانى متاعب كثيرة من مشكلات العشائر ، فإن ولايات الشام كانت تعانى — آنذاك — الكثير من فساد الحكم والنزاع

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٣٤ — ١٣٨ .

بين الجند الذين انقسموا فى كل ولاية إلى فريقين . فحلب كانت تعانى من النزاع بين الانكشارية والقوات المحلية التى كانت من الأشراف . وفى دمشق كان النزاع مستمراً بين قوات القابى قول واليرلية أى الجند المحلية . وإيالة صيدا كانت تعانى الكثير من النزاع مع دروز جبل لبنان[١] .

ورغم أن أسرة العظم استطاعت فى بعض الفترات أن تعيد الاستقرار إلى ولاية دمشق إلا أن إقصاء هذه الأسرة فى بعض الفترات عن الحكم كان سرعان ما يجر إلى هذه الولاية الفوضى والاضطراب[٢] .

وتذكر المصادر أن بلاد الشام شهدت فى نهاية القرن الثامن عشر الكثير من الاضطرابات ودخل الأهالى فى نزاع مستمر مع الولاة وانقسم المجتمع إلى طبقتين: الحكام والمحكومين[٣] . ولعل هذا الوضع السيء هو الذى دفع ببعض قبائل بادية الشام إلى الانضواء بسهولة تحت الراية السعودية ، منذ نهاية القرن الثامن عشر ، ووجدت هذه القبائل فى النظام السعودى القائم على مبادىء الشرع نظاماً أفضل مما كان عليه الوضع فى ولايات الشام التى كانت تتبع لها . ورأت فيه خلاصاً لها من فساد الحكم الذى كانت تعانى منه البلاد .

بدأ تحدى آل سعود لوالى دمشق والسلطان العثمانى سافراً عند ما منع الأمير سعود ، عبد الله باشا العظم أمير الحج من الوصول إلى الحرمين فى ١٢٢١ هـ — ١٨٠٦ م ، ولم يستطع والى دمشق إزاء التحدى السعودى أن يقوم بأى عمل جدى من شأنه إشعار الأمير السعودى بأنه غير راض عن تصرفه هذا[٤] .

---

(١) د. محمد أنيس ، الدولة العثمانية ، ص ١٥٣ .

(٢) د محمد أنيس ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ .

(٣) د. أحمد عزت عبد الكريم ، مقدمة حوادث دمشق ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) انظر عثمان بشر ، عنوان المجد ، جـ ١ ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

وإن قيل أن عبد الله باشا العظم أراد قتال آل سعود ، ولكن بعض الموظفين العثمانيين الذين كانوا بصحبته أشاروا عليه بعدم الدخول مع آل سعود فى حرب ونصحوه بالرجوع إلى بلاد الشام بعد أن أعطوه عهداً بالكتابة إلى السلطان بذلك[١] . ولكن السلطان سليم أصدر فرماناً بعزل عبد الله العظم من منصبه بسبب تقاعسه عن مواجهة القوات السعودية ورجوعه بالحجاج بناء على أمر سعود بن عبد العزيز الذى أظهر بعمله هذا أن أمور الحرمين أصبحت بيده هو وحده ، وليس بيد السلطان العثمانى[٢] .

ازداد النفوذ السعودى بعد ذلك فى بلاد الشام وأصبح لهم دعاة داخل بعض القرى والمدن هناك تسربوا عن طريق مرافقتهم لبعض حجاج الشام الذين تمكنوا من أداء الفريضة برضا آل سعود ، الذين كانوا دائماً يحاولون إيجاد عناصر موالية لهم داخل الجبهات التى يتعرضون لغزوها[٣] .

آلت ولاية دمشق بعد عبد الله باشا العظم إلى يوسف باشا كنج ورغم شدة أوامر السلطان التى أرسلت إلى الوالى الجديد وتكرارها بوجوب قيامه بمحاربة آل سعود إلا أنه لم يقم بأى عمل إيجابى ضد آل سعود ، وانصرف إلى جمع الأموال لنفسه[٤] ، واكتفى فى رده على أوامر السلطان بإرسال الخطط الحربية التى يراها كفيلة بتحقيق رغبة السلطان فى القضاء على حركة آل سعود ، مقترحاً فيها تضافر جهود مصر وبغداد معه لتحقيق تلك الرغبة ، وأخذ يطالب الدولة ويماطلها فى نفس الوقت من أجل إرسال المهمات اللازمة للحملة التى يزعم إعدادها لمحاربة آل سعود[٥] . وفى الوقت الذى كان يوسف كنج يماطل

---

(١) ميخائيل الدمشقى ، تاريخ حوادث الشام ولبنان ١١٩٧ — ١٢٥٧ ، ص ١٧ .

(٢) H. St. Philby, op. cit., p. 108

(٣) ميخائيل الدمشقى ، المرجع السابق ، ص ١٧ .

(٤) ساطع الحصرى ، الدولة العثمانية والبلاد العربية ، ص ٦٥ .

(٥) الدار القومية للوثائق التاريخية من يوسف كنج إلى محمد على ، محفظة ١ بحريرا ، وثيقة ٨ بتاريخ ووثيقة ٢١ بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣ — ١٦ أبريل ١٨٠٨ .

فيه السلطان . قاد الأمير سعود حملة واتجه بها إلى بلاد الشام ، وتمكن من الوصول إلى ما وراء جبل الشيخ وكان هدفه مقاتلة القبائل السورية الضاربة فى الجوف ، ولكن هذه القبائل علمت بالتحركات السعودية فنقلت مضاربها إلى مواقع جديدة فى وادى الأردن . وتمكنت القوات السعودية من التنقل بسهولة فى سهول حوران ودمرت المزروعات والممتلكات فى المزيريب وبصرى، وهرب الكثير من السكان من وجه القوات السعودية التى حاولت الهجوم على حصن (المزيريب) الذى له أهميته على طريق الحج بعد أن ضربت الحصار حوله إلا أنها لم تتمكن من تحقيق هدفها فى اقتحامه ، ففكت الحصار عنه عائدة إلى بصرى . ووقفت مقتصرة عند أبواب الشام وفلسطين[١] . وكاتب سعود ولاة الشام يدعوهم إلى الدخول فى الطاعة وإعتناق مبادىء الدعوة ، وحاول أن يتخذ له أنصاراً من أولياء الأمر فى بلاد الشام جرياً على طريقته فى استمالة بعض العناصر الداخلية إليه ، إلا أنه لم ينجح فى تجريب هذه الطريقة فى بلاد الشام ، بسبب منعه المحامل ومعاملة رجاله للحجاج[٢] . بالإضافة إلى ما أزيع عن قسوة أعماله فى كربلاء ومدن العراق الأخرى كل ذلك أفسد عليه الأمر فى استمالة بعض عناصر الجبهة الداخلية فى بلاد الشام وسد الطريق أمام الكثير من دعاته الذين انتشروا فى هذه البلاد .

انسحبت القوات السعودية بعد ذلك من بلاد الشام محملة بالكثير من الغنائم[٣] ولم تتمكن القوات الشامية التى أعدها كل من يوسف كنج وسليمان باشا والى إيالة صيدا من مجابهة القوات السعودية[٤] .

أدرك السلطان محمود الثانى أن يوسف كنج ليس الرجل الكفؤ الذى

---

(١) أمين الريحانى ، تاريخ نجد ، ص ٧٠ .
Rev. S.M. Zwemer, Op. xit. p. 195.

(٢) أمين الريحانى ، المرجع السابق ، ص ٧٠ ؛ ميخائيل الدمشق ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ — ١٤٩ .
H. st. Philby, Op. cit. p. 61

(٤) ساطع الحصرى ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

يرجى منه صد التحركات السعودية وتخليص الحرمين ، وأنه ليس خيراً من ولاة بغداد بعد أن فشل كل منهما فى حماية حدود ولايتهما[1] ، ولذا أصدر فرماناً بعزل هذا الوالى الماطل مع مصادرة أمواله وإعدامه وتوجيه إيالة الشام إلى سليمان باشا، وطلب إليه السلطان الإتصال بمحمدعلى والى مصر لتنسيق جهودهما ضد آل سعود والقضاء على حركتهم[2] . ولكن الأحداث دلت فيما بعد على أن محمد على وسليمان باشا لم يكونا على وفاق لأسباب سنوضحها فى حينها . ولذا اتجهت أنظار الدولة كلية لتحقيق هدفها إلى والى مصر الذى نجح فعلا فيما فشل فيه كل من ولاة العراق والشام . كما سنرى .

---

(١) د . عبد الحميد البطريق ، المرجع السابق ، ص ٥ .

(٢) ساطع الحصرى ، المرجع السابق ، ص ٦٥ .

الفصل التاسع

نظم الحكم والإدارة

---

١ — تمهيد .

٢ — الإمام (الحاكم) وسلطاته .

٣ — نظام ولاية العهد .

٤ — الأمراء السعوديون .

٥ — نظام الشورى .

٦ — حكام الأقاليم .

٧ — النظام القضائي وتنفيذ الأحكام .

٨ — النظام المالي .

(أ) موارد الدخل .

(ب) أوجه الصرف .

٩ — النظام الحربي .

١٠ — تقويم نظم الحكم والإدارة .

الفصل التاسع

نظم الحكم والإدارة

تمهيد :

استقر آل سعود فى الدرعية منذ سنة ٨٥٠ هـ — ١٤٤٦ م (*) ، وكان على الأمير السعودى الذى تؤول إليه الإمارة أن يحكم طبقاً للعرف والتقاليد التى يفرضها النظام القبلى الذى كان سائداً آنذاك . وكان الأمير يستعين فى إدارة شئون إمارته الصغيرة بأفراد أسرته الذين يكونون عصبته التى تشد من أزره ، إذا ما تطلب الأمر ذلك (١) .

وكان للأمير على السكان الذين يتمتعون بحماه خراج يأخذه منهم بالاتفاق معهم وقت جمع الثمار ، كل عام ، وظلت الأمور تسير على هذا المنوال ، دون أن يطرأ عليها تغيير أو تطور طوال ثلاثة قرون ، والحق أن الدرعية لم تكن بدعاً فى ذلك وإنما كانت تلك هى السمة البارزة فى كل إمارات ومناطق الجزيرة العربية فى ذلك الوقت .

إلا أن هذا النظام بدأ يهتز ويطرأ عليه التغيير والتطور منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر ، أى منذ أن تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود على نشر دعوة التوحيد ، وتنفيذ أحكام الشرع التى نص عليها القرآن والسنة . واجتهادات السلف .

---

(١) Burkhardt, Op. cit., p. 331.

(*) تذكر بعض المصادر أن آل سعود لم يتخذوا الدرعية كعاصمة لهم إلا فى عهد مقرن فى ١١٠٠ هـ — ١٦٨٢م ، ونحن لا نتفق مع أصحاب هذا الرأى .
انظر ، صلاح المختار ، جـ ١ ، ص ٣٠ — ٣١ .

فقد بدأ الأمير محمد بن سعود يستشير الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى المسائل التى كان يعن له أن ينفذها ، واستبدل نظام الخراج القبلى الذى كان يفرضه على رعاياه بنظام الزكاة الإسلامى [١] . وحل نظام الحكم الإسلامى محل النظام القائم على العرف والتقاليد . وأن صد بعض الناس عن إتباع هذا الحكم فى أول الأمر فلأنهم رأو فيه إفساداً لنظمهم التى كانوا يسيرون عليها من قبل .

ومن الثابت أن الأمير محمد بن سعود ظل يجمع فى يده كل شئون الإدارة ؛ لأن حدود إمارته لم تبعد كثيراً عن حدود الدرعية ، ولم يستطع خلال فترة حكمه أن ينجح فى توحيد نجد بل إن أخطاراً كثيرة كانت تهدد إمارته . ورغم ذلك فقد غدا الحاكم الوحيد بين أمراء نجد الذى يسير فى إدارة شئون إمارته وفقاً لأحكام الشرع .

أما فى الفترات التالية لمرحلة حكم الأمير محمد بن سعود من تاريخ الدولة فإن الحكومة السعودية أصبحت أكثر تقيداً بأحكام الإسلام نظراً لإتساع حدود الدولة وتعدد أمورها مما أضطر الأمير السعودى ، إلى إيجاد هيئات حكومية أسند لها بعض الإختصاصات التى كان يجمعها فى يده من قبل .

وأصبح الأمير الحاكم يحمل لقب إمام ليعطى للدولة صفتها الإسلامية ؛ إذ أن هذا اللقب كان يطلق عادة على رؤساء الدول الإسلامية التى تحكم وفقاً لمبادىء الشريعة [٢] .

والواقع أن الدولة السعودية عندما اتسعت أملاكها وأصبحت تطل على بحار فى الشرق والغرب إستطاعت أن تفرض نظامها على كل المناطق والقبائل التى خضعت لها إلا أن بعض العناصر وخاصة الأسرات التى إنهار نفوذها أمام

---

(١) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرض ، ج ١ ، ص ١٠١ .

(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرض ، ج ١ ، ص ١٠١ .

التوسع السعودى لم تكن راضية عن هذا النظام ، وإنما قبلته مرغمة على أمل أن تجد سبيلا إلى الخلاص منه .

ونرى من اللازم ونحن بصدد دراسة هذه النظم أن نناقش إختصاصات حاكم الدولة التى كانت مخولة له فى شئونها .

الإمام (الحاكم) وسلطاته :

سبق أن أوضحنا أن سلطات الحاكم فى الدولة السعودية فى بدء أمرها كانت لا تخرج عن كونها سلطات أمير قبلى ، ولكن فى الفترة التالية لحكم الأمير محمد بن سعود بعد أن نجح فى توحيد إقليم نجد واتسعت حدود أملاكهم ، وتطلعوا إلى ما وراء حدود هذا الإقليم لم يعد منذ ذلك الوقت فى مقدور الأمير الحاكم إدارة شئون الدولة كلها بمفرده ، ولذا لجأ إلى الإستعانة ببعض العمال الذين عينهم نيابة عنه فى حكم الأقاليم التى خضعت لنفوذ الدولة وخولهم سلطات واسعة فى حكم هذه الأقاليم بشرط ألا يحيدوا عن نظام الدولة ، وأن يسيروا وفقاً لما يصدره لهم من تعاليم وأوامر . بالإضافة إلى الإستعانة بالأمراء من أفراد أسرته وبالشيخ محمد بن عبد الوهاب وأولاده من بعده . وكانت أهم سلطات الإمام بعد أخذ البيعة له من جميع الأقاليم عن طريق أمراء آل سعود المقيمين بها هى :

أولا — الإشراف الإدارى العام على شئون الدولة :

فيقوم بإرسال الكتب إلى عماله فى الأقاليم يوضح لهم فيها سبل السير فى حكم رعاياه ويوصيهم بتقوى الله ويحضهم على الجهاد ويزجرهم عن جميع المحظورات من الزنى والغيبة والنميمة وقول الزور والربى[1] . ويوضح لهم ذلك كله بأدلة من

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

الكتاب والسنة وأقوال السلف ، ولم نستطع أن نعثر على صورة من هذه الكتب التى كان الحكام السعوديون يرسلونها إلى عمالهم ؛ لأن المصادر المعاصرة لم تحفظ لنا أيا منها رغم أن بعضها حرص على تسجيل رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب(*) ولاندرى ما السبب الذى جعلها لا تسجل كتب الأمراء السعوديين رغم أهميتها ، وإنما اكتفت هذه المصادر بالإشارة إلى ما كانت تحويه هذه الكتب .

وكان الإمام السعودى يقوم بنفسه بالاطلاع على كل الكتب التى تصل إليه من عماله ويملى على كاتبه الرد عليها ، وإذا استشكل عليه أمر ولم يستطع البت فيه برأى جازم ، كان يستشير فيه خواصه من رؤساء البوادى وأصحاب الرأى من أهل الدرعية وأبناء الشيخ وأهل العلم ، ثم يصدر أمره بعد ذلك فى هذا الموضوع ، ويرد به على عماله[1] .

ثانياً — إشرافه على شئون الأمن :

كان حاكم الدرعية كثيراً ما يقوم بنفسه بالإشراف على شئون الأمن فينزل العقاب بالعابثين به ، ويتخذ معهم كل وسائل الشدة حتى لا تراودهم أنفسهم إلى العودة لمثل هذا العمل مرة ثانية ، وفى نفس الوقت يكونون عبرة وعظة لغيرهم . وتسرد لنا المصادر المعاصرة قصصاً تدل فى مضمونها على استتباب الأمن فى المناطق التى كانت تابعة للدولة ولم يعد أحد يجرؤ على العبث به[2] ؛ لأن جميع الرعايا أدركوا ما يحل بالعابثين من عقاب جسمانى ومادى . وكان الإمام السعودى ينفذ الحق ولو فى أهل بيته وعشيرته ولا يتعظم عظيما إذا ظلم

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(*) خصص حسين بن غنام الجزء الثانى من كتابه تاريخ نجد لرسائل الشيخ وفتاويه وتفسيره لبعض آيات القرآن الكريم .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ ؛ لمع الشهاب ص ٥٤ .

فيقمعه عن الظالم وينفذ فيه الحق . حتى قيل إن السكان صاروا يتركون إبلهم تذهب أنى شاءت دون أن يتعرض لها أحد بسوء . وأن الشخص الواحد بمفرده يسافر بالأموال الكثيرة فى أى وقت شاء وإلى أى جهة أراد دون أن يخشى أحداً إلا الله(١) .

وليس من شك فى أن انتشار الأمن فى عهد الدولة السعودية الأولى على هذه الصورة إنما يرجع إلى تطبيقها لأحكام الشرع كما سنرى عند دراستنا للنظام القضائى .

ثالثاً — الإشراف على الشئون المالية والحربية :

فكان الحاكم السعودى يقوم بإرسال عماله الذين يوكل إليهم أمر جمع الزكاة بمختلف أنواعها ويحاسبهم عليها ويقدر لهم رواتبهم ثم يشرف على ضم الباقى إلى خزينة الدولة التى كانت تسمى بيت المال ، كما كانت تسمى فى العصر الإسلامى الأول ، ويقوم بالإشراف على وجوه الصرف منها كما سنرى فيما بعد . بالإضافة إلى إشرافه على إعداد القوات اللازمة للغزو فهو الذى يكلف عمال الأقاليم ورؤساء البوادى بأن يعد كل منهم عدداً من الجند المزودين بالعدة والعتاد ويحدد لهم موعد التجمع فى مكان معلوم فى يوم معين ويقوم بعد ذلك بإنزال العقاب بكل من يتخلف عن الحضور أو يأتى بخلاف ما أمره بين(٢) .

رابعاً — الإشراف على شئون التعليم والدراسة :

فكان أمير الدرعية يحضر بنفسه مجالس الدرس ويشارك فى المناقشات العلمية ، ويعين المخصصات التى تكفى حاجة علماء الدرعية وغيرها من البلدان ، ويشرف بنفسه على شئون طلبة العلم ويعمل على حل كل ما يعترضهم من

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ ؛ لمع الشهاب ، ص ١٢٤ .
(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

مشكلات ويخرج لهم من خزينة الدولة ما يكفى نفقات معيشتهم طوال مدة الدراسة [١] .

وكان حاكم الدرعية يحرص كل الحرص أن يحضر أبناؤه وأبناء أسرته مجالس الدرس ، ويتقلوا دروسهم مع بقية الطلاب . ويذكر صاحب عنوان المجد أن الإمام سعود كان « محبباً إليه أهل العلم وطلبته ويعظمهم ويكرمهم ويجزل عطاياهم ويلزم أهل البلدان بإكرامهم وتعظيمهم » [٢] .

خامساً — الاهتمام بالفقراء والمساكين من الرعايا ودراسة حالة كل منهم على حدة وتحديد نصاب كل منهم الذى يستحقه من بيت المال ، وكان حاكم الدرعية منذ عهد عبد العزيز يقوم بإرسال ألف ريال أو أقل أو أكثر لكل ناحية أو بلدة كل حسب حالتها لتوزع بمعرفة عماله هناك على الفقراء وأئمة المساجد والمؤذنين وطلبة العلم ومعلمى القرآن [٣] .

بالإضافة إلى كل هذه الإختصاصات كان حاكم الدرعية كثيراً ما يقود الجيوش بنفسه ويخطط للمعارك التى يخوضها ، وفى فترة تغيبه عن العاصمة كان يترك إدارة شئون الدولة إلى ولى العهد أو أحد أبنائه إذا كان ولى العهد متغيباً عن الدرعية أيضاً أو مشغولا بغزوة من الغزوات فى جهة أخرى [٤] . وكان على النائب أن يقوم بجميع إختصاصات الحاكم دون التقصير فى أى منها مع إستشارته لأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والعلماء وأصحاب الرأى ممن يكونون فى الدرعية فى ذلك الوقت .

نظام ولاية العهد :

كانت ولاية العهد فى الدولة السعودية الأولى ، تسير على نظام وراثى

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ — ٢٦٩ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٧٤ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٧١ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٦٦ .

لا نحيد عنه ، ويفهم من كلام كل من إبن غنام وابن بشر أن إمام الدولة السعودية الأولى كان يتخذ من أكبر أبنائه ولياً للعهد. ويعهد إليه بقيادة الجيوش ويعتبره القائد العام لقواته فى وقت الغزو. ويستشيره فى كل الأمور. ومن الثابت أن الإمام سعود الكبير أخذ له البيعة بولاية العهد فى عهد أبيه سنة ١٢٠٢ هـ — ١٧٨٧ م فيذكر إبن بشر «أمر الشيخ محمد ... أهل بلدان نجد وغيرهم أن يبايعوا سعود بن عبد العزيز وأن يكون ولى العهد بعد أبيه وذلك بأمر عبد العزيز ... فبايعه جميعهم »[1]. وكذا تمت البيعة لعبد الله بن سعود آخر أئمة الدولة[2]، رغم وجود من هو أقدر منه لمنصب الحكم بين أفراد الأسرة السعودية ، إلا أن كفته رجحت كفة عمه عبد الله بن محمد بن سعود عندما نازعه حول منصب الإمامة .

الأمراء السعوديون :

شارك الأمراء السعوديون ، وهم أبناء الحاكم وإخوته وأبناء عمومته من أفراد الأسرة السعودية ، إمامهم فى الحكم بدرجة أو أخرى ، ولكن من المؤكد أن أحداً منهم لم يتول إدارة إقليم معين من أقاليم الدولة وإنما اقتصرت مشاركتهم على قيادة الجيوش والغزوات وإبداء الرأى فى المسائل التى يعرضها عليهم الإمام الحاكم .

ونرجح أن عدم تعيين الأمراء السعوديين كعمال على الأقاليم يرجع إلى أحد أمرين :

أولهما : خوف صاحب الدرعية أن يستبد أفراد أسرته بالسلطة ويسيئوا إلى الرعية ، أو يعملوا على الاستقلال عنه بهذه الأقاليم مما يؤدى توزيع قوة

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٨٣ ، ٩٠ ، ١٧٦ ؛ حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ؛ حافظ وهبه ، جزيرة العرب ، ص ٢١٨ .
(٢) صلاح المختار ، المملكة العربية السعودية ، حـ ١ ، ص ٥١ .

الدولة ويثير الحروب الأهلية بين أفراد الأسرة السعودية أو يكون استبدادهم سبباً فى كراهية الناس لنفوذ آل سعود مما يترتب عليه إثارة الاضطرابات ضدهم .

ثانيهما : ربما يكون الأئمة السعوديون قد رموا من وراء سياسة عدم تعيين أفراد أسرتهم كعمال لهم ، إلى الاحتفاظ بهم فى العاصمة بجانبهم حتى يتمكنوا من إسناد قيادة الجيوش إليهم إذا دعت الأمور إلى ذلك بالإضافة إلى أن وجودهم فى الدرعية يكون سنداً وقوة للامام . ويشد من أزره إذا دعت الحاجة .

ورغم أن أحداً من أفراد الأسرة السعودية فى فترة بحثنا لم يتول منصب إدارة إقليم من الأقاليم ، إلا أنه من المؤكد أن كل الأمراء السعوديين قد قاموا بدور فعال منذ قيـــام الدولة وإلى حين انهيارها وشاركوا فى تقوية نفوذها وتوسيع حدودها وبرزت من بين صفوفهم أسماء كثيرة قامت بأدوار كبيرة على رأسها محمد بن حسن بن مشارى بن سعود ، وعبد الرحمن بن محمد بن سعود ، وناصر بن مشارى ، وغيرهم من الأمراء الذين بذلوا كل جهدهم فى معركة الدرعية للدفاع عنها أمام هجمات جيش ابراهيم باشا ، ولـكنهم لم يستطيعوا ذلك إذ كانت القوة المهاجمة أكبر من طاقتهم .

نظام الشورى :

بعد تحالف الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد بن سعود ، كان الأمير يستشير الشيخ فى كل الأمور ويستشير ابنه عبد العزيز الذى كان ساعده الأيمن فى إدارة شئون الدرعية ، وظل الأمر على ذلك طوال فترة حكم الأمير محمد بن سعود . ولـكن فى عهـد عبد العزيز بن محمد اتسعت أملاك الدولة وتعقدت شئونها وفوض الشيخ محمد بن عبد الوهاب كل أمور الدولة إلى عبد العزيز وانقطع هو للأمور الدينية ، إلا أن عبد العزيز لم يكن فى مقدوره أن يبت فى كل الأمور بمفرده ولذا كان دائماً يلجأ إلى استشارة الشيخ محمد بن

عبد الوهاب ولا ينفذ حكماً إلا بإذنه . بالإضافة إلى إستشارته للأمراء من أفراد أسرته والعلماء وأصحاب الرأى[1] .

أما فى عهد الإمام سعود وخلفه عبد الله فقد كانت الشورى تتمثل فى المراحل التالية فى الأمور التى لم يستطع الإمام الحاكم أن يقطع فيها برأى جازم .

أولا : إستشارة رؤساء البوادى وأخذ رأيهم .

ثانياً : إستشـارة أصحاب الرأى من أهل الدرعية بما فيهم الأمراء وأخذ رأيهم .

ثالثاً : إستشارة أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأهل العلم من أبناء الدرعية .

ثم يقرر الإمام الحكم فى الأمر الذى كان موضوع الشورى ويصدر به قراراً[1] . أما فى وقت الحروب فقد كان حكام الأقاليم الخاضعة للدولة يكونون مجلساً استشارياً غير رسمى لمساعدة الإمام فى تصريف الأمور[3] . وكان الذين يشاركون فى الشورى هم رؤساء العرب وأصحاب الكلمة فيهم وأهل العلم منهم . وهم خير من يمثل الرعية ، فليس من شك أن الرئيس البدوى الذى هو شيخ قبيلته التى اختارته عن طواعية هو خير من يمثلها ، وهو فى نفس الوقت يتمتع بمكانة كبيرة لدى أفراد القبيلة ولا يستطيع أحد أن يتطاول على مكانته ، وبالإضافة إلى المكانة التى كان يتمتع بها علماء الدين فى ذلك الوقت . فإن ذلك يوضح أن نظام الشورى فى الدولة السعودية الأولى كان نظاماً ما سليماً إلى حد كبير .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٦٦ .

(٣) Burkhardt, Op. cit., p. 296.

نظام الأقاليم :

كان للدولة السعودية فى عهدها الأول حاكم واحد هو الأمير محمد بن سعود وكانت كل أمورها فى يده وإن إستعان بمشورة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وابنه عبد العزيز كما سبق أن أشرنا . وذلك لأن حدود الدولة لم تتجاوز حدود الدرعية كثيراً ، وكانت تعيش فى صراع من أجل المصير مع الأمراء المجاورين وخاصة أمير الرياض دهام بن دواس .

أما فى المراحل التالية لحكم الأمير محمد بن سعود من تاريخ الدولة ، فقد اتسعت حدودها وبسطت سلطانها على كثير من المناطق والأقاليم ، وامتدت حدودها من البحر الأحمر غرباً إلى الخليج العربى شرقاً ومن باديتى الشام والعراق شمالا إلى اليمن وعمان جنوباً ولذا لم يعد فى مقدور الإمام السعودى أن يشرف بنفسه على كل هذه المناطق إشرافاً مباشراً ، فاتخذ له عمالا ينوبون عنه فى حكم هذه الأقاليم ، ويقيمون فيها النظام ويشرفون على إدارتها وينفذون نظم الدولة وأحكامها ، وكان عليهم أن يقوموا باستشارة مشايخ العرب فى هذه الأقاليم حتى لا يظهروا بمظهر الحكام المستبدين[١] .

وكان الإمام السعودى يقوم باختيار هؤلاء الحكام الذين ينوبون عنه من العناصر المخلصة لآل سعود والمؤمنة بمبادىء الدعوة السلفية إيماناً عميقاً حتى يطمئن إلى تنفيذ نظم الدولة على خير وجه[٢] .

وكانت الدرعية تمد يد العون لهؤلاء الحكام إذا أعجزهم أمر من الأمور وبالإضافة إلى هذه الأعمال المنوطة بحكام الأقاليم فإنه كان عليهم إعداد الفرق العسكرية التى يكلفهم الإمام بإعدادها . ومساعدة جامعى الزكاة فى تحصيلها على خير وجه ، وكان على الحاكم الذى يقوم بغزوة من الغزوات أن يعزل خمس

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٦ .

(٢) حكومة المملكة العربية ، العرض ، ج ١ ، ص ٤٥ .

ما يغنمه جيشه ويرسله إلى بيت المال فى الدرعية[١] .

وكان الإمام السعودى إذا رأى زيغاً أو انحرافاً من أحد عماله ، يعزله وينزل العقاب به[٢] .

وعلى كل ، فإن بيوتاً معينة أمدت آل سعود بمعظم هؤلاء الحكام مثل بيت السديرى[٣] ، وبيت عفيصان اللذين قدما كثيراً من كبار الموظفين للدولة .

ولم يكن حاكم الإقليم يشرف على كل الأمور بمفرده وإنما كان هناك بعض الموظفين إلى جانبه لكل منهم اختصاصه مثل :

١ — قاضى الشرع الذى يقوم بإصدار الفتاوى فى الأحكام الشرعية ، ويفصل فى الخصومات التى تقع بين الناس ، ويشرف على تنفيذ أحكام الدين فى الإقليم .

٢ — عمال الزكاة الذين يقومون بجمع الزكاة والخراج من الرعايا طبقاً لأحكام الشرع[٤] .

وكثيراً ما كانت مدة شغل هؤلاء الموظفين لوظائفهم عاماً واحداً وربما جددت لعام آخر أو أكثر ، وإن استمر بعضهم فى وظائفهم لمدى الحياة كما يتضح من الجدول التالى والذى أوضحنا فيه إسم الإقليم والعمال الذين تولوا حكمه فى عهد كل من عبد العزيز وسعود وعبد الله ، أى إلى حين انهيار الدولة سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م .

وقد اعتمدنا فى إعداد هذا على ما أورده لنا مؤرخو هذه الفترة .

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٥٠ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٥١ .
(٣) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرض ، ج ١ ، ص ٤٥٩ .
(٤) عثمان بن بشر ، ص ١٢٩ ، ١٧٥ .

أسماء العمال (الحكام)

رقم مسلسل	اسم الإقليم	عمال عبد العزيز	عمال سعود	عمال عبد الله
١	عسير وتهامه	عبد الوهاب أبو نقطه	عبد الوهاب أبو نقطه ثم طامي بن شعيب	خضعت للحكم المصري
٢	الحجاز	عثمان بن عبد الرحمن المضايفي	عثمان بن عبد الرحمن المضايفي	خضعت للحكم المصري
٣	عمان	صقر بن راشد رئيس رأس الخيمة	سلطان بن صقر بن راشد ثم ابن أخيه حسن بن رحمة	حسن بن رحمه
٤	الأحساء	سليمان بن محمد بن ماجد	إبراهيم بن سليمان ابن عفيصان	فهد بن سليمان بن عفيصان
٥	القطيف	أحمد بن غانم	أحمد بن غانم	إبراهيم بن غانم
٦	زبارة والبحرين	سليمان خليفة	سليمان بن خليفة	سليمان بن خليفة
٧	وادي الدواسر	ربيع بن زيد الدوسري	ربيع بن زيد الدوسري	قاعد بن ربيع بن زيد
٨	الخرج	إبراهيم بن سليمان بن عفيصان	عبد الله بن سليمان ابن عفيصان	عبد الله بن سليمان ابن عفيصان
٩	المحمل	ساري بن يحيى بن سويلم	ساري بن يحيى	ساري بن يحيى بن غيهب
١٠	الوشم	عبد الله بن محمد بن غيهب	محمد بن إبراهيم بن غيهب المعروف بالجبع	محمد بن يحيى بن غيهب
١١	السدير	عبد الله بن جلاجل	حمد بن سلم ثم عبد الكريم معيقل	عبد الله بن محمد بن معيقل ثم محمد بن إبراهيم أبا الخيل

تابع أسماء العمال (الحكام) *

رقم مسلسل	اسم الإقليم	عمال عبد العزيز	عمال سعود	عمال عبد الله
١٢	القصيم	حجيلان بن حمد في بريده	حجيلان بن حمد	حجيلان بن حمد
١٣	جبل شمر	محمد بن عبد المحسن ابن فايز بن على	محمد بن عبد المحسن ابن فايز	محمد بن عبد المحسن ابن على
١٤	الجمعة والنبخ	كانتا غالباً تابعتان لحاكم السدير	كانتا تابعتان لحاكم السدير	كانتا تابعتين لحاكم السدير
١٥	بيشه	سالم بن شكبان	سالم بن شكبان ثم ابنه فهاد	خضعت للحكم المصرى
١٦	رنيه	مسلط بن قطان	مسلط بن قطان	خضعت للحكم المصرى
١٧	تربه	حمد بن يحي	حمد بن يحي	خضعت للحكم المصرى
١٨	أمير الجيوش فى عمان	—	مطلق المطيرى	بتال المطيرى أخو مطلق
١٩	مكة	—	الشريف غالب بن مساعد	خضعت للحكم المصرى
٢٠	المدينة	—	حسن قلمى	خضعت للحكم المصرى
٢١	ينبع	—	جابر بن جبارة الشريف	خضعت للحكم المصرى

ملحوظة : كان كل إقليم يستولى عليه المصريون تزال عنه الإمارة السعودية حتى انهيار الدرعية نفسها .

(*) انظر ، ابن بشر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٢٩ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ٢٠٩ ؛ حسين بن غنام ، روضة الأفكار والأفهام ، لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب .

القضاء وتنفيذ الأحكام :

ذكرنا أن هناك قضاة كانوا يساعدون فى حكم الدولة والآن نوضح طبيعة القضاء فى الدولة السعودية الأولى .

كان القضاء فى هذه الدولة يسير وفقاً لأحكام القرآن والسنة واجتهادات السلف . ولذا كان يشترط فيمن يتولى منصب القضاء أن يكون من علماء الشرع الذين لهم خبرة طويلة بعلوم الشريعة . وكان عبد العزيز بن محمد بن سعود هو أول من أرسل قضاة إلى الأقاليم ، واختارهم من أقدر رجاله وأعدلهم . وعين لهم راتباً سنوياً من بيت المال ومنعهم من أخذ الرشاوى من الأطراف المتنازعة التى تعرض عليهم الشكاوى[1] .

وكان هؤلاء القضاة يعملون بأحكام الشرع فى المعاملات والعبادات لا تفريق فى ذلك بين رفيع ووضيع أو أمير وفقير حتى بلغ من تأثير ذلك على الناس مبلغاً لا يحتاج معه إلى تنفيذ كثير من الحدود لاجتناب الناس لأسباب الحكم فيها[2] .

أما عقوبة الجرائم فى الدولة السعودية الأولى كانت مبنية على الأحكام التى سنها القرآن فى هذا الميدان . فالسارق تقطع يده ، والقاتل إن ثبتت جريمة إرتكابه القتل يقتل أو يدفع دية القتيل وقد قدرت بمائة ناقة وقدر الإمام سعود ثمن كل منها ثمانية جنيهات ، أى أصبحت دية القتيل ثمانمائة جنيه إذا وافق أهله على أخذ الدية وإلا نفذ فيه الحكم[3] .

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٥٠ .

(٢) محب الدين الخطيب ، الوهابية ، مجلة الزهراء ، مجلد ٣ ، صفر سنة ١٣٤٥ ، ص ٨٣ .

(٣) Burkhardt, Op. cit., p. 301.

وفى القضايا الأخرى التى لا تستلزم جريمتها القتل كثيراً ما كان القضاة ينزلون العقاب بمرتكب الجريمة جسمانياً ومادياً ليكون عبرة لغيره . ويجوز لكل قاض أن يأخذ فى أحكامه بأى مذهب ما دام ذلك أقرب فى رأيه إلى الصواب وإن خالف ذلك مذهب أحمد بن حنبل مما أدى إلى تفاوت الأحكام فى الحالات المتشابهة عند التطبيق العملى(١) .

وعلى كل ، فإن الأحكام القضائية فى الدولة السعودية الأولى كانت قليلة جداً نظراً لخوف الناس من العقاب ولأن التحركات العسكرية السعودية كانت كثيرة ومستمرة فى كل الجهات لإقرار النظام وتوطيد الحكم السعودى .

ولم يكن حظ القضاء أسعد حالا من غيره من النظم من حيث تسجيل الأحكام وحفظها ، فلم تدون الأحكام ولم تحفظ فى سجلات خاصة ، وإن استطعنا أن نعثر على أسماء القضاة الذين استعان بهم آل سعود منذ عهد عبد العزيز حتى انهيار الدولة ونذكر فيما يلى أقاليم الدولة والقضاة الذين عملوا بها . ولكن يجب أن نشير أولا إلى أن دقة النظام القضائى فى الدولة السعودية الأولى ساعدت على إقرار الأمن فى البلاد وقضت على العبث الذى كان سائداً فيها من قبل ، وإن كنا نرى أنها فى نفس الوقت أوجدت نوعاً من التذمر ضد آل سعود .

---

(١) د. صلاح الدين المقاد ، حركات الإصلاح السلفى ، المجلة التاريخية المصرية جـ ٧ ، ص ٩٢ .

أسماء القضاة

رقم مسلسل	اسم الإقليم	قضاة عبد العزيز	قضاة سعود	قضاة عبد الله
١	الدرعية	الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم حسين ابنه وعبد الله بن الشيخ عبد الرحمن بن خميس	عبد الله بن الشيخ ، على بن حسين بن الشيخ ، عبد الرحمن بن حسين بن الشيخ ، سليمان بن عبد الله ، أحمد بن ناصر بن عثمان بن معمر عبد الرحمن بن الحيس	عبد الله بن الشيخ على بن حسن ، عبد الرحمن بن حسن ، سليمان بن عبد الله عبد الله بن القاضى أحمد الوهبى
٢	الأحساء	—	محمد بن سلطان العوسجى ثم عبد الرحمن بن نامى	عبد الرحمن بن نامى
٣	عمان	—	إبراهيم بن سيف	عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين
٤	القطيف	—	محمود الفارس	محمود الفارس
٥	الخرج	محمد بن سويلم	—	على بن حمد بن راشد العريفى
٦	الحوطة	سعيد بن حجى	—	رشيد العوسجى
٧	سدير	حمد بن راشد العريفى	على بن ساعد	إبراهيم بن سيف
٨	منيخ	محمد بن عثمان شبانة	عثمان بن عبد الجبار ابن شبانه	عثمان بن عبد الجبار ابن شبانه
٩	الوشم	عبد العزيز بن عبد الله بن الحصين	عبد العزيز بن عبد الله بن الحصين	عبد العزيز بن عبد الله بن الحصين
١٠	المحمل	—	عبد الرحمن أبا الحسين مع حريملا	محمد بن مقرن العوسجى
١١	القصيم	عبد العزيز بن سويلم	عبد العزيز بن سويلم	عبد العزيز بن سويلم

تابع أسماء القضاة

رقم مسلسل	اسم الإقليم	قضاة عبد العزيز	قضاة سعود	قضاة عبد الله
١٢	جبل شمر	—	عبد الله بن سليمان ابن عبيد	عبد الله بن سليمان ابن عبيد
١٣	تهامة	—	أحمد الحفظى	خضعت للحكم المصرى
١٤	اليمن	—	حسن بن خالد الشريف	خضعت للحكم المصرى .
١٥	الطائف	—	عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين	خضعت للحكم المصرى
١٦	حريملا	—	عبد الرحمن أبا حسين	عبد الرحمن أبا حسين
١٧	المدينة	—	أحمد الياس الاصطنبولى ، أحمد ابن رشيد الحنبلى	خضعت للحكم المصرى
١٨	مكة	—	سليمان بن عبد الله ابن الشيخ محمد بن عبد الوهاب	خضعت للحكم المصرى

• الأقاليم التى لم يذكر أمامها اسم قاض إما لأنها لم تكن قد خضعت بعد للدولة أو لأن قاضيها كان يتغير كل عام .

• أنظر ، ابن بشر : المرجع السابق ، ج ١ ؛ حسين بن غنام ، المرجع السابق ، ج ٢ .

النظام المالى فى الدولة السعودية الأولى :

أصبح للدولة السعودية نظام مالى منظم طبقاً للنظم الإسلامية ، وكما سبق أن أشرنا أنه كان للأمير محمد بن سعود قبل أن يتحالف مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب خراج على أهل الدرعية يأخذه منهم وقت خرص الثمار . إلا أنه استبدل هذا النظام بنظام الزكاة الإسلامى . بعد تحالفه مع الشيخ ، والحقيقة أن موارد الدولة فى عهد محمد بن سعود ظلت محدودة وضيقة ، لأن حدودها لم تتسع كثيراً ولأن فترة حكم هـذا الأمير كانت فترة صراع مرير مع جيرانه . ولـكن فى عهد خلفائه اتسعت حدود الدولة وازدادت أملاكها وتعددت مواردها . وكان إشرافها على الخليج مكسباً مادياً ضخماً جلب إليها كثيراً من الدخل ، بالإضافة إلى كونه مكسباً سياسياً ودينياً(١) . وساعد أيضاً على ازدهار اقتصادها ضمها للحجاز وتهامة وعسير والثغور التى كانت تقع على ساحل البحر الأحمر .

وباتساع موارد الدولة اتسعت أوجه الصرف أيضاً ، وفيما يلى نناقش كلا من الموارد وأوجه الصرف .

(١) موارد الدخل :

أولا — الزكاة :

الزكاة هى قوام التكافل الإجتماعى فى الإسلام ؛ إذ أنها تؤخذ من الأغنياء لتصرف على الفقراء وهى أربعة أقسام(٢) :

١ — زكاة الزروع والثمار ومقدارها عشر (١٠ر) مما تنتجه الأرض

---

(١) Ahmed Abu Hakima, History of Eastern Arabia p. 143.

(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، العرض ، جـ ٢ ، ص ٢٧٣ — ٢٧٤ .

أو الأشجار إن سقيت بغير آلة ونصف العشر (٠،٠٥) إن سقيت بآلة نظراً لما يتكلفه النوع الأخير من جهد وعناء ومصاريف من النوع السابق ، وهي تجب في كل ما ينتج من غير نظر إلى كون المالك بالغاً عاقلا مكلفاً أو غير مكلف .

٢ — زكاة النقدين وهي زكاة الذهب والفضة ومقدارها ربع العشر من رأس المال .

٣ — زكاة السائمة من البقر والغنم والإبل ، وزكاة الإبل يدفعها كل من يزيد ملكه منها على خمسة جمال فيدفع عن كل خمسة شاة أو ما يقابلها نقداً . أما الأغنام فلا يدفع زكاة عنها من قل نصابه منها عن أربعين شاة ويدفع على ما يزيد عن هذا العدد النصاب الذي تقرره الشريعة .

٤ — زكاة عروض التجارة وهي الأموال المستعملة في الأغراض التجارية ، أي الأموال السائلة التي تنتقل من يد إلى يد بقصد الاستغلال والحصول على أرباح من ورائها ومقدار زكاتها ربع العشر (٢،٥ ٪ من الأصل والنماء معاً) . وكانت الدولة السعودية الأولى ، تقوم بجباية الزكاة بمختلف أنواعها من جميع الأقاليم والمناطق والقبائل التي خضعت لنفوذها ، بطريقة منظمة ومرتبة ، فقد كان الحاكم السعودي « يبعث إلى البوادي بضعاً وسبعين عاملة (أي مفرزة) كل عاملة سبعة رجال وهم أمير وكاتب وحافظ دفتر وقابض للدراهم التي تباع بها إبل الزكاة والغنم ، وثلاثة رجال خدام لهؤلاء الأربعة لأوامرهم وجمع الإبل والأغنام المقبوضة في الزكاة وغير ذلك ، وذلك من غير عمال نواحي البلدان من الحضر لخرص الثمار وعمال زكاة العروض والإثمار وغير ذلك »[1] . ونستخلص من ذلك أن كل نوع من أنواع الزكاة كان له عماله الذين يقومون بجبايته .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

وقد ذكر أحد كتاب سعود الخصوصيين أن سعوداً أرسل عماله لجمع الزكاة من بوادى « يام » فى نجران وبوادى الغز فى مصر وقبضوا الزكاة من الجميع[1] . ولكن إذا قبلنا القول بأن عمال سعود وصلوا إلى بوادى يام فى نجران فذلك لأن القوات السعودية ، أصبحت فى عهد سعود تتحرك فى داخل الأراضى اليمنية وأصبح نفوذ آل سعود يشمل مناطق يمنية ، رغم أن قبائل يام بالذات كما سبق أن ذكرنا كانت مصدر إزعاج للقوات السعودية ونفوذ آل سعود ولكننا لا نستبعد خضوع بعض هذه القبائل لنفوذ الدرعية .

أما القول بأن عمال سعود وصلوا إلى بوادى الغز فى مصر ففيه مبالغة ولا نستطيع قبوله لعدة أسباب منها أنه فى عهد سعود الذى بدأ ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م كانت الأنباء قد وصلت إلى مصر عن طريق الحجاج عن أعمال آل سعود فى الحجاز وفى كربلاء بالعراق فنفرت الناس منهم .

بالإضافة إلى تعرضهم للمحامل ومنعهم لها من دخول الأراضى المقدسة وبث الدولة العثمانية منذ ذلك العهد دعاياتها ضد آل سعود كل ذلك يجعلنا نستبعد حتى وجود الشعور بالولاء الدينى بين قبائل الغز فى مصر لآل سعود ، فضلا عن أننا لا نعرف من هى قبائل الغز وأين يقطنون فى مصر .

أضف إلى ذلك أن المصدر الوحيد الذى ذكر هذه الرواية ابن بشر المؤرخ النجدى . ولم نجد مصدراً آخر يؤيد قوله فى هذا الشأن مما يجعلنا نشك فى روايته هذه .

وبمقارنة الأرقام التى ذكرها كل من ابن بشر وصاحب لمع الشهاب نجد أن دخل آل سعود من الزكاة كان أكثر من مليونين من الريالات[2] وهذا يتفق مع ما ذكره بوركهارت طبقاً لتقدير بعض أهل مكة له بأن آل سعود

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع نفسه ، ص ١٧٣ ، لمع الشهاب ، ص ١٧٠ .

قد بلغ آنذاك حوالى مليونين من الريالات (الدولارات كما ذكر) [1] وهذا مايوضحه الجدول التالى الذى أعددناه طبقاً لتقدير صاحب (لمع الشهاب) . وينبغى أن ننبه أولا إلى أن هذه الأرقام ليست دقيقة لأنها لم تأخذ من سجلات وإنما إعتمد صاحبها فى تدوينها على السماع فقط .

جدول الزكاة فى عهد سعود الكبير (*) كما ورد فى (لمع الشهاب)

المنطقة	مقدار زكاتها بالريالات	ملاحظات
١ — بوادى نجد	٤٠٠٫٠٠٠	
٢ — بوادى اليمن وتهامة وعمان	٥٠٠٫٠٠٠	
٣ — الأحساء	٤٠٠٫٠٠٠	
٤ — القطيف	٢٠٠٫٠٠٠	
٥ — البحرين	٤٠٫٠٠٠	جميع هذه الأرقام قريبة
٦ — الحجاز	٢٠٠٫٠٠٠	من تقديرات ابن بشر
٧ — رأس الخيمة	١٢٠٫٠٠٠	
٨ — عمان	١٥٠٫٠٠٠	
٩ — محاصيل الأملاك فى نجد والأحساء (**)	٣٠٠٫٠٠٠	
الجملة	٢٫٣١٠٫٠٠٠	

(١) Burkharet, op., cit., p. 310.

(*) هذا الدخل من الزكاة فقط ولا يشمل خمس الغنائم وغيره من موارد الدخل التى سنذكرها .

(**) ورد ذكر نجد وعمان مكرراً فى الجدول على أساس ذكر كل من البدو والحضر كل على حدة .

ويذكر ابن بشر « وأما غير ذلك مما يجيء إلى الدرعية من الأموال من القطيف والبحرين وعمان واليمن وتهامة والحجاز وغير ذلك ، وزكاة ثمار نجد وعروضها وأثمانها لا يستطيع أحد عده ولا يبلغه حصره ولا حده وما ينقل إليها من الأخماس والغنائم أضعاف ذلك »[1] .

ثانيا — خمس الغنائم :

كان خمس الغنائم يكون المصدر الثانى لدخل الدولة ، فقد كانت جيوشها كثيرة الغزو فما تكاد تعود من غزوة حتى تعد العدة لغزوة أخرى ، وأحيانا كثيرة كانت جيوش الدرعية تشن غاراتها فى أكثر من جهة فى وقت واحد تحت إمرة الأمراء السعوديين وأعوانهم المخلصين .

وكانت الجيوش السعودية تحوز كثيراً من الغنائم أثناء غزوها من سائمة وأموال ، فكان على قائد كل جيش أن يقوم بعزل خمس ماغنمه جيشه ويرسله إلى بيت المال فى الدرعية ويقوم بتوزيع الأخماس الأربعة الباقية على أفراد الجيش الذين اشتركوا فى المعارك على أساس سهم للرجل من المشاة وسهمين للفارس ، سهم له وسهم لدابته[2] .

وإذا قام أحد عمال الدولة فى منطقة ما بغزوة على منطقة مجاورة أو إحدى القبائل المعادية وحصل فى أثناء غزوه على غنائم مهما كانت قيمتها فعليه أيضاً أن يرسل خمس هذه الغنائم إلى بيت المال . ثم يوزع الباقى بين أفراد جيشه بالطريقة السابقة[3] .

---

(١) انظر ابن بشر ، ص ١٧٣ ، لمع الشهاب ، ص ١٧٠ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ ؛ د. منير العجلانى ، تاريخ الدولة السعودية الأولى ، ص ٤٢٠ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

وهكذا يتضح لنا أن خمس الغنائم كان مورداً أساسياً من موارد دخل الدولة السعودية الأولى. وقد كانت الغنائم كثيرة كما يظهر من الكتابات التى ذكرها كل من ابن غنام وابن بشر، وإن كنا نرى فى تقديرات هذين المؤرخين النجديين شيئاً من المبالغة إلى حد ما . وإن دلت فى نفس الوقت على ضخامة هذا المورد بالنسبة لدخل الدولة .

ثالثاً — الأموال المصادرة :

كان نظام آل سعود يقضى بإنزال العقاب الجسمانى على الخارجين على الأمن والعابثين به، ومصادرة أموالهم وضمها إلى بيت المال [١] . ويذكر لنا كل من صاحب لمع الشهاب وابن بشر أمثلة عديدة لحالات صودرت فيها أموال العابثين بالأمن وضمت إلى بيت المال ونسرد على سبيل المثال القصة التالية التى يذكرها ابن بشر يقول « أنى حاج من العجم ونزل قرب وادى سبيع فسرق من الحاج غرارة فيها من الحوائج ما يساوى عشرة قروش فكتب صاحب الغرارة لعبد العزيز يخبره بذلك فأرسل إلى رؤساء تلك القبيلة فلما حضروا عنده قال لهم إن لم تخبرونى بالغرارة وإلا جعلت فى أرجلكم الحديد وأدخلتكم السجن وأخذت نكالا من أموالكم فقالوا نغرمها بأضعاف ثمنها فقال : كلا حتى أعرف السارق — فقالوا ذرنا نصل إلى أهلنا ونسأل عنه ونخبرك — ولم يكن بد من إخباره فلما أخبروه به أرسل إلى ماله وكان سبعين ناقة فباعها وأدخل ثمنها بيت المال »[٢] .

تلك أهم الموارد الرئيسية التى كانت تشكل دخل بيت المال منذ عهد محمد بن سعود حتى إنهيار الدولة سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م مع ملاحظة نمو هذه الموارد وإزدهارها من فترة إلى أخرى تبعاً لنمو الدولة واتساع أملاكها وكثرة القبائل الخاضعة لها .

---

(١) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٥١ .
(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(ب) أوجه الصرف :

كانت الدولة تقوم بالإنفاق من بيت المال الذى تتكون حصيلته من الموارد السابقة على الأوجه التالية :

أولا : الصرف على المساكين والفقراء الذين لهم حق فى الزكاة طبقاً لأحكام الشرع فكان الإمام السعودى يقوم بإعطاء كل منهم نصيبه الذى يكفل له الحياة [1].

ثانياً : الصرف على أبناء السبيل وهم الذين ضلوا طريقهم أو حتمت عليهم ظروف سفرهم ذلك دون أن يكون معهم ما يكفى أودهم ؛ فكان الإمام السعودى يقدم لهم من بيت المال ما يعينهم على سفرهم ، ويقوم بضيافتهم مدة إقامتهم فى الدرعية ، وكان يرسل لعماله على الأقاليم مخصصات لمثل هذا العمل [2].

ثالثاً : الإنفاق على المنشآت الدينية كإقامة المساجد ومجالس الدرس ومايلزمها بالإضافة إلى الإنفاق على طلبة العلم الذين إغتربوا من أجله وأتوا إلى الدرعية [3].

رابعاً : الإنفاق على الذين تحل بهم الكوارث فإذا مات رجل من أى ناحية كان أولاده يأتون إلى الدرعية ، فيخرج لهم الإمام عطاء وربما كتب لهم راتباً دائماً فى الديوان إذا كانت حالتهم تستدعى ذلك [4]. وهو ما يقابل الضمان الاجتماعى فى أيامنا .

خامساً : دفع أجور العمال الذين يقومون بجباية الزكاة من دافعيها ، ودفع

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧١

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٧١ ، لمع الشهاب ، ص ٥٢ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

(٤) المرجع نفسه ، ص ١٢٧ .

رواتب القضاة وحكام الأقاليم وأهل العلم وطلبته ومعلمى القرآن والمؤذنين وأئمة المساجد وغيرهم من الموظفين الذين يقومون بأعباء تكلفهم الدولة بها ، حيث إنهم تفرغوا للقيام بهذه الأعمال وشغلتهم عن الكفاح من أجل كسب قوتهم لحق على الدولة أن تدفع لهم رواتبهم من بيت المال حتى لا يلجأوا إلى أخذ الرشاوى أو الطرق غير المشروعة[١] .

سادساً : الأنفاق على الجند الموظفين الذين كانوا يقومون بدور الحاميات ؛ فكانت الدولة تدفع لهم رواتبهم من بيت المال نظراً لما يقومون به من خدمات عامة كحماية الأمن والمحافظة على أملاك الدولة والرعية[٢] .

سابعاً : دفع مخصصات الأمراء السعوديين باعتبار أن ما يقومون به من أعمال كقيادة الجيوش والتحركات لإقرار الأمن من الخدمات التى تستلزمها الدولة ، وهى فى نفس الوقت تشغلهم عن إنماء ثرواتهم وتحصيل أرزاقهم . ولذا خصص لهم الأمام مخصصات تكفل لهم ولأسرهم الحياة الكريمة[٣] .

تلك هى أهم أوجه الصرف الرئيسية التى كانت الدولة تقوم بالإنفاق عليها من بيت المال . بالإضافة إلى إرسال الصدقات لأهل النواحى والإنفاق على بيوت الضيافة فى كل الأقاليم إذا بقى وفر بعد ذلك فى بيت المال[٤] .

ولم تكن الأموال التى تجبى من بعض أقاليم الدولة تكفى حاجتها فى كل أوجه الصرف ؛ فكان الإمام السعودى يأمر بسد النقص من بيت المال[٥] .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٢) مؤلف مجهول ، لمع الشهاب ، ص ٥٠ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٥٢ .

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٥) إبراهيم فصيح ، المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

أما عن العملة المتداولة ، فإن الدولة السعودية الأولى لم تكن لها عملة خاصة بها مسكوكة بإسمها ، وإنما فى الأمور العادية فى البيع والشراء بين أفراد القبيلة كانت المقايضة لا تزال تمثل مركزاً هاماً . وإذا استعملت العملة فى البيع والشراء ؛ فكانت العملة المعترف بها عملة إمام اليمن النحاسية ، التى كانت كثيرة الاستعمال بين القبائل فى المعاملات العامة ، بالإضافة إلى عملة أخرى كانت مستعملة وهى الريالات التى ذكرها ابن بشر وهى تعنى الريال (ماريا تريزا) . وهو عبارة عن قطعة نقدية من الفضة التى ضربت فى النمسا فى أواخر القرن الثانى عشر الهجرى (الثامن عشر الميلادى) ، وهى عملة لا تزال تستعمل إلى اليوم على نطاق واسع فى الجزيرة العربية وجنوبها وشرق إفريقيا[1] ؛ إذ أن الريال السعودى لم يكن قد ظهر للوجود بعد .

أما العملة التركية فلم تكن مستعملة هناك حتى إن الجنود السعوديين كانوا عندما يقتلون جندياً تركياً أثناء الحروب مع جيوش محمد على ويجدون فى جيبه بعض القروش التركية كانوا غالباً ما يرمونها لأنها غير مستعملة عندهم فى المعاملات[2] .

وهكذا يتضح من العرض السابق كيف أن النظام المالى فى الدولة السعودية الأولى كان يسير فى يسر وسهولة ، تنظمه الأوامر الشفوية . حتى إن الدولة لم تلجأ إلى تقييد موارد دخلها وصرفها فى دفاتر خاصة تحفظها وإن ذكر ابن بشر أن من بين أفراد المفرزة التى تقوم بجمع الزكاة ماسك دفتر ولم تذكر المصادر النجدية المعاصرة أو غيرها من المصادر ما هى طبيعة هذا الدفتر الذى يقوم أحد أعضاء المفرزة بحمله ، وإن كنا نرجح أنه ربما كان يحوى أسماء القبائل التى تختص كل مفرزة بجباية الزكاة منها . وإن ذكر لنا ابن بشر

---

(١) حكومة المملكة العربية السعودية ، ج ٢ ، ص ٣٠٣ — ٤٣ .

(٢) Burkhardt, Op. cit., p. 304.

وصاحب لمع الشهاب وابن غنام أرقاماً ؛ إلا أننا نرى أنها لم تصل إلى دقة الأرقام الرسمية المسجلة فى دفاتر رسمية ، فقد كان كل من هؤلاء المؤرخين يعتمد فى تسجيله لهذه الأرقام على السماع وليس على الإحصاءات الرسمية . ولهذا السبب أهملنا كثيراً ذكر الأرقام حيث إننا لم نتأكد من دقتها ، ولم نجد مصادر أخرى نطابقها بها حتى نتأكد من صحتها ، وإن أفادتنا هذه الأرقام فى شىء فنى رسم الصورة العامة للنظام المالى للدولة .

التعليم :

لم يكن التعليم فى الدولة السعودية الأولى تعليماً عصرياً ، بالمعنى المفهوم لدينا فى هذه الأيام ، أى لم يكن الطلاب يدرسون فى مدارس نظامية ، لها برامج دراسية محددة يدرسها الطلاب فى وقت معين ، وإنما كان التعليم تعليماً دينياً مقتصراً على دراسة التفسير والحديث وكتب الفقه الحنبلى وأشهر الكتب التى كان الطلاب يعكفون على دراستها ويتذاكرها الإمام السعودى نفسه فى مجالس درسه هى : (١) تفسير الطبرى . (٢) تفسير ابن كثير . (٣) صحيح البخارى . (٤) رياض الصالحين . وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب وكتب أحمد بن تيمية. وكان الذين يقومون بالإشراف على شئون الدرس والتعليم فى الدرعية أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعد أبيهم ، وعبد الله بن حماد والقاضى عبد الرحمن بن خميس . أما فى الأقاليم فكان القضاة يقومون بدور المعلمين[1] . وكانت المساجد وبيوت المعلمين هى أماكن الدراسة ، وإذا ما أتم دارس دروسه وأتقنها واقتنع الشيخ به أجازه أى منحه إجازته التى بمقتضاها يحق له أن ينخرط فى سلك المعلمين ويتصدى للافتاء وإبداء الرأى .

أما الإنفاق على شئون التعليم فكانت الدولة تكفله بل إن الإمام عبد العزيز كان يمنح المكافآت التشجيعية للطلاب الذين يظهرون تقدماً وتفوقاً[2]

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٩ — ١٧٠ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٧ .

وكان باب التعليم مفتوحاً أمام كل راغب فى التزود بعلوم الشريعة والقرآن والحديث وهى الأصول التى تعتمد عليها الدعوة السلفية .

النظام الحربى :

لم يكن لمحمد بن سعود جيش منظم قبل تحالفه مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وإنما كان له حرس خاص لم يكن يشكل قوة عسكرية لخوض الحروب ، وإنما مهمته الدفاع عن الأمير وممتلكاته إذا دعت الأمور إلى ذلك .

أما بعد تحالف الشيخ والأمراء وإعلان مبدأ الجهاد لنشر مبادىء الدعوة السلفية فإن الأمير محمد بن سعود استعمل أتباع الدعوة كقوة حربية فى حروبه مع الإمارات النجدية المجاورة وخاصة الرياض .

وفى عهد خلفاء الأمير محمد بن سعود إتبع آل سعود طريقة خاصة فى التجنيد كانت تسمى بالنفير ، فعندما يريد الإمام القيام بغزو إحدى المناطق أو الإغارة على جهة من الجهات ، فإن النفير أى التجنيد كان يمر بالمراحل التالية :

أولا : يرسل الإمام رجالا (حواويشاً) من عنده إلى جميع القرى والمدن والمناطق والقبائل الخاضعة للدولة يأمر مشايخ وعمال هذه المناطق بأن يعد كل منهم العدد الذى كان الإمام يحدده لكل قرية أو قبيلة أو منطقة حسب حالتها وتعدادها ومعهم رواحلهم وزادهم الذى يكفيهم المدة التى يحددها لهم[١] .

ثانياً : كان الإمام يحدد للجميع ميعاداً معيناً فى مكان معين ، وغالباً ما كان التجمع يكون عند ماء معروف للجميع كى يتسنى لهم الحصول على الماء والإقامة حوله حتى يخرج هو إليهم[٢] .

ثالثاً : إذا أرسلت إحدى القبائل أو القرى مقدار العساكر المفروضة ،

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٥٦ ، ٥٧ . Burkhardt, Op. cit., p. 311 .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

وبها ضعف أو غير قادرة على الكر والفر ، أو كان زادها قليلا ، أو كانت رواحل بعض الجند هزيلة ، أو تأخر العساكر عن الميعاد المضروب يوماً ، في إحدى هذه الحالات كان الإمام يأمر برد هؤلاء العساكر إلى ناحيتهم وبعد الإنتهاء من الغزو « أول مايبدأ بتأديب تلك القرية التي خالفت عهوده وبنكلها وينهبها وربما يقتل شيخها . فلهذا صار متى أرسل لكل قرية أو قبيلة يطلب العسكر المفروض عليها ، فلم يكن لها بد من إحضار العدد المعلوم من أقوى الرجال على أفره الرواحل مع الزاد الذي يكفيهم المدة المعلومة »[١] . وبهذه الطريقة صار يجتمع لديه جيش كبير العدد يبلغ أحياناً عشرين ألفاً أو أكثر .

رابعاً : كان الإمام يحدد للقرى والقبائل المدة التي يستغرقها الغزو « فتارة يعين المدة شهراً وتارة يعينها عشرين يوماً وتارة عشرة وتارة شهرين وهكذا حسب مقتضى الحال »[٢] وذلك كي يحضر كل جندي الزاد والذخيرة التي تكفيه المدة المعلومة ، وكان غالباً ما ينهي غزوه قبل نهاية المدة لأنه إذا تأخر بعدها أصبحت كل نفقات الجيش هو المسئول عنها وعليه إعدادها وتقديمها للجند ، وهذا ما كان يتحاشاه ، حتى إنه في بعض الأحيان كان ينهي الغزو دون أن يتمه كي لا يتحمل نفقات الجند[٣] .

خامساً : عندما يحين ميعاد الخروج للغزو وتكون الجموع قد اكتملت في المكان المتفق عليه ، كان الإمام يركب من الدرعية متجهاً إليها بعد أن يوكل أمر شئون الدولة لولي العهد أو أحد أبنائه ، إذا كان هو الذي سيقوم بقيادة الجيش وكان خروجه من الدرعية غالباً ما يكون يوم الخميس أو يوم الاثنين[٤] .

---

(١) عثمان بن سند البصري ، مطالع السعود ، ص ٣٣ .

(٢) المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ٣٣ .

(٤) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

وبهذه الطريقة العجيبة فى التجنيد كان حكام الدولة السعودية الأولى يعدون جيوشهم الكثيفة العدد . أما خطة الحرب وطريقة القتال عندهم فكانت تعتمد على الخطوات التالية :

أولا : عندما يكون الجيش على بعد ثلاثة أيام من العدو كان القائد يقوم بإرسال عيونه للتجسس عليه ورصد حركاته ومعرفة قوته وإمكانياته* [1] .

ثانياً : كان الجيش ينزل فى المنزل قبل غروب الشمس ويرحل منه قبل شروقها ويقيل الهاجرة ولا يرحل حتى يصلى الجند صلاة الجمع : الظهر والعصر معاً [2] .

ثالثاً : عند الإقتراب من العدو يسرع الجيش فى عدوه وينزل قريباً منه حتى يتمكن من القيام بعنصر المباغتة ، ولا يوقد ناراً فى الليلة التى يقترب فيها من العدو كى لا يعرف مواقعه [3] .

رابعاً : كان آل سعود يعمدون دائماً إلى إحتلال المرتفعات وعيون المياه التى كانت لها أهمية كبرى فى حروب الصحراء . وخاصة فى أيامهم [4] .

خامساً : كان القائد السعودى يقوم قبل بدء القتال بوعظ الجند وحضهم على الجهاد وزجرهم عن الظلم والعجب بالكثرة والزيادة فى النفوس الذى هو سبب الفشل والانهزام [5] .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(*) كان الجيش السعودى دائماً يلجأ إلى تغيير اتجاهه إيهاماً للعدو وتغريراً به فإذا كان يريد الشمال اتجه إلى الجنوب ثم ينعطف بسرعة إلى هدفه وهكذا .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٦٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٦٧ .

(٤) Aly Bey, Travels of Aly Bey, Vol. 2 p. 136.

(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

سادساً : كان القائد يستطلع المواقع ويرتب الكمائن فى المواضع التى يحددها ، ثم يبدأ القتال بعد صلاة الصبح ويبدأه أفراد الجيش بالصياح بالتكبير ويغيرون على العدو [١].

سابعاً : لم تكن للجيش السعودى فنون عسكرية ولا نظم تدريبية ، وإنما كانت حروبهم تعتمد أساساً على الكثرة العددية والشجاعة أكثر من إعتمادها على الفنون القتالية [٢] ، وهذا مما أدى بالجيوش السعودية إلى الهزيمة أمام القوات المصرية التى كانت طرقها الفنية فى القتال أفضل مما كانت عليه القوات السعودية . أما إنتصارات آل سعود على القبائل العربية والبلدان المجاورة فيرجع أساساً إلى التفوق العددى وإجادة القتال فى الصحراء .

ثامناً : كان الجيش السعودى يقوم بعد أن يتحقق له النصر بجمع الغنائم وأسلاب القبائل التى هزمها ويعزل خمسها لبيت المال ، ثم تباع الأخماس الأربعة الباقية وتوزع على الجند للراجل سهم وللفارس سهمان لأسباب سبق ذكرها .

أما فى حالة الهزيمة فكانت الخسائر تعتبر فردية لأن كل جندى هو المسئول عن أمتعته وهى لا تعدو الزاد والعليق ، بعكس العدو الذى يهاجمونه فى دياره إذ لديه كل ثرواته . وعموماً يمكننا القول بأن خسائر آل سعود كانت دائماً أقل من الغنائم بكثير .

أما الأسلحة التى كان يستعملها آل سعود فى القتال فهى البنادق التى تضرب بالفتيلة والأسلحة البيضاء أى السيوف والخناجر ، بالإضافة إلى إستعمال الرماح والسهام [٣] . ولم يستعمل آل سعود طوال حروبهم المدافع ، ربما لأنهم

(١) عثمان بن سند ، المرجع السابق ، ص ٣٣ .
(٢) إبراهيم فصيح الحيدرى ، عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد والبصرة ص ٢١٣ .
(٣) Burkhardt. Op. cit., p. 311.

لم يتمكنوا من الحصول عليها لأن علاقاتهم الخارجية بالقوى العالمية فى ذلك الوقت لم تكن على درجة كبيرة من الوضوح كما سنرى . وعندما استولى آل سعود على بعض المدافع أثناء القتال مع جيوش محمد على لم يحسنوا إستعمالها لعدم خبرتهم السابقة بها [1] .

على أى حال فإنه لم يكن للدولة السعودية الأولى جيش نظامى ، كما رأينا وإنما كانت جيوشها وقتية تجمعها لفترات معينة تؤدى فيها الخدمة ثم يعود من كتبت له الحياة من أفرادها إلى بلاده بعد إنتهاء مهمته .

وتذكر بعض المصادر أنه كان لدى آل سعود بعض الجند الثابتين للخدمة فى الدرعية والأحساء وقطيف وعمان ، ومكة والمدينة إلا أن هؤلاء الجند فى الواقع كانوا بمثابة حاميات سعودية ، تستبدل بغيرها كل عام أو أقل أو أكثر [2] ، ولم يكن هؤلاء الجند أحسن حالا من سابقيهم لا فى السلاح ولا فى طرق القتال .

وكان للأمراء حرس خاص ، فقد كان لكل أمير ما بين المائة والمائة والخمسين من الفرسان ، ومن الثابت أنه كان لعبد الله بن سعود فى حياة أبيه أكثر من ثلاثمائة فارس تحت إمرته وفى خدمته [3] .

تقييم نظم الحكم والإدارة فى الدولة السعودية الأولى :

من العرض السابق لنظم الحكم والإدارة فى الدولة السعودية الأولى ، يتضح أن آل سعود لم يحاولوا أن يلبسوا نظمهم لباس العصر الذى وجدت فيه دولتهم . ولكن الجمود فى التطبيق وعدم إدراك روح العصر ، ومحاولة إرجاع المجتمع إلى الوراء ثلاثة عشر قرناً دون الإنتباه إلى ما يحدث فى العالم من تغيير ،

---

(١) لمع الشهاب ، ص ٥٠ . Burkhardt. Op. cit., p. 311.

(٢) محمود شكرى الألوسى ، تاريخ نجد ، ص ٩٦ .

(٣) حافظ وهبه ، جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ٢١٩ .

كان سبباً من أسباب فشل هذه النظم . ولا نقصد بذلك أن الأسس التشريعية التى قامت عليها هذه النظم لم تـكن سليمة ، وإنما نقصد أن القائمين على تنفيذها لم يلبسوها لباس العصر ليتقبلها المجتمع ، وهذا مثلا مافطنت إليه الدولة السعودية الثالثة فسنت النظم التشريعية المالية والحربية والقضائية التى تتمشى مع التعاليم الإسلامية وتلائم روح العصر .

وربما قيل إن هذه النظم نجحت فى إقامة الأمن فى جميع أرجاء البلاد التى أصبحت تابعة لآل سعود وأن الـكل أصبح يعيش فى أمن وطمأنينة دون الخوف على ماله ومتاعه . والحقيقة أن ذلك حدث بفعل عامل الشدة الذى كان متبعاً ، والخوف من العقاب الجسمانى والمادى ، لا عن قابلية ورضا ، ومما يؤيد هذا الرأى أن معظم القبائل والبلدان والنواحى التى كانت تابعة لآل سعود ما كادت تجد القوة التى تخلصها من هـذه النظم ممثلة فى قوات محمد على حتى سارعت إلى الانفضاض عنها وانضمام إلى جانب الجيوش المصرية .

ولربما قيل إن خروج الـكثير من القبائل عن جانب آل سعود كان بسبب ما قدمه لها جواسيس محمد على وقواده من الرشاوى والهدايا ، ولـكننا نرى أن فى هذا العمل نفسه ما يدال على عدم الإيمان القوى بالنظم السعودية لأنه لو وجد الإيمان لما حدث ذلك ، ولو حدث لـكان على نطاق ضيق كما يحدث فى كل الأمم والشعوب .

أما النظام المالى الذى إتبعته الدولة فإنه إن كان قد ضمن لها موارد دخل ضخمة ملأت بيت المال وأدت إلى الإنعاش الاقتصادى ، إلا أن أسـلوب المصادرات الذى كان يوقع على الأفراد والقبائل . كان أحد الأسباب التى ملأت النفوس بالثورة الخافتة ضد الدولة وسلطانها ، بالإضافة إلى عدم إصدار عملة خاصة بالدوله لتوحد بين أجزاء ممتلـكاتها فى المعاملات المالية ، والذى يشعر أفراد الشعب بسيادة الدولة وسلطانها . وإننا لنعجب كيف أن الأئمة السعوديين أغفلوا هذه الناحية مع أن أول ما يفعـله مؤسسو الدول وراغبو

الاستقلال هو سك عملة بإسمهم ولدينا مثل معاصر للدولة السعودية الأولى في الوطن العربي هو علي بك الكبير في مصر الذي سعى إلى الاستقلال عن الدولة العثمانية .

أما النظام الحربي الذي سارت عليه الدولة فإن كان قد ضمن لها إعداد الجيوش الكثيفة إلا أنه كان نظاماً حربياً بالياً لا يلائم روح العصر الحديث . فآل سعود حتى بعد اتساع حدود دولتهم التي أصبحت تطل على كل من الخليج العربي والبحر الأحمر لم يحاولوا تكوين جيش نظامي مدرب على الأساليب العسكرية المصرية ، ولم يحاولوا تطوير أسلحتهم منذ قيام دولتهم حتى انهيارها رغم وقوفهم على الأسلحة التي استعملها الإنجليز في ضرب رأس الخيمة سنة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م التي كانت تدين لهم بالولاء ، بالإضافة إلى معرفتهم قبل ذلك بأنواع الأسلحة التي كان يستعملها علي باشا كخيا في حملته على الأحساء سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨م إلا أنهم لم يحاولوا الاستفادة من كل ذلك في تطوير أسلحتهم .

وظلوا متمسكين بنظامهم الحربي العتيد حتى في أثناء حروبهم للجيوش المصرية الجيدة التدريب والتنظيم بالنسبة لهم مما أدى إلى انهيار دولتهم أمام هذه القوة المنظمة عسكرياً وفنياً .

وينبغي أن نذكر أن شدة آل سعود في تطبيقهم لنظمهم كانت أحد العوامل التي نفرت منها النفوس . ولم تساعدها على خلق شعور وطني عام بين رعاياها أو إيجاد ولاء للدولة ونظمها ، ومما يؤيد هذا الرأي أنه طوال فترة حكم آل سعود وتوسعاتهم التي امتدت من ١١٥٨ هـ — ١٧٤٥ م : ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م كنا نجد بعض القبائل ومن بينها قبائل نجدية كانت تثور ضد آل سعود ونظامهم ، وتعلن عصيانها ، بدافع النزعة القبلية المتأصلة في نفوسها .

وإن ذكر أحد المؤرخين أن الدولة نجحت في خلق شعور وطني نجدي

غامض[1] إلا أنه يمكن الرد على ذلك بالإضافة إلى ماسبق ذكره ، بسرعة انفضاض القبائل والبلدان عن جانب آل سعود فى أثناء حروبهم لجيوش محمد على وانضمامهم إلى الجانب المصرى . بل ومن المؤكد أن آل سعود لم يفطنوا إلى أهمية هذه الناحية الوطنية بدليل أن مصادرهم المعاصرة تخلو من أى إشارة لها ولو بصورة غامضة . ولا نغالى فى شىء إذ ذكرنا أن نظام الحكم والإدارة نفسه كان أحد العوامل التى ساعدت على انهيار الدولة بصورة سريعة .

(١) د . صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ٦٠ .

الفصل العاشر

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الأولى

---

١ — تمهيد .

٢ — التنافس الإنجليزى — الفرنسى فى الخليج .

٣ — القواسم والإنجليز .

٤ — العلاقات السعودية — الإنجليزية .

٥ — العلاقات السعودية — الفرنسية .

٦ — العلاقات السعودية — الإيرانية .

الفصل العاشر

العلاقات الخارجية للدولة السعودية الأولى

تمهيد :

درسنا فى الفصول السابقة — علاقات الدولة السعودية الأولى بالوحدات السياسية الصغيرة التى كانت قائمة فى الجزيرة العربية فى عصرها . وتحديها للدولة العثمانية بإزالة سيادتها عن الحرمين ، والإغارة على أطراف الولايات العربية التى كانت تابعة لها فى العراق والشام .

ولذا سنقصر الدراسة فى هذا الفصل على :

أولا : العلاقات السعودية — الإنجليزية .

ثانياً : العلاقات السعودية — الفرنسية .

ثالثاً . العلاقات السعودية — الإيرانية .

ولا بد من الإشارة أولا إلى أن علاقات الدولة السعودية الأولى بهذه القوى ارتبطت بامتداد نفوذها على أجزاء من الساحل الغربى للخليج العربى الذى كان يعد من أهم طرق المواصلات وأقصرها بين أوربا والشرق فى ذلك الوقت . بالإضافة إلى أن الظروف العالمية التى كانت سائدة آنذاك دعت هذه القوى إلى اتباع سياسة معينة إزاء الدولة السعودية وصراعها مع القوى المحلية فى الجزيرة العربية كما سنرى .

فقد أدى غزو الجيوش السعودية لعمان إلى اتجاه حكام مسقط إلى الاستعانة بالقوى الأجنبية (الانجليز — والفرنسيين) التى بدأ التنافس واضحاً

بينها حول الحصول على مراكز اتصال لها على شواطىء الخليج لمناصرتهم ضد هذا الخطر الذى بدأ يهدد بلادهم ، وحينما أعوزتهم الحاجة استعانوا بفارس . مستغلين الخلاف المذهبي بينها وبين السعوديين كما سنرى ويجب أن نشير أولا إلى الصراع الإنجليزى — الفرنسى حول الخليج والذى كان عاملا هاماً فى تحديد علاقات الدولة السعودية بهذه القوى .

التنافس الإنجليزى — الفرنسى فى الخليج العربى :

منذ نهاية القرن السابع عشر بدأ النفوذ الانجليزى التجارى ينمو على حساب المولنديين فى الخليج ، وإن دخل النفوذ الفرنسى كمنافس له . إلا أنه لم يكن فى قوته ووضوحه[١] .

وفى الوقت الذى وصل فيه النفوذ السعودى إلى سواحل الخليج ، وهدد الأراضى العمانية . كان التنافس الإنجليزى — الفرنسى قد وصل إلى ذروته نتيجة لتجدد الحرب بين الطرفين منذ ١٢٠٨ هـ — ١٧٩٣ م فى أعقاب قيام الثورة الفرنسية[٢] .

ولكن رغم أن فرنسا لم تتخذ لها منذ حرب السبع سنوات ١١٧٠ — ١١٧٧ هـ — ١٧٥٦ — ١٧٦٣ م هدفاً مرسوماً فى علاقاتها مع الوحدات السياسية فى الخليج . وكانت سياستها إزاء هذه الوحدات تتسم بالتردد وعدم الثبات[٣] . إلا أنها كانت تدرك العلاقات التجارية بين تجارة عمان ومستعمرتى موريشيس وبوربون الفرنسيتين فى المحيط الهندى . ولذا نجدها تعمل منذ حرب الاستقلال الأمريكية ١١٩٢ — ١١٩٨ هـ — ١٧٧٨ — ١٧٨٣ م على توطيد

---

(١) د . محمود على الداد ، الخليج العربى والعلاقات الدولية ١٨٩٠ — ١٩١٤ ، ص ١٦ — ١٩ .

(٢) John Marlowe, The persian gulf in 19 century, pp. 15-16.

(٣) د. جمال زكريا ، دولة البوسعيد ، ص ١٠٣ .

صداقتها بمسقط ، ولقيت هذه السياسة ترحيباً من بعض حكام البوسعيد الذين أمدوها بما كانت تحتاجه . فأدى ذلك بحكومة بومباى إلى المطالبة « بضرورة وقوف ميناء مسقط محايداً فى الصراع الدائر بين الإنجليز والفرنسيين »[١] .

وقد أشار كل من حاكم جزيرة موريشيس والقنصل الفرنسى فى بغداد فى تقاريرهما لحكومة بلادهما بأنه يمكن اتخاذ مسقط مركزاً للتجسس على الإنجليز فى الهند . خاصة وأنه يوجد بها وكيل لحاكم حيدر أباد الذى اشتهر بعدائه للانجليز .

وفى أعقاب نشوب الحرب بين فرنسا وبريطانيا ١٢٠٨ هـ — ١٧٩٣ م ، أصبحت فرنسا فى حاجة شديدة إلى إيجاد مراكز اتصال لها بالشرق لتكون بمثابة مراكز استطلاع على الممتلكات البريطانية فى الهند ، ودراسة الطرق التى يمكن استخدامها فى غزوها . ولذا قررت الحكومة الفرنسية تعيين بوشمب Beauchamp قنصلا لها فى مسقط لمعرفته السابقة بالعالم العربى ، وجاء فى التعليمات التى صدرت إليه « أن قنصلية مسقط إنما أنشئت للتجسس على حركة الإنجليز فى الهند بدراسة الأحوال الداخلية فى هذه البلاد ، وكذلك دراسة الطرق التى يمكن أن يستخدمها غزو فرنسى للشرق »[٢] ولكن لم يقدر لهذا الممثل الفرنسى أن يصل إلى مقر منصبه الذى اختير له ؛ لأن الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م أدت إلى ازدياد النشاط الإنجليزى لعرقلة أى نفوذ فرنسى فى مسقط ، بالإضافة إلى إثارتها الشعوب الإسلامية ضد فرنسا[٣] . وبصفة خاصة البلاد العربية .

وترتب على وصول الحملة الفرنسية إلى مصر ازدياد النشاط الاستعمارى

---

(١) د . جمال زكريا ، المرجع السابق ص ١٠٤ .
(٢) د . صلاح العقاد — التيارات السياسية فى الخليج العربى ، ص ٦٦ .
(٣) د . جمال زكريا ، المرجع السابق ، ص ١٠٧ .

حول الخليج ، وخشى الإنجليز جانب مسقط لمرفتهم بوجود علاقات تجارية بين التجار العمانيين وجزيرة موريشيس الفرنسية ولذا كتب سمث Smith وكيل شركة الهند الشرقية فى بوشهر إلى حكومة بمباى بتاريخ ١٢١٢/١٢/٨ هـ ١٧٩٨/٥/٢٤ يقول :

« إن مسقط ستصبح عما قريب وكراً للجاسوسية الفرنسية على الهند ، لأن خمساً أو ست سفن عربية تقوم بنقل التجارة بين موريشيس ومسقط وساحل مليبار . ولاشك أن نقل الأنباء سيكون مورد ربح للبحارة العرب »(١).

ويؤكد كوبلاند أن العلاقات الفرنسية العمانية بدأت قوية قبل عهد نابليون(٢) . وقد سبق لفرنسا أن أرسلت بعثات إلى الشرق ، الهدف منها توطيد نفوذها ومراقبة الطرق المؤدية إلى الهند مثل بعثة أوليفير Olivière وبروجيير Brugière (*) التى كانت الهدف الأساسى لها إيجاد نوع من التحالف مع فارس للتضييق على الإنجليز فى الهند(٣) . ومن المؤكد أن فرنسا لم تستطع حتى مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر أن تنجح فى مساعيها حول إيجاد مراكز اتصال لهـا فى الشرق ، بل ترتب على ازدياد النشاط الفرنسى فى منطقة الخليج قلق حكومة الهند البريطانية وحرصها الشديد على عرقلة هذا النشاط ، وسعت جادة إلى الدخول فى اتفاقات مع كل من سلطان مسقط وحكومة فارس ، ولتحقيق ذلك الهدف سارعت بإرسال على خان الموظف الفارسى فى شركة الهند إلى سلطان مسقط لعقد اتفاق معه . وبعد مباحثات استمرت عشرة أيام تمكن هذا المبعوث من عقد اتفاق مع سلطان مسقط فى

(١) نقلا عن الدكتور صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٢) Coupland, 5ast Africa and its Invaders, p. 87.

(*) يذكر الدكتور صلاح العقاد فى كتابه التيارات السياسية أن أوليفير وبروجيير عالمين وكان القصد من اختيارهما تغطية أهداف البعثة وإعطائها صورة مهمة علمية . التيارات ، ص ٦٧ .

(٣) Adamyiat, Bahrein Islands, p. 40.

٢ جمادى الأول ١٢١٣ هـ — ١٢ أكتوبر ١٧٩٨ م مكون من سبعة مواد تضمنت وجوب تخلى مسقط عن أى اتصال بالفرنسيين ، وعدم السماح لهم أو لسفنهم بالنزول فيها فى حالة نشوب حرب بين فرنسا وبريطانيا . ونصت المادة السابعة من الاتفاق على السماح للانجليز بإنشاء وكالة تجارية فى بندر عباس — الذى كان تابعاً لمسقط متى رغبوا فى ذلك ولا اعتراض للسلطان على إقامة حامية إنجليزية مزودة بالمدافع ، وإقامتهم بتحصين هذا الميناء[1] . وقد كان عقد هذا الاتفاق الأول من نوعه بين دولة عربية مستقلة وبين بريطانيا فى العصر الحديث[2]* . ومما يسترعى الانتباه أن هذا الاتفاق لم يمنع سلطان مسقط من معاودة الاتصال بالفرنسيين ، وربما كان ذلك الاتصال الذى هو شجع بونابرت على إرسال رسالته المؤرخة فى ١٨ شعبان ١٢١٣ هـ — ٢٥ يناير ١٧٩٩ م إلى سلطان مسقط ، وطيها رسالة إلى تبو صاحب سلطان ميسور ، ليقف على مدى استعداد سلطان مسقط لمساعدته أثناء الزحف الفرنسى المحتمل إلى الهند . إلا أن رسائل بونابرت لم يقدر لها الوصول إلى هدفها لاعتراض الوكيل البريطانى فى مخا سبيلها والاستيلاء عليها[3] ، وإن قيل إن شريف مكة هو الذى سلمها للوكيل البريطانى فى جدة على إثر وقوعها فى يده . بسبب خوف أمراء الجزيرة العربية بعد احتلال الفرنسيين لمصر[4] .

وعلى إثر هذه الأحداث بدأت حكومة الهند البريطانية تشك فى إخلاص

---

(١) Aitchison, Collection of treaties, Engagements and sanads, Vol. XII, pp. 207-208; Miles, Countries and Tribes, Vol. 12 p. 261. Ruite, Said Bin Sultan, p. 28. Miles, Op. City., Vol. 2, p. 220.

(*) يوجد النص العربى لهذا اتفاق فى كتاب التيارات السياسية ، ص ٧٠ — ٧١ وهو لا يختلف فى مضمونه عن النص الإنجليزى .

(٢) د . صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٧٠ .

(٣) Ruete, Said Bin Sultan, p. 98. Miles, op. cit., vol. 2, p. 290.

(٤) أمين سعيد ، الخليج العربى ، ص ٣٧ ، د . صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٧٢ .

سلطان بن أحمد حاكم مسقط وأرادت أن تؤكد اتفاق ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م ، ولهذا أرسلت إلى جون مالكولم John Malcolm الذى كان مبعوثاً فى ذلك الوقت إلى فارس . والذى قدر له أن يلعب دوراً بارزاً فى سياسة الحكومة البريطانية فى الخليج [١] ، أرسلت له أن يعمل على الاتصال بسلطان مسقط لتأكيد الاتفاق السابق معه ، وتمكن مالكولم من الاجتماع بسلطان بن أحمد فى جزيرة هرمز فى شعبان ١٢١٥ هـ — يناير ١٨٠٠ م أثناء عود تهمن غزو البحرين وأوضح له حقيقة الموقف الدولى ، وأوحى إليه بأن بريطانيا قد أصبحت سيدة الموقف منذ تحطيم الأسطول الفرنسى فى «أبوقير» وقضائها على سلطان ميسور فى الهند[٢] وهدده بقفل موانى الهند فى وجه سفن أهل عمان[٣] . ونجح مالكولم فى النهاية فى توقيع اتفاق جديد معه فى ٢٧ شعبان ١٢١٥ هـ — ١٢ يناير ١٨٠٠ م أكد فيه شروط الاتفاق السابق وأضاف شرطاً جديداً هو سماح سلطان بن أحمد للانجليز بإرسال وكيل لهم فى مسقط تتم عن طريقه الاتصالات بين الطرفين بالإضافة إلى إعفاء الإنجليز من القوانين المعمول بها فى مسقط[٤] . وكان الطبيب بوجل Bogle أول وكيل بريطانى فى مسقط .

والملاحظ أن سياسة سلطان بن أحمد فى هذه الفترة ، كانت غير مستقرة فهو يحالف الإنجليز ويعقد معهم معاهدات . وفى نفس الوقت يتصل بالفرنسيين ويحاول أن يقيم معهم صلات ودية . والتفسير الوحيد لتردد سلطان بن أحمد فى سياسته الخارجية ، هو محاولته الحصول على المعونة الخارجية من كلا الطرفين ، ضد السعوديين الذين أصبحوا يشكلون الخطر الأول على بلاده . يؤيد ذلك أنه عندما رفضت الحكومة البريطانية فى الهند ، أن تمده « ولو بإرسال بعض

---

(١) Adamyiat, Op. Cit., p. 43.

(٢) Ruete, Op. Cit., pp. 98-99.

(٣) د. صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(٤) Miles, Op. Cit., Col. 2, p. 293. ; Aitchison, Op. Cit., Vol. 12, pp. 208-209. ; Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, pp. 249-250.

الجنود المتمرنين على استخدام المدافع . . . للاستعانة بهم ضد الوهابيين»[١] طبقاً لسياستها آنذاك القائمة على عدم التدخل في شئون جزيرة العرب الداخلية . اضطر سلطان بن أحمد إلى تجاهل المعاهدات التى بينه وبين الإنجليز ، واستقبل قوات فرنسية أرسلها له حاكم مروريشيس لمساعدته فى الاستيلاء على البحرين ١٢١٦ هـ — ١٨٠١ م . ويذكر كوبلاند Coupland أن سلطان بن احمد أرسل إلى ماجالون ١٢١٨ هـ — ١٨٠٣ م يطلب وضع مسقط تحت الحماية الفرنسية . وأرسل لنابليون هدايا قيمة[٢] . وأبدى استعداده لقبول « وكيل من قبل الحكومة الفرنسية وأنه سيعتبر أعداء الجمهورية الفرنسية أعداءه»[٣] .

وفى أعقاب عقد صلح أميان ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م ، أرسلت فرنسا كافنياك M. de Cavaignac ممثلا لها فى مسقط فوصلها فى رجب ١٢١٨ هـ أكتوبر ١٨٠٣ م وكانت الحكومة البريطانية فى الهند قد أقلقها تحرك السفن العمانية بين مسقط وجزيرة موريشيس الفرنسية . مما جعلها تنشط فى مقاومة ازدياد النفوذ الفرنسى فى مسقط ، خاصة وأن القتـال قد تجدد بين فرنسا وبريطانيا ، مما ترتب عليه فشل بعثة كافنياك M. de Cavaignac التى لم يستقبلها السلطان وأبدى مندوبه محمد بن خلفان حاكم الميناء للمبعوث الفرنسى أسف السلطان عن عدم استقباله ، وتعلل بوجود سفن كثيرة تابعة للسلطان فى الموانى الإنجليزية فى البنغال وساحل ملبـار ، وأن السلطان يخشى استيلاء الإنجليز عليها إذا ما سمح للمبعوث الفرنسى بالإقامة فى مسقط . فاتجه كافنياك عائداً إلى جزيرة موريشيس فوصلها فى ٢٧ جماد ثان ١٢١٨ هـ — ١٣ أكتوبر ١٨٠٣ م[٤] . بعد أن وقف على حقيقة الاتفاقيات التى أبرمتها حكومة الهند

---

(١) صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .

(٢) Coupland, Op. Cit., p. 102.

(٣) الحكومة السعودية ، عرض مشكلة البريمى ، ج ١ ، ص ١١٧ .

(٤) Wilson, The Persian Gulf, pp. 232-233.

البريطانية مع مسقط ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م ، ١٢١٥ هـ ١٨٠٠ م[١] .

ويدل هـذا الموقف على خوف سلطان مسقط من كل من الإنجليز والفرنسيين ، ومحاولته كسب ود كل من الطرفين .

وعندما آل حكم مسقط إلى بدر بن سيف الموالى للسعوديين ١٢١٠ هـ — ١٨٠٥ م خشيت حكومة الهند من وقوع مسقط تحت حكومة « أقل انقياداً لأهداف السياسة البريطانية فى الخليج »[٢] ، ولذا فإنها بدأت تغير من سياستها فى المنطقة ، إلا أنه فى ١٢٢١ هـ — ١٨٠٦ م وصل إلى حكم مسقط حاكم جديد هو السيد سعيد — على إثر مقتل بدر ، وأدى التقدم السعودى فى أراضى عمان فى تلك الفترة بالسيد سعيد إلى التخبط فى سياسته الخارجية . فى بداية حكمه ، فاتجه أولا إلى الفرنسيين وعقد معهم معاهدة فى ١٢٢٢ هـ — ١٨٠٧ م بقصد إعادة العلاقات الطيبة معهم ، إلا أن هذه المعاهدة لم تخرج إلى حيز التنفيذ ، طبقاً للسياسة التى اتخذها نابليون فى تلك الفترة وهى قصر اهتمامه على تطبيق سياسة الحصار القارى[٣] .

مما أدى بالسيد سعيد إلى الاتجاه كلية إلى الإنجليز فى الهند للاستعانة بهم ضد السعوديين ، خاصة بعد أن نجح الإنجليز فى إقصاء النفوذ الفرنسى من المحيط الهندى بالاستيلاء على جزيرة بربون Bourbon فى ٩ يوليو سنة ١٨١٠ م وموريشيس Mauritius فى ٣ ديسمبر سنة ١٨١٠ م[٤] .

وكانت السياسة البريطانية فى الخليج قد بدأت تتغير بعض الشىء عن

---

(١) Guillain, Expose Critique de diverses notions, Tome 2. p. 209.

(٢) Lorimer, Gazetteer of Persian Gulf, Vol. 1, p. 438.
نقلا من الوثائق السعودية جـ ١ ، ص ١٢١ .

(٣) Ruete, Op. Cit., pp. 21, 103.

(٤) Ibid, p. 102.

وجهها منذ سنة ١٢٢٠هـ — ١٨٠٥م، أى منذ أن أرسلت حملتها الأولى ضد القواسم حلفاء السعوديين، متجاهلة التحالف والتبعية القائمة بين هاتين القوتين العربيتين ونرى أن العلاقات الانجليزية — السعودية تبدأ فى الوضوح منذ ذلك الوقت. ولذا يجب أن نتعرض أولا لنشاط القواسم البحرى، واصطدامهم بالإنجليز كمرحلة أولى للعلاقات الإنجليزية — السعودية.

القواسم والانجليز:

القواسم قبيلة عربية تنتمى إلى عدنان، وموطنها الأصلى نجد[1]، نزحت إلى ساحل عمان منذ النصف الثانى من القرن السابع عشر الميلادى، ولم يتم استقرارها فى وطنها الجديد إلا فى النصف الأول من القرن الثامن عشر، واشتغلت بالملاحة وغدت قوة بحرية متفوقة فى نهاية ذلك القرن وبداية القرن التاسع عشر، وامتد نفوذها على المنطقة الممتدة بين قطر وخورفكان وأجزاء من الساحل الإيرانى من الخليج.

وكان رحمة بن مطر القاسمى قد أعلن استقلاله عن عمان على إثر زوال دولة اليعاربة ١١٥٤ هـ — ١٧٤١ م واعترف له أحمد بن سعيد مؤسس دولة البوسعيد بهذا الاستقلال[2]، فاتخذ من رأس الخيمة قاعدة له سنة ١١٧٩ هـ — ١٧٦٥م[3]. وعرف عن القواسم منذ ذلك الوقت الجرأة والإقدام فى الأعمال البحرية وتعدى نشاطها البحرى دائرة الخليج العربى إلى المحيط الهندى[4].

ووجد الكثيرون من بحارتها بعد الانفصال عن عمان أنه من الأيسر لهم تحقيق الربح بالسطو على سفن التجار العمانيين التابعين للبوسعيد. وازداد نشاط القواسم المعادى للبوسعيد، حتى تمكنت هذه القبيلة فى نهاية القرن الثامن عشر

( ) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 300.

(٢) د. سيد نوفل، الأوضاع السياسية، جـ ٢، ص ٥١ — ٥٢.

(٣) د. صلاح العقاد، المرجع السابق، ص ٩٧.

(٤) قدرى قلعجى، الخليج العربى، ص ٤٠٩.

من انتزاع جزيرة قشم من سلطان بن أحمد ، وأقامت لها مركزاً تجارياً فى ميناء باسيدو بالجزيرة[1].

وتمكن أحد فروعها أيضاً من الانتقال إلى الشاطىء الشرقى للخليج وأسس إمارة عربية فى لنجة ظلت تدين بتبعيتها لرأس الخيمة[2] . ومن المؤكد أن القواسم حتى نهاية القرن الثامن عشر كانت تتجنب فى عملياتها البحرية الإغارة على السفن البريطانية وكانت إغاراتها مقصورة على السفن العمانية والعماية ، ولم تحدث من جانبها اعتداءات على السفن الأجنبية باستثناء الحوادث التى وقعت سنة ١٢١٢ هـ — ١٧٩٧ م ، ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م على السفينتين البريطانيتين The Basuing Snow Viper .

واعتذر عنهما الشيخ صقر ، وذكر للمقيم البريطانى فى البصرة بأن هاتين الحادثتين وقعتا من جانب الشيخ صالح الذى انفصل عنهم قبل وقوع الحادثتين ، وذكر له بأن أتباعه من القواسم يقومون بالهجوم على السفن العمانية فقط[3] .

وقد كان دخول الجيوش السعودية إلى الأراضى العمانية ، بداية فترة جديدة فى تاريخ القواسم ونشاطها البحرى . فقد رحب سلطان بن صقر بهذه القوة الجديدة وأعلن فى ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م خضوعه لآل سعود واعتناق مبادىء الدعوة السلفية[4] . وتعهد بدفع الزكاة المقررة لعمالها « طالما أن هذه الحكومة لا تغير من وضعه كزعيم للقبيلة » ، بل على العكس أصبحت قبيلة

---

(١) Wilson, Op. Cit., p. 231.

(٢) د. صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٣) Bombay Governmest, Op. Cit., Vol. 24, p. 302.

(٤) أحمد قاسم البوريني ، الإمارات السبع على الساحل الأخضر ، ص ١٤٠ — ١٤١ .

القواسم تستند إلى مؤازرة دولة قوية لـكى تمارس مغامراتها البحرية على نطاق واسع [١] .

وترتب على التحالف السعودى — القاسمى ، إتساع نشـاط القواسم البحرى الذى أصبح بعد هـذا التحالف يشمل السفن البريطانية والعمانية على السواء . مستغلين فى ذلك مبدأ الجهاد الدينى ، أحد مبادىء الدعوة السلفية ، وقام بحـارة القواسم فى عامى ١٢١٩ هـ — ١٨٠٤ م ، ١٢٢٠ هـ — ١٨٠٥ م بالإستيلاء على سفينتين تابعتين للمستر مانيستى Manisty ممثل شركة الهند الشرقية فى البصرة Trimmer Shannon ، وأخذوا سفينة تابعة للشركة نفسها هى Mornington وشنوا هجوماً على السفينة الحربية Queen قرب مسقط فى ٣٠ محرم ١٢٢٠ هـ — ٣٠ إبريل ١٨٠٥ م [٢] .

وفى نفس الوقت أزعج هـذا التحالف سلطان بن أحمد الذى بدأ يناشد الحكومة البريطانية فى الهند أن تمد له يد العون ليتمكن من مجابهة خطر هذين الحليفين البرى والبحرى . ورغم أن حكومة الهند البريطانية لم تـكن تريد أن تورط نفسها رسمياً فى عمليات حربية تجر عليها غضب السـعوديين ، وتؤدى إلى تهديد طريق بريدها البرى الممتـد بين حلب والبصرة ، إلا أنها وجدت ألا مناص من القيام بعمل حربى ضد القواسم ، فأرسلت حملة سنة ١٢٢٠ هـ — ١٨٠٥ م وزود قائد هذه الحملة الـكابتن Skinner بتعليمات تقضى بأن يكون رفيقاً فى معاملته للقواسم خشية أن تجر القسوة فى العمل الحربى ضدهم غضب السعوديين رغم أن حكومة الهند أظهرت تجاهلها تبعـة القواسم لآل سعود ،

---

(١) د. صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(٢) Miles, Op. Cit., Vol. 2, p. 313. ; Curzon, Persia and Persian Question, Vol. 2, p. 449 ; Brydges, Op. Cit., Vol. 2, p. 37.

واعتبرتهما حركتين منفصلتين[١] . فى الوقت الذى كانت فيه دوائر حكومة بومباى تعتقد بأن السعوديين وراء اعتداءات القواسم على السفن الإنجليزية فى الخليج[٢] . واستطاعت الحملة الإنجليزية بالتعاون مع سلطان مسقط ، توجيه ضربة قوية للقواسم انتهت بتوقيع اتفاقية فى ١٧ ذى القعدة ١٢٢٠ هـ — ٦ فبراير ١٨٠٦ م بين الكابتن David Seton عن شركة الهند الشرقية والشيخ عبد الله بن كورش نيابة عن الشيخ سلطان بن صقر شيخ القواسم ، فى بندر عباس ، وكان أهم ما تضمنته الاتفاقية :

أولا : قيام سلام دائم بين شركة الهند الشرقية والقواسم الذين تعهدوا باحترام علم الشركة وممتلكاتها ورعاياها ، على أن تقوم الشركة بمثل هذه المعاملة لسفن القواسم وممتلكاتهم .

ثانياً : إذا خالف القواسم هذا الاتفاق يدفعون غرامة قدرها عشرون ألف ريال .

ثالثاً : يرجع القواسم جميع ما استولوا عليه من الممتلكات البريطانية سابقاً .

رابعاً : يقوم القواسم بتقديم المساعدات اللازمة للسفن البريطانية التى تلجأ إلى سواحلهم والمحافظة على ممتلكاتها دون مقابل ، وللقواسم فى نظير ذلك حق التردد على الموانى التابعة لبريطانيا فى آسيا .

خامساً : إذا أرغم سعود القواسم على نقض هذا الاتفاق فعليهم الإعلان عن ذلك فى جميع الأحوال قبل النقض بثلاثة شهور[٣] .

---

(١) د. سيد نوفل ، المرجع السابق ج ٢ ، ص ٦٠ — ٦١ .

(٢) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 433.

(٣) Ibid., Vol. 24, p. 75.

وهكذا يتضح كيف أن مندوب شركة الهند البريطانية حاول أن يتجاهل خضوع القواسم للدرعية ، إلا أنه لم يستطع ذلك فقد نصت المادة الخامسة من الاتفاق صراحة على خوف حكومة بومباى من عـدم موافقة سعود عليها . ونستنتج من ذلك أن الإنجليز كانوا يخشون حتى ذلك الحين سنة ١٢٢١ هـ — ١٨٠٦ م الاصطدام المباشر بالسعوديين . ويعلق إيتشيسون Aitchison وكيل وزارة الخارجية البريطانية على هذا الاتفاق بقوله « يبدو أن هذا الاتفاق قد وقع دون الرجوع إلى الوهابيين »[١] (يقصد السعوديين) .

ويبدو أن الضربة التى وجهت إلى القواسم كانت قوية ، ولذا أسرع شيخ القواسم إلى عقد الاتفاق دون الرجوع إلى الدرعية ، وعلى كل فقد ساد نشاط القواسم عقب هذا الاتفاق هدوء نسبى ، وقضى سلطان بن صقر شيخ القواسم الفترة ١٢٢١ / ١٢٢٢ هـ — ١٨٠٦ / ١٨٠٧ م مسالماً ولم يحاول أن يخرج على نصوصه . إلا أن سفن القواسم عادت إلى سابق سيرتها سنة ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م ، واستولت على السفينة البريطانية Minerva التى كانت فى طريقها إلى البصرة وقتلت جميع بحارتها وركابها باستثناء اثنين من بينهما المسز تايلور Mrs. Taylor التى أعادوها بعد دفع فدية لها[٢] . كما حطم بحارة القواسم طراداً إنجليزياً صغيراً كان يرافق بعثة مالكولم الثانية إلى فارس ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م وأرسل سلطان بن صقر إلى حكومة بومباى يطلب منها دفع رسم لرأس الخيمة مقابل منحها حرية التجارة فى الخليج ، وقد قبلت حكومة الهند العمل بهـذا الطلب[٣] ، وإن كان ذلك فى حقيقة الأمر تظاهراً منها وكسباً للوقت حتى تتمكن من توجيه ضربة قاسية إلى القواسم ، وشجع حكومة

---

(١) Aitchison, Op. Cit., Vol. XI, p. 198.

(٢) Richard Sanger, The Arab Peninsula, p. 171.

(٣) د. محمود على الداود ، الخليج العربى ، ص ١٩ .

بومباى على التفكير فى إرسال حملة ثانية ضد القواسم ، أنها أصبحت على علاقة طيبة مع السيد سعيد حاكم مسقط الذى ألح كثيراً على حكومة بومباى فى ضرورة إرسال حملة ضد القواسم وحلفائهم السعوديين ، وأيدته مكاتبات المقيم البريطانى فى مسقط[١] .

ولذا أرسلت حملة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م بقيادة لونيل سميث ، وزودت بتعليمات تقضى بتدمير مراكز القرصنة مع تجنب الاصطدام بالسعوديين وأرسل جوناثن دنكن حاكم بومباى إلى السيد سعيد بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٢٤ هـ — ٧ سبتمبر ١٨٠٩ م رسالة يقول له فيها « إننى أعتمد مطمئناً على عظمتكم لتقدموا كل مساعدة ممكنة لتحقيق أهداف هذه الحملة التى تم القيام بها أولا وبالتأكيد بناء على إشارة عظمتكم »[٢]. ورغم أن هذه الحملة كانت لديها تعليمات تقضى بتجنب العمليات البرية ، وإطلاع الإمام السعودى على رغبة حكومة بومباى فى الإبقاء على علاقات المودة معه ومع المناطق التى خضعت له ، وأن رغبتها هى حفظ سلامة التجارة فى البحار وبوجه خاص فى الخليج[٣] . إلا أن الحملة بعد أن تمكنت من تدمير رأس الخيمة فى شوال ١٢٢٤ هـ — نوفمبر ١٨٠٩ م وأنزلت الهزيمة بالقواسم[٤] . لم تبق فى رأس الخيمة إلا يوماً واحداً أسرعت بعده بالإقلاع[٥] . ولكنها تحت إلحاح السيد سعيد حاكم مسقط ، هاجمت حامية سعودية فى ميناء شناص السعودى على خليج عمان فى

---

(١) Miles, Op Cit., p. 315; Ruete, Op. Cit., p. 26.

(٢) حكومة المملكة العربية السعودية ، عرض مشكلة البريمى ، جـ ١ ، ص ١٢٦ اقتباس كوبلاند من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٣ .

(٣) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 333.

(٤) Burkhardt, Notes on Bedouins and Wahabys, Vol. 2, p. 206.

(٥) المملكة العربية السعودية ، عرض مشكلة البريمى ، جـ ١ ، ص ١٢٧ .

ذى القعدة ١٢٢٤ هـ — أول يناير ١٨١٠ م . واستولت عليه وسلمته للسيد سعيد[١] .

وما كادت أنباء نزول الحملة البريطانية فى ميناء شناص تصل إلى مطلق المطيرى الأمير السعودى فى عمان ، حتى أسرع لإنقاذ الميناء السعودى ، ولكن عند وصوله إلى شناص كانت الحملة قد أقلعت ومعها السيد سعيد ، واستطاع مطلق إنزال الهزيمة بقوات مسقط التى كانت لا تزال بالقرب من شناص التى تمكن الأمير السعودى من إرجاعها إلى حوزة آل سعود .

ومما يسترعى الانتباه أن هذه الحملة الإنجليزية رغم عملياتها الناجحة ضد القواسم ؛ إلا أنها لم تنته بمعاهدة كسابقتها (حملة ١٢٢١ هـ — ١٨٠٦ م) ولم تؤد فى النهاية إلى القضاء نهائياً على قوة القواسم[٢] ، وسنرى عند الحديث عن العلاقات الإنجليزية — السعودية المباشرة كيف بررت حكومة بومباى للدرعية عملها هذا ضد القواسم .

وفى أعقاب هذه الحملة ساد نشاط القواسم البحرى الهدوء غير أن هذا الهدوء كان لتعبئة القوى وتجديد الأسطول »[٣] . فقد ازداد تتبع القواسم للسفن البريطانية فى المحيط الهندى فى الفترة ١٢٢٦ — ١٢٣٣ هـ — ١٨١١ ١٨١٨ م ، ووصلوا فى مغامراتهم إلى مسافة لا تبعد أكثر من ستين ميلا عن بومباى نفسها[٤] . فدفع ذلك التحدى فى النهاية بحكومة الهند إلى إعداد العدة لتوجيه ضربة قاضية لهذه القوة العربية خاصة وأنها رأت بوادر انهيار حلفائها السعوديين أمام قوة محمد على . ولذا أرسلت فى سنة ١٢٣٤ هـ — ١٨١٩ م

---

(١) Kelly, Op. Cit., p. 58.

(٢) Ibid., p. 58.

(٣) Berreby, Le Golfe Persique, p. 38.

(٤) د. صلاح العقاد ، التيارات السياسية ، ص ١٠٤ .

حملة قوية تمكنت بعد عمليات حربية قاسية من تدمير رأس الخيمة ، بعد أن صمد القواسم شهرين كاملين ، وأجبرتهم على توقيع المعاهدة العامة ١٢٣٦ هـ — ١٨٢٠ م التى كانت شاملة لجميع مشايخ العرب الذين فقدوا التأييد الذى كانوا يلاقونه من حلفائهم السعوديين الذين حلت بهم الهزيمة فى الدرعية [١] . وبذلك مهدت بريطانيا لتوطيد نفوذها السياسى فى الخليج واستمرت تعمل على تأكيده طوال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين .

العلاقات السعودية — الإنجليزية المباشرة :

سبقت الإشارة إلى أن حكومة الهند البريطانية ، لم تكن تريد أن تورط نفسها فى حروب برية مع السعوديين ، قد لا تحمد عقباها بالنسبة لها من ناحية ، وخوفاً من تعرض طريق بريدها البرى بين البصرة وحلب للغارات السعودية من ناحية أخرى . ولذا فإنها قصرت عملياتها البحرية ضد القواسم أتباع آل سعود ، متظاهرة دائماً بتجاهل هذه التبعية القائمة بين القوتين العربيتين . وظلت تحافظ على سياستها هذه إزاء السعوديين رغم كراهيتها لهم . حتى انهيار الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م ، كما سنرى .

وإذا تتبعنا علاقات آل سعود بالإنجليز ، نجد أول إشارة ترد عنهم فى سجلات حكومة بومباى تحت إسم الوهابيين فى ١٢٠١ هـ — ١٧٨٧ م [٢] . ولعل ذلك التأخير فى ذكر آل سعود فى سجلات حكومة الهند يرجع إلى أن هذه الحكومة لم يكن يهمها كثيراً تتبع التطورات التى تحدث فى داخل الجزيرة العربية بعيداً عن الساحل . يؤيد ذلك أن آل سعود قبل عام ١٢٠١ هـ — ١٧٨٧ م لم يكن لهم أى نفوذ على ساحل الخليج ، ولم تكن قواتهم قد وصلت إليه بعد .

---

(١) Richard Sanger, Op. Cit., p. 172.

(٢) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 428.

وقد بدأت العلاقات السعودية الإنجليزية بعد هذه الفترة تدخل فى مرحلة جديدة ، وبخاصة عندما اضطرت شركة الهند الشرقية ١٢٠٩ هـ — ١٧٩٤ م بعد خلاف مع السلطات العثمانية فى البصرة إلى نقل مركزها التجارى إلى الكويت التى كانت فى ذلك الوقت قد بدأت تتعرض للغارات السعودية . مما أدى بحكومة الهند إلى تزويد مركزها فى مقره الجديد ببعض الرجال من الهنود لحراسته من اعتداءات السعوديين .

ويذكر بريدجز Brydges أن رجال الشركة فى ذلك الوقت توددوا إلى السعوديين وأرسلوا الهدايا لشيوخهم[١] .

التزم رجال الشركة موقف الحياد فى الصراع الذى كان قائماً بين الكويت وآل سعود ، لأن الشركة كانت حريصة على ألا يتعطل بريدها الصحراوى . غير أن بعض المصادر تذكر أن حرس الوكالة الإنجليزية ساهم فى رد الهجوم السعودى على الكويت ، مما أغضب آل سعود وجعلهم يقومون بغارات على بريد الشركة[٢] . فاضطر مانيستى سنة ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م إلى إرسال رينود Reinaud أحد مساعديه إلى الدرعية لإعادة العلاقات الطيبة مع آل سعود[٣] . فوصل إلى الدرعية عن طريق القطيف والهفوف حيث استقبل فى العاصمة السعودية إستقبالا حسناً[٤] . وحاول هذا المبعوث الإنجليزى أن يحصل من الإمام عبدالعزيز بن محمد على وعد بتأمين البريد الذى يمر بالطريق الصحراوى من البصرة إلى حلب حيث تقيم بعض القبائل التى تخضع لآل سعود ، إلا أن الإمام عبد العزيز اشترط لتنفيذ ذلك الوعد توسط الإنجليز لإقامة صلح بينه

---

(١) Brydges, A brief history of the Wahaby, Vol. 2, pp. 12-16.

(٢) د. أحمد أبو حاكمة ، تاريخ الكويت ، ج ١ ، ص ٢٦٣ .

(٣) Brydges, Op. Cit., Vol. 2, pp. 12-13.

(٤) د. عبد الحميد البطاريق ، إبراهيم الفائح ، ص ٢٤ .

وبين والى بغداد [1] . ولا نستطيع قبول القول بأن الإمام عبد العزيز اشترط هذا الشرط لإقامة صلح بينه وبين والى بغداد لعدة أسباب منها :

أولا : أنه فى العام السابق لبعثة رينود ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م كان الأمير سعود بن عبد العزيز قد وقع اتفاقاً مع على باشا الكخيا قائد حملة الأحساء السابقة الذكر .

ثانياً : أنه فى العام المذكور لبعثة رينود ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م كان والى بغداد نفسه هو الذى أرسل رسولا من لدنه وهو عبد العزيز الشاوى من أجل مفاوضة الإمام عبد العزيز وابنه سعود حول إمكانية إقامة صلح بين الطرفين ورأينا كيف أن رد الدرعية كان واضحاً . وأظهر أطماع آل سعود فى الأراضى العراقية الواقعة غربى الفرات (*) .

ثالثاً : كانت قوة آل سعود حتى ذلك الحين هى القوة المهاجمة وكانت تدير كل عملياتها داخل الأراضى العراقية ، فكيف تطلب من طرف آخر التوسط لها فى إقامة صلح مع والى بغداد وهى فى مركز القوة . إلا إذا كانت لها شروط تبغى من ورائها تحقيق أهدافها السياسية والدينية والاقتصادية .

ومن الواضح أن هذا القول لا يستطيع أن يصمد أمام النقد التاريخى المقارن . ولا غرابة بعد ذلك أن تبوء بعثة رينود الذى كان أول أجنبى يزور الدرعية بالفشل ولم تسفر عن شىء ذى أهمية لتدعيم العلاقات السعودية — الإنجليزية .

بدأت حكومة الهند البريطانية بعد ذلك تخشى جانب آل سعود ورسمت لنفسها سياسة تقوم على أساس تجنبهم مع إبداء رغبتها دائماً فى استمرار

---

(١) د. صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ١٠٠ .

(*) انظر الفصل الثامن ، ص ١٩٣ — ١٩٤ .

العلاقات الطيبة بين الطرفين . ولذا فإنها حاولت على إثر قيامها بالعمل المشترك مع سلطان مسقط ضد القواسم حلفاء السعوديين ، أن تبرر عملها هذا ، فأرسلت إلى وكيلها فى بوشهر تعليمات تحتم عليه بأن يخبر أمير الدرعية ورجال حكومته برغبة الحكومة البريطانية فى استمرار العلاقات الطيبة معهم وجاء فى هذه التعليمات ، التبرير الذى استندت إليه الحكومة البريطانية استمرار العلاقات الطيبة معهم وجاء فى هذه التعليمات التبرير الذى استندت إليه الحكومة البريطانية فى مهاجمتها للقواسم فقد ذكرت « ولطالما تعرض القواسم دون مبرر للسفن البريطانية وانتهكوا حرمة المعاهدة الإيجابية التى عقدت مع زعيمهم سنة ١٨٠٦ .... وأن تأييدنا العادل لحليفنا إمام مسقط لا يمكن أن يكون سبباً معقولا لاستياء أية دولة أو حكومة »[1] .

ورغم إفصاح حكومة الهند البريطانية الواضح عن تأييدها لإمام مسقط إلا أن الأمير سعود من جانبه كان حريصاً ألا يدخل فى صراع مع الإنجليز فى ذلك الوقت ، وأتاحت له مراسلة حكومة الهند الفرصة فى السيطرة المباشرة على أملاك القواسم ، ولذلك نجده يستدعى سلطان بن صقر زعيم القواسم سنة ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠م ويحتجزه عنده فى الدرعية ، ويعين عاملا سعودياً للاشراف الإدارى على المنطقة التى كانت تابعة للقواسم من الساحل العمانى ويربطه بالدرعية مباشرة . ويرسل إلى حاكم بومباى رسالة يوضح له فيها أنه منع أتباعه القواسم من التعرض للسفن البريطانية فى الخليج ، وأنها ستكون آمنة متى رغبت فى المجىء وجاء فى رسالة سعود التى انفرد بذكرها جيمس موريير * « أن سبب الخصومات المتواصلة بينى وبين من يدعون أنفسهم أنهم مسلمون هو زيغهم عن كتاب الله ورفضهم الامتثال لنبيهم محمد ... (يقصد أهل عمان) ... وفى هذه الظروف

---

(١) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 433.

(*) أحد الرحالة الذين زاروا المنطقة فى ذلك الوقت ووقفوا على أحوالها .

رأيت من الضرورى أن أخبركم أنى لن أقترب من شواطئكم ، وأنى منعت أتباع عقيدة محمد وسفنهم من أن يقوموا بأى تنكيل بسفنكم ، فإذا ما ظهر أحد من تجاركم فى موانئ أو رغب فى المجىء إليها فسيكون آمناً .. فلا يزعجكم إذن احتراق عدد من السفن لأنه ليس لها قيمة فى رأيى ولا فى رأى أصحابها أو أهل بلادها . والحقيقة إذن هى أن الحرب مرة ولا يخوضها إلا أحمق كما قال أحد الشعراء »[١] .

وقد حاولت حكومة الهند البريطانية بعد ذلك أن تحيط مساعداتها للسيد سعيد بالسرية التامة ، وأوعزت إليه أن يقبل إقامة سلام مع السعوديين إذا كانت شروطه « متفقة مع شرف دولة مسقط وأمنها » وأنه « ليس من الضرورى أن يشير إلى صلاته بالحكومة البريطانية عند كتابة رده على أية عروض يتلقاها من عدوه »[٢] .

ومن الجانب الآخر ، نجدها تؤكد للدرعية أن عملياتها البحرية السابقة كانت موجهة إلى القراصنة ، وتعرب عن ارتياحها لرد سعود السابق وتؤكد له « أنه لا دخل للحكومة البريطانية بشأن العمليات الحربية التى تقومون بها ضد الخارجين على الدين الإسلامى بسبب ما قيل عن ابتعادهم عن فرائض القرآن والسنة . ولن تستخدم الحكومة البريطانية قوتها إلا ضد أولئك الذين يعتبرون أعداء لجميع الدول من جراء ممارستهم مهنة القرصنة البغيضة . أما الآن وقد فتح طريق المراسلة بيننا فإنى أكون مسروراً دوماً لأن أسمع عن رفاهيتكم وتوفيقكم »[٣] .

وواضح أن السعوديين فى هذه المرحلة من تاريخهم عملوا على مهادنة

---

(١) Morrier, J., A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor, p. 347.

(٢) اقتباس كوبلاند ، من سجلات وزارة الهند ، ص ١٤٦ ، نقلا عن الوثائق السعودية ، جـ ١ ، ص ١٢٩ .

(٣) نقلا عن أمين سعيد ، الدولة السعودية ، جـ ١ ، ص ١٠٥ .

البريطانيين ، ومحاولة إبعادهم عن دائرة الصراع بينهم وبين سلطان مسقط فقد ذكر موريزى أن الأمير السعودى فى عمان مطلق المطيرى وقع مع سميث قائد حملة سنة ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م معاهدة بعد معركة شناص ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م . نصت على عدم تعريض الوهابيين وأتباعهم للسفن الإنجليزية مقابل وقف الحكومة البريطانية مساعداتها للسيد سعيد فى حروبه الظالمة ضد السعوديين بسبب عدم دفعه الضرائب المقررة عليه (١) .

وقد سبقت الإشارة إلى أنه عند وصول مطلق المطيرى إلى شناص وجد أن قائد الحملة البريطانية كان قد انسحب بقوته واصطحب معه السيد سعيد ، ولم يجد القائد السعودى إلا قوات عمانية استطاع هزيمتها واسترد منها الميناء السعودى . ولذلك لا يسعنا إلا أن نشك فى رواية موريزى عن توقيع اتفاق بين مطلق المطيرى وسميث القائد الإنجليزى .

وعلى كل ، فإن الحكومة البريطانية رأت أنه من الحكمة ألا تدخل فى أى اتفاق أو معاهدة رسمية أو شبه رسمية مع آل سعود . واكتفت بإظهار محافظتها على العلاقات الودية معهم إنتظاراً لما ستتمخض عنه الأحداث التى ترتبت على وصول الحملة المصرية إلى الحجاز ، رغم إلحاح الإمام سعود فى عقد اتفاق معها ، إلا أن رد حكومة بمباى عليه كان قاطعاً فى رفض أى اتفاق . فقد ذكرت « بأنها ترى من الحكمة والصواب أن تحافظ على علاقات ودية مع الإمام وتحترم شعوره ، ولكنها لا ترى من المناسب فى هذا الوقت الدخول فى أى تعاقد ولو كان تجارياً »(٢) .

ظلت الحكومة البريطانية على موقفها الغامض هذا إزاء آل سعود حتى

---

(١) Mourizi, V., (Shaikh Mansur) History of Sey Said Sultan of Muscat, p. 67.

(٢) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 185.

انهيار الدولة السعودية وسقوط الدرعية فى يد إبراهيم باشا سنة ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م . عندئذ أفصحت حكومة الهند البريطانية عن كراهيتها لآل سعود ، وأنها لم تكن راغبة فى تكوين وحدة سياسية كبيرة بين الإمارات العربية فى الخليج ، تحت سيادتهم ، ولذا فإن الحاكم البريطانى العام فى الهند أرسل إلى إبراهيم باشا يهنئه بنجاحه فى القضاء على الدولة السعودية قائلا « إن الهزيمة والانهيار الكامل لدولة ما بعد ارتفاع غير عادى إلى درجة السمو ، مما هو أدعى إلى السرور أن تنفردوا فخامتكم بإخضاعها » (١) .

وجاء فى نهاية تقرير المستر فرانسيس واردن الذى قدمه لحكومة الهند سنة ١٢٣٤ هـ — ١٨١٩ م عن الدولة السعودية الأولى « هكذا قامت وسقطت ، ويؤمل ألا تقوم مرة ثانية تلك الجماعة الشاذة التى شجعت وحمت الغارات البحرية فى الخليج وبحار الهند (المحيط الهندى) بدرجة من النجاح وبجرأة ووحشية لا تفوقها غير بشاعة الجزائريين فى أوروبا » (٢) .

وقد عبر القنصل الانجليزى فى مصر عن سرور بلاده لسقوط الدولة السعودية بقوله «عصابة من اللصوص أثبتت أنها أكثر تعصباً وأشد عداوة من أتباع الدين الذين حاولت هذه العصابة أن تحل محلهم » (٣) .

ورغم أن السلطات البريطانية سواء فى الهند أو خارجها أبدت سرورها لسقوط الدولة السعودية الأولى وأفصحت عن كراهيتها المكبوتة ضد آل سعود ، إلا أنها فى نفس الوقت خشيت أن تحل قوة محمد على مكانها ، فى توحيد بلدان المنطقة وإقامة دولة قوية فيها ، تشكل خطراً جديداً عليها وعلى حليفها سلطان مسقط . ولذا فإن سياستها إزاء القوة الجديدة أصبحت تقوم على

---

(١) Sadlier, G.F., Diary of a Journey across Arabia during the year 1819, p. 83.

(٢) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 436.

(٣) Dodwell, Henry, the Founder of Moders Egypt, p. 43.

أساسين ، يهدفان إلى الحيلولة دون قيام وحدة سياسية قوية على الخليج [١]، والوقوف فى وجه التوسع المصرى وكان الأساسان هما :

أولا : محاولة إقحام إبراهيم باشا فى مطاردة السعوديين وحلفائهم القواسم ، بقصد التخلص النهائى منهم [٢] . وإنهاك القوة المصرية فى عمليات حربية برية وبحرية قد لاتحمد عقباها ، بالنسبة للجيوش المصرية .

ثانياً : التعرف على الأهداف التى يرمى إليها إبراهيم باشا فى حروبه وغزواته القادمة نحو الخليج والتحالف معه ، وقد كلف بهذه المهمة الكابتن سادلر Sadlier الذى كلف فى نفس الوقت بتهنئة إبراهيم باشا على نجاحه فى القضاء على الدولة السعودية [٣] ، ولكن سادلر لم يستطع أن يحقق أهدافه ، ولم يحصل من إبراهيم باشا على موافقته على المقترحات الإنجليزية ، لأن تعليمات والده إليه كانت تحذره من الاتصال بالانجليز فى ذلك الوقت [٤] .

وعلى كل ، فإن بريطانيا فى أعقاب سقوط الدولة السعودية ، بدأت تعمل جادة فى توطيد نفوذها السياسى على سواحل الخليج ، والوقوف فى وجه أى قوة جديدة تحاول الظهور على سواحله ، وطبقاً لهذه السياسة ، أرسلت حملة ١٢٣٤ هـ — ١٨١٩ م ضد القواسم ، وكبلت شيوخ المناطق بمعاهدات تمهيدية أعقبتها بمعاهدة عامة ١٢٣٥ هـ — ١٨٢٠ م ، ضمنت لها استمرار حالة التفكك بين مناطق الخليج [٥] .

---

(١) أحمد عزت عبد الكريم ، مقدمة الاستعمار فى الخليج الفارسى ، ص ٩ .

(٢) جمال زكريا ، دولة البوسعيد ، ص ١٦٩ .

(٣) عبد الحميد البطريق ، إبراهيم باشا وحروبه فى بلاد العرب ، ص ٢٦ .

(٤) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد على ، محفظة (٥) بحريرا ، وثيقة ١٩٢ رمضان ١٢٣٣ هـ — يوليو ١٨١٨ م .

(٥) سيد نوفل ، الأوضاع السياسية ، ج ٢ ، ص ٥٦ — ٥٧ .

وبدأت الحكومة البريطانية بعد ذلك تقحم نفسها فى عمليات برية على أرض الجزيرة العربية خلافاً لسياستها السابقة ، ففى ١٢٣٦ هـ — ١٨٢١ م اشتركت قواتها مع قوات السيد سعيد فى عمليات برية ضد قبيلة بنى بوعلى الوهابية ، التى كانت تقوم بعمليات بحرية ضد السفن البريطانية[1]. ونجحت هذه الحملة التى كانت بقيادة الكولونيل سميث فى الاستيلاء على قلعة جعلان حصن هذه القبيلة وسلمتها للسيد سعيد الذى فشل فى الاستيلاء عليها من قبل[2] .

وهكذا أكدت الحكومة البريطانية أن موقفها السابق من الدولة السعودية الأولى لم يكن إلا ذراً للرماد ، وأنها كانت تتحين الفرصة المناسبة لتحقيق أهدافها السياسية والاقتصادية ، وقد هيأ لها سقوط الدولة السعودية الأولى ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨ م هذه الفرصة .

العلاقات السعودية — الفرنسية :

سبق أن رأينا عند الحديث عن التنافس الإنجليزى — الفرنسى ، كيف أن النشاط الفرنسى كان موجهاً أساساً إلى مسقط وفارس . وحاول بعض حكام مسقط إستغلال النشاط الفرنسى فى الحصول على مساعدة فرنسية ضد السعوديين ؛ إلا أن ازدياد النفوذ الإنجليزى فى الخليج وحصوله على الأرجحية ، جعل حكام مسقط يتجهون كلية إلى الاستعانة بالانجليز دون الفرنسيين ، مما جعل العلاقات الإنجليزية السعودية تظهر بصورة أوضح من العلاقات الفرنسية — السعودية . ومن المؤكد أنه قبل الفترة النابليونية لم يحدث أى تفكير لدى الفرنسيين للاتصال بآل سعود . ومما يؤيد ذلك أن بونابرت حينما

---

(١) هيئة الأمم المتحدة / لجنة عمان فى المحافل الدولية ، ترجمة سليمان وإبراهيم أبناء الشيخ حمد الحارثى ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٧ ص ١٠٣ .

(٢) السالمى ، تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، ج ٢ ، ص ١٨٨/١٨٩ .

وصل إلى مصر ١٢١٣ هـ — ١٧٩٨ م . وحاول الاتصال بحكام وأمراء الشرق للحصول على تأييدهم له ضد الإنجليز . أراد طبقاً لسياسته هذه أن يتصل بزعيم الحركة الوهابية (الأمير عبد العزيز بن محمد بن سعود) ولكنه لم يستطع آنذاك أن يتعرف على اسمه بالضبط[1] . هذا من جانب .

ومن جانب آخر فإن سجلات حكومة بومباى ، وكتابات الرحالة المعاصرين التى ذكرت كل شىء عن النشاط الفرنسى فى الخليج ، لم تذكر شيئاً عن أى اتصال جرى بين الفرنسيين والسعوديين حتى نهاية القرن الثامن عشر . رغم امتداد النفوذ السعودى فى ذلك الوقت على أجزاء كثيرة من ساحل الخليج .

وعندما حاولت فرنسا جدياً الاتصال بآل سعود ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م ، كان النفوذ الإنجليزى قد ازداد بصورة واضحة ، ولم تتمكن بعثة جاردان ، التى كانت مكلفة بالقيام بنشاط واسع فى فارس ومنطقة الخليج ، ودراسة الطرق التى يمكن استخدامها عبر المنطقة إلى الهند ، على أن يشمل نشاطها الاتصال بآل سعود والوقوف على مدى استعدادهم لقطع بريد الهند ، إلا أن هذه البعثة لم تتمكن من تحقيق أهدافها ، بل إن الضابطين الفرنسيين تريزيل ودوبريه اللذين زارا جزيرتى قشم وهرمز فى فبراير ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م أكدا أن النفوذ البريطانى فى منطقة الخليج قد وصل إلى حد لا تجدى معه المنافسة[2] .

ويبدو أن بعثة جاردان اقتنعت بفشل مهمتها ولذا فإنها لم تحاول الاتصال بآل سعود كما كانت مكلفة .

وفى ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م تمكن الإنجليز من إقصاء النفوذ الفرنسى عن المحيط الهندى باستيلائهم على جزيرتى موريشيس وبوربون الفرنسيتين فترتب على ذلك خمول النشاط الفرنسى فى المنطقة .

---

(١) صلاح العقاد التيارات السياسية ، ص ٧٥ .

(٢) صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ٩١ — ٩٢ .

وتذكر بعض المصادر أن نابليون أرسل فى نهاية ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م بعثة فرنسية على رأسها دى لاسكارس M. de lascars إلى الأمير سعود وتذكر هذه المصادر أيضاً أن البعثة الفرنسية وصلت إلى الدرعية فى جو ودى وعقدت عدة اجتماعات سرية مع الإمام سعود . وتم الاتفاق بينهما على مساعدة الإمام سعود لنابليون فى إكتساح الدولة العثمانية ، والوصول إلى الهند ، فوافق سعود لأنه وجد فى هذه الخطة مايلائم أطماعه فىغزو سوريا . ولكن الوكالات الإنجليزية فى الشرق علمت بالمفاوضات الدائرة فى الدرعية فأسرعت فى الإخبار عنها ، فأرسل الإنجليز بعثة إلى الدرعية للاتفاق مع الإمام سعود وتحذيره من الإنضمام إلى جانب نابليون ، ووعده بالحصول له على إعتراف من السلطان العثمانى بالإستقلال السعودى ، إن وعد بعدم مهاجمة تركيا . ولكن سعود فضل فى النهاية الإنضمام إلى الجانب الفرنسى فهاجم سوريا واقترب من دمشق ، إلا أن فشل جيوش نابليون فى غزو روسيا ١٢٢٧ هـ — ١٨١٢ م أدى إلى إنهاء التحالف السعودى — الفرنسى[١] .

وبمقارنة الأحداث نجد أن قبول رواية وصول البعثة الفرنسية إلى الدرعية وما ترتب عليه من نتائج مشكوك فيه :

أولا : لا المصادر النجدية ولاسجلات حكومة بمباى تذكر أى شىء عن هذه البعثة ، ولم تذكر سجلات حكومة الهند شيئاً عن إرسال بعثة إنجليزية إلى الدرعية للاتفاق مع سعود على عدم إنضمامه إلى الجانب الفرنسى ، مع ذكرها لكل الاتصالات التى جرت بين السعوديين وحكومة الهند .

ثانياً : بالمقارنة نجد أن وصول هذه البعثة المزعومة قد تم فى نهاية سنة ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م وبداية سنة ١٢٢٧ هـ — ١٨١٢ م وفى هذه الفترة كانت

---

(١) Jacques Benoist Mechin, Arabian destiny, pp. 51-52.

ل أ . سيدو ، تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، ص ٥١٤ — ٥١٦ ؛ محمود كامل ، الدولة العربية الكبرى ، ص ٤٠٩ — ٤١٠ .

القوات المصرية قد وصلت إلى جزيرة العرب وبدأت حروبها مع آل سعود . فليس من المعقول أن يقبل سعود تحالفاً فرنسياً يهدف أولا إلى مساعدة نابليون فى الوصول إلى الهند ، فى الوقت الذى كان هو نفسه قد بدأ يراسل الإنجليز لإقامة علاقات ودية معهم ، وكانت حكومة الهند البريطانية نفسها ترفض الدخول معه فى أى إتفاق كما رأينا من قبل ، وبالتالى نجد أن القول بوصول بعثة إنجليزية إلى الدرعية مرفوض .

ثالثاً : إن آخر غزو سعودى لبلاد الشام تم ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م أى أنه تم فى وقت سابق للوقت الذى حدده أصحاب القول بوصول البعثة الفرنسية إلى الدرعية . فكيف إذن يمكن الربط بين وصول هذه البعثة ومهاجمة سعود لبلاد الشام ؟

لهذه العوامل نرجح عدم إرسال هذه البعثة للدرعية ، وربما كانت مشروعاً لم يتم تنفيذه

ويقول جان جاك بيربى فى معرض حديثه عن هذه البعثة أنه « مهما تكن نسبة الصحة فى هذه الوقائع فإن الإعجاب الذى يكنه ابن سعود للامبراطور الكبير كان السبب فى خلق شعور الصداقة نحو فرنسا» . أى إن هذا الكاتب الفرنسى يشك فى صدق هذه الرواية ، لعدم توافر الأدلة على صحتها[١] .

العلاقات السعودية — الإيرانية :

إرتبطت العلاقات بين الدولة السعودية الأولى وإيران ، بالخلاف المذهبى. فقد كان الإيرانيون الشيعة يرون فى مبادىء الدعوة السلفية السنية التى تبناها آل سعود ، خطراً يهدد كيانهم فى الوقت الذى كان فيه أتباع الدعوة يرون فى مبادىء الشيعة خروجاً على تعاليم الإسلام .

---

(١) J. J., Berreby, La Péninsule, Arabique, p. 96.

ولذا فإن الحكومة الفارسية اتخذت موقفاً معادياً لآل سعود منذ البداية حتى إنهيار الدولة السعودية ، وأزكى من هذا العداء هجوم آل سعود على الأماكن المقدسة للشيعة فى كربلاء والنجف سنة ١٢١٦ هـ — ١٨٠١ م مما ترتب عليه تهديد شاه إيران بغزو العراق والقضاء على آل سعود[1] ، كما أشرنا من قبل .

ومنذ ذلك الوقت والحكومة الفارسية لم تأل جهداً فى تقديم المساعدات العسكرية لأعداء آل سعود ، وهدفها القضاء على النفوذ السعودى ، ومبادىء الدعوة السلفية .

فعندما رأت مساعدة آل سعود لآل خليفة فى إسترداد البحرين من سلطان بن أحمد حاكم مسقط ، خشيت إزدياد النفوذ السعودى فى الخليج ، فأسرعت بتقديم المساعدات المطلوبة إلى حاكم مسقط سنة ١٢١٧ هـ — ١٨٠٢ م[2] . وأبحرت القوات الفارسية من بندر بوشهر وانضمت إلى جانب قوات مسقط التى تمكنت بفضل هذه المساعدة الفارسية من هزيمة آل خليفة وحلفائهم السعوديين ، واسترداد البحرين لفترة قصيرة تمكن بعدها آل خليفة بفضل المساعدات السعودية من استردادها مرة ثانية[3] . وعندما بدأت الجيوش السعودية تغزو عمان ، وتهدد سلطان مسقط أسرعت الحكومة الفارسية فى تقديم المساعدات لسلطان بن أحمد وشجعته على محاربة آل سعود ، والوقوف فى وجه توسعهم فى مناطق الخليج[4] .

ومما يؤكد الموقف العدائى من جانب الفرس إزاء آل سعود أنه فى

---

(١) أحمد على الصوفى ، المماليك فى العراق ، ص ٨٢ .

(٢) Adamyiat, Op. Cit., p. 37.

(٣) جمال زكريا ، دولة البوسعيد ، ص ٧٨ .

(٤) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24 p. 430.

١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م ساعدت الحكومة الفارسية آل خليفة فى استرداد البحرين من تحت سيطرة آل سعود ، بينما رأيناها من قبل تمد يد المساعدة لسلطان مسقط ضد آل خليفة وحلفائهم السعوديين[١] ونستخلص من ذلك أن الحكومة الفارسية ، كانت على استعداد دائم لتقديم المساعدات العسكرية اللازمة ، لكل من يرغب فى الوقوف فى وجه التوسع السعودى ، أو يعلن التمرد والخروج على طاعة الدرعية ، وإن كان الذى يطلب المساعدة يخالفها فى المذهب ، ولكن يتفق معها فى الهدف وهو القضاء على الدولة السعودية والمبادىء التى تدعو لها .

ويلاحظ أن حكام مسقط استغلوا موقف إيران العدائى إزاء آل سعود ، وحاولوا أن يستفيدوا منه لصالحهم ، فقد أرسل السيد سعيد ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م أخاه السيد سالم إلى البلاط الفارسى لعقد معاهدة مع الحكومة الفارسية ضد العدو المشترك ، ويقال إن موريزى طبيب السيد سعيد الإيطالى هو الذى أشار عليه بالإتجاه نحو فارس ، واستغلال العداء الفارسى لآل سعود[٢] .

وتذكر سجلات حكومة بومباى أن الإمام سعود خشى قيام تعاون فارسى مسقطى . فأسرع بإرسال مبعوث خاص لشاه إيران ، لإقامة علاقات ودية بين الطرفين ، ومنع الشاه من إرسال أى عون فارسى لمسقط[٣] . على أنه من الملاحظ أن هـذه المحاولة لم تمنع السعوديين من مواصلة غاراتهم ضد شيعة العراق .

ويبدو أن محاولة آل سعود هذه لم تلق قبولا لدى شاه إيران الشيعى الذى استقبل السيد سالم مبعوث سلطان مسقط إستقبالا حسناً ، وأبدى إستعداده

---

(١) جمال زكريا ، قضية عمان ، ص ١٨٦ .

(٢) Mourzi, Op. Cit., p. 80. Guilain, Op. Cit., tome. 1, p. 168.

عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٤ .

(٣) Bombay Government, Op. Cit., Vol. 24, p. 183.

لتقديم مساعدة حربية لمسقط ضد السعوديين ، وأعد لهذا الغرض حملة فارسية قوامها ثلاثة آلاف فارس ، وبعض قطع الأسطول ، وانضمت هذه الحملة بقيادة صادى خان إلى قوات السيد سعيد(*) . وحاربت ضد القوات السعودية واستطاعت استرداد حصون سمايل ونخل(١) .

ولكن مطلق المطيرى القائد السعودى الجرىء تمكن ، بعد ذلك من هزيمة القوات المتحالفة ونجح فى بث دعايته بين أهل عمان « بأن الفرس يعملون على إحتلال عمان ، وبذلك أعاد إلى الأذهان الأحقاد القديمة التى يكنها العمانيون للفرس ، ومن هنا وقع الإضطراب فى النفوس »(٢) . فقام السيد سعيد بطرد صادى خان وقواته إلى بندر عباس . لإعتقاده بأنهم السبب فى الهزيمة(٣) .

وعلى كل ، فإن موقف السيد سعيد هذا من القوات الفارسية لم يغير شيئاً من عداء الحكومة الفارسية لآل سعود ومبادىء الدعوة السلفية ، فقد ظلت الحكومة الفارسية على موقفها هذا حتى انهيار الدولة ، وكانت أنباء هزيمة القوات السعودية أمام قوات محمد على تثلج صدور المسئولين الفرس ، وكان لنبأ سقوط الدرعية رنة فرح قوية فى البلاط الفارسى حتى إن الشاه عباس أرسل إلى محمد على يهنئه على نجاحه فى القضاء على الدولة السعودية ويثنى عليه وعلى أعماله الخيرية التى قام بها فى سبيل الدين ، قائلا « فاطلعت على ما صنعت فى قتال العرب وصبرت فى إحتمال التعب واجتهدت فى تجهيز الكتايب وتشميد

---

(١) Mourzi, Op. Cit., p. 81.

(٢) جمال زكريا ، دولة البوسعيد ، ص ١٥١ .

(٣) Mourzi, Op. Cit., p. 81.

(*) يذكر موريزى أن قوام هذه الحملة الفارسية كان ١٥٠٠ فارس بالإضافة إلى بعض قطع الأسطول ، بينما يذكر ابن بشر أن عدد جنودها كان نحو ثلاثة آلاف (٣٠٠٠) ولعل موريزى فى تقديره أقرب إلى الصواب حيث أنه كان يعمل طبيباً لدى سلطان مسقط وفى نفس الوقت كان يشير عليه فى كثير من الأمور .

انظر : Mourzi, p. 81. ، وابن بشر ، ص ١٥٤ .

الفواضب حتى وطيت أرجاء التهامة بأقدام الشهامة وخلصت أرض النجد بالعز والمجد وفتحت باب الأمنية بفتح الدرعية وبالغت فى دفع البدع ونفى الدين المخترع وقطع دابر المفسدين ونصر إسلام المسلمين حتى شرحت صدرهم بعد حرجه واستقام الأمر بعد عوجه وبدأ علو الدين وباد عدو المؤمنين »[1]، ثم يذكر له فى حاشية رسالته أنه لم يجد ما يقدمه له مكافأة على عمله الجليل إلا السيف العتيق الذى ورثه ملوك الفرس عن أجدادهم من سالف الدهر، لأنه يناسب عزمه فى الحد والمضاء. على حد تعبير الرسالة مصحوباً بخاتم من الفيروزج[2].

ولا غرابة فى أن نجد شاه الفرس الشيعى يهنىء والى مصر السنى على نجاحه فى القضاء على دولة آل سعود السنية، لاتفاقهما فى الهدف. وإن اختلفا فى المذهب.

---

(١) دار الوثائق القومية، من عباس مرزا إلى محمد على، دفتر ٤ ٤ ص ١٤ مكاتبة عربية، بدون تاريخ. انظر ملاحق الرسالة. ملحق ١٨.

(٢) نفس الوثيقة السابقة.

الفصل الحادي عشر

استرداد الحجاز من آل سعود

---

١ — تمهيد .

٢ — سفر حملة طوسون .

٣ — وصول الحملة إلى ينبع وبداية الدور الأول من الحرب .

٤ — استمالة القبائل الحجازية .

٥ — هزيمة الحملة فى وادى الصفراء .

٦ — الاستيلاء على كل من المدينة وجدة ومكة .

٧ — الدور الثانى من الحرب ونزول محمد على إلى ميدان القتال .

٨ — فشل قوات محمد على فى الاستيلاء على القنفذة .

٩ — هزيمة محمد على فى وادى زهران ومحاصرة آل سعود للطائف .

١٠ — نجاح محمد على فى فتح القنفذة .

١١ — عودة محمد على إلى مصر .

١٢ — استيلاء طوسون على الرس .

١٣ — الصلح بين طوسون وعبد الله بن سعود .

١٤ — وفد سعودى يصل إلى القاهرة .

١٥ — مراسلة عبد الله بن سعود لكل من السلطان محمود الثانى ومحمد على ، حول قبول إعلان تبعيته للدولة العثمانية وإنهاء الحرب .

١٦ — فشل محاولات عبد الله .

١٧ — نجاح القوات المصرية فى السيطرة على الحجاز وعودة طوسون إلى مصر .

الفصل الحادي عشر

استرداد الحجاز من آل سعود

تمهيد :

أزعج التوسع السعودي الدولة العثمانية ، وزاد من إزعاجها كما سبق أن ذكرنا إعلان آل سعود زوال السيادة العثمانية عن الحرمين ، بالإضافة إلى مهاجمتهم لولايات الدولة فى العراق والشام ، ومنعهم لمحامل الحاج التى تأتى من الولايات التابعة لها[1] . وزاد من مخاوفها فشل ولاة العراق والشام فى القضاء على قوة آل سعود .

وكانت الدولة حريصة على استرجاع سيادتها على الحرمين لاسترداد هيبتها فى العالم الإسلامى[2] ، ولذا وجدت ألا مناص من الاستعانة بوالى مصر محمد على باشا للقيام بالمهمة التى فشل فيها كل من والى بغداد ووالى دمشق . وكانت تهدف من وراء ذلك إلى هدفين كما يذكر بعض المؤرخين أولهما القضاء على الدولة السعودية التى أصبحت خطراً يهدد سمعتها فى العالم الإسلامى ، وبالتالى إضعاف هذا الوالى باستنزاف موارده فى هذه الحرب ، التى قد لا تحمد عقباها بالنسبة له حتى يظل خاضعاً لها خضوعاً تاماً[3] . ونستبعد أن الدولة فى ذلك الوقت كانت تهدف إلى استنزاف موارد محمد على لعدة عوامل منها أن

---

(١) Thomas Archer, The War in Egypt and The Soudan, Vol. 1, p. 45.

G. Jean, Louis Soullé et L. Champenois, Le Royaume D'Arabie Saoudite, pp. 15-16.

(٢) حسين مؤنس الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، ص ١٩٢ .

(٣) عبد الحميد البطريق ، إبراهيم باشا فى بلاد العرب ، ص ٣ ، ٥ .

محمد على فى الوقت الذى بدأت الدولة تكلفه فيه بمهمة القضاء على آل سعود كان فى مركز مالى حرج بسبب حروبه مع المماليك وسيطرتهم على معظم موارد الصعيد بالإضافة إلى انخفاض الفيضان فى بعض السنوات حتى إن تفكيره اتجه فى ذلك الوقت إلى الاتجار فى القمح كما يذكر دودويل[١] ولم يجد إلا الانجليز للاتجار معهم[٢]. بالإضافة إلى اضطراره دائماً إلى دفع رواتب الجند حتى يضمن ولاءهم[٣]. يؤيد هذا الرأى أنه عندما بدأ فى إعداد الحملة والإذعان لأوامر السلطان استعان بالمحروقى سرتجار القاهرة لعينه مالياً فأمده الأخير بما احتاج إليه. وهذا يجعلنا نرجح أن الدولة لم تكن تضع فى اعتبارها استنزاف موارد محمد على لوقوفها على حقيقة هذه الموارد وضعفها بالإضافة إلى أن محمد على فى ذلك الوقت لم يكن خارجاً عن طاعة الدولة حتى تهدف إلى ذلك، بل كان دائماً فى ذلك الحين يملأ رسائله للباب العالى بعبارات التملق وإظهار عبوديته للسلطان.

وتشير الوثائق إلى أن أول تكليف ورد من السلطان العثمانى (مصطفى الرابع) إلى محمد على للقيام بهذه المهمة، كان فى ١٢٢٢ هـ — ١٨٠٧، إلا أن محمد على أرسل للسلطان يعتذر له عن عدم قيامه بتنفيذ هذا الأمر بسبب التدهور الاقتصادى الذى انتاب البلاد نتيجة لانخفاض الفيضان واستيلاء المماليك على الصعيد وخشيته من أطماع الدول الأوربية فى مصر[٤].

ولما كرر السلطان العثمانى تكليفه لمحمد على للقيام بهذه «المصلحة الخيرية»، مغرياً إياه بأن القضاء على الخارجين لا يأتى إلا على يديه[٥]، خشى

---

(١) Dodwell, Op. Cit., p. 29.

(٢) كريم ثابت، محمد على، ص ٥١.

(٣) محمد فهمى لهيطة، تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٧١.

(٤) دار الوثائق القومية بعابدين، من محمد على إلى الباب العالى، دفتر (١) معية تركى، وثيقة (٤) بتاريخ ذى الحجة ١٢٢٢ هـ — ديسمبر ١٠٨٧ م.

(٥) Rev. S. M., Zwemer, Arabia, pp. 195-196.

محمد على أن يكون هناك شرك تنصبه له الدولة ، ولذا فإنه أرسل للسلطان يتعلل بالإضافة إلى ما سبق ذكره بأن قوته العسكرية غير كافية لإنفاذ « المصلحة الخيرية » والقضاء على آل سعود الذين وسع سلطانهم معظم جزيرة العرب ، وأن إنفاذ هذه المهمة يحتاج لحشد طاقات عسكرية كبيرة تأتى من ولايات العراق والشام بجانب قوة مصر[1] .

على أن محمد على بدأ يثير للدولة منذ ١٢٢٣ هـ — ١٨٠٨ م مشكلة تخوفه من سليمان باشا والى الشام وربط بين القيام بمهمته وبين عزل سليمان باشا . متهماً إياه بتعاونه مع المماليك وكتابته الشكاوى فى حقه للسلطان ، ولهذا فإنه يخشى جانبه أثناء تغيبه عن مصر ، ويرجو دفعه عن ولاية الشام واسنادها لصديقه يوسف كنج اللاجىء عنده حتى « يصبح ... مطمئن القلب ويحصل إنجاز مصلحة الحجاز بسرعة»[2] ولما تكررت رسائل الدولة إليه تلح عليه فى القيام بسرعة لإنجاز مصلحة الحجاز أرسل يؤكد للدولة أن لديه أدلة قاطعة على إيواء سليمان باشا للمماليك الفارين من السودان مما يشكل خطراً عليه وذكر أن « بقاء الوزير المشار إليه هناك (أى فى بلاد الشام) سبباً مستقلا لبطء جريان « المصلحة الخيرية » ؛ « ولتأخر إنجازها »[3] . وأكد للباب العالى أن سفره على رأس قواته البرية مرتبط بإبعاد سليمان باشا عن إيالة الشام فإذا لم يتم هذا الأمر فإنه سيكون مضراً لإرسال قوات بحرية فقط وفى هذه

---

(١) دار الوثائق القومية ، من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر (١) معينة تركى ، وثيقة (٧) بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣ هـ — ١٠ مارس ١٨٠٨ .

عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ج ٤ ، ص ٧٨ .

(٢) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى الباب العالى . دفتر (١) وثيقة (٤٣) تاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٣ هـ — ١٦ أكتوبر ١٨٠٨م .

(٣) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى الباب العالى . دفتر (١) وثيقة (٤٨) تاريخ ٥ شوال ١٢٢٣ هـ — ٢٦ سبتمبر ١٨٠٨ م

الحالة لا يكون مسئولا عن نتيجة القتال[١] . رغم استعداده للقيام بهذا العمل الخيرى من كافة الوجوه[٢] :

وأشار فى إحدى رسائله إلى كبير أغوات الحريم السلطانى إلى وجوب تسيير جيوش من الشام تحت رياسة سليمان باشا ليشارك معه فى القتال إذا كانت الدولة تصر على بقائه فى إيالة الشام ، وأما عزله وتعيين صديقه يوسف كنج الذى تشفع له مراراً بدله وفى هذه الحالة فإنه مستعد للسفر حالا للغاية المرجوة[٣] ، مؤكداً ضرورة مشاركة بلاد الشام فى تخليص الحرمين[٤] .

ونتساءل ما الهدف الذى كان يرمى إليه محمد على من إثارة هذه المشكلة ؟ وهل كان يحق يريد تعيين يوسف كنج على ولاية الشام ؟ وهل كان صادقاً فى إتهامه لسليمان باشا والى الشام ؟

والإجابة على هذا التساؤل لها شقان تؤكدهما الوثائق التى تبودلت بين محمد على والباب العالى ؟

أولهما : رغبة محمد على الشديدة فى الحصول لمصر على مكانة ممتازة مستغلا ظروف الدولة العثمانية وإلحاحها المستمر عليه فى القيام بمحاربة آل سعود وتخليص الحرمين بعد أن فشل غيره من الولاة المجاورين للجزيرة فى تحقيق هذه الرغبة

---

(١) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى الباب العالى . دفتر(١) وثيقة (٥١) تاريخ ٢٧ شوال ١٢٢٥ هـ — ٢٥ نوفمبر ١٨١٠ م .

(٢) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى محمد نجيب ، دفتر (١) وثيقة (٥٦) تاريخ ٥ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ — ١ يناير ١٨١١ م .

(٣) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى كبير أغوات الحريم السلطانى ، دفتر (١) وثيقة (٨٠) تاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٢٦ هـ — ١٢ يناير ١٨١٢ م .

(٤) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى كبير أغوات السلطان ، دفتر (١) وثيقة (٨٣) تاريخ ٢٣ محرم ١٢٢٧ هـ — ٧ فبراير ١٨١٣ م .

الدولة ولذا أراد من السلطان أن يجعل من مصر ولاية ممتازة كالجزائر واتضحت رغبته هذه لأول مرة فى ١٢٢٥ هـ — ١٨١٠ م حيث أبدى خوفه من تعرض مصر للحصار من إحدى الدول المعدوة للدولة العلية فى أثناء غيابه عنها فى جزيرة العرب بالإضافة إلى تعرض تجارتها للخطر مما يترتب عليه تعطل مصلحة الحجاز فذكر للصدر الأعظم « وحيث إن تجارة مصر مع الخارج ضرورية لها فإن امتيازها يضمن حيادها ومصالحها الاقتصادية »[1] .

ثانيهما : تطلع محمد على إلى ضم ولاية الشام ولكنه فى هذه المرحلة وحتى سفر جيوشه إلى الحجاز ، لم يفصح عن تطلعه صراحة ، وإنما أفصح عن رغبته هذه بعد ذلك كما سنرى فى حينه ، ونكاد لانصدق إتهام محمد على لسليمان باشا وإنما نرى أنه أراد أن يكون على ولاية الشام وآل ليس له مقدرة سليمان باشا حتى يضمن ولاءه له مثل يوسف كنج الذى ألح كثيراً على الدولة فى أن تعيده إلى ولاية الشام . متعللا بتخوفه من سليمان باشا وخشيته من أن يقوم ضده بأعمال عدائية أثناء قيامه «بالمصلحة الخيرية» وهى تخليص الحرمين من آل سعود يؤيد هذا الرأى أنه أرسل للباب العالى بعض الأوراق ذكر أن كتخدا سليمان باشا أرسلها إلى المماليك فى السودان ولكنها وقعت فى يده فرد عليه الباب العالى « أن مضمون هذا الورق عبارة عن مجرد إظهار المصافاة والإخلاص ولا يستنتج من هذا حكم » فرد محمد على مؤيداً قول الباب العالى ولكن مع تحفظه فقال : « نعم يامولاى أنتم صادقون والواقع أنه غير مشتمل على حكم صريح ولكن حيث حرر فى الورق المذكور بعد إظهار الإخلاص على طريق التخبئة والإضمار ... على فرض أن الورق ليس فيه حكم ولا تعليم ، وخلا ذلك أن أقرب ما يلاحظ أن يكون مع هذا الرجل الحامل لذلك الورق تقارير خفية »[2] .

---

(١) دار الوثائق القومية : من محمد على إلى الصدر الأعظم ، دفتر (١) وثيقة (٥٤) تاريخ ٢٢ شوال ١٢٢٥ هـ — ٢٥ نوفمبر ١٨١٠ م .

(٢) دار الوثائق : من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر (١) معية تركى وثيقة (٦٠) تاريخ ٩ صفر ١٢٢٦ هـ ٥ مارس ١٨١١ م .

ولما رأى أن كل محاولاته مع الدولة فى ذلك الوقت لم تجد نفعاً أعد الجيوش البحرية والبرية وسيرها إلى الحجاز مرحئاً تطلماته لظروف أخرى .
وإذا كان محمد على قد تخلص من الزعامة الشعبية بنفى السيد عمر مكرم إلى دمياط فى ١ رجب ١٢٢٤ هـ — ١٢ أغسطس ١٨٠٩ م [(١)] . كخطوة أولى فى تنفيذ فكرة التخلص من العقبات الداخلية التى رأى أنها تقف فى سبيل انفراده بحكم مصر . فإن حملة الحجاز أتاحت له تنفيذ خطوة أخرى فى سبيل تنفيذ فكرته عندما تخلص من أمراء المماليك وأتباعهم فى مذبحة القلعة التى دبرها لم فى ٤ صفر ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م [(٢)] فى المهرجان الذى أقامه لإلباس ابنه طوسون خلعة القيادة وأرسل رؤوس بعض الأمراء للباب العالى ذاكراً أنه « بهذا الوجه حصل الخلاص والتخلص من غوائلهم ومصروفاتهم [(٣)] » وبذلك قضى على العقبات الداخلية التى كان يخشى منها على ولايته .

ورغم أن محمد على جند كافة طاقاته من أجل إعداد الحملة ، ودب النشاط فى دور الترسانة فى القاهرة والسويس لتجهيز السفن اللازمة لنقل جنودها الذين سيسافرون عن طريق البحر ومعداتهم .

إلا أنه أرسل يطلب من الباب العالى لوازم ستة أشهر للجيش وهدايا وخلع للعربان لعدم توفرها فى مصر ، قدرت بما ينوف عن سبعة وستين ألفاً من الجنيهات ، بالإضافة إلى طلبه مدافع ومهمات للسفن التى أنشئت للسويس ، مع إدراكه لسوء حالة الدولة المادية وأقسم فى رسالته للباب العالى «أنه لو كانت اللوازم المذكورة توجد فى محل غير الدولة العلية ، وكان يمكن أخذها منه

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٩٨ — ٩٩ ؛ الرافعى ، عصر محمد على ، ص ٩٠ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٢٧ ؛ الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٠٢ — ١٠٩ .

(٣) دار الوثائق ، من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر (١) وثيقة (٦٠) تاريخ ٩ صفر ١٢٢٦ هـ — ٥ مارس ١٨١١ م .

لكنت أبيع أولادى وأشترى هذه اللوازم »[١] . ويبدو أن سلطات الدولة العثمانية ، أدركت أن محمد على يساومها ولذا غضت النظر عن طلبه ولم ترسل له إلا بعض المدافع [٢] . ومن عجب أن محمد على أعد الحملة فعلا دون أن تصله اللوازم التى طلبها ، مستعيناً فى ذلك بالسيد محمد المحروقى سر تجار القاهرة[٣] . وقد بلغ تعداد الحملة ثمانية آلاف . خمسة آلاف من المشاة والمدفعية ، سافروا عن طريق البحر على السفن التى تم صنعها محلياً والمستأجرة على دفعتين :

الأولى بدأت سفرها فى ١٩ رجب ١٢٢٦ هـ — ٨ أغسطس ١٨١١ م . والثانية بدأت سفرها فى ٥ شعبان ١٢٢٦ هـ — ٢٦ أغسطس ١٨١١ م . وقد بلغ عدد السفن التى أقلت الفريقين ثلاث وستون سفينة[٤] :

أما فريق الفرسان الذى بلغت قوته ثلاثة آلاف فارس بينهم الكثير من البدو فقد كان على رأسه ابنه أحمد طوسون القائد العام وقد سافر بطريق البر عبر العقبة إلى ينبع التى اتفق أن تكون مكان التجمع والالتقاء للقوات البحرية والبرية .

وكان محمد على قد راسل الشريف غالب عن طريق تجار جدة وينبع القاطنين بمصر بقصد استمالته إلى جانبه ، رغم أن الصدر الأعظم كان قد أرسل سابقاً للشريف المذكور يبلغه « أن الدولة العلية ما زالت عند حسن ظنها بسيادته وأنها تعطف عليه ، وأنه مازال موضع ثقتها فيه فينبغى له أن يتنبه للعدو

---

(١) دار الوثائق القومية ، من محمد على إلى الباب العالى دفتر (١) وثيقة ٢٣ بتاريخ ١٢٢٤ هـ — ١٨٠٩ م .

(٢) دار الوثائق القومية ، من السيد عثمان نائب السلطان إلى محمد على ، محفظة رقم (١) بحر برا ، وثيقة (٢٣) بتاريخ ١٠ صفر ١٢٢٥ هـ — ١٢ مارس ١٨١٠ م .

(٣) الجبرتى ، المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ١٢٣ .

(٤) دار الوثائق ، من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر (١) وثيقة (٧٠) تاريخ ٩ شعبان ١٢٢٦ هـ — ٩ أغسطس ١٨١١ م .

المشترك وأن يكون حريصاً على بقاء إدارة الحكم بجدة وينبع فى يده مخافة أن تفلت إلى يد العدو »[1] وأكد رسل محمد على له وقوف الشريف إلى جانب قواته فور وصولها إلى الأراضى الحجازية فأرسل إلى الباب العالى يخبره بإنحياز الشريف إلى جانبه قائلا « فبان ميله إلينا ورغبته فينا »[2] ولذا فإن قواته لم تجد صعوبة عند نزولها إلى ينبع .

وصول الحملة إلى ينبع و بداية الدور الأول من الحرب :

ينبغى أن نشير أولا إلى أن محمد على كان يدرك ، أن قواته التى أرسلها إلى الحجاز ، كانت تحارب قوات ، تعتبر قتالها جهاداً فى سبيل نشر مبادىء عقائدية ، ولذا فإنه زود حملته بمفتى المذاهب الأربعة ، وبجل المحروق كبير تجار مصر « مأمورين بالسعى فى استجلاب قلوب قبائل العربان والعشائر الموجودة بإقليم الحجاز بما يلزم تزويدهم به من التعليمات »[3] ويذكر الجبرتى أن محمد على أوصى إبنه طوسون ألا ينفذ أمراً إلا بعد مراجعة المحروق فيه[4] .

وكانت التعليمات التى لدى طوسون أن يتخذ ما يراه صالحاً للعمليات العسكرية لدى وصوله إلى ينبع[5] ، التى كان حكمها بيد عرب جهينة تحت إمرة آل سعود[6] وعندما وصلت قوات الحملة إلى مرفأى ينبع والمويلح استولت

---

(١) دار الوثائق ، من يوسف كنج إلى محمد على ، محفظة (١) بحر برا ، وثيقة (٢١) بتاريخ ١٩ ذى الحجة ١٢٢٤ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٠ م .

(٢) دار الوثائق ، من محمد على إلى محمد نجيب ، دفتر (١) ، وثيقة (٦٦) تاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٢٢٦ هـ — ١٨١١ م .

(٣) دارالوثائق القومية : من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر(١) وثيقة (٧٢) تاريخ غرة رمضان ١٢٢٦ هـ — ١٩ سبتمبر ١٨١١ م ؛ الجبرتى ، المرجع السابق ، ص ١٣٥ .

(٤) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٥ .

M. Sabry, L'Empire Egyptien Sous Mohamed Ali, p. 40.

(٥) دار الوثائق ، الوثيقة السابقة (٧٣) .

(٦) لمع الشهاب ، ص ١١٤ .

عليهما دون كبير عناء ، ويجب ألا نغفل أن سوء الأحوال الاقتصادية التى ألمت بسكان الثغور الحجازية والقبائل القاطنة على طريق الحج على أثر انقطاع المحامل[١] . كانت من أبرز العوامل التى سهلت للقوات المصرية طريق تقدمها فقد تمكنت قوات المشاة لدى نزولها ميناء ينبع من إغراء بعض القبائل القاطنة بإهدائهم الطرف والأموال والخلع ، واستغلال هذه القبائل فى توصيل الرسائل إلى مشايخ القبائل الأخرى بقصد استمالتهم إلى جانب قوات الحملة وانفضاضهم عن جانب آل سعود ، وقد نجح هذا الأسلوب فى استعماله مع القبائل كثيراً[٢] .

تمكنت القوات المصرية بمساعدة القبائل التى انضمت إليها من إنزال هزيمة قاسية بأول فرقة سعودية تلتقى بها تحت قيادة جابر بن جبارة ومسعود ابن مضيان اللذين أسرعا بالانضمام إلى جانب الجيش السعودى الرئيسى الذى أعد لملاقاة قوات الحملة . وأخذ طوسون بعد ذلك يضع الخطط ويقوم بعمليات التجهيز اللازمة للزحف نحو المدينة المنورة[*] واستخلاصها من يد القوات السعودية . وكانت خطة طوسون أساساً تقوم على استمالة أكبر عدد من القبائل العربية القاطنة على الطريق إلى المدينة ، ووجد طوسون فى نصر الشديد رئيس قبائل الحويطات وعربه أداة سهلة فى القيام بهذه المهمة بتقديم الهدايا والخلع لمشايخ العربان عن طريقهم بالإضافة إلى قيامهم بعمليات الاستكشاف له فى هذه المرحلة ، وقد ذكر محمد على أن القبائل التى استطاع ابنه طوسون أن يستميلها عن طريق عميلة نصر الشديد وعربانه هى : الحويطات . العبابدة . بلى . الطربين . الخايسة . الصوالحة . الكواملة . المليقات . مزينة . تبة .

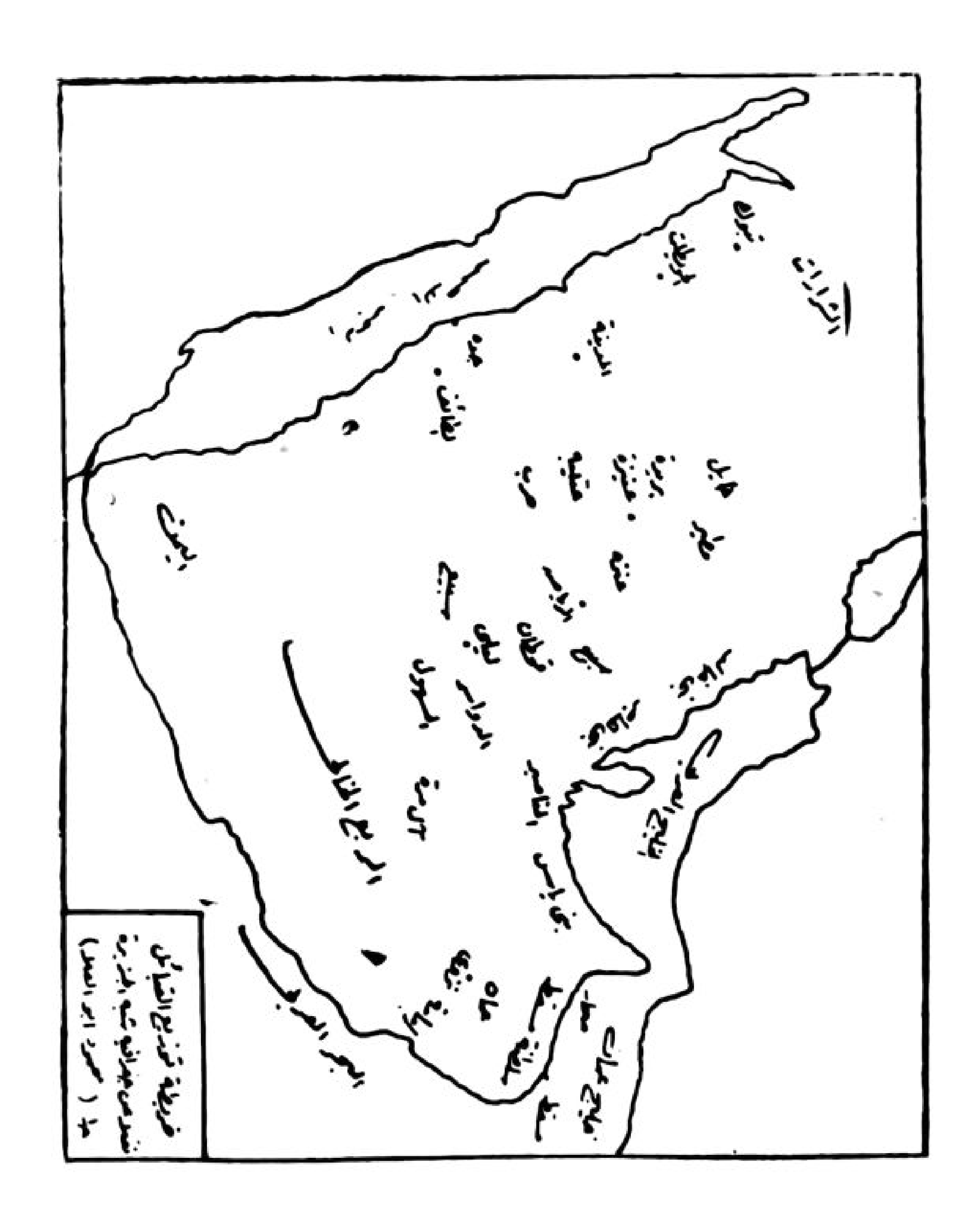
---

(١) الجبرتى ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ١٣٥ .

(٢) دار الوثائق القومية ، من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر(١) وثيقة (٧٥) تاريخ ٢٣ رمضان ١٢٢٦ هـ — ١١ أكتوبر ١٨١١ م .

(*) للتعرف على الطرق الموصلة إلى المدينة وموقعها والحياة فيها وواحاتها بالتفصيل انظر :

H. St., Philby, A Pilgrim in Arabia, pp. 55-79.



الشرارات
تبوك
الحويطات
المدينة
جدة
الطائف
حائل
مطير
بريدة
عنيزة
عتيبة
عنزة
قحطان
سبيع
آل مرة
الربع الخالي
بني خالد
بني هاجر
الخليج العربي
خليج عمان
بني ياس
المناصير
سلطنة مسقط
البحر العربي
اليمن
خريطة توزيع القبائل
نقلاً عن جغرافية شبه الجزيرة

لحون . عمران . علوين . عميرات . الدقيقات . بنى عقبة . بنى واصل . جهينة[1] . وكلها من القبائل القاطنة بالقرب من المدينة أو على الطريق إليها وعن طريق مساعدة هذه القبائل لم تلق قوات طوسون صعوبة كبيرة فى طريق زحفها نحو المدينة فى بادىء الأمر وتمكنت بسهولة من الاستيلاء على قريتى السويقة وبدر بعد اشتباك بسيط مع الفرق السعودية التى كانت فى كل منهما[2] .

إلا أن القوات المصرية الزاحفة صوب المدينة سرعان ما حلت بها هزيمة قاسية فى أول اشتباك حقيقى لها مع القوات السعودية التى كانت تحت قيادة عبد الله بن سعود وسعود بن مضيان فى ممر وادى الصفراء الذى تحيط به الصخور الصلدة وكانت القوات السعودية قد تمكنت من احتلال روابيه الصخرية العالية التى على جانبيه . طبقاً لخططها فى القتال والتى كانت دائماً تعتمد على احتلال المرتفعات ، ولذا تسنى لها أن تنزل هزيمة سهلة بقوات طوسون باشا التى استولى عليها الرعب[3] وأسرع لائذاً بالفرار صوب ينبع من بقى منها حياً مستبقاً غيره فى النزول إلى السفن ، وفقد جيش طوسون فى هذه المعركة كثيراً من عدته وعتاده ومعظم جنده ، فقد أحصى طوسون جنوده الذين وصلوا إلى ينبع فى أعقاب المعركة فوجدهم ثلاثة آلاف جندى ، ولذا أرسل يطلب المدد المستعجل من والده[4] * .

---

(١) دار الوثائق القومية ، من محمد على إلى الباب العالى ، وثيقة (٧٨) دفتر (١) معية تركى بتاريخ ٥ ذى القعدة ١٢٢٦ هـ — ٢١ نوفمبر ١٨١١ م .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٢٥ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٢٦ .

(٤) عبد الرحمن الجبرتى ، عجائب الآثار ، ج ٤ ، ص ١٣٨ .

(*) يصور الجبرتى حالة الجند المصرى فيذكر أنهم لـ « حرصهم وخوفهم واستعجالهم على النزول فى القطائر يخوضون فى البحر إلى رقابهم وكأنما العفاريت فى أثرهم تريد خطفهم . . ورجع طوسون باشا إلى ينبع البحر بعد أن تغيب يوماً عن معسكره حتى أنهم ظنوا فقده . . . وأما المحروق فإن كبار العسكر قامت عليه وأسمعوه الكلام القبيح وكادوا يقتلونه فنزل فى سفينة وخاص منهم وحضر ناحية القصير . . . وكان صالح أغا قوج الأرناءوط يسفه رأى المحروق وطوسون باشا ويقول هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتدبير الحرب » .

أنظر الجبرتى الجزء الرابع ، ص ١٣٧ — ١٣٨ .

وهنا لاحت الفرصة لمحمد علي مرة أخرى ليؤكد أهمية ولاية الشام له مستغلا هذه الهزيمة التي حلت بقوات ابنه طوسون في الصفراء ، فبعد أن صور للباب العالي فظاعة الهزيمة رغم استبسال قواته ، أمام القوات السعودية التي رسم لها صورة مبالغاً فيها لاشك ، وذكر أشياء بعيدة جداً عن نظام آل سعود الحربي ، ومما لا ريب فيه أن محمد علي لجأ إلى هذا الأسلوب تمهيداً لعرض مطلبه الذي سبق الإفصاح عنه ، إذ بدون ولاية الشام ومواردها والجيوش التي تجرد منها لا يمكن لقواته أن تحقق أمل السلطان في استخلاص الحرمين[١] . ويذكر أن طلبه لإيالة الشام ليس لجر منفعة ولا لتوسيع منصب بل مجرد إبراز حسن الخدمة للدين والدولة العلية « فمهما كان الشام الشريف على سبع عشر مرحلة من المحل الذي يقال له الدرعية مع كون أكثر منازل هذا الطريق ومراحله معمورة ذات مياه وأعشاب فالسهولة ظاهرة في سوق العساكر الكلية والذخائر وسائر المهمات بهذا الطريق كما يسهل بذلك أيضاً حصول الغالبية بتنصيف قوة العدو على نصفين بإخراج الجيوش الكلية السلطانية من الطرفين . . . لكن الله يعلم أن الغرض من طلب المنصب المذكور مجرد الخدمة والصداقة وأن ذلك لم يكن مبنياً على خيال آخر فلو لم أكن قادراً على إعاشة نفسي بإقليم مصر وطلبت منصباً لتوسيع المعاش لكنت خارجاً عن حدود الأدب جداً لأنني إذا عجزت عن إدارة نفسي بمنصبي الجليل الذي هو من المناصب التي إليها يتحسر الوزراء يلزم أن أبقى عاجزاً عن إدارة نفسي لو ضم إلى ذلك المنصب بلاد الأناضول بأكملها »[٢] .

إهتم الباب العالي بطلب محمد علي ، فعقد مجلس الشورى عدة إجتماعات

(١) دار الوثائق ، من محمد علي إلى كبيرأغاة دار السعادة ، دفتر (١) معية تركي وثيقة (٨٠) بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٢٦ هـ — ٢٢ يناير ١٨١٢ م .

(٢) دار الوثائق ، من محمد علي إلى الباب العالي ، دفتر (١) وثيقة (١١٨) ، بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ — ٢٠ أغسطس ١٨١٣ م .

لدراسة هذا المطلب ، ويبدو أن الدوائر العثمانية عدت طلب الباشا غريباً فأبدت الإهتمام به خوفاً من أطماعه ، فقرر مجلس الشورى فى النهاية « الإستعلام عن أنه فى حالة توجيه ولاية الشام إلى دولتكم كيف يكون النظر فى أمورها وبأى وجه تحصل المعونة وتكون المبادرة لإدارتها »[١] وذكر له محمد نجيب وكيله لدى الباب العالى يخبره «أنه وإن كان حصل الاهتمام فى حصول الملتمس المذكور من كل الوجوه إلا أنه لم يحن وقته المرهون ولم يبرز الدليل فى هذا الأوان»[٢].

أدرك محمد على تخوف الباب العالى من مطلبه ولذا غض الطرف عنه إلى حين . ورمى بثقله فى حرب الحجاز ليرفع من سمعته فى العالم الإسلامى وليحقق جزءاً من أطماعه بفرض سيطرته على بعض أقاليم جزيرة العرب .

ويجب أن نشير إلى أن محمد على اتخذ من هزيمة الصفراء أيضاً مبرراً لفرض ضرائب جديدة على أراضى الأوقاف فى مصر بالإضافة إلى فرض إتاوات من الغلال على القرى[٣] . وجد فى إرسال المدد إلى ابنه طوسون فى الوقت الذى أرسل فيه إلى رؤساء الجند يحثهم على التمسك بينبع إلى حين وصول المدد إليهم[٤] . ولكن طوسون كان قد استغل الخطأ الذى وقعت فيه القوات السعودية لعدم تتبعها فلول الجيش المصرى المنهزم وبدأ يبذل كل جهده فى استمالة القبائل البدوية بتقديم المال والهدايا إليها إلى أن وصلته الإمدادات من مصر

---

(١) دار الوثائق ، من محمد نجيب إلى محمد على ، محفوظات المعية ، وثيقة (١٣٨) . بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ — ٢٧ ديسمبر ١٨١٤ م .

(٢) دار الوثائق ، من محمد نجيب إلى محمد على ، محفوظات المعية ، وثيقة (١٨٣) . تاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ — ٢٧ ديسمبر ١٨١٤ م .

(٣) دار الوثائق ، من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر (١) وثيقة (٨٣) ، بتاريخ ٢٣ محرم ١٢٢٧ هـ — ٧ فبراير ١٨١٢ م .

(٤) دار الوثائق ، من محمد على إلى رؤساء الجند ، محفظة (٢) بحر برا ، وثيقة ٨٢ بتاريخ ١٥ محرم ١٢٢٧ هـ — ٣٠ يناير ١٨١٢ م .

بقيادة أحمد بن نابرت (الخازندار) ١٢٢٧ هـ — ١٨١٢ م ، فتمكن بعد وصولها إليه من نقل مركزه إلى بدر ، وهناك نظم قواته ورتبها ترتيباً عسكرياً جيداً وزحف بها إلى وادى الصفراء وتمكن من احتلاله[(١)] .

وفى نفس العام وصلت قوات طوسون تساندها قبائل حرب وجهينة إلى المدينة المنورة بعد رحلة مضنية نتيجة لوعورة الطريق وبعد المسافات وشدة الحر التى اضطرت الجيش أن يسير بالليل ويستريح فى النهار[(٢)] . وحاصر طوسون بقواته المدينة مدة طويلة تمكن فى أثنائها من فتح ثغرات فى سورها بواسطة المتفجرات ، فاضطرت القوات السعودية التى كانت متحصنة بها إلى الإستسلام بعد أن فتكت الأمراض بها نتيجة لطول مدة الحصار وقطع المياه والطعام عنها[(٣)] ، وأرسل طوسون لوالده بشائر النصر مصحوبة بثلاثة آلاف من آذان القتلى ومفاتيح الحرم النبوى الشريف « وكان لفتح المدينة المنورة رنة فرح فى كل أرجاء الدولة العثمانية »[(٤)] . ويذكر ابن بشر أن خيانة الشريف غالب للحامية السعودية كانت من أهم أسباب إستسلامها[(٥)] .

ويبدو أن القوات السعودية لم تبد أى عزم على إستردادها لأن القوات المصرية أصبحت تسيطر سيطرة تامة على المنطقة الشمالية من الحجاز على خط يمتد من ينبع إلى المدينة المنورة . وأصبح جل اهتمام القوات السعودية مركزاً

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ ، دفتر (١) وثيقة (٨٧) ، بتاريخ ٧ رمضان ١٢٢٧ — ٢٨١٢ م .

(٢) المرجع نفسه ، ص ١٢٨ .

(٣) محمد بن عبد بن عبد المحسن ، تحفة المستفيد ، ج ١ ، ص ١٣٩ ؛ أحمد عبدالغفور عطار ، صقر الجزيرة ، ج ١ ، ص ٧٧ .

(٤) دار الوثائق ، من محمد على إلى الباب العالى ، دفتر (١) وثيقة (٩١) بتاريخ ١٥ ذى الحجة ١٢٢٧ هـ — ٢٠ ديسمبر ١٨١٢ م .

(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٥٩ .

على الإحتفاظ بمنطقة مكة والمناطق المحيطة بها [١] .

وفى أعقاب فتح المدينة ظهرت حاجة الجيش المصرى إلى مرفأ على البحر ليكون مركز تزويد للجيش المصرى أثناء زحفه إلى مكة ، فاتجهت أنظار القادة إلى جدة فراسل طوسون باشا الشريف غالب سراً على أمل أن يرخص لبعض القوات البحرية بدخول هذا المرفأ وبعد مفاوضات ، وافق الشريف على ذلك نكاية بآل سعود رغم تجديد عهده لهم فى موسم الحج من نفس العام . لأنه كان يرى فى سيطرتهم على الحجاز ضياعاً لنفوذه ، فأسرعت القوات المصرية بدخول مرفأ جدة بحراً وبراً فى ١٢ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٥ يناير ١٨١٣ م دون حدوث أى قتال ، وبهذا العمل تيسر الزحف إلى مكة [٢] .

إتجهت القوات المصرية عقب دخولها جدة صوب مكة تسبقها فرقة إستكشافية بقيادة مصطفى بك قائد الفرسان ، وتمكنت القوات المصرية من الوصول إلى البلد الحرام وبمساعدة الشريف غالب والبدو المؤيدين لها دخلت مكة دون حدوث أدنى قتال [٣] . مع قوات عبد الله بن سعود التى انسحبت إلى قرية العبيلا [٤] . قرب الطائف واتخذتها معسكراً عاماً لها . ولم تكن فرحة الاستيلاء على مكة فى مصر والآستانة بأقل من فرحة الاستيلاء على المدينة ويذكر الجبرتى أن القاهرة زينت على إثر وصول نبأ فتح مكة إليها خمسة أيام

---

(١) H. St., Philby, Op. Cit., pp. 125-126.

(٢) دار الوثائق ، من طوسون إلى محمد على ، محفظة (٣) بحربرا ، وثيقة (٨١) ١٢ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٥ يناير ١٨١٣ م .

(٣) محمد توفيق صادق ، تطور الحكم والإدارة فى المملكة العربية السعودية ص ٢١ .

(٤) دار الوثائق ، من مصطفى بك إلى محمد على ، محفظة (٣) بحربرا ، وثيقة (٨٢) بتاريخ ١٥ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٨ يناير ١٨١٣ م ؛ من طوسون إلى محمد على ، وثيقة (٨٣) بحربرا ٢٥ محرم ١٢٢٨هـ — ٢٨ يناير ١٨١٣م .

متواليات[١] . بخلاف ما ساد نجد من حزن نتيجة لهذه الهزائم[٢] .

ولما استتب الأمر لطوسون فى مكة وأعلن الأشراف إنضمامهم إلى جانبه سير قوة من جيشه تحت قيادة مصطفى بك ومعه الشريف راجح وابن الشريف غالب إلى قرية العبيلا حيث تعسكر القوات السعودية بقيادة عبد الله بن سعود وعلى إثر مناوشات بسيطة أخلت القوات السعودية العبيلا وانسحبت صوب نجد ، وأتاحت لقوات مصطفى بك دخول القرية والسيطرة عليها فى ٢٥ محرم ١٢٢٨ هـ — ٢٨ يناير ١٨١٣ م ، وترتب على وقوع العبيلا فى يد القوات المصرية ، سهولة فتح الطائف أمام هذه القوات ، وأسرع طوسون يصحبه الشريف غالب إلى الطائف على إثر وصول الأنباء إليه بفتحها ، وأرسل لوالده يخبره بذلك[٣] .

ترتب على إنتصارات الجيش المصرى المتتالية ، بمساعدة الأشراف والبدو حدوث تغيير فى الخطط السعودية يهدف إلى إستدراج قوات طوسون إلى الداخل حيث الصحارى والوديان بالإضافة إلى إبعادها عن مراكز تموينها وخطوط مواصلاتها حتى يسهل إيقاع الهزيمة بها »[٤] * ، اعتقاداً من آل سعود أن طوسون لا يستطيع التغلب عليهم فى الصحراء التى لا يزالون سادة لها لأنهم أكثر صبراً على تحمل مشاقها وتحملا للجوع والعطش من قواته على

---

(١) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٥٩ .

(٣) دار الوثائق ، من طوسون إلى محمد على ، محفظة (٣) بحر برا وثيقة (٨٣) بتاريخ ٢٥ محرم ١٢٢٨ هـ — ١٨ يناير ١٨١٣ .

(٤) أمين سعيد ، تاريخ الدولة السعودية ، جـ ١ ، ص ١٠٠ ؛ أحمد عبده معجزة فوق الرمال ، ص ٢٥ .

(*) يذكر أحمد عبده أن السبب فى هذا التغيير هو استدراج القوة المصرية إلى نجد حيث الموانع الجغرافية أكثر مساعدة للدفاع والقتال وحيث الولاء الشعبى للعقيدة والدولة أكثر رسوخاً مما يجعل احتمال النصر أكبر . المرجع السابق ، ص ٢٥ .

حد قول الممثل السعودى فى مسقط لوريزى الطبيب الإيطالى[١] .

ولتنفيذ التغيير السعودى فى خطة القتال ، أعدت الدرعية جيشين كبيرين الأول بقيادة سعود نفسه زحف صوب الحناكية * للسيطرة على الطريق الرئيسى بين المدينة والقصيم ، ونجح هذا الجيش فى أسر الحامية المصرية التى كانت فى الحناكية وأرسلها إلى العراق تحت حراسة أمير جبل شمر[٢] . وقام سعود بحملات تأديبية ضد البدو القاطنين فى المنطقة عقاباً لهم على تأييدهم للقوات المصرية واقتربت عملياته من المدينة نفسها ، مما أزعج القوات المصرية وأعاد إلى أذهانها ذكرى هزيمة الصفراء .

أما الجيش السعودى الثانى فقد كان تحت قيادة فيصل بن سعود واتخذ من بلدة تربة مركزاً له ، وتمكن هذا الجيش بمساعدة النجدات التى أتت إليه من بيشة من إنزال هزيمة ساحقة بقوة مصرية كانت تحت قيادة مصطفى بك رئيس الفرسان والشريف راجح ، تكبد الجيش المصرى فيها خسائر فادحة[٣] . وأرسل طوسون لوالده يخبره بهزيمة قواته فى تربة ، وجهله بمصير الحامية التى فى الحناكية ورئيسها عثمان الكاشف لسيطرة سعود على الطرق الموصلة إليها وذكر له أن « سعود ما فتىء يرسل على الدوام للعربان كتباً مشتملة على أنواع التهديد والوعيد ، وما زال يسوق ابنه وبعض أمرائه من حين إلى آخر لغزو العربان »[٤] وأنه يخشى من فتنة هؤلاء العربان ونكثهم لعهودهم له وانضمامهم

---

(١) H. St., Philby, Op. Cit., p. 124.,

(*) الحناكية بلدة تقع شرق المدينة المنورة فى الطريق إلى نجد .

(٢) Mourzi, Op. Cit., pp. 45-46.

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ ؛ أحمد عبد الغفور ، المرجع السابق ، ص ٧٧ .

(٤) دار الوثائق ، من غالب إلى محمد على ، محفظة (١٦) بحر برا ، وثيقة (١٢٣) بدون تاريخ .

إلى جانب سعود تحت وطأة التهديد . ولذا ألح على والده فى سرعة إرسال نجدة إليه .

ترتب على نجاح الخطة السعودية تكبيد قوات طوسون خسائر فادحة زاد من وطأتها إنتشار الأمراض بين صفوف الجند نتيجة لعدم توفر العناية الصحية الكافية ، وإرهاق الجند فى ميادين صحراوية لم يتعودوها من قبل ، ولذا قرر طوسون إنقاذ ما بقى من قواته ، والاكتفاء بإقامة حاميات فى كل من الطائف ومكة وينبع وجدة [١] ، إلى حين وصول الإمدادات من مصر التى كرر الحاجة فى طلبها [٢] .

ومما ينبغى ذكره أنه فى ذلك الوقت ظهرت فكرة عقد صلح بين الطرفين خاصة وأن القوات المصرية قد نجحت فى تحقيق الهدف الأساسى من الحملة وهو تخليص الحجاز من السعوديين وكان محمد على يخشى التورط فى حروب صحراوية داخل جزيرة العرب قد لا تحمد عقباها . إلا أن الطرفين لم يتوصلا إلى تفاهم تام حول شروط الصلح ، نظراً لإصرار محمد على على أن يدفع سعود كل ما صرفه على حملة الحجاز إلى وقت الصلح ، ورد النفائس التى كانت فى الحجرة النبوية وحضور سعود بنفسه لمقابلة محمد على ، فعدسعود هذه الشروط إهانة له . وانقطع حبل المفاوضات وقرر كل من الطرفين مواصلة القتال ، وصمم محمد على على خوض الحرب بنفسه لإنقاذ قواته ورفع سمعته لدى الباب العالى والعالم الإسلامى ، وأرسل إلى ابنه طوسون يخبره بذلك [٣] . كما أرسل إلى رؤساء الجند يحثهم على الثبات والتقوى إلى حين وصوله « إثبتوا إذن كرحال واعلموا

---

(١) عبد الرحمن زكى ، التاريخ الحربى لعصر محمد على ، ص ٥٠ .

(٢) دار الوثائق : من طوسون إلى محمد على ، محفظة (٣) بحر برا ، وثائق ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ محرم وصفر ١٢٢٩هـ — ديسمبر ١٨١٣ ويناير ١٨١٤ .

(٣) دار الوثائق : من محمد على إلى طوسون ، محفظة (١) ذوات ، وثيقة (٢) بتاريخ ١٢٢٦هـ — ١٨١١م .

أننى بعد إتمام إرسال الجنود البرية والبحرية سأقوم بنفسى إلى الحجاز لأرى همتكم ، كونوا يداً واحدة وصلوا أوقاتكم الخمس فمكانكم مكان صلاح واستغفار ، ينصركم الله ويثبت أقدامكم »[١] .

وبنزول محمد على إلى ميدان القتال ، يبدأ دور جديد فى تاريخ الحروب المصرية السعودية ، لإحداث تغييرات جذرية فى خطط القتال ، وفنيتها . وفى ٢٨ شعبان ١٢٢٨ هـ — ٢٥ أغسطس ١٨١٣ م عهد محمد على بمسئولية حكم مصر إلى ولديه اسماعيل وإبراهيم وتحرك إلى السويس ومنها إلى جدة[٢] .

الدور الثانى من الحرب (١٨١٣ — ١٨١٥) :

ما كاد محمد على يصل إلى جدة فى ١ رمضان ١٢٢٨ هـ — ٢٨ أغسطس ١٨١٣ م ، ويقف على حقيقة موقف قوات ابنه طوسون والظروف التى أحاطت بها ، حتى أخذ يركز كل جهده ، على التخطيط الحربى الذى تقتضيه هذه المرحلة من الحرب مع آل سعود[٣] « لإستكمال أسباب استحصال التدابير المؤدية إلى انقطاع عروق الخوارج من تلك الحوالى بالمرة »[٤] على حد قوله للسلطان ، وكانت خطة محمد على الرئيسية التى رسمها للقضاء على عدوه تقوم على عدة مبادىء هامة لضمان نجاحها هى :

---

(١) دار الوثائق ، من محمد على إلى رؤساء الجند ، محفظة (٣) بحر برا ، وثيقة (٨٢) بتاريخ محرم ١٢٢٧ هـ — ١٨١٢ م .

(٢) Playfair, R.L., Op. Cit., p. 130.

انظر أيضاً Dodwell, Op. Cit., p. 43.

إدوار جوان ، مصر فى القرن التاسع عشر ، تعريب محمد مسعود ، ص٤٠٦ — ٤٠٧ ؛ عبد الرحمن الجبرتى ، السابق ، ج ٤ ، ص ١٧٩ .

(٣) أحمد عبده : معجزة فوق الرمال ، ص ٢٥ .

(٤) دار الوثائق : من محمد على إلى القائمقام ، دفتر (١) وثيقة (١٢١) ؛ ٢١ رمضان ١٢٢٨ هـ — ١٧ سبتمبر ١٨١٣ م .

أولا : تخفيف الضرائب عن العربان ، وإظهار مناصرتهم حتى يقضى على أى تذمر بينهم .

ثانياً : جعل ثغر جدة المستودع الرئيسى لعتاد الحملة .

ثالثاً : ترتيب الوسائل الكفيلة بنقل هـذا العتاد إلى الداخل فى صورة جيدة .

رابعاً : الإتصال بسلطان مسقط عدو آل سعود واستئجار عشرين سفينة منه لمدة عام للمشاركة فى أعمال الحملة .

خامساً : صرف رواتب شهرية للعربان للوكول إليهم حفظ الأمن فى الطرقات .

سادساً : إقامة حاميات عسكرية فى النقط الهامة لاجتناب خطر المفاجأة[1] من جانب العدو .

وعلى إثر إنتهاء محمد على من تخطيطه للقتال ، إتجه صوب مكة لأداء فريضة الحج ، فى نفس الوقت الذى بدأ فيه تنفيذ هذا التخطيط بإرسال ابنه طوسون الذى اتخـذ من الطائف قاعدة له — على رأس جيش من المشاة والفرسان لملاقاة جيش سعود الذى تحصن فى بيشة ورنية ، وقام فى أثناء وجوده فى مكة بالقبض على الشريف غالب لأنه ارتاب فى مسلكه ورأى أنه « كان من أسباب استفحال الدعوة الوهابية ، وأن بقاءه فى مركزه قد يحول دون فوز الحملة وسرعة وصولها إلى غايتها فأمر بالقبض عليه »[2] وتم له ذلك بحيلة بارعة فى ذى الحجة ١٢٢٨ هـ — نوفمبر ١٨١٣ م وصادر أمواله وبعث به

---

(١) عبد الرحمن زكى : التاريخ الحربى لعصر محمد على ص ٥٢ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

هو وشريف جدة إلى القاهرة ومنها إلى إستنبول حيث أرسلا إلى سلانيك ، وظل الشريف غالب بها حتى توفى فى ١٢٣٢ هـ — ١٨١٦ م [١] .

أما قوات ابنه طوسون فلم تتمكن من الإستيلاء على تربة وانهزمت أمام قوات آل سعود ولذا اضطرت إلى الإنسحاب إلى الطائف فتعقبتها القوات السعودية ولكن طوسون فوت عليها فرصة الاستيلاء على الغنائم بأن أمر بحرق الخيام ، تفاديا لوقوعها فى أيديهم [٢] .

وينبغى أن نشير إلى أن الحملة فى هذا الدور أصبح موقفها حرجا رغم التخطيط المتقن الذى وضعه لها محمد على ، لأن حادثين وقعا فى تلك الآونة ، كادا أن يقضيا على هذا التخطيط :

أولا : إنشقاق الأشراف عن جانب محمد على وانضمامهم إلى آل سعود ؛ فإن الشريف راجح الذى عينه محمد على على شرافة مكة خلفا للشريف غالب خشى أن يكون مصيره كمصير سلفه ولذا فإنه فى غفلة من محمد على هرب ومعه أتباعه وانضم إلى جانب القوات السعودية واشترك معها فى القتال ضد قوات محمد على ، وتأثر بهذا الموقف الكثير من القبائل ، مما أحرج موقف قوات مصر [٣] .

ثانيهما : إن القوة التى أرسلها محمد على لإحتلال القنفذة مركز المقاومة السعودية فى الجنوب فشلت فى مهمتها بسبب استبسال القائد السعودى طامى ابن شعيب واستيلائه فى غفلة من القوة المصرية على آبار الماء التى كان الثغر يعتمد عليها فى الحصول على الماء العذب ، فاضطر قائد الحملة إلى إخلاء الثغر بعد أن

---

(١) عبد الرحمن زكى : أعلام الجيش والبحرية فى مصر فى القرن التاسع عشر ج ١ ، ص ١٨ George Stitt, A Prince of Arabia, p. 25.

(٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ص ١٣٢ .

(٣) محمد عمر رفيع : فى ربوع عسير ذكريات وتاريخ ص ١٨٠ — ١٨٢ .

تكبد الكثير من الخسائر واستولت قوات طامى على ما كان لدى الحملة من خيام وعتاد[١] .

ترتب على هذا الموقف الحرج أن أرسل محمد على إلى كتخداه محمد لاظ أوغلى يطلب منه أن يوافيه بالمدد والمؤن[٢] ، وفى نفس الوقت حاول أن يوطد الموقف الداخلى فى الحجاز ، فاتخذ عدة إجراءات منها إطلاق سراح الأسرى الذين لديه بعد أن أخذ منهم عهداً بعدم انضمامهم إلى جانب العدو . وعقد تحالفاً مع عربان هذيل وثقيف وبنى سعد وعتبة القاطنين بين مكة والطائف . وذهب بنفسه إلى الطائف لتوكيد الروابط مع أهلها[٣] .

وفى تلك الأثناء التى كان محمد على يبذل فيها كل جهوده لإنجاح حملته حدث تصدع كبير فى جبهة آل سعود ، بوفاة سعود الكبير فى جماد أول ١٢٢٩ هـ — أبريل ١٨١٤ م وهو يعد من أعظم أئمة الدولة السعودية الأولى ، وأقوى قادتها وخلفه ولى عهده عبد الله الذى « لم تكن له نفس صفات أبيه لا الحربية ولا الإدارية »[٤] . بالإضافة إلى أن عبد الله بن محمد بن سعود ظهر كنافس له على السلطة وحاول أن ينتزعها منه وإن لم يتمكن من ذلك بسبب اشتعال الحرب ، وتأييد الكثيرين لعبد الله بن سعود الذى رجحت كفته فى النهاية[٥] . وهذه أول مرة يظهر فيها التنافس على السلطة فى الدولة السعودية الأولى .

هزيمة قوات محمد على فى وادى زهران ومحاصرة الطائف :

قدر محمد على خطورة الجنوب على مركز قواته الحربى فى الحجاز ، فأرسل

---

(١) محمد عمر رفيع ، المرجع السابق ، ص ١٨٠ — ١٨٢ .

(٢) عبد الرحمن الجبرتى ، المرجع السابق ، ج ٤ ، ص ٢٠٤ .

(٣) عبد الرحمن زكى ، التاريخ الحربى ، ص ٥٣ .

(٤) H.R Dickson, Kuwait and her Neighbours, p. 118.

(٥) أحمد عسه : معجزة فوق الرمال ص ١٦ .

قوة كبيرة بقيادة عابدين بك ، لتطهير وادى زهران — الذى يفصل اليمن عن الحجاز — من القوات السعودية ، التى كانت متحصنة به تحت قيادة طامى بن شعيب وتمكن عابدين بك من تطويق القوات السعودية فى حصن «بخروش علاش»* إلا أن القوات السعودية تمكنت من فك الحصار المضروب حولها واتخذت موقف الهجوم ، فاضطرت القوات المصرية تحت وطأة الهجمات السعودية إلى الإنسحاب بسرعة تاركة وراءها الكثير من الخيام والذخائر ، فتعقبتها القوات السعودية حتى الطائف وضربت حولها حصاراً شديداً ، وكان طوسون باشا أيضاً بقوته فى الطائف ، وبلغ نبأ حصار الطائف إلى محمد على الذى كان بجدة فأسرع لفك هذا الحصار المضروب حول قواته ، ونجح فى هذا العمل بحيلة بارعة ، إذ تمكن من إيهام القوات السعودية أنها أصبحت محصورة بين قوته وقوة ابنه طوسون التى فى الطائف ، فأسرعت بفك الحصار والإبتعاد عن الطائف** .

وفى أعقاب ذلك اصطحب محمد على ابنه طوسون إلى مكة فى رجب ١٢٢٩ هـ — ١٨١٤ م ومنها إلى جدة وهناك بدأ تدريباً قاسياً لجنوده إستمر ثلاثة شهور إستعداداً للمعارك القادمة[١] .

ومما ينبغى ذكره أنه فى أثناء فترة التدريب وقعت حادثة كادت تودى

(*) أحد الحصون التى كانت تعد من أقوى مراكز المقاومة فى تلك المنطقة .

(**) تتلخص الحيلة التى أنقذ بها محمد على قواته المحصورة فى الطائف فى أنه وقف مع عشرين من رجاله على جبل يشرف عليها ، وتمكن رجاله من أن يأتوا إليه بفارس عربى من جيش آل سعود وبعد أن سأله محمد على عن قوتهم . عرض عليه أن يطلق سراحه نظير حمله رسالة إلى ابنه طوسون فرضى الرجل بهذا العرض وسلمه محمد على رسالة تحوى الكلمة الآتية : « إنى قادم إليك فاحضر والحق بنا فوق الجبل » ولكن القادة الوهابيين تمكنوا من الإطلاع على الرسالة فتوهموا أن جيشاً كبيرا قد أتى لإنقاذ القوات المحصورة وأنهم سيقعون بين نارين فاستقر رأيهم على رفع الحصار وبذلك تمكن محمد على من إنقاذ قواته المحاصرة فى الطائف .

الجبرتى ، السابق ، ص٢١٣ — ٢١٧ : انظر الرافعى ، ص ١١١ .

(١) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١١١ .

بكل ما فعله محمد على فى هذه المرحلة ، إذ أن حاكم المدينة المنورة من قبله قتل شيخ قبيلة حرب فأدى ذلك إلى ثورة قبائل البـدو القاطنة بين ينبع والمدينة وقامت بأعمال تخريبية كبيرة وقطعت السبل بين جدة ومكة وينبع والمدينة وكاد زمام الأمر يفلت من يد محمد على إلا أنه عالج الأمر بالحكمة ؛ إذ أرسل ابنه طوسون إلى رؤساء القبائل لاسترضائهم ومصالحتهم ، وتمكن طوسون من الإجتماع بهؤلاء الرؤساء فى بدر ، وفى أثناء مفاوضاته معهم وصلته الأنباء عن وفاة حاكم المدينة الذى تسبب فى خلق هذه المشكلة ، فاستغل طوسون هذه الأنباء وألقى فى روع رؤساء البدو أن أباه قتل هذا الحاكم عقاباً له على فعلته ، فهدأت ثورة القبائل وجنحت للسلم وكفت عن قطع السبل[1] .

ويبدو أن محمد على فهم أسلوب السعوديين فى القتال ، واحتلالهم الدائم للمرتفعات وإدارة القتال من فوقها ، واستنتج من ذلك ضعف فرسانهم وعدم وجود مدفعية قوية لديهم ، وهذا ما أكده له عيونه من البدو . وهم على حق فى ذلك ، فإن هذه العيوب كانت من أبرز نقاط الضعف فى القوات السعودية ، فركز محمد على خططه الحربية على أساس استغلال نقاط الضعف هذه فى قوات عدوه ، ولذا قام بعملية توزيع واسعة لقواته لإيهام العدو بكثرة عددها . وأثبتت هذه الخطة نجاحها ، فقد تمكنت القوات المصرية فى ٢٨ محرم ١٢٣٠ هـ — ١٠ يناير ١٨١٥ م من احتلال « بسل » الواقعة بين الطائف وتربة على إثر معركة حامية الوطيس مع قوات آل سعود التى كانت تحت قيادة فيصل بن سعود وشارك محمد على قواته فى هذه المعركة « التى تعد من أهم المعارك فى تاريخ مصر الحربى »[2] .

ويبدو أن معركة بسل أحدثت تصدعاً شديداً فى الجبهة السعودية فقد أحرزت القوات المصرية بعدها إنتصارات سهلة ومتوالية ضدها واستولت على تربة التى اتخذ منها محمد على معسكراً عاماً له .

---

(١) عبد الرحمن الرافعى ، السابق ، ص ١١٢ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١١٢ .

وفى تلك الأثناء وصلت إلى محمد على أوامر من الباب العالى تحثه على قتال القبائل اليمنية الخاضعة لنفوذ آل سعود ليسهل عليه بعد ذلك مهاجمة الدرعية وهو مأمون الظهر . وكان محمد على نفسه يدرك خطورة هذه القبائل على قواته ولذا فإنه زحف نحو الجنوب على رأس قوة كبيرة من جنوده ، للقضاء على قوة هذه القبائل وإخضاع منطقة عسير وتخليصها من آل سعود[1] . وتمكن من الإستيلاء على بيشة التى تعد مفتاح اليمن من جهة الشمال الشرقى وواصل زحفه فى وادى عسير رغم المتاعب والصعوبات المضنية التى واجهته وقواته ، وزاد من شدة هذه المتاعب نفاذ الغذاء مما اضطر القوات إلى الاعتماد على التمر وشارك محمد على جيشه شظف العيش ليرفع من معنوياتهم ويشجعهم . وفى وادى زهران تمكن محمد على بقواته من هزيمة قوة سعودية تحت قيادة طامى بن شعيب ، الذى أسر وأرسل إلى مصر ومنها إلى الآستانة حيث لقى مصيره[2] .

واصل محمد على عملياته الحربية فى مناطق عسير وتهامة ، واتجه نحو الشاطىء وتمكن من إحتلال ثغر «قنفذة» الذى فشلت قوته فى الاستيلاء عليه من قبل كما رأينا ، وبذلك إطمأن على تطهير الميدان الجنوبى فى عسير وتهامة من القواعد السعودية ، وعاد راجعاً إلى مكة ليطمئن على الميدان الشمالى الذى كانت قيادته بيد ابنه طوسون[3] .

إلا أن محمد على لم يتمكن من مشاركة قوات ابنه طوسون عملياتها فى الميدان الشمال وإيقاع الهزيمة النهائية بآل سعود ؛ لأنه اضطر تحت ضغط ظروف

---

(١) دار الوثائق ، من سليمان أغا إلى محمد على فى الحجاز ، محفظة (٤) وثيقة (١٤٠) بتاريخ ٣ ربيع ثانى ١٢٣٠ هـ ١٥ مارس ١٨١٥ م .

(٢) دار الوثائق : من محمد نجيب إلى محمد على ، محفظة (٤) وثيقة ١٣٨ بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ ٢٧ يناير ١٨١٥ .

أحمد عبده ، المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٣) أمين سعيد ، الدولة السعودية ، جـ ١ ص ٧٧ .

داخلية وخارجية إلى العودة إلى مصر[١] . من بينها خطورة الموقف فى أوربا وتأزمه نتيجة لهرب نابليون من منفاه فى جزيرة « ألبا » نخشى أن تصبح مصر هدفاً لحملة فرنسية جديدة[٢] . ويذكر بوركهارت أن محمد على كان مهتماً إهتماماً كبيراً بأحداث أوربا وأنه يخشى من تأثيرها على استقلال مصر . وإن قيل إن السبب المباشر لعودة محمد على إلى مصر سريعاً هو ماسمعه عن مؤامرة لطيف باشا ضده[٣]، ومحاولة استيلائه على الحكم فى مصر .

على كل فان محمد على أبحر من جدة فى ٥ جماد ثانى ١٢٣٠ هـ — ٢٠ مايو ١٨١٥ م وعاد إلى مصر[٤] ليقضى على كل المواجس التى أصبحت تجول فى ذهنه، ويخشى منها على منصبه .

وفى الوقت الذى أبحر فيه محمد على عائداً إلى مصر كان ابنه طوسون قد

---

(١) Burkhardt, Op. Cit., Vol. 2, p. 347.

(٢) Ibid, p. 347.

(٣) الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

(٤) كان لطيف باشا من مماليك محمد على وأرسله إلى الباب العالى ليزف بشرى فتح المدينة المنورة ، وقيل إن بعض رجال المابين زينوا له فرصة الاستيلاء على الحكم فى مصر أثناء غياب محمد على فى الحجاز ، فأغرى هذا العرض لطيف باشا ، فحاول ذلك أثناء وجود محمد على فى الحجاز ، ولكن الجبرتى والرافعى يشكان فى ذلك ويريان أن محمد لاظ أوغلى كتخدا محمد على هو الذى ألقى فى روع محمد على بتمرد لطيف باشا كراهية لجنس المماليك . والحق أن المؤرخين المصريين على صواب فى رأيهما لأن رواية مؤامرة لطيف باشا هذه لاتقف صامدة أمام النقد التاريخى ويكفى أن نذكر أن الدولة العثمانية لم تكن ترى أن الوقت مناسب للتآمر ضد محمد على وهو منصرف الى توجيه كل جهوده ضد آل سعود ولم تكن حتى ذلك الحين تخشى بأسه . ويذكر الرافعى « وأغلب الظن أن محمد على وحاشيته قد ساءهم الإنعام على لطيف باشا بالباشوية إذ لم يسبق السلطان أن أنعم بها على أحد بعد تولية محمد على غير أبنائه » .

انظر الجبرتى ، ج ٤ ، ص ١٨١ — ١٨٣ ؛ الرافعى ، السابق ، ص ١١٤ .
M. Sayry, Op. Cit., pp. 46-47.

(٤) عبد الحميد البطريق ، إبراهيم الفاتح ، ص ١١ .
Dodwell, Op. Cit., p. 46.

أحرز إنتصارات فى الميدان الشمالى أوصلته إلى بلدة «الرس»(*) الواقعة بين المدينة والدرعية ، وتمكن من التفاهم مع سكانها وسكان بلدة الخبرا فى القصيم حول التسليم بدون قتال ونجح فى دخوله وقواته بلدة الرس قبل وصول قوات عبد الله بن سعود إليها ، وكان جيش عبدالله قد وصل إلى بلدة الرويضة بالقرب من الرس ، وتمكن طوسون بمساعدة قوة من عشائر حرب ومطير من الإستيلاء على كثير من قرى القصيم مثل الخبرا والشبيبة وغيرهما وأصبح الطريق إلى الدرعية مفتوحاً أمامه[1]، إلا أنه لم يقدر له أن يقوم بهذا العمل فى تلك الفترة .

وينبغى أن نذكر أن النجاح الذى لقيته القوات المصرية سواء فى الميدان الجنوبى أو الشمالى ليس مرجعه فقط هو إحكام الخطط الحربية التى رسمها محمد على ، وإنما هناك عامل آخر رئيسى ساعد على نجاحها وهو ضعف شخصية عبدالله بن سعود القيادية ، وعجزه فى إدارة المعارك بحزم وثبات ، فقد اكتفى بإتخاذ موقف الدفاع ضد القوات المهاجمة ، ولم يحاول أن يبذل أى جهد حربى لحماية حدود بلاده التى بدأت تتعرض لهجمات القوات المصرية .

الصلح :

ورغم وصول طوسون إلى منطقة القصيم النجدية وسيطرته على الموقف فى الحجاز ، فإنه بدأ يتشاور مع قواده حول إمكانية الإنسحاب إلى المدينة المنورة ويبدو أن طوسون أدرك أنه أخطأ حربياً بتوغله فى الصحراء ، وخشى عاقبة ذلك على قواته بالإضافة إلى خشيته من قطع طريق المواصلات بينه وبين قواعد تموينه فى الحجاز وكان عبدالله بن سعود رغم وجود قوات كثيرة لديه

(*) بلدة الرس تقع على مسافة ٢٧٠ ميلا من شمال شرقى المدينة المنورة .
انظر أحمد عسه : معجزه فوق الرمال ، ص ٢٨ .

(١) أمين سعيد ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٧ .

قد عجز عن القيام بأى جهد حربى لإسترداد القصيم من يد طوسون . ولذا جنح كل من الطرفين إلى عقد صلح بينهما ، خاصة وأن عبدالله بن سعود قد إزداد إلحاح جيشه عليه بالخروج إلى طوسون أو الخروج عليه ، أى إما الصلح معه أو قتاله[١] .

ودارت المفاوضات بين الطرفين على مشروع الصلح بالشروط التالية :

أولا : إحتلال الجيش المصرى للدرعية .

ثانياً : يرد آل سعود كل ما أخذوه من الحجرة النبوية .

ثالثاً : يضع عبدالله بن سعود نفسه تحت تصرف الجيش المصرى فيسافر إلى الجهة التى يريده أن يسافر إليها فى الوقت المناسب .

رابعاً : أن يكون عبدالله خاضعاً لحاكم المدينة من قبل محمد على إلى حين الموافقة على الصلح .

خامساً : لاتصبح هذه الشروط فى حالة الإتفاق عليها نافذة إلا بعد إقرارها من محمد على[٢] .

ولما عرضت هذه الشروط على عبدالله بن سعود عدها إهانة له ولذا قرر إرسال وفد من لدنه إلى مصر للتفاوض مع محمد على مباشرة حول شروط الصلح ، ووصل الوفد السعودى الذى كان يضم عبد الله بن محمد ، والقاضى عبدالعزيز بن حمد بن إبراهيم القاهرة فى شوال ١٢٣٠هـ - سبتمبر ١٨١٥م[٣] .

ومما يسترعى الإنتباه أن القتال بين الطرقين توقف إنتظاراً لنتيجة

---

(١) أمين الريحانى ، تاريخ نجد الحديث وملحقاته ، ص ٨٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١١٦ .

(٣) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٨٣ .

المفاوضات الدائرة . ومما يلفت النظر أن طوسون أخلى منطقة القصيم — دون أن يبين الأسباب التى دعته إلى مثل هذا التصرف . وربما يكون تقديره لسوء موقف قواته هو الذى دعاه لذلك . وعند وصوله إلى المدينة أرسل إلى والده يستعطفه فى السماح له بالعودة إلى مصر ، لسوء حالته الصحية[١] ، فاستأذن له والده الباب العالى الذى وافق على عودة طوسون بعد أن تعهد محمد على بالقضاء على قوة آل سعود وتحطيم الدرعية فى الوقت المناسب[٢] . وأبحر طوسون من ينبع إلى السويس ، ووصل القاهرة فى ٥ ذى الحجة ١٢٣٠ هـ — ٨ نوفمبر ١٨١٥ م فاستقبله أبوه استقبالا حافلا[٣] .

أدرك طوسون الوفد السعودى فى القاهرة ، وكان هذا الوفد قد فشل فى مهمته التى لم يجد لها لدى الباشا حلا وسطا . ووقف على حقيقة نوايا باشا مصر وتصميمه على تحطيم الدرعية والقضاء على قوة آل سعود نهائياً[٤] .

وكان عبدالله بن سعود حريصاً على أن يتم الصلح بين الطرفين ليقى نفسه وقومه وملكه شر القتال مع القوات المصرية التى أدرك تفوقها العسكرى على جيوشه ، ولذا أردف وفده الذى وصل إلى مصر لمفاوضة محمد على برسائل إلى كل من السلطان محمود الثانى ، ومحمد على أوضح فيها وجهة نظره فى الصلح ، وألقى تبعة ماحدث من الفتنة على كاهل الشريف غالب واتهمه بتزوير خط والده وكتابة رسائل مزورة إلى الباب العالى دون علم والده لإثارة الفتنة

---

(١) دار الوثائق ، من طوسون إلى محمد على ، محفظة (٤) بحر برا وثيقة (١٤٨) بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٢٩ هـ ٢٧ أغسطس ١٨١٤ م .

(٢) دار الوثائق ، من رؤوف إلى محمد على ، محفظة (٤) بحر برا ، وثيقة ١٤٧ بتاريخ ٦ شوال ١٢٣٠ هـ ١١ سبتمبر ١٨١٤ م .

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، ص ١٤٣ .

(٤) H. St. Philby, Op. Cit., p. 132.

بين الطرفين . وأبدى رغبته فى إعلان خضوعه للدولة العلية نظير منحه وقومه الأمان[١] .

وأكد لمحمد على فى إحدى رسائله أنه على استعداد لقبول الدعاء باسم السلطان العثمانى على المنابر الواقعة فى حوزة ملكه ، وكف يد الأذى عن الوارد إلى المماليك المحروسة والصادرة منها[٢] .

ويذكر ابن بشر المؤرخ النجدى أن عبد الله أرسل فى ١٢٣١ هـ — ١٨١٦ م « حسن بن مزروع وعبدالله بن عون إلى محمد على فى مصر بهدايا ومراسلات بتقرير الصلح »[٣] . ولكن محمد على « كان يرمى إلى بسط حكمه على شبه جزيرة العرب لأنه رأى فى بقاء الدولة السعودية مهما بلغ تظاهر عبدالله ابن سعود بالخضوع والولاء حائلا دون استقرار حكمه هناك »[٤] . أو على حد تعبير ابن بشر « أن حاملى هدايا ومراسلات الإمام السعودى لما قدموا عليه (محمد على) فى مصر وجدوه قد تغير »[٥] ، ولذا فإنه فرض على الوفد السعودى شروطاً قاسية تعنى إستسلام آل سعود نهائياً وحضور عبدالله بن سعود نفسه إلى مصر ليرسله إلى السلطان الذى يمكنه أن يحدد مصيره ، ولابد أن محمد على كان يعلم مسبقاً رفض عبدالله بن سعود لهذا الشرط ، فترتب على ذلك

---

(١) دار الوثائق ، من عبد الله بن سعود إلى السلطان محمود الثانى محفظة ١٦ بحر برا وثيقة ١٢٢ ، عربية الأصل ، بدون تاريخ ؛ أنظر الملاحق ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(*) بمقارنة حديث ابن بشر عن إرسال عبد الله هدايا ومراسلات إلى محمد على فى مصر نستطيع أن نستنتج أن تاريخ رسائل عبد الله بن سعود إلى كل من السلطان محمود الثانى ومحمد على باشا هو عام ١٢٣١ هـ ١٨١٥ ، ١٨١٦ م .

(٢) دار الوثائق ، من عبد الله بن سعود إلى محمد على باشا ، محفظة (٤) ، بحر برا وثيقة (٣٣) ، عربية الأصل (بدون تاريخ) أنظر الملاحظة السابقة .

(٣) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ، جـ ١ ، ص ١٨٠ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ .

(٥) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٨٥ .

أن أصبح الطرفان فى حالة هدنة غير محدودة المدى[1]، واستمرت الاستعدادات فى مصر ونجد تأخذ سبيلها تمهيداً لتجدد القتال وخوض الجولة النهائية فى الحرب كما سنرى . ويجب أن نشير إلى أن كل ما استطاعت القوات المصرية حتى عام ١١٣٠ هـ — ١٨١٥ م أن تسيطر عليه من أملاك الدولة السعودية الأولى هو إقليم الحجاز فقط الذى أصبح يتبع مصر إدارياً تحت السيادة العثمانية .

---

(١) بيير كريبتس ، إبراهيم باشا ، ترجمة محمد بدران ، ص ٢٤ .

الفصل الثاني عشر

حملة إبراهيم باشا وانهيار الدولة السعودية الأولى

---

١ — عمليات عبدالله بن سعود ضد القبائل التي انضمت إلى قوات مصر .

٢ — إختيار إبراهيم قائداً للحملة والإستعداد لها .

٣ — سفر الحملة ووصولها إلى ينبع .

٤ — تخطيط إبراهيم لعملياته الحربية .

٥ — الإستيلاء على الرس .

٦ — إستسلام عنيزة .

٧ — فتح الشقراء وبريدة .

٨ — معارك الدرعية وانهيار حكم آل سعود .

٩ — أسباب سقوط الدولة السعودية .

١٠ — نتائج سقوط الدولة السعودية .

الفصل الثانى عشر

حملة ابراهيم باشا وانهيار الدولة السعودية الأولى

أغرى انسحاب طوسون المفاجىء من القصيم ورحيله إلى مصر — حيث وافته منيته فى ٧ ذو القعدة ١٢٣١ هـ — ٢٩ سبتمبر ١٨١٦ م - عبد الله بن سعود الذى وقف من رسله على حقيقة نوايا محمد على واستعداده للقضاء على ملك آل سعود [1] على القيام بعمليات حربية ضد المناطق التى كانت قد أعلنت ولاءها للحكم المصرى ولذا فإنه أعد جيشاً كبيراً يجمع بين صفوفه البدو والحضر من أهل الأحساء وعمان ووادى الدواسر والجبل والجوف واتجه نحو القصيم واستولى على الخبرا والبكيرية وغيرهما من بلدان المنطقة التى كان طوسون قد استولى عليها قبل رحيله إلى مصر . وقام بعمليات تأديبية واسعة ضد العربان الذين سبق لهم الانضمام إلى جيش طوسون [2] . ووصلت عملياته التأديبية هذه إلى المناطق القريبة من المدينة المنورة ، وأسر ثلاثة من رؤساء الرس واصطحبهم معه إلى الدرعية ضماناً لعدم نكثها بعدها مرة ثانية . وعرفت هذه الغزوة عند النجديين باسم « غزوة محيط ومحرش » * ؛ لأنها كانت سبباً مباشراً فى التعجيل بتجدد القتال [3] .

وفى الوقت الذى كان عبدالله بن سعود يقوم فيه بعملياته هذه ، كانت

---

(١) محمد رفعت ، التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، ص ٣٠ .

(٢) دار الوثائق ، من رؤوف إلى محمد على ، محفظة (٤) بحر برا ، وثيقة ١٥٧ بتاريخ ٨ شعبان ١٢٣١ هـ — ٤ يوليو ١٨١٦م .

(*) يذكر ابن بشر « وسميت هذه غزوة محيط ومحرش لأنه حدث النقض من الروم بسببها » ص ١٨٥ .

(٣) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٨٥ .

الاستعدادات فى مصر تجرى على قدم وساق للجولة التالية من الحرب التى اختير إبراهيم باشا قائداً عاماً لها[1]. وشهدت الموانى المصرية على البحر الأحمر (السويس والقصير) نشاطاً متزايداً؛ فقد كانت القوافل تصل إليها بصورة مستمرة حاملة المؤن والمعدات لتخزينها تمهيداً لنقلها إلى مراكز التخزين فى الحجاز، وفى الوقت ذاته شهدت المعسكرات المصرية التى أقيمت بين مصر القديمة وطرة ومناطق أخرى تدريباً عنيفاً للجنود الذين اختيروا للحملة الجديدة[2].

والجدير بالملاحظة أن محمد على عمل فى هذه الحملة على تلافى جميع الأخطاء التى أحاطت بحملاته السابقة؛ فقد زودت الحملة ببعثة طبية تضم أربعة من الأطباء الإيطاليين هم: سكوتو Scoto وجينتلى Gentili وتودسكين Todeschini وشيشو Socio للاشراف الصحى على جنود الحملة بالإضافة إلى تزويدها ببعض الخبراء العسكريين الأجانب وعلى رأسهم المسيو Vassiere الذى كان بمثابة أركان حرب لإبراهيم باشا، وهو ضابط فرنسى خدم فى جيش نابليون.

وبعد استكمال جميع معدات الحملة اتجهت إلى ينبع لتبقى هناك إلى حين وصول القائد العام الذى أبحر من ميناء القصير صوب ينبع فى ١ ذو القعدة ١٢٣١ هـ — ٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م فوصل إليها بعد ثلاثة أيام. ونصب معسكره خارج أسوار المدينة[3]. وأقام مناورة عسكرية ضخمة فى المنطقة ليرهب كل من تسول له نفسه الخروج عن الطاعة، وليظهر الاستعداد الضخم الذى أعد للقضاء على آل سعود. ويبدو أنه قصد من وراء هذه المناورة إلى هدف آخر وهو

---

(١) Playfair, R.L., op. cit., p. 133.

(٢) عبد الرحمن زكى، التاريخ الحربى لعصر محمد على، ص ٦٥.

(٣) عبد الرحمن زكى، المرجع السابق، ص ٦٥ — ٦٦.
H. st. Philby, op. cit., p. 149.

وصول أنبائها عن طريق بعض البدو إلى عبدالله بن سعود ليدخل فى روعه مسبقاً ضآلة قوته أمام هذا الاستعداد الكبير . ولقد نجحت هذه المناورة فى إدخال الرعب فى قلوب كثير من أهالى القرى والقبائل المجاورة التى أسرعت تتهافت على معسكره لتجديد ولائها للحكم المصرى .

إتجه إبراهيم باشا بعد ذلك إلى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول الذى يقال إنه أقسم أمامه ، بعد أن وضع عليه العقد الذى أهدته له أمه . إنه لن يغمد سيفه فى جرابه حتى يفرق شمل الأعداء(١) .

وإلى حين وصول حملة إبراهيم باشا إلى بلاد الحجاز كان عبدالله بن سعود لا يزال يكاتب محمد على والسلطان مبدياً رغبته فى إعلان طاعته للدولة العثمانية وإنهاء حالة الحرب ، إلا أن الباب العالى أرسل إلى محمد على يحذره « بأنه لا يجب الرد على الرسائل التى يرسلها عبدالله بن سعود . وعدم الاهتمام بمثل هذه الرسائل »(٢) . ولما فرغ إبراهيم من زيارة قبر الرسول أخذ يضع تكتيكا عسكرياً لخططه الحربية يقوم على عدة أسس متلافياً فيها جميع الأخطاء التى أحاطت بالحملات السابقة وهذه الأسس هى :

أولا : بناء الحصون واتخاذها مراكز للجنود .

ثانياً : استمرار التدريب المنيف للجنود لزيادة مقدرتهم القتالية وإرهاباً للعربان فى نفس الوقت .

ثالثاً : استعمال الشدة مع الجند وعقاب كل من يعتدى على العربان أو يسلب منهم شيئاً ، ولذا كان يدفع ثمن كل ما يأخذه جنوده من العربان وكان

---

(١) Palgrave, Narritive of A years Journey Through Arabia, Vol. 2, p. 30.

(٢) دار الوثائق ، من رؤوف إلى محمد على ، محفظة (٤) بحر برا وثيقة ١٦٣ بتاريخ ٩ صفر ١٢٣٢ هـ — ٢٩ ديسمبر ١٨١٦ م .

لهذا العمل تأثير كبير على نفوس البدو الذين أعلن معظمهم الطاعة للحكم المصرى[١] .

رابعاً : الإغداق الواسع على العربان ودفع رواتب منتظمة لبعضهم وتقديم الهدايا والرشاوى للبعض الآخر .

واستمر ستة أشهر كاملة يعمل على توطيد نفوذه بين العربان وكسب ودهم حتى تمكن بهذا الأسلوب من تطعيم جيشه برجال العشائر المحلية تطعيماً قوياً ، وجذب إليه أكبر عدد من القبائل البدوية[٢] .

وبعد أن أمن ظهره بهذا الأسلوب بدأ زحفه صوب البلاد النجدية ، متغلباً على كل مصاعب الطرق الصحراوية . ووصلته الأنباء فى تلك الاثناء عن طريق عيونه بتحصن عبدالله بن سعود فى الرس ، فاتخذ سبيل الزحف إليها .

الرس :

تمكن إبراهيم باشا أثناء زحفه صوب الرس من الاستيلاء على بلدتى الصويدرة والحناكية التى اتخذ منها مقراً لمعسكره ، « ولبث فيها كالصياد يراقب فرائسه ، فكان تارة يغير على البدو الذين لم تفلح معهم سياسة اللين أو المال ، وتارة أخرى يفيض على شيوخهم بما حمله من هدايا وما أعده لهم من منح مالية »[٣]. وبدأ يرسل فرقه الاستطلاعية للتجسس على العدو فى المناطق المحيطة ، وتمكن من هزيمة عربان حرب ومطير وتأديبهم وإخضاعهم لسيطرته[٤] .

---

(١) د . عبد الحميد البطريق ، إبراهيم باشا فى بلاد العرب ، ص١٣ ، ٢٢ .

(٢) أحمد عسه ، المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٣) د . عبد الحميد البطريق ، إبراهيم باشا ، ص ١٣ — ١٤ .

(٤) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد على ، محفظة (٤) بحر برا ، وثيقة (١٦٢) تاريخ ٩ صفر ١٢٣٢ هـ — ١٨١٦ م .

وتشير الوثائق إلى أن الخطة السعودية فى ذلك الوقت تقوم على ثلاثة أسس أولها : استدراج القوات المصرية إلى الصحراء . وثانيها : القيام بعملية التفاف حولها من الخلف وقطع طرق المواصلات بينها وبين مراكز تموينها بالاتحاد مع القبائل اليمنية الموالية للنفوذ السعودى . وثالثها : تطويق الحملة والقضاء عليها ، ورتب جيش خاص لكل عملية من هذه العمليات إلا أن الجيش السعودى الأول الذى كانت مهمته القيام بعملية الاستدراج فشل أمام قوة إبراهيم فى معركة « ماوية » ولحقته خسائر فادحة ، فترتب على ذلك فشل الشطرين الآخرين من الخطة لإرتباط أجزائها والتنسيق الذى كان معداً بين القوات السعودية لتنفيذها .

وأصيبت كفة آل سعودية فى ذلك الوقت بتصدع شديد ، نتيجة لانضمام فيصل الدويش بعربانه إلى الجانب المصرى . فترتب على ذلك انكماش القوات السعودية وتحصنها فى بلدتى الرس وعنيزة وعمل الإستعدادات اللازمة للدفاع عن الدرعية والمناطق الوسطى من أراضى الدولة السعودية[1] .

اتجه إبراهيم بعد ذلك نحو الرس وحاصرها مدة ثلاثة شهور وسبعة عشر يوماً ، ورغم طول مدة الحصار ، واستعماله أعنف الوسائل فى مهاجمتها إلا أنه فشل فى الإستيلاء عليها ، إذ استماتت الحامية السعودية فى الدفاع عنها رغم ضعف أسلحتها ؛ لإدراكها أنها مفتاح الطريق إلى الدرعية . ورغم فداحة الخسائر التى أصابت جيش إبراهيم باشا نتيجة لطول مدة الحصار وانتشار الأمراض بين جنده بسبب سوء الأحوال المناخية إلا أنه رفض فكرة عقد الصلح التى ظهرت من الجانب السعودى وأنذر أمير المدينة محمد بن مزروع بأنه إذا لم

---

(١) دار الوثائق ، من محمد نجيب إلى محمد على ، محفظة (٤) بحر برا ، وثيقة (١٧١) بتاريخ ٣ رمضان ١٢٣٢ هـ — ١٧ يوليو ١٨١٧ م .

أنظر أيضاً : M. Sabry, Op. cit., p. 48.

يسلم مدينة الرس فإن القتال سيستمر إلى النهاية واستمر القتال متواصلا[1] حتى جدد أمير المدينة رغبته فى عقد صلح مع إبراهيم باشا الذى اشترط لعقد الصلح شرطين :

أولا : يقدم له أهل الرس ألفى رأس من الخيل وألفين من الجمال ومؤونة تكفى جيشه ستة أشهر .

ثانياً : يقدم له إثنان من أولاد عبدالله بن سعود رهينة لديه.

رفض الجانب السعودى هذين الشرطين واستؤنف القتال بين الطرفين مرة أخرى[2] . ولكن إبراهيم باشا لمس سوء حالة جيشه فاضطر إلى قبول عقد صلح مع أمير مدينة الرس وقبل شروطاً لم يكن ليقبلها لو لم تمتنع عليه المدينة[3] فقبل :

أولا : رفع الحصار عن الرس .

ثانياً : يضع أهل الرس السلاح ويقيمون على الحياد .

ثالثاً : لايجوز لجنود إبراهيم باشا وضباطه دخول الرس .

رابعاً : عدم إجبار أهل الرس على تقديم شىء من المؤن والميرة للجيش ولا يدفعون غرامة أو ضريبة .

خامساً : فى حالة إستيلاء الجيش المصرى على عنيزة بدون قتال تسلم الرس له وإذا لم ينجح فى ذلك يعتبر القتال متجدداً بين الطرفين[4] .

---

(١) عبد الرحمن زكى ، التاريخ الحربى ، ص ٢١ — ٢٢ ؛ عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١٨٦ ، ١٨٧ .

(٢) أمين الريحانى ، تاريخ نجد ، ص ٨١ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، عصر محمد على ، ص ١٤٢ .

(٤) أمين سعيد ، الدولة السعودية ، ج ١ ، ص ٨٠ .

ويبدو أن آل سعود منذ ذلك الوقت إتبعوا خطة تقوم على أساس توزيع القوات المصرية وإرهاقها بعمليات الحصار المتعبة ، متبعين فى ذلك أساليب حرب العصابات التقليدية المعروفة فى الصحراء بين القبائل[1] . فقد وزعت القوات السعودية على كثير من الحصون ، إلا أن إبراهيم باشا ركز كل قواته للهجوم على عنيزة للاستيلاء عليها كى يحقق هدفه فى الاستيلاء على الرس طبقاً للشرط الأخير من شروط الصلح السابقة مع أميرها . ونجح إبراهيم فعلا فى الإستيلاء على عنيزة بعد حصار دام ستة أيام استسلمت على أثره الحامية السعودية التى كانت تحت قيادة محمد بن حسن بن مشارى بن سعود على الشروط التالية :

أولا : عدم أسر حامية عنيزة .

ثانياً : السماح لهذه الحامية بالذهاب أنى شاءت .

ثالثاً : تسلم الحامية ما لديها من الأسلحة والذخائر والمؤن للجيش المصرى[2] .

قبل إبراهيم شروط الحامية السعودية ودخل عنيزة ، وفى أعقاب دخوله عنيزة أرسل فرقة من جيشه لاستلام الرس طبقاً لشروط الصلح معها . واضطر عبد الله بن سعود على إثر ذلك إلى الانسحاب إلى الشقراء والتحصن بها للدفاع عن الدرعية[3] ، وترتب على إستيلاء إبراهيم على كل من الرس وعنيزة إذعان القبائل فى بلاد القصيم إلى التسليم خوفاً من بطش إبراهيم وقسوة العمليات الحربية خاصة وأنها رأت تدهور نفوذ آل سعود واندحاره إندحاراً سريعاً إلى الزوال . وهكذا ضاعت كل منطقة القصيم من يد آل سعود .

---

(١) H. st., Philby, op. cit., p. 135.

(٢) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(٣) المرجع نفسه ، ص ١٤٨ .

الشقراء :

استأنف إبراهيم باشا زحفه متجهاً صوب الشقراء التى اتخذ منها عبد الله ابن سعود معسكراً عاماً له . وتمكن إبراهيم باشا فى أثناء زحفه صوب الشقراء من الاستيلاء على بلدة بريدة بعد أن أمَّن حاميتها وأهلها على أساس تسليمهم لأسلحتهم وقد قبل حجيلان أمير البلدة من قبل آل سعود شرط إبراهيم باشا وسلمها له . وهنا رأى إبراهيم أن من الصواب إراحة قواته وتجديد نشاطها استعداداً للهجوم على الشقراء والحصون السعودية الأخرى التى تعترض طريق زحفه إلى الدرعية ، وأرسل لوالده يخبره بذلك[1] . واستقر فى بريدة شهرين قبل استئناف زحفه .

وفى ربيع الأول ١٢٣٣ هـ — ديسمبر ١٨١٧ م زحف إبراهيم بقواته نحو الشقراء التى هاجمها فور الوصول إليها بعنف واستمر القتال حولها ثلاثة أيام وثلاث ليال متواصلة حتى تهدم سورها وأسفر عن بيوتها ظاهر متكشفة ، فأدرك أهلها ألا أمل فى الانتصار ويذكر إبراهيم فى رسالة لوالده أن الأهالى ضجوا بالويل والاستغاثة وارتفعت أصواتهم منادية أن « الأمان يا إبراهيم ارحم عيالنا واعفوا عما بدا من تقصيرنا » ونستنتج من ذلك عنف وقسوة هجوم إبراهيم على الشقراء التى كانت تمثل الحصن الأخير أمامه فى طريق الزحف إلى عاصمة آل سعود . ويذكر إبراهيم أن نفراً من شيوخ المدينة جاءوا يلتمسون منه الأمان والصلح فأجابهم إلى ما طلبوا على الشروط التالية :

أولا : أن يسلموا له المدافع الخمسة التى فى قلعة المدينة .

ثانياً : تسليم كافة الأسلحة التى يحملها أربعمائة مقاتل من أعوان عبد الله ابن سعود جاءوا لنجدة المدينة .

(١) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد على ، محفظة (٥) بحر برا ، وثيقة ١٧٨ بتاريخ ٩ محرم ١٢٣٣ هـ — ١٩ نوفمبر ١٨١٧ م M. Sabry, op. cit., p. 52.

ثالثاً : أن يبيعوا للجنود ما عندهم من ميرة .

رابعاً : يسمح لأهل المدينة فى نظير ذلك بالذهاب حيث شاءوا شريطة عدم حملهم السلاح والقتال ضد قواته مرة ثانية ، وإذا أخلوا بهذه الشروط التى اتفقوا عليها سيحل دماءهم[1] .

ويذكر إبراهيم فى رسالته هذه أنه فى أعقاب تسليم الشقراء له حضر طرفه شيوخ قرى وادى الدواسر الأحد عشر وطلبوا منه الأمان نظير إعلانهم الخضوع للحكم المصرى سلما فأجابهم إلى طلبهم[2] .

والحق أن سقوط شقراء فى يد إبراهيم باشا كان يعنى سقوط إقليم الوشم كله فى يده ، وانحسار نفوذ آل سعود عنه[3] . مكث إبراهيم فى شقراء عشرة أيام لإراحة جنده كعادته عقب كل قتال ، وأنشأ بها عيادة طبية لمعالجة المصابين من جنده تحت رعاية اثنين من الأطباء والصيادلة الذين كانوا معه[4] .

وبعد انتهاء فترة الإراحة إتجه إبراهيم بقواته إلى وادى حنيفة فى منطقة العارض حيث الدرعية عاصمة آل سعود . إلا أن بلدة « ضرمى » التى كانت بها حامية سعودية تحت قيادة سعود بن عبد الله بن محمد بن سعود اعترضت طريقه وأوقعت بقواته بعض الخسائر ، لكنها لم تستطع الصمود طويلا أمام هجمات جيش إبراهيم ، فانسحبت الحامية السعودية منها ، تاركة الأهالى هدفاً لقذائف قوات إبراهيم ، الذى يبدو أنه استعمل العنف مع هؤلاء الأهالى نكاية بهم ، فقد ذكر ابن بشر عند تسجيله لأحداث ضرمى أن « الروم

---

(١) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد على ، محفظة (٥) بحر برا ، وثيقة (١٨٦) بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٨ م .

(٢) نفس الوثيقة السابقة .

(٣) M. Sabry, Op. cit., p. 51.

(٤) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ .

(يقصد جيش إبراهيم) يأتون أهل البيت أو العصابة المجتمعة فيقولون الأمان ويأخذون سلاحهم ويقتلونهم »[1] . وبعد أن انتهى إبراهيم من إخضاع ضرمى أخذ يعد العدة للزحف صوب الدرعية إلا أن سقوط الأمطار بشدة عاقه عن مواصلة زحفه فمكث بضرمى شهرين ، واصل سيره بعد انتهائهما عن طريق ممر الحيسية ووادى حنيفة ماراً بالعيينة وجبيلة حتى وصل إلى مزارع ملقة على مسيرة ساعة من الدرعية ونصب معسكره فيها .

معارك الدرعية وانهيار حكم آل سعود :

أدرك إبراهيم حصانة الدرعية ، وقوة قلاعها السامقة . ولا بد أنه قدر بالإضافة إلى ذلك ، أن أهل المدينة سوف يبذلون أرواحهم فى سبيل الدفاع عنها حتى آخر قطرة من دمائهم ولذا فإنه أرسل لوالده يذكر له « أن فتح الدرعية وإحلال النظام فيها منوطان بثلاثة أمور :

أولا : النقود .

ثانياً : مقذوفات المدافع .

ثالثاً : الجنود المشاة .

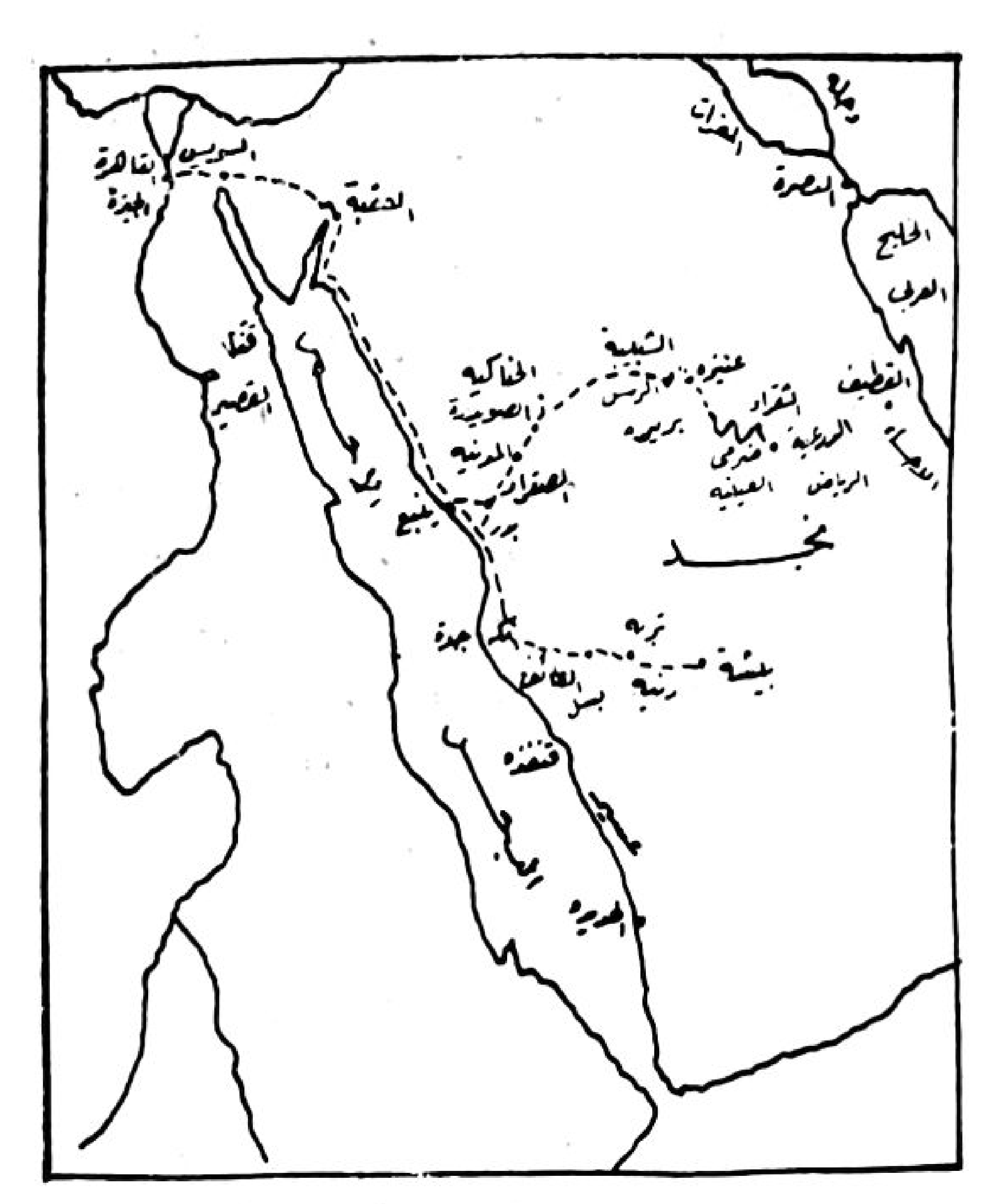
فمع أن لدى عبدكم مقذوفات كثيرة ومبالغ من النقود وافرة إلا أن استدامة ورودها وتواليه لمن مستحسن الأمور وأجلها خطراً »[2] .

وينبغى أن نذكر أنه فى الوقت الذى كانت فيه قوات إبراهيم باشا تتقدم فى الأراضى النجدية متخذة طريقها صوب الدرعية ، كان القائد حسن باشا يقوم

---

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد ، ج ١ ، ص ١٤٨ ؛ أبو الطيب صديق ، التاج المكلل ، ص ٣٠٩ .

(٢) دار الوثائق ، من إبراهيم إلى محمد على ، محفظة (٥) بحر برا ، وثيقة ١٨٦ بتاريخ ١٢ ربيع ١٢٣٣ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٨ م .



خريطة تحرك القوات المصرية
في جزيرة العرب

بتطهير الجيوب السعودية فى عسير وتهامة ونجران ، واستطاع توطيد النفوذ المصرى فى كل هذه المناطق ، ووضع على رأس قبائلها رؤساء جدد موالين للحكم المصرى . وبذا لم يعد أمام الجيش المصرى فى جزيرة العرب سوى إسقاط الدرعية حتى يتم له نهائياً القضاء على الدولة السعودية الأولى وهذا ما ركز عليه إبراهيم باشا كل ثقله الحربى[1] .

كانت الدرعية تتألف من خمسة أقسام لكل منها أبواب وأسوار مستقلة تتخللها الحصون والأبراج . ومحيطها لا يقل عن إثنى عشر كيلو متراً ولذا قدر إبراهيم بعد أن اقترب منها ونزل فى عاب نخل فيصل بن سعود . ضخامة القوة التى تحتاجها معركة الدرعية[2] ، ورغم ذلك استطاع بمعاونة فيسير Vaissiare الضابط الفرنسى أن يرتب مواقع جنوده ويعد العدة للهجوم وبدأ بحفر الخنادق ويقيم المتاريس منذ أن اقترب منها فى غرة جماد الثانى ١٢٣٣هـ ـ ٦ أبريل ١٨١٨م وكان جيش إبراهيم الذى بدأ يضرب حصاره حول الدرعية يضم عربان حرب ومطير وعتيبة وبنى خالد .

أما عبد الله بن سعود فقد رتب على كل جهة من جهات الدرعية قوة كبيرة تحت قيادة أحد أمراء آل سعود . والحق أن قوة الدرعية لم تكن تنقصها الشجاعة أو البسالة فى القتال بقدر ما تنقصها فنيته وتخطيطه ، ورغم تفوق قوة إبراهيم باشا فى فن وأساليب القتال بالإضافة إلى مدفعيته القوية . إلا أن أول هجوم له على الدرعية استمر عشرة أيام متواصلة اشتد خلالها أوار المعركة وركز أثناءها إبراهيم مدفعيته القوية على مدخل شعيب المغيصبة ولكن دون جدوى فاضطر إلى إيقاف القتال كى يتخذ مواقع جديدة لهجومه ، ووقع اختياره على أقصى شمال غبيرة وعلى أثر هجوم مباغت تمكن إبراهيم

---

(١) دار الوثائق ، من حسن باشا إلى محمد على ، محفظة (٤) بحر برا ، وثيقة (١٦٩) بتاريخ ٢٧ رجب ١٢٣٢ هـ — ١٢ يونيه ١٨١٧ م .

(٢) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ١١٤ .

وقائده على أوزون من زحزحة القوة السعودية إلى الوراء قليلا ، واستمر إبراهيم باشا شهرين لم يحرز خلالها تقدماً ملموساً فى هجماته المتواصلة على الدرعية فتحرج مركزه ، ومما زاد حرجه اندلاع النار فى مستودع ذخيرته فى ١٦ شعبان ١٢٣٣ هـ - ٢١ يونيو ١٨١٨ م على إثر هبوب ريح السموم التى حملت جذوة من نار كان يوقدها أحد الجنود لطهو طعامه(١) . وقد حاول السعوديون استغلال هذه النكبة التى حلت بقوة إبراهيم ، إلا أنه أبدى شجاعة نادرة وواجه العدو معتمداً على السلاح الأبيض وأمر جنوده أن يقتصدوا فى استعمال الذخيرة . وتمكن إبراهيم بهذه الشجاعة من الانتصار على عدوه .

وأرسل إبراهيم إلى أبيه يطلب منه الإمدادات العسكرية وفى الوقت نفسه بعث رسله إلى المناطق والقرى المجاورة التى أذعنت له . فوصلت الإمدادات إليه من البصرة والزبير مع أهل نجد الذين كان آل سعود قد أجلوهم فى السابق تحمل له جميع حاجات العسكر من الأرز والحنطة والتبغ ، وبدأ يجند رجالاً من القرى النجدية التى خضعت له ليقفوا بجانب قواته(٢) . وفى تلك الأثناء وصلت إليه الإمدادات العسكرية من مصر بقيادة خليل باشا * أحد أقاربه(٣) .

ويبدو أن طول مدة الحصار والهجمات المستمرة على الدرعية والتى بلغت

---

(١) عبد الحميد الطريق ، المصدر السابق ، ص ١٦ .

(٢) ابن بشر ، المرجع السابق ، جـ ١ ص ١٩٧

(*) كان خليل باشا يشغل منصب محافظ الاسكندرية ، وعند ما علم إبراهيم من رسالة لأبيه أنه سيرسل له المذكور ليكون عوناً له على فتح الدرعية خشى أن يكون أبوه قد ظن به ضعفاً فأرسل له يعده بفتح الدرعية قبل وصول خليل باشا إليه . انظر محفظة (٥) بحربرا ، وثيقة (٩٤) مرسلة من إبراهيم إلى محمد على فى رمضان ١٢٣٣ هـ — يوليو ١٨١٨ م .

(٣) دار الوثائق ، من إبراهيم الى محمد على ، محفظة (٥) بحربرا ، وثيقة (٩٤) بتاريخ ٩ رمضان ١٢٣٣ هـ — ١٣ يوليه ١٨١٨ م .

مدتها أكثر من خمسة أشهر جلبت السأم واليأس إلى نفوس بعض النجديين الذين كانوا بداخل الدرعية ولذا هرب بعضهم من الدرعية وانضم إلى جانب جيش إبراهيم باشا ودلوه على الطرق والمسالك التى توصله إلى هدفه بسهولة ، وترتب على حصول إبراهيم على هذه المعلومات أن تمكنت مدفعيته من هدم كثير من حصون ومتاريس الدرعية ، واستمرت طلقات مدافعه تتطاير فى الجو بصورة متواصلة كأنها رجوم الشياطين على حد تعبير ابن بشر المؤرخ النجدى[1] ورغم ذلك فإن آل سعود أبدو فى دفاعهم شجاعة لا تقل عن شجاعة الجيش المهاجم . إلا أن خروج الكثير من أهلها والمدافعين عنها نتيجة لطول الحصار وارتفاع الأسعار فى داخلها أدى إلى ضعف كفتها ومما زاد من هذا الضعف خروج رئيس فرسانها غصاب العتيبى وانضمامه إلى جانب قوات إبراهيم باشا ويذكر ابن بشر أنه « لما خرج منها (غصاب) قوى عزم الباشا على الحرب وقرب القبوس (المدافع) من البلد وأصاب أهل الدرعية كآبة ووهن من خروجه »[2] وقال أيضاً « أنه لما خرج من خرج من أهل الدرعية وغيرهم منها إلى الباشا أخبروه بعوراتهم وغراتهم وأخبروه بالموضع الذى ليس فى أهله شدة فى الحرب وبالموضع الذى يتفوقون عنه فى الليل وبالموضع الذى ليس به إلا قليل وبالموضع الذى يدخل منه على أهل الدرعية وهم لا يعلمون[3] .

ولا ريب أن المعلومات التى استطاع إبراهيم باشا أن يحصل عليها من الخارجين من الدرعية أفادته كثيراً ومكنته من إحكام خطته النهائية لهجوم شامل عليها من كل الجهات أوصلته فى النهاية إلى هدفه ، فعلى إثر معركة البجيرى * تمكن من الاستيلاء على السهل مما اضطر عبد الله بن سعود إلى

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٢٠٤ .
(٣) نفس المرجع ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .
(*) البجيرى : حى من أحياء الدرعية .

نقل معسكره من سمحان إلى الطريف * فركز إبراهيم هجمات مدفعيته على الطريف واشتد القتال وتهاوت مبانى الطريف تحت شدة قصف المدفعية ويقول ابن بشر « تفرق عن عبد الله أكثر من كان عنده وبذل لهم الدراهم فأخذوها وهربوا . فلما رأى عبدالله ذلك بذل نفسه للترك وفدى بها عن النساء والولدان والأموال . فأرسل إلى الباشا وطلب المصالحة فأمره أن يخرج إليه فخرج إليه »[1] .
وكان خروج عبد الله بن سعود إلى معسكر إبراهيم باشا فى ٨ ذى القعدة ١٢٣٣ هـ - ٩ سبتمبر ١٨١٨ م واستقبله إبراهيم بالحفاوة وتم بينهما الإتفاق على الشروط التالية :

أولا : تسليم الدرعية للجيش المصرى .

ثانياً : يتعهد إبراهيم باشا بأن يبقى عليها وأن لا يوقع بأحد من سكانها .

ثالثاً : يسافر عبد الله بن سعود إلى مصر ومنها إلى الآستانة نزولا برغبة السلطان[2] .

ووقع على الاتفاق من كلا الجانبين ، وبإنتهاء التوقيع انتهى عصر الدولة السعودية الأولى سياسياً . ولم يكتف محمد على بهذا الإنهيار والتسليم وإنما رفض قبول الشرط الثانى من الاتفاق وأرسل إلى إبنه إبراهيم تعليمات تقضى عليه بأن يهدم الدرعية وحصونها وأسوارها ويخرب منازلها[3] . ويذكر الكابتن سادلر Sadlier مبعوث حاكم الهند إلى إبراهيم أنه حينما التقى معه بالقرب من المدينة ذكر له أن أوامر حرق الدرعية وتخريبها إنما صدرت من

(*) الطريف : حى من أحياء الدرعية .

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) أمين سعيد ، الدولة السعودية الأولى ، ص ١٤٠ .

(٣) عبد الرحمن الرافعى ، المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

الباب العالى وليس من والده[1] ، ولا يستبعد ذلك فإن أوامر الباب العالى لمحمد على فيها ما يؤكد هذه الرواية .

نفـذ إبراهيم تعليمات والده . وخرب الدرعية وأشعل فيها النيران فأصبحت أثراً بعد عين ووصل عبد الله بن سعود إلى مصر فى ١٧ محرم ١٢٣٤ هـ ـ ١٦ نوفمبر ١٨١٨ م فاستقبله محمد على فى قصره بشبرا بالبشاشة وقال له « ما هذه المطاولة » فرد « الحرب سجال » فقال له « وكيف رأيت إبراهيم » فرد « ما قصر وبذل همته ونحن كذلك حتى كان ما قدره المولى » فقال محمد على « أنا إن شاء الله أترجى فيك عند مولانا السلطان » فقال عبد الله « المقدر يكون » فألبسه محمد على خلعة وقدم له عبد الله ما كان فى حوزة أبيه من نفائس الحجرة النبوية وكان قد اصطحبها معه فى صندوق صغير[2] . وفى ١٩ محرم ١٢٣٤ هـ ـ ١٨ نوفمبر ١٨١٨ م سافر عبدالله بن سعود إلى الآستانة ليلقى مصيره المحتوم على يد جلاديها .

أما إبراهيم فبعد أن أدى مهمته وأعلنت له المدن النجدية الأخرى ولاءها عاد إلى القاهرة فى ٢٢ صفر ١٢٣٥ هـ ـ ٩ ديسمبر ١٨١٩ م فاستقبل بكل مظاهر الحفاوة والتـكريم .

ونختم حديثنا ببيان العوامل التى نرى أنها عاونت على سقوط الدولة السعودية الأولى وسنناقشها فيما يلى بإيجاز :

أسباب سقوط الدولة السعودية الأولى :

أولا : عدم تـكافؤ القوة الحربية السعودية لقوة الجيوش المصرية . حقاً

---

(١) Sadlier, G.F., Diary of Journey across Arabia, p. 83.

(٢) عبد الرحمن الجبرتى ، ج ٤ ، ص ٢٩٩ .
انظر ، التاج المكلل ، ص ٣٠٩ .

إن القوات السعودية كان لها دائماً التفوق العددى ، ولـكن من حيث أساليب القتال وطرقه الفنية والأسلحة الجيدة والمدفعية القوية ووفرة كميات الذخيرة والقيادة المحنكة فى كل هذه الجوانب كان التفوق للقوات المصرية . بالإضافة إلى أن القوات السعودية لم تحاول أن تستفيد من الأخطاء التى وقعت فيها القوات المصرية ، أو من الظروف السيئة التى أحاطت بها فى بعض الأوقات . فى الصفراء . الرس . الدرعية . مما أدى إلى تدهور مركز القوات السعودية يوماً بعد يوم حتى سقوط الدرعية .

ثانياً : النزعة القبلية ، فـكثير من القبائل العربية التى خضعت لنفوذ آل سعود كانت دائماً تسعى إلى الخروج عن طاعة الدولة ، ولم تـكن هذه النزعة مقصورة فقط على القبائل الحجازية والأحسائية والعمانية وإنما شملت القبائل النجدية نفسها ، فهى نزعة قبلية عامة ، نجحت القوات المصرية فى إستغلالها وأزكتها بإغداقها على مشايخ القبائل وأفرادها بالمال والـكساوى والرشاوى . وقد سبقت الإشارة إلى أن القوات المصرية لقيت الـكثير من مساعدات القبائل العربية فى أثناء تقدمها صوب الدرعية بل إن المعلومات التى حصل عليها إبراهيم باشا فى أثناء حصاره للدرعية من بعض أهل نجد كانت من أبرز العوامل التى ساعدته فى إنجاز مهمته وعجلت بانهيار مقاومة الدرعية وسقوطها فى يده ، كما مر بنا .

نتائج سقوط الدولة السعودية الأولى :

أولا : إنهاء الـكيان السياسى للدولة السعودية لفترة معينة وإن بقيت مبادىء الدعوة السلفية راسخة فى نفوس بعض أتباعها الذين عملوا على نشرها ، ونجحوا فى ذلك إلى حد كبير فقد تأثر بها بعض علماء الأقطار الإسلامية الأخرى ونقلوها إلى بلادهم ، فالحركات الإصلاحية التى قامت فى العالمين الإسلامى والعربى تأثرت كثيراً بمبادىء الدعوة السلفية .

ثانياً : ترتب على إنهاء الكيان السياسي لآل سعود وسقوط دولتهم إزدياد نفوذ محمد على ، التي أصبحت سيطرته تمتد على معظم الأراضي التي كانت تحت حكم آل سعود في جزيرة العرب ، وبالإضافة إلى إعلاء مكانته في نظر العالم الإسلامي ، وتوطيد حكمه في مصر فلم يعد السلطان العثماني يجرؤ على القيام بأي محاولة لزحزحته عن ولاية مصر وإنما أصبحت فرامانات الولاية تتجدد له سنوياً دون أدنى إعتراض .

ثالثاً : ترتب على إنهيار الدولة السعودية أيضاً ازدياد تطلع النفوذ الإستعماري إلى سواحل الخليج وسعي بريطانيا إلى توطيد نفوذها على السواحل العربية ولهذا عارضت بشدة في إحتلال القوات المصرية لساحل عمان وجزر البحرين « وكلفت قنصلها في الإسكندرية بإبلاغ محمد على ، عزم بريطانيا على التدخل بالقوة لو حاولت القوات المصرية غزو هذه المناطق »[1] مما سيؤدي بدوره إلى الاصطدام بين السياسة البريطانية ومحمد على حتى انسحاب قوات مصر من الجزيرة العربية عام ١٨٤٠ م على إثر التدخل الأوربي المسلح ضدها[2]. *

---

(١) أحمد محمود صبحي ، البحرين ودعوى إيران ، ص ٩١ .

(٢) محمد محمود السروجي ، موقف مصر إزاء بعض مشاكل شبه الجزيرة ، ص ٨٠ .
محمد شفيق غربال ، منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية ، ص ٩١ .

(*) تفترض بعض المصادر أنه كان من خير الإسلام والعرب لو تعاون كل من محمد على وآل سعود لأنها ترى في كل من الطرفين ثائراً ضد الدولة العثمانية [و]لهما هدف واحد هو إعادة مجد الدولة الإسلامية من الناحية الدينية ومعتمدين في ذلك على أساس عربي ، ولكن يمكن الرد على هذا الافتراض بأن اتجاه كل من الطرفين كان يختلف عن الآخر ، بالإضافة إلى أنه لا يمكن إعتبار محمد على ثائراً ضد الدولة حتى إنهيار الدولة السعودية وتحطيم الدرعية . وأيضاً كما مر بنا أن عبد الله بن سعود حاول أن يعلن تبعيته للدولة العثمانية وفشل في ذلك نتيجة لإصرار محمد على على تحطيم الدرعية .
أنظر بخصوص هذا الرأي :
محمد رفعت ، التوجيه السياسي للفكرة العربية الحديثة ، ص ٢٦ — ٢٧ ؛ جلال يحيى المدخل إلى تاريخ العالم العربي الحديث ، ص ٩٨ .

الملاحق

ملحق (١)

مطالب محمد على من الدولة

دفتر رقم (١) مهمة تركى صفحة ١١ ، ١٢ وثيقة رقم (٨)

بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣ هـ — ٩ مارس ١٨٠٨ م

صورة القائمة الموضوعة على الدفتر المقيد فى الذيل :

إن الأشياء المذكورة المسطورة فى الدفتر المقدم إلى موطىء أقدام الدولة الأبدية المدة مطوياً داخل عريضة هذا الخادم المطيع ضرورية الورود من الدولة العلية ، على كل حال كما تقضى بذلك الحاجة لأنها على تقدير إجراء ابتياعها من هنا يكون إبتياع كل ذراع من الجوخ بخمسة وعشرين قرشاً اليوم ، بسبب أسفار الدول الحربية الجارية ، ولا تكاد توجد أصلا الأشياء المذكورة فى الدفتر من الأجناس وغيرها ، على تقدير عدم إجراء المصالحة معهم من الآن فصاعداً ، أما ما احتاج إلى تجهيزه من المصروفات من هنا فما يوجد بمعية خادمكم المطيع من العساكر البالغ عددهم عشرة آلاف جندى لأجل الحركة والقيام على الخارجى ، حيث أن ما ينوف على النصف منهم فرسان خيالة يزيد عدد المستخدمين السواس والجمالين وعكا[1] الجيش وسقاتهم على ثلاثين ألف شخص ، وأجرة مصروفات ستة آلاف جمل لنقل ما يحتاج إليه من المؤن لطعامهم اليومى لكل يوم ، وثمن مائتى ألف أردب من الغلال لستة أشهر فى المحل المبارك وثمن أربعمائة ألف أردب من الغلال لسنة بالمحل المذكور وأجرة مهارى لنقلها براً إلى مرفأى القصير والسويس ومصروفات السفن أيضاً لإرسالها إلى ينبع وجدة ، والعطايا الضخمة لأغوات الداخل والخارج ، وسائر

(١) هكذا فى الأصل (عبد الرحيم) .

الرجال الأميرية وعلوفات عساكرنا ومعيناتهم على حساب مائة وخمسين ألف خرج [1] ومصروفات عمارة خمسة قلاع لوضع الذخائر فيها إلى أن تصل من مصر إلى الحجاز والصرر والعطايا على المعتاد القديم لطائفة العربان الواقعة في في الطريق ولأهالى مكة والمدينة ولحضرة شريف مكة والصرر فوق المعتاد، لجلب قلوب العربان بإعطائها على حسب الاقتضاء أحياناً والحاصل أن إعطاء هذه المصروفات يحتاج إلى خمسة وثلاثين ألف كيسة نقدية أو إلى أربعين ألف كيسة نقدية وتصرف هذه المبالغ خدمة لديننا ودولتنا بناء على أنها تكون سبباً لإنجاز المصلحة الخيرية ومع ذلك قد بقيت الأقاليم شراقى من قلة الماء في هذه السنة المباركة .

---

(١) الخرج : يوازى عشر التذكرة من الاعيان . كان مصطلحاً عليه قبل ربط العساكر بالرواتب (المترجم زهدى الكوثرى) .

صفحة ١٢ من دفتر رقم (١) من محفظة تركى

دفتر لوازم ستة أشهر للجيش الذى يرتب للحجاز تبين تلك اللوازم وتذكر على الوجه التالى*

رقم مسلسل	اسم الصنف المطلوب والهدف من طلبه	العدد المطلوب	ثمن الوحدة بالقروش	ثمن الكل المطلوب بالقروش	الثمن الكلى بالكيسة* والقروش	
					قرش	كيسة
١	غلال ستة أشهر عن ألف وثمانمائة وثمانية وثمانين أردباً كل يوم لاثنين وأربعين ألف إنسان وحيوان .	٤٣٩٨٤٠ أردب	١٠ قروش	٣٣٩٨٤٠٠ قرشاً	٤٠٠	٦٥٩٦
٢	كراء جمال الغلال الباقية التى ترسل من طريق البحر بعد إفراز خمسين ألف أردب لتنقل بطريق البر بالمعية من مجموع ثلاثمائة وتسعة وثلاثين ألف اردب وثمانمائة وأربعين اردباً .	٢٨٩٨٤٠ أردب	٥ قرش	١٤٤٩٢٠٠ قرشاً	٢٠٠	٢٨٩٤
٤	كراء السفينة لأجل مائتين وتسع وثمانين ألف وثمانمائة أردباً من الغلال ترسل بطريق البحر إلى جدة وينبع ومويلح .	٢٨٩٨٤٠ أردب	كل واحد منها ٣ قروش	٨٦٩٥٢٠ قرشاً	٢٠	١٧٣٩

(*) رتبنا المطلوبات فى جدول ليسهل على القارىء معرفتها لأنها مكتوبة فى الدفتر بصورة غير مرتبة .

(*) كيسة : خمسمائة قرش فى اصطلاح ذلك العهد ، المترجم محمد زهدى الـكوثرى .

رقم مسلسل	اسم الصنف المطلوب والهدف من طلبه	العدد المطلوب	ثمن الوحدة بالقرش	الثمن الكلى للصنف المطلوب بالقروش	الثمن الكلى بالكيسة والقروش	
					قرش	كيسة
٤	أكياس غلال بمقدار خمسين ألف زوج لنقل هذا المقدار من الغلال فى مرات بطريق البحر وخمسة وعشرين ألف زوج لحملها بالجمال من البر أيضاً .	٧٥٠٠٠ أكياس حبوب	فى قيمة ٣ قروش	٢٢٥٠٠٠ قرشاً	—	٤٥٠
٥	القرب اللازمة لماء الشرب لواحد وأربعين ألف أو إثنين وأربعين ألف إنسان وحيوان	٢٠٠٠٠	لم يذكر ثمن الواحدة	١٨٠٠٠٠ قرشاً	—	٣٦٠
٦	الشال الكشميرى اللازم لجلب عربان العرب واستمالتهم من الأعلى والأوسط والأدنى .	٥٠٠ شال	سعر الشال ٢٥٠	١٢٥٠٠٠ قرشاً	—	٢٥٠
٧	جبب خفيفة (كراكه) على ألوان من الجوخ مقصبة مطرزة يميناً وشمالا لجلب العربان .	٥٠٠ جبة	سعر الجبة ٨٠ قرشاً	٤٠٠٠٠ قرشاً	—	٨٠
٧	فرجيات رسمية لاجل الركوب (بنش) على ألوان لجلب العربان المذكورة أيضاً	٥٠٠ بنش	سعر البنش ٤٠ قرشاً	٢٠٠٠٠ قرشاً	—	٤٠
٩	فراء سمور لإلباسها حضرة الشريف وكبار مشايخ حرب وجهينة وبعض الأشراف أعلى ووسط وأدنى .	١٠ فراء سمور	١٠٠ قرش	١٥٠٠ قرشاً	—	٣

رقم مسلسل	اسم الصنف المطلوب والهدف منه	العدد المطلوب	ثمن الوحدة بالقروش	الثمن الكلي للصنف المطلوب بالقروش	الثمن الكلي بالكيسة والقروش	
					قرش	كيسة
١٠	(كراكات) جبب خفيفة جوخ وفرجية لإلباسها مشايخ العربان والعلماء والخطباء.	١٥٠ كراكة	سعر الواحدة ٥٠ قرشاً	٧٥٠٠ قرشاً	—	١٥
١١	جهاز فرس (سرج) مزركش كامل التطريز مستوفى العدة من لجام وركاب وغطاء على الجارى إعطاؤها لحضرة الشريف وكبار المشايخ كما هو المعتاد.	جهاز كامل (طقم) (٥)	سعر الواحدة ٣٠٠٠ قرشاً	١٥٠٠٠ قرشاً	—	٣٠
١٢	ما يحتاج إليه ثلاثة عشر الف شخص أو أربعة عشر الف شخص من الخيام، ثلاثة آلاف خيمة. ١٠٠٠ خيمة ذات مظلة، ١٠٠ قبة خضراء، ٥٠٠ خيمة خفيفة ذات عمودين، ١٠٠ قبة بيضاء، ٤٠٠ خيمة خضراء.	المجموع ثلاثة آلاف ٣٠٠٠	لم يذكر	لم يذكر	—	(٥٠٠) على وجه التخمين بالجملة
١٣	جهاز مطبخ كامل العدة وقناديل ومفروشات وسائر اللوازم لمن يكون القائد العام على العساكر (سر عسكر)	١ بجميع لوازمه	٢٥٠٠٠ قرشاً	٢٥٠٠٠ قرشاً	—	٥٠

رقم مسلسل	اسم الصنف المطلوب والهدف من طلبه	العدد المطلوب	ثمن الوحدة بالقروش	الثمن الكلى للصنف المطلوب بالقروش	الثمن الكلى بالكيسة والقروش	
					قرش	كيسة
١٤	البغال اللازمة للمشاة بمعية القائد العام ليتمكنوا من السير مع الفرسان (وعدم تأخرهم عن الفرسان الخيالة) .	١٠٠٠ بغل	سعر البغل ٢٠٠ قرش	٢٠٠٠٠٠ قرشاً		٤٠٠
١٥	فيكون مجموع أثمان جميع المطلوبات	—	—	—		١٣٤٣٥* كيسة

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

محمد زهدى الكوثرى

* أى أن ما يعادل ١٧٥ر٦٧ جنيهاً على أساس أن قيمة الكيسة

ملحق (٢)

اقتراحات يوسف كنج الخاصة بحرب آل سعود

محفظة (١) بحر براً وثيقة (٨) بتاريخ ١٩ صفر ١٢٢٣ هـ — ١٦ أبريل ١٨٠٨ م
من كنج يوسف باشا والى دمشق إلى محمد على والى مصر (كنج = شاب)

حضرة صاحب الدولة والكرم والإحسان والإنسانية وذوى القوة والشجاعة والرجولة والمهابة والعظمة سيدى الحاكم الأعظم والأكرم وعزيزى الوزير الجليل الشأن صاحب المقام الرفيع .

يتشرف محبكم الصادق هذا الذى يتمنى لكم بصدق وإخلاص طول البقاء ودوام العمر بأن يعرض على مسامعكم الكريمة أنه مواظب على الدوام على رفع الدعوات الطيبات إلى الله الرب المتعال الذى يحقق الآمال أن يجعل هالة البدر المنير لطلعتكم اليوسفية تزداد نوراً وتتسع دائرة نورها اتساعاً حتى يصل النور إلى السموات السبع العلى وأيضاً أن يجعل ذاتكم الحيدرية الصفات التى هى جوهرة ترمز إلى المجد والعظمة زينة يزداد بها جمالا وبهجة الأكليل المرصع لجاه العظمة والمهابة وأيضاً أن يكلأ شخصكم الكريم بعين عنايته وحسن رعايته ليصونكم من كل سوء فى كل وقت وحال .. وبعد فإن محبكم هذا الذى يمضى أوقاته كل يوم فى الصباح والمساء بترطيب لسانه بذكر مناقبكم العطرة وبترديد محاسن أوصافكم البهية والذى يكن فى سويداء قلبه منذ وقت بعيد الصداقة الخالصة لذاتكم الكريمة صاحبة الشرف الباهر بينما كان مترقباً سنوح فرصة سعيدة يغتنمها فى تلقى الأخبار السارة عنكم من أن الصحة والعافية على أتمهما وأن نجم مجد دولتكم قد أخذ يعلو فى سماء المجد ويزداد فيه لمعاناً وبريقاً إذ به يحظى مؤخراً بتلك الفرصة السعيدة إذ تشرف بتسلم تحريراتكم السامية التى بعثتم بها إليه فعلم منها أن سعادة الأخ عبد الكريم أغا المابين

الهمايونى (المابين الهمايونى = الجناح الخاص لاجتماع الوزراء ومقربى السلطان بقصره وكذلك الخاص لانتظار من يريد مقابلة السلطان) قد قدم مؤخراً إلى لدن دولتكم من الآستانة موفداً من قبل جلالة السلطان ملك الملوك فى العالم وأنه قد سلم لكم الهدايا العظيمة المباركة التى أهدى بها إليكم جلالة السلطان والتى أصبحتم بشرف نيلها من السعداء وأبلغكم النطق الشفوى الكريم الذى أصدره جلالته إليكم من أن جلالته جد مرتاح منكم وراض عنكم ومعجب حق الإعجاب بالخدمة الجليلة التى قمتم بها إذ أخمدتم فتنة أمراء مصر القاهرة (المماليك) تلك الفتنة التى أثارها أولئك الأمراء بشقهم عصا الطاعة على الدولة فسلطتم على رؤوسهم حسامكم البتار للعدو فحسها حساً بل التقمها إلتقاماً مثلما يلتقم الحوت الأسماك فى معركة حاسمة بينكم وبينهم فزالت الفتنة بذلك بفضل عطف جلالة السلطان عليكم وببركة الدعوات الصادقات الصادرات عن قلوب أخلائكم الذين يريدون لكم الخير ويعملون على أن ينالوا المزيد من ودّ دولتكم ومحبتكم لهم ، وعاد الأمن والأمان يسودان مصر القاهرة من جديد ، ولله الحمد والمنة . كما أبلغكم كذلك أن جلالة السلطان قد استبشر بهذا النجاح الباهر الذى كان حليفكم فى القضاء على فتنة أولئك العصاة واستهل به استهلالا طيباً فأمركم بأن تستلوا حسامكم البتار للعدو هذا مرة أخرى وتقاتلوا به كذلك طائفة الوهابيين الذين قد انحرفوا منذ وقت ليس بقصير عن سبيل الطاعة وسلكوا سبيل العصيان والطغيان واستولوا على الحرمين المحترمين عنوة وعاثوا فيهما فساداً وتجاسروا على ارتكاب أفعال وحشية تشمئز منها النفوس الأبية الطاهرة وتحسوا به كذلك رؤوس هؤلاء العصاة الطغاة مثلما حسستم به رؤوس أمراء القاهرة المذكورين قبلا حتى تزول فتنتهم من أرض الحرمين الشريفين وتتطهر الأرض من فسادهم ودنسهم . هذا وأنه قد غادر سعادة الأخ المشار إليه مصر القاهرة لانتهاء مهمته وأنكم سلمتم له ميثاقاً خطياً منكم لجلالة السلطان مصدقاً عليه بخطكم الكريم بأن أمر جلالته إليكم على الرأس والعين وأنكم

ستنفذون الأمر بكل رغبة وقبول وأنكم ستنصرون الدولة العلية التى تتمنون لها الدوام الأبدى وستبذلون جهدكم فى مقاتلة أولئك الوهابيين الخوارج وفى سبيل إجلائهم عن أرض الحرمين الشريفين وإنقاذ هذه الأرض وأهلها من شر هؤلاء الخوارج وفسادهم ... وأنه بما أن مهمة مقاتلة هؤلاء الخوارج والعمل على إجلائهم عن الأرض المقدسة المذكورة لمهمة جد عظيمة تتطلب أن يسام فيها كل مخلص صادق غيور على عرضه وشرفه مسارع إلى أداء واجبه نحو دينه وملته بصدق وإخلاص فإن دولتكم تطلبون منى أن أساهم فيها أنا كذلك وأساعدكم على أن تكون مساهمتى ومساعدتى بتوحيد الجهود فيما بيننا وبالاتفاق بيننا على ميعاد مناسب ومبكر نضرب فيه العدو ضربتنا فى آن واحد كل واحد منا من جانبه بالعتاد والقوة اللذين يكون قد أعدهما لتأدية هذه المهمة لأننا إذا وحدنا جهودنا فى تأدية هذه المهمة وساعد بعضنا البعض وضربنا العدو فى آن واحد نكون حينئذ قد ملكنا الوسائل الكفيلة لتدمير العدو ودحره من كل جانب وأيضاً أسباب نصرة دين مولانا وسيدنا وصفوة خلق الله فى الدنيا والآخرة محمد المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وأسباب إسعاد دولتنا ونيل رضاء الله تعالى عنا وحيازة إعجاب جلالة السلطان بعملها وتقديره الحسن له تقديراً عظيما . وعليه فإنه لم يكد يقع بصرى على الأسطر التى تضمنت هذه الأنباء السارة العظيمة حتى خيل إلى من شدة الفرح الذى أحسست به لكأنها اليواقيت وقطع المرجان قد نظمت تنظيما بديعاً فى تحريراتكم السامية هذه لتزف إلى هذه الأنباء الجليلة فشعرت بسرور بالغ عظيم لا يسعفنى القم ولا اللسان أن أصفه لدولتكم إذ أنها قد أزالت عنى فوراً بل أقول قد أزاحت عن قلبى الحيران المتعذب الذى كان قد أشرف على الهلاك جميع الآلام والأحزان والهموم والغموم التى انتابته من جراء سوء الأحوال ومعاكسة الحظ فدبت فيه من جديد حياة جديدة فأخذ يدق دقاً قوياً كما مسحت عن مرآة خيالى التى كانت تنعكس عليها الآمال التى تريد تحقيقها ذلك الصدأ الذى كان قد غطى

عليها ، وحال دون انعكاس الآمال عليها حتى الآن ، فأصبحت والحمد لله والمنة صافية براقة مستعدة لتنعكس عليها الآمال من جديد أسأل الله سبحانه وتعالى أن يطيل بقاء حضرة صاحب الجلالة والقدرة العظيمة والأبهة والكرامة مولانا ومليكنا وولى نعمتنا وأن يجمل جلوس جلالته على عرشه السعيد قريناً بالخلود أبد الآبدين ودهر الداهرين وأن يجزل له العطاء ويلهمه التوفيق وسداد الرأى فى تصريف شئون ملكه ويذل أعداءه الذين يريدون له السوء ويرسل عليهم النكبات على الدوام آمين .

يا سيدى يا من شعاره المروءة والإنسانية يا من يبادر إلى لقائه الملهوف وإنقاذ من حلت به الضائقة إن الخطة التى كان محبكم الصادق هذا الذى يغار على الشرف ويسعى فى حفظه قد اقترح على الدولة العلية منذ سنة أن تتبعها فى طريقة مقاتلة العدو الوهابى هذا فى أرض الحجاز وإجلائه عنها والتى كان قد كتب عنها للدولة المرة بعد المرة وألح على تنفيذها إنما كانت نفس هذه الخطة التى أشرتم إليها الآن دولتكم فى تحريراتكم السامية هذه إذ إنى طلبت من الدولة أن يكون الهجوم على طائفة الوهابيين من جهات ثلاث بدلا من جهة واحدة وعلى معقلهم نفسه الذى هو مدينة الدرعية وفى ميعاد واحد قبل موسم الحج تتفق عليه الجهات الثلاث وهذه الجهات هى جنابكم الحيدرى مثال البطولة والشجاعة وأخونا الوزير الجليل والى مدينة بغداد التى هى دار الجهاد ذلك الوزير الخطير الذى أعتبره نظيراً للحكيم أرسطو فى تصريف أموره وتدبيرها بالسياسة والحكمة . ومحبكم الصادق هذا بحيث يبدأ كل واحد منا الهجوم على الدرعية من جهته فى الميعاد الذى نتفق عليه بالقوة العسكرية والعتاد الحربى الذى يكون قد انتهى من إعداده لغاية حلول الميعاد المتفق عليه . ويراعى أثناء الهجوم كذلك نظام توحيد الهجوم فى جيش واحد حتى يكون الهجوم موحداً منظماً والضرب كذلك مركزاً قوياً هذا كما أوضحت للدولة العلية الأهمية العظمى

لهذا الهجوم الذى سيكون على الدرعية معقل العدو نفسه من جهات ثلاث وبينت لها أنه هو الذى سينقذ الحرمين المحترمين نهائياً من أيدى الطغاة بإذن الله تعالى وبكل سهولة عندما تهجم الجيوش الثلاثة على الدرعية من جهات مصر والشام وبغداد وتنقض عليها أسراباً أسراباً مثل أسراب البوم والغربان تنذر الخراب والدمار وتدكها دكاً وتدمرها بعون الله المنتقم القهار . إلا أنه قد تبين بعد ما تقدمت بهذه الخطة للدولة العلية وأوضحت لها أهميتها أنه لم يكن فى الإمكان الشروع فى تنفيذها بسبب العقبة الكؤود التى قامت فى سبيل تدبير المهمات والعتاد الحربى اللازم لتجهز بها القوة العسكرية التى ستكون تحت قيادتى إذ أن هذه المهمات والعتاد لم يكن جلها موجودة عندى بدمشق حتى تجهز بها القوة العسكرية المذكورة فوراً فكان لا بد من الانتظار بعض الوقت حتى أبلغ الآستانة لزوم تدبير تلك المهمات والعتاد من عندها وإرسالها إلى دمشق الأمر الذى قد أخر العمل بالخطة المذكورة بعض الوقت هذا كما وأنه لما لم يكن جائزاً أن تمنع الدولة العلية فى العام الماضى الحجاج المسلمين عن تأدية فريضة الحج وأن تكف عن إرسال الصرة المخصصة لفقراء الحرمين المحترمين وعن إرسال النقود المخصصة للعرب التى ترسلها عادة إلى الحجاز كل سنة كان لا بد للدولة من أن تصرح لحجاجها بأن يسافروا إلى الحجاز لتأدية الفريضة ومن أن ترسل الصرة ومخصصات العرب إلى هناك كالأول فأصدر جلالة السلطان فى العام الماضى أمره الكريم بأن يسافر الحجاج وترسل الصرة والمخصصات المذكورة إلى الحجاز من الشام إرسالا سلميا تحت إمرة شخص آخر بدلا عن محبكم الصادق هذا وذلك تجنباً من حدوث قيل وقال بين الناس قد يسىء سمعة الدولة فنفذت أمر جلالته بحذافيره إذ أرسلت على الفور الحجاج والصرة والمخصصات إلى الحجاز إرسالا سلمياً تحت إمرة شخص آخر بدلا منى حسب أمر جلالة السلطان ثم جاءت الأخبار وليتها ما جاءت بأن الحجاج ما أن وصلوا إلى مكان يبعد نحو ثلاثين ساعة من أرض الحرمين المحترمين حتى

فوجئوا بجنود طائفة الوهابيين هؤلاء مرابطين هناك وأنه قد اقترب منهم هؤلاء الجنود وأخذوا منهم الصرة والمخصصات المذكورة ومنعوهم من دخول المكان ومتابعة السفر إلى الحرمين المحترمين وقالوا لهم لا يجوز لكم دخول الأرض المقدسة لأنكم مشركون أنجاس وقرءوا عليهم الآية الكريمة « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام » وأنذروهم أن يعودوا أدراجهم فعاد هؤلاء الحجاج المساكين من هناك مقهورين مهانين دون أن يتمكنوا من تأدية فريضة الحج ومن الوقوف بعرفات بعد ما تكبدوا المشاق الجسام ليصلوا إلى هناك على أمل أن يؤدوا الفريضة ويقفوا بالعرفات بينما لم يمنع هؤلاء الجنود الإيرانيين الذين وصلوا إلى هذا المكان من إيران من دخول المكان ومتابعة السفر إلى مكة والمدينة لتأدية الفريضة وأداء فريضة الحج والوقوف بعرفات . وأن هؤلاء الجنود إنما فعلوا ذلك بحجاج الدولة العلية أى أنهم تصرفوا معهم بهذا التصرف الشاذ الكريه الذى يثير الدهشة والحيرة فى العقول والاشمئزاز والكراهية فى النفوس لأن كبير طائفتهم ذلك الحسود اللدود الذى يحسد جلالة السلطان على خلافته للمسلمين والذى يحقد حقداً كبيراً على الدولة العلية من أجل ذلك ونادى بنفسه أنه هو الخليفة الشرعى للمسلمين قد أصدر إليهم أمراً مشدداً بأن يفعلوا ذلك بحجاج الدولة العلية مما استنتجنا من هذا التصرف أن معاملة جلالة السلطان الطيبة له نعم معاملة جلالته الإنسانية اللطيفية هذه لم تستطع أن تخرق غشاء الحسد الذى أحاط بقلب الحسود من كل جانب حتى ينفذ فى القلب فتؤثر فيه بعض التأثير ليميل لحب الدولة أو لاحترامها أو لنبذ العداوة أو ترك البغضاء من أجلها على الأقل ، وأن الحسود ما زال مستمراً فى عدائه وبغضائه للدولة وجلالة السلطان ومصراً على عناده فيهما أسأل الله تعالى أن يؤيد الدين والدولة العلية وأن يطيل بقاء إخوانى المسلمين آمين .

وبعد فإننى إذ كنت قد اقترحت على الدولة العلية الأبدية الاستقرار ، أن

تنفذ الخطة المذكورة فى مقاتلة طائفة الوهابيين وإجلائهم عن الأراضى المقدسة فإنما اقترحتها بقصد لفت نظر الدولة إلى ما فيه سهولة التنفيذ لتحقيق مصلحتها لا بقصد السعى وراء تحقيق أية مصلحة أخرى لأننى ما أن وصل سعادة عبد الكريم أغا المشار إليه إلى دمشق وبرفقته ولدنا عزة سليمان أغا قبوجو قدار أنْدرَونِ دولتكم (الموظف المختص بإدارة شئون حريم محمد على) الذى أفدتموه من المشار إليه حتى اجتمعت بسعادته فوراً بعد الانتهاء من إجراء واجبات استقباله والترحيب به وكلمته بخصوص موضوع الخطة المذكورة وشرحت له أهميتها وعظيم فائدتها وذكرت له أثناء الحديث أننى مسرور جداً من دولتكم وشاكر لكم على تقديركم لمصلحة الدين والدولة واهتمامكم بها أشد الاهتمام وأننى متضامن معكم فى تحقيق هذه المصلحة وطلبت منه أن يبلغ أسيادنا أولياء النعم فى الآستانة أننى منتظر منهم بفارغ الصبر أن يخبرونى سريعاً بالمهمات والأدوات الحربية التى سبق أن طلبتها منهم واستعجلتهم فى إرسالها إلىّ . هذا وقد غادر سعادته مؤخراً دمشق بصحبة عبيدكم سعاة بريدى الذين أمرتهم أن يرافقوه فى الطريق ويخدموه فيه . كما وأنه قد جاء فى الأوامر العلية التى تلقيتها أخيراً من أسيادنا أولياء النعم فى الآستانة على يد عبدكم أغا سعاة بريدى (كبير سعاة بريده) الذى حضر مؤخراً من هناك أنهم قد اهتموا مؤخراً بتزويدى بالمهمات والأدوات المذكورة إهتماماً بالغاً وشرعوا فعلا فى إعدادها وإرسالها إلىّ بسرعة الأمر الذى استبشرت به واعتبرته فأل خير فبمجرد وصول هذه المهمات والأدوات فى القريب العاجل إن شاء الله تعالى سأشرع بإذن الله فى تجهيز القوة العسكرية التى ستكون تحت قيادتى أثناء تنفيذ الخطة ولن آلو جهداً فى تجهيزها بها وفى سبيل إعدادها إعداداً تاماً حتى تكون معدة ومستعدة للشروع فى تنفيذ الخطة لغاية حلول الميعاد الذى سنتفق عليه إلا أن هناك مطلباً أو رجاء خاصاً لى لدن دولتكم ألتمس أن تعيروه

اهتمامكم الجليل به وكريم عنايتكم به ، وهو أن تكتبوا كذلك دولتكم خطاباً من عندكم للآستانة تستنهضون فيه همتها فى إعداد تلك المهمات والأدوات وإرسالها إلى بسرعة حتى تنشط فى إعدادها وتتعجل فى إرسالها إلى فلا يذهب الوقت هدراً بالتسويف وفتور الهمة فى الحصول عليها حتى حلول ميعاد تنفيذ الخطة . وأيضاً تحثونها فيه على أن تصدر أمرها لوالى بغداد الذى هو قريب من منطقة العصاة هؤلاء ومجاور لها أن يستعد هو كذلك من جانبه للمساهمة فى تنفيذ هذه الخطة وذلك بأن يشرع فوراً فى تجنيد جيش كثيف عنده وأن يتصل بنا على الدوام عن طريق المراسلة حتى يبلغ الخبر إلى العدو فيستولى الرعب على قلبه فيضطرب ويرتبك ولا يقدر أن يعرف كيف يتصرف لمواجهة هذه الجيوش . . . وأخيراً فنظراً لأن ميعاد الشروع فى تنفيذ الخطة قد أخذ يقترب يوماً فيوماً فإن رجائى الخاص أن لا تضنوا دولتكم على بمساعدتكم فى استنهاض همة الآستانة فى إرسال المهمات والأدوات المذكورة التى طلبتها منها حتى نتفادى بذلك إضاعة الوقت فى تنفيذ الخطة وأننى أؤكد لدولتكم أننى سأبذل أقصى جهدى فى سبيل تحضير تلك المهمات والأدوات من الآستانة كما وأننى متضامن معكم فى تنفيذ الخطة ومتفق معكم بشأنها اتفاقاً تاماً وأعطيكم ميثاقاً قوياً ووعداً حقاً صحيحاً مضبوطاً بأننى قد تعهدت على نفسى أن أبذل كل ما فى إمكانى من جهد واستعداد فى سبيل نصرة الدين والدولة العلية وأن أفى بميثاق ووعدى هذين وفاء تاماً وأن لا أنكث بهما مطلقاً هذا وسأراسلكم على الدوام بإذن الله تعالى بكل دقة وعناية ولن أقصر فى مراسلتكم قط ونظراً لأنى أحب دولتكم حباً صادقاً ينبعث من قرارة فؤادى فى الظاهر والباطن ولأنى أعتبركم فى الوقت نفسه كذلك أخاى الأكبر الأكرم الذى سما مقامه العالى فى سماء المجد فوازى منزلة النجم (الثريا) فيه حتى أصبح له بذلك الحق فى أن يفتخر بين أنداده ويمتز به فإننى قد كتبت لكم هذه العريضة لإبلاغكم بها . إننى كتبتها لكم كوثيقة جديدة منى إليكم أجدد بها لكم ميثاق الذى كنت

قد تعهدت به على نفسى على أن أكون معكم على الدوام وأيضاً كخطاب رقيق منى إليكم يتضمن رجاءً خاصاً منى إليكم أن تشرفونى بين الحين والحين بخطاباتكم الكريمة المتضمنة الأخبار السارة عنكم وأننى سلمتها لعبدكم سليمان أغا الموصى إليه وأرسلتها معه إلى جنابكم السامى بمناسبة عودته من عندنا فأرجو أن أكون عند حسن ظن دولتكم وموضع عطفكم كذلك من بعد الآن وتشرفونى بمراسلتكم بين الحين والحين وعلى كل فاللطف والكرم لمن شيم عزيزى الوزير الجليل صاحب الصفات السامية والهمم العالية .

ختم

يوسف

ملحق رقم (٣)

طالب إيالة الشام ليوسف كنج

وثيقة ٤٣ ، دفتر (١) معية تركى ، ص ٧٤

بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ — ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م

صورة القائمة المحررة لرجاء توجيه إيالة الشام لعهدة يوسف باشا كنج (الشاب) مع إطلاقه والإفراج عنه . . .

إن حضرة سليمان باشا والى إيالة صيدا من المماليك يحب جنس المماليك بالطبع ، ولاسيما مماليك مصر ويهوى أن يساعدهم قدر استطاعته ، حتى إنه سوى ما كان يجرى عليه من المكاتبة الدائمة بينه وبين محمد بك الألفى المتوفى من قبل مدة حياته ، وخلا تسببيه لإيراث مضرات كثيرة بنا ، بتحريره الشكاوى فى حق هذا الخادم المطيع إلى الدولة العلية وإلى حضرات أولياء الأمور من غير أصل ولاموجب ، كان هو السبب لفرار طائفة المماليك الذين كانوا استجلبوا إلى مصر وأسكنوا فى العام السابق بالاستئمان والصلح ، على أن يستخدموا فى خدمة هذا العاجز ، كان هو الداعى لعصيانهم بتعليمه الفتنة والفساد لهؤلاء المنطوين عليهما ، بإرسال خطابات التهييج والاستثارة إليهم تفكيراً فاسداً منه فى صرفى وتعطيلى عن مأموريتى بالحرمين حتى صار ذلك باعثاً لوقوعى فى مصروفات كثيرة ، وإن كنت تمكنت من إزالة غائلة المماليك بالسيف ، ولله الحمد بالنظر إلى ما أملكه من القوة والقدرة تحت ظلال رعاية حضرة السلطان وأعطيت المناصب المصرية التى كانت أعطيت لهم ، لعبيدكم أصحاب الخدمات القديمة بمعيتى حتى أصبح هذا التحريك من الوزير المشار إليه والاستثارة منه محض خير ومن قبيل الألطاف فى حق هذا العاجز على فحوى « عسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » لكن عند إرسال ولدى طوسون أحمد باشا مع عساكره المشاة المرتبة بحراً لطرف

الحرمين وعند سفرى قريباً من جهة البر بعده يرجع الوزير المشار إليه إلى عادته القديمة ويتصدى للفتنة من حيث يقصد ولا يبقى هادئاً بل يتوغل فى وجوه الإهانة بمخلصكم بالنظر إلى أنه لا يتمكن من الذهاب إلى جانب الحجاز البتة وإن كان مرتباً لها ، لعدم وجود عسكر ولا قوة عنده وأمضى فى رؤية مصلحتى غير متزلزل أدنى تزلزل من فتنة المشار إليه بناء على أن معتقد هذا العاجز مضمون « من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها » . . . لكن مقتضى المصلحة أن لا يترك خلف من ينتدب ويؤمر بالقيام بأعباء أمور جسيمة ، لم يكن ولم يتيسر لأحد القيام بحقها ، منذ خمس سنين وعشر سنين وعشرين سنة ، ولا فى جواره ، ما يكون شاغلا لأفكاره بوجه ولا مايدعو إلى الملاحظة وانشغال الخاطر فإذا دفع وأزيل الوزير المشار إليه من جوارى ووجهت ولاية الشام لعهدة يوسف باشا كنج مع التفضل بعفو ذنبه وإبقاء وزارته يصبح هذا المخلص مطمئن القلب ويحصل إنجاز مصلحة الحجاز بسرعة وقد اجترىء على هذه الإفادة بناء على أن من مقتضى طبيعة المصلحة ، تسهيل مأموريتى بدفع الأمور التى تحدث غوائل لمخلصكم فى مصلحة الحجاز ، الجسيمة فقط ، من غير أن تحمل إفادتى على الغرض النفسانى فى حق سليمان باشا وعلى التحيز فى حق يوسف باشا لأنى ما كتبت ولا أفدت سوى المواد الواقعية فى حق المشار إليهما خيراً كانت أو شراً من تاريخ وزارتنا لحد الآن وقد ابتدرت إليها لشفاعة فى حق يوسف باشا كنج حسبة لله بالنظر إلى أنه عبد لا ذنب له وإنما لقى الغضب السلطانى بحسب افتراء وبهتان عليه . وحيث التجأ هذا البرىء إلى مخلصكم وهو يعدنى مسموع الكلمة معتبراً لدى الدولة العلية أرجو أن تقترن شفاعة هذا العاجز فى حق المشار إليه الذى لا ذنب له بالقبول لدى الحضرة الملوكية إعتماداً على أن ولى نعمتنا وولى نعم العالم صاحب الشوكة مولاى رحيم الشيم حكيم الخصلة بخلاف السلاطين السابقة وقد قال تعالى :

« والـكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » فأخص رجاء هذا الأحقر دفع سليمان باشا الذى أجزم يقيناً بسعيه فى المفاسد المستلزمة للغوائل والشواغل القلبية فى مأموريتى هذه مأمورية الحرمين وإبعاده من جوارى مع إسعاد يوسف باشا كنج بالعفو والإطلاق وتوجيه ولاية الشام لعهدته عند إحاطة علمكم العالى بأنى لست متحيزاً لهذا ، ولا أنى فى صدد إجراء غرض نفسانى لسليمان باشا من غير سبب موجب . . .

فى ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

ملحق رقم (٤)

خاص بجلب سفن الضاو وعزل سليمان باشا

وثيقة ٤٨ ، دفتر (١) معية تركى ص ٨١

بتاريخ ٥ شوال ١٢٢٥ هـ — ٣ نوفمبر ١٨١٠ م

تحرير متعلق بإرسال مقدار سبعة آلاف جندى من العساكر المشاة مع ست سفن من السويس لحد اليمن لجلب سفن الضاو وبشأن عزل سليمان باشا .

ثم من جملة ما أنا ساع فى إتمام إنشائه من سفنى بمرفأ السويس لأجل مصلحة الحجاز إنشاء ست سفن حربية منها ثلاث سفن كبيرة وثلاث سفن أخرى من صنف الفرقاطة ووضعت فى تلك السفن الست الأشرعة والقلوس والمدافع وسائر الأدوات — فتجهزت وأنزلت فى بحر السويس ولم يبق من نواقصها سوى أدوات الصوارى والأعمدة وأوحى كتخدائنا بالباب العالى عبدكم صاحب العزة نجيب أفندى بأن يرسل تلك النواقص وقد عزم على تسيير تلك السفن المستحضرة فى البحر بإركاب عساكر لهم خبرة بالأمور البحرية وإرسالها أولا لحد اليمن آن ورود تلك اللوازم لأخذ مايصادفونه فى وجه البحر وسواحل جدة وينبع واليمن من السفن والمراكب المعبر عنها بالضاو وجلبه إلى مرفأ السويس فإلى أن تصل إلى المحال المذكورة تلك السفن الست المستحضرة فى البحر التى سترسل إليها عقب ورود ما سلف ذكره من لوازم الصوارى التى يرسلها الأفندى المومى إليه وإلى أن تعود تلك السفن إلى المرفأ المذكور مستصحبة لمراكب الضاو التى تصادفها فى تلك الجهات يتم إنشاء بقية سفنى فتكون جاهزة فى المرفأ المذكور من غير نقصان وعند انتهاء مسألة السفن فى زمن قريب بمنّه تعالى بهذه الصورة توضع فيها الذخائر والغلال الوافية وسائر مهماتنا اللازمة المخزونة المعدة فى المراقى. وتشحن تلك السفن فى الحال ويركب

عليها ولدى عبدكم طوسون أحمد باشا مع عساكرى المشاة المرتب إرسالهم بحراً البالغ عددهم سبعة آلاف جندى تامى العدد وبعد هذا الإرسال لامحالة يتوجه هذا الشاكر لنعمكم المثنى عليكم إلى جهة مأموريتى بالحركة من مصر إن شاء الله؛ ثم إن الله استصحاباً لعساكرى من الفرسان الكلية المتوافرة المرتبين براً فربنا سبحانه أكرم بالتوفيق والسلامة آمين. ومن الجلى الظاهر أن من أساس نظام المصلحة حصر عقلى وفكرى فى تدابير الأشغال الكثيرة الماثلة أمامى بأن لانبقى ولانترك غائلة توجب وسوسة فى الصدر وإخلالا فى الفكر بالنظر إلى كونى مأموراً بالاستقلال ومتعهداً بهذه المصلحة الخيرية الجسيمة مع أن حضرة سليمان باشا المتفضل عليه بإيالة الشام كما هو مبتغاء مستاء غاية الاستياء بناء على حقوق مكاتبته ومصادقته المعلومتين مع أشقياء المماليك من إعمالنا السيوف إلى هذه الدرجة فى الأشقياء المذكورين حتى لو أمكن أن يحول دون تمكينى من إبقاء هذه المأمورية الحجازية بفداء جميع ما يملكه فى هذه السبيل لعدّ ذلك منة كبرى على نفسه بكل فخر ولبذل وأعطى جميع ما يملكه فى آن واحد بغية أخذ الانتقام من طرفنا ولاسيما أن عدة مئات من الأشقياء بقية السيوف مقيمون الآن بولاية السودان فارين من مصر وهم على اختلاف فيما بينهم فى محل استقرارهم حيث ضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ففريق منهم يريد الاندفاع والارتماء نحو تونس والسفر إلى ولاية فرانسة بالركوب من هناك فى السفن. وفريق آخر منهم يختار الانسلال إلى ولاية الوهابية بالدور واللف من إقليم الحبشة وفرقة منهم ينتخبون القصد تواً إلى جهة الوزير المشار إليه بالانسلال من داخل الجبل على اتجاه القدس بتدارك كل منهم هجيناً بإعطاء كافة موجوداتهم ومفقوداتهم فعدل الفريقان الأولان عن رأيهما رأى الذهاب إلى فرانسة ورأى الانتقال إلى بلاد الوهابية واستحسنوا جميعاً الرأى الأخير واستصوبوه واستقر قرارهم على الذهاب إلى الوزير المشار إليه فإذا تحققت

وتأكدت من مضيهم على هذا الاتفاق لامحالة أسلط على جهة العريش وغزة وأرسل إلى تلك الجهات مقداراً من عساكر العربان ليقطعوا السبيل عليهم فحينما يبلغ هذا التصميم من هذا العاجز إلى سمع الوزير المشار إليه لاشك أن يبادر إلى تحرير الشكاوى وتسييرها الى الدولة العلية فى حق هذا الخادم المطيع فظاهر أنه على كل حال لايبقى هادئاً مشتغلا بخاصة أمر نفسه بعد سفرى من مصر بل يتصدى لمفاسد تدعو وتبعث لحدوث اضطراب باطنى لهذا الخادم إيقاعاً لى فى الغلط فى تدابيرى (فيكون بقاء الوزير المشار إليه هناك سبباً مستقلا لبطء جريان المصلحة الخيرية ولتأخر إنجازها) . ومن أجل ذلك سبق تحرير عريضة من عبدكم وتقديمها إلى الباب العالى من عبدكم الافندى المومى إليه كتخدائنا بالباب العالى على رجاء التفضل بالمساعدة لإبقاء مأموريتى بدفع الوزير المشار إليه من إيالة الشام وعندما أحاط علم ولى النعم الذى هو زينة العالم بصورة إهانة المشار إليه ومضرته فى أمر مأموريتى من عريضتنا ومن تقرير الافندى المومى إليه وإفادته أرجو بدفع المشار إليه من الإيالة المذكورة بحمل إفادتنا على مقتضى المصلحة دون إجراء غرض نفسانى له وفى شأن التفضل بإجراء المساعدة والمعاونة الكلية لرؤية هذه المصلحة الخيرية بهذا الوجه .

فى ٥ شوال ١٢٢٥ هـ/٣ نوفمبر ١٨١٠م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

محمد زهدى

ملحق رقم (٥)

طلب إبعاد سليمان باشا من إيالة الشام

وثيقة رقم ٥٦ ، دفتر رقم (١) معية تركى ص ٥

بتاريخ ٥ ذو الحجة ١٢٢٥ هـ - ١ يناير ١٨١١ م

صورة ما حرر إلى نجيب أفندى فقط لدفع سليمان باشا من إيالة الشام .

إن حضرة سليمان باشا هذا ليس على حسن التآزر معنا بل حرر إلى الباب العالى عدة مرات مضيه واستمراره على إجراء مفاسد ضدنا بما يوقع مصالحنا فى اضطراب وارتباك لكن المفهوم أنه ما أجيب لحد الآن إلى طلبنا وإنهائنا حملا لتحريراتنا إلى إجراء الأغراض النفسانية ضده فيا أخى إن حضرة المشار إليه ليس بأكبر منى من أية جهة جهات الشأن والمنصب والاعتبار والرفعة والبطولة حتى أحسده وأنهج معه منهج إجراء الأعراض النفسانية ضدة وما حظيت به بحمد الله تعالى تحت رعاية حضرة السلطان من المساعدات الجليلة والتوجيهات السنية لم ير مثله ولا ناله أى وزير من الوزراء منذ نشأة الدولة العثمانية إلى يومنا هذا وأعرف قدر هذه النعم التى لا تحصى وأديم الشكر عليها فبأى تململ أم بأية وسيلة أكون فى خيال إجراء الأغراض النفسانية ضده فوالله العظيم وبالله الكريم ليس فى عقلى ولا فكرى أصلا ذرة ما من خيال إجراء الأغراض ضده وإنما أجترىء على التحرير إلى الباب العالى مرات لمجرد إفادة ما يوجبه التبصر والروية فى خدمة ديننا ودولتنا وتبين المواد التى تمنع من إنجاز هذه الخدمة لأنى جدمقتنع بأن المشار إليه حيث يعلم أنه لا يقدر على الذهاب إلى الحرمين مع كونه مأموراً أيضاً بذلك ويجزم يقيناً أنى تهيأت من كل الوجوه وتتم هذه المصلحة الخيرية على يدى وحدى يجرى على اتخاذ تدابير فاسدة لإحداث عوائق توجب عدم حركتى مثله ويسعى فى مفاسد تجعلنى

— لاقدر الله — خجلا عند الدولة العلية ساقط الاعتبار . وقد بعث المشار إليه خبراً إلى بقايا المماليك من الاشقياء القليلة الذين طردوا وأجلوا إلى بلاد السودان حيث يغار لهم غاية الغيرة فى وقت إشرافهم على الهلاك تدريجاً من الجوع والعطش قائلا لهم لاتأسفوا فأنا سأريحكم قريباً إن شاء الله تعالى ، فإيصال المشار إليه مثل هـذا الخبر إلى مثل هؤلاء العصابات المكسرة الأجنحة والمقطعة الأصول والفروع أمر يفيد الإمداد لهم بوجوه ، والمضرة الملحوظة من تدبيره هذا وإن كانت راجعة إلى طرفنا صورة ولفظاً فهى عائدة إلى الدين العالى والدولة السنية حقيقة ومعنى . فإن كان المطلوب إنجاز المصلحة الحجازية على الوجه التام كما ينبغى فلتبذل الهمة لذهابى بصرف العناية إلى دفع المشار إليه من إيالة الشام وأما إن كان لايلزم سفرى . ولا أدرى هل يتم الأمر أم لا بالعساكر المرتبين الذين أرسلهم بحراً فيجب أن لا يعزى تقصير إلى طرفنا على تقدير عدم إنجاز المصلحة المذكورة لأن من ضروب الأمثال المعلومة ما يقولون ألف عامل ورئيس واحد . وعند العلم بتوقف ذهابى على دفع المشار إليه من إيالة الشام كما أفدت مرات حسبة لله تفهم مقتضى الحال لحضرات أولياء الأمور إن كان المراد إنجاز المصلحة الخيرية إنجازاً تاما وتحرر ماتقتضيه الإرادة السنية بسرعة إلى طرفنا بإقدام تام وحيث أن هذا هو مطلوبنا المستعجل ، قد حررت هذه القائمة المنبئة عن المودة لإفادة هذه المصلحة وللاستعجال فى مادة الصوارى المحولة لعهدتكم ولأخطار مسألة المدافع المحولة تسويتها — لعهدة حضرة الأغا وكيل الخزينة الهمايونية . وعند وصولها بمنه تعالى نسعى فى مقتضى ذلك وتبذل الهمة فى عدم مصادفة وقت حركتنا لزمن اشتداد حر الصيف بتتميم مصالحنا المذكورة فى أسرع وقت ممكن ...

فى ٥ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ / ١ يناير ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

ملحق رقم (٦)

إظهار أهمية الشام لإنجاز مصلحة الحجاز

وثيقة ٦٤ ، دفتر (١) معية تركى ص ١١٩

بتاريخ غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ — ٢٦ مارس ١٨١١ م

حرر إلى نجيب أفندى حينما ورد إطلاق يوسف باشا كنج :

قد ورد إطلاق يوسف باشا كنج ولم تبق لى أيضاً شبهة أنه ينال بأمله بتعيينه لمنصب لكن ياأخى لم يكن ماحررته ورجوته كراراً ومراراً على هذه الصورة لكن كان مرادى أن هذا الرجل حيث قام وقعد وعاشر مع الوزراء العظام من مدة مديدة فى طريق الحجاز يعرف جيداً أمور تلك النواحى ومصالحها فعلى تقدير إعطاء الشام له خلا وجود أنواع الخيم ذات عمود واحد وغيرها والحيوانات وسائر المهمات عنده من ملكه كنت أعطيه عدة آلاف فارس مع معيناتهم فيزحف من طرف الشام وتقع حركتى أيضاً من مصر بقوى كلية لنسعى فى إنجاز المصلحة الجسيمة بسهولة حتى نخدم لسلطاننا ولديننا ونقوم بخدمة عظيمة فلو كان يوسف باشا كنج هذا عين للشام على وفق طلبنا لكانت المصلحة تخرج إلى حيز الوجود بكل سهولة حيث يشهد الله أن سليمان باشا لايقوم (بخدمة المصلحة الحجازية) . وأما المصلحة الحجازية فخلا أنه قد صرف فى سبيلها لحد الآن مقدار أربعة آلاف كيسة نقدية من غير مبالغة احتاج بالضرورة إلى جلب مقدار أربعة آلاف جندى من المشاة من طرف ولايتى وسائر المحلات بناء على أنه يرسل أكثر عساكرى الموجودة عندى إلى جهة الحجاز حسب كمال تخوف واحتياطى وتحرزى من مهاجمة دول النصارى وتسلطهم وإن كان يكفى ماأبقيه من العساكر بمصر وبموانئها كافياً

ووافياً لمحافظة أمور المملكة حيث بعث أوراقاً متعددة إلى مرافىء الروم (أناضول) وأرسلت مندوباً وورقاً أخر أيضاً إلى روملى لاستجلاب هذا المقدار من الجنود وبالنظر إلى أن جاب هؤلاء الأربعة آلاف من الجنود إنما هو ترتيب يعود إلى مصلحة الحجاز وفى سبيلها يعلم عند الملاحظة بأى مقدار من التعيينات أو المصروفات يمون مثل هذا المقدار العظيم من العساكر فى السنة فلو علموا أنه لاشك أن كل هذا السعى وهذا الاجتهاد وهذا التناثر وهذا الانتشار كلها إنما هى لأجل الخدمة الحجازية وأن سليمان لايقوم بخدمة الحجاز فعزلوه فى حينه وأعطوا اليوسف باشا هذا أرسله البتة من طرف الشام بتجهيزه وتدارك لوازمه وكان على ذلك وعلى رقبتى وفق تحريرى وأقوم أنا من هذا الطرف بتنظيم مقتضيات التدبير اللازم من وراء ولدى الباشا المومى إليه على ما هو اللازم والحاصل أن هذه الصورة تكون صورة حسنة لإنجاز المصلحة بسرعة فلا يحملن إشعارنا هذا على نكولنا وحينما يستمر ولدى المومى إليه فى طريق ذهابه حيث يقام من بركة الحج قريباً ذاهباً إلى الجانب المقصود بطريق السويس فأنتم يلزم عليكم أن تتخذوا قراراً وجيهاً لهذه الصورة حالا بالاستشارة مع بعض الناصحين لنا ومريدى الخير بنا وأن تسعوا جهدكم فى تنظيم ذلك .

فى غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٢٦ مارس ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

ملحق رقم (٧)

خاص بسفر حملة طوسون

وثيقة ٧٢ ، دفتر (١) معية تركى ص ١٧٢

بتاريخ غرة رمضان ١٢٢٦ هـ — ١٩ سبتمبر ١٨١١ م*

صورة القائمة المحررة إشعاراً عن خبر حركة مولانا صاحب الدولة طوسون أحمد باشا من بركة الحج مع جيشه

وكان أنهى سابقاً إلى الباب العالى وعرض إركاب العساكر فى ثلاث وستين سفينة وإرسالهم بحراً إلى الحجاز تحت قيادة الأغوات رؤساء البوابين (الحجاب)** — المستخدمين بمعية هذا الخادم المطيع بترتيبهم على قسمين مع التنبيه لقائدى هذين القسمين بإيصال القسم الأول منهما تواً إلى مرفأ ينبع وإمرار القسم الآخر بمرفأى مويلح والوجه (وش) وإبقاء المقدار الكافى من العساكر والذخائر فيهما ثم الذهاب بالباقى إلى ينبع أيضاً وبسائر مايلزم من التعليمات . وأن ولدى عبدكم الحاج طوسون أحمد باشا برحل إلى جهة مأموريته مع جيشه عقب انتهاء تجهيز مارتب من الزاد والذخيرة للمحلين المدعوين نخيلة العقبة والواقعين فى الطريق المستقيم براً .

فها هو قد أرسل عبدكم الباشا الموى إليه إيضاً يوم الخميس غرة شهر رمضان الشريف الحالى براً إلى الجهة الباهرة السعادة بترحيله من بركة الحج تام العدد مستكمل التجهيزات ومعه من العساكر المنتخبين ثلاثة آلاف فارس أصحاب السيوف والأسنة فالله سبحانه من عليهم بالتوفيق والسلامة وأوحى للقائد العام على هؤلاء العساكر (سر عسكر) عبدكم الباشا الموى إليه

(*) فى الأصل غرة رمضان سنة ١٢٢٨ وصوابه سنة ١٢٢٦ كما يظهر من المحررات السابقة واللاحقة (المترجم) .

(**) يعنى الحائزين لرتبة رياسة البوابين (المترجم) .

باتخاذ طور يستلزمه ما يتخذ من التدبير والحركة حسبما تقضى به المصلحة لدى وصول جيشه إلى حوالى ينبع فى عهد قريب إن شاء الله تعالى واجتماع الجيوش البحرية والبرية هناك كما وقع الإيماء إلا ذلك فى عريضتى السابقة وزود أيضاً حضرات مفتى للمذاهب الأربعة ونجل المحروق الذين هم بمعية الباشا المومى إليه مأمورين بالسعى فى استجلاب قلوب قبائل العربان والعشائر الموجودين بإقليم الحجاز بما يلزم تزويدهم به من التعليمات وحيث أن الجيوش المذكورة فى غاية من التمام والكمال والمتانة من جميع النواحى كما لو كان وقع الزحف من الشام وبغداد ماشاء الله ثم ماشاء الله ندعو الله خير الحافظين أن يحفظهم من إصابة العين وسوء النظر ويمن عليهم بتوفيقاته الجليلة آمين .

فيا مولاى عالى الهمم إنى حيث أؤمل وآمل من عنايات حضرة واهب العطايا موقناً من غير أدنى اشتباه أن نوفق إن شاء الله تعالى إلى استجلاب الدعوات الخيرية لسلطنة حضرة ملك الملوك ولدوام جاه ولى النعم وجلاله فى هذه السنة المباركة من الحجاج ذوى الابتهاج حال اصطفافهم قياماً بجبل عرفات معدن المغفرة والبركات وقع تحرير هذه العريضة عبدكم الشاكر على نعمكم والمثنى عليكم وتقديمها فى هذه المرة أيضاً إلى تراب أقدام حضرة المتفضل بإسعاف مقاصد الراجين تبشيراً بذلك وطلباً لدعواتكم السنية والتفضل بما احتاج إليه من توجيهاتكم السنية المستوجبة للتوفيق فى حق هذا الخادم المطيع عندما أحاط علم حضرة عالى الهمم بمنه تعالى بكيفية الحال ... » .

فى غرة رمضان ١٢٢٦ هـ / ١٩ سبتمبر ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

محمد زهدى

ملحق رقم (٨)

ترجمة معاينة واردة من طوسن باشا بتاريخ

١٧ صفر ١٢٢٩ هـ - ٧ فبراير ١٨١٤ م محفوظة

فى المحفظة نمرة / ٣ نمرة / ٧٤ نمرة مسلسلة / ١١٥

ليحى حضرة مولاى صاحب الدولة والعناية والعاطفة والجلالة ولى النعم الكريم الشيم بالدولة والإقبال والسرور والإجلال . فعريضة عبدكم القديم العبودية . أنه قد وصل إلى أنامل التكريم أمر مكارمكم المتفضل بإرساله فى هذه المرة لطفاً وإسعافاً مع عبدكم عباس أغا وأحاط عبدكم علماً بمفاهيمه السنية . فعلى ماسبق عرضه لمقامكم العالى قد وصل إلى قرى بنى سعد عبدكم عبادين بك ومعه كنج أغا وسائر رؤساء القواد لجمع القبيلة المذكورة فى حق راجح الذى يتجول فى تلك الحوالى لإفساد قبيلتى بنى سعد وبنى ناصرة ولسوقهم إلى طريق الضلال ودير البك المومى إليه المسير والزحف إلى راجح المذكور وجماعته ولما بلغ هذا الخبر إلى سمع راجح المذكور فر من تلك الأنحاء ولم يمكن التحقيق والتأكد بعد من محل اتجاهه فى الهروب ولم يعلم أنه إلى أى جهة جفل وقد حرر إلى البك المومى إليه أن يقوموا من قرى بنى سعد بالأمس ويأتوا إلى قرية صور فى مبدأ حدود ناصرة لجميع القبيلتين المذكورتين وقد سارع سلحدار عبدكم وسائر رؤساء الفرسان الذين كنت أرسلتهم إلى جانب تربة إلى معسكر طائفة الخوارج الكريهة المناحيس على مابلغهم من الخبر لكنهم لم يجدوهم فى مواضعهم ، فعادوا ووصلوا إلى طرف عبدكم وحيث بلغنا الآن أنه قد تحقق أن طائفة الخوارج تحصنوا بصور وتربة فمنا من مرحلة مظالة (هكذا) يوم الأربعاء يوم تاريخ عريضة خادمكم استناداً على التوفيق الإلهى وإمدادهم ولى النعم فنصل إلى الموضع الذى يدعى دكيا ثم تنصب الخيام فى اليوم الذى يليه بقرية صور ونوجه وجهة سيرنا متوكلين على الله إلى تربة مع استصحاب

الموى إليه القبيلتين المذكورتين وقد حررت عريضة عبدكم إخلاص هذا الإعلام ذلك وإفادة الحال وقدمت إلى مقامكم العالى مع إعادة عبدكم عباس أغا المذكور فالأمر والإرادة فى هذا الشأن وفى سائر الشئون عند حصول السعد بوصولها بمنه تعالى وأحاطة علم ولى النعم بالأحوال الجارية من تقرير الأغا المذكور لحضرة مولاى صاحب الدولة والعناية والعاطفة والجلالة ولى النعم الكريم الشيم .

فى ١٧ صفر ١٢٢٩ هـ / فبراير ١٨١٤

عبدكم

طوسون أحمد

ختم

ملحق رقم (٩)

ترجمة مكاتبة واردة من طوسون باشا بتاريخ

٢٣ صفر ١٢٢٩ هـ - ١٣ فبراير ١٨١٤ م

فى المحفظة / ٣ نمرة / ٧٤ / ١ نمر مسلسلة / ١١٦

ليحمى حضرة مولاى صاحب الدوله والعناية والعاطفة والجلالة ولى النعم الكثير الكرم بالدولة والإقبال الأبدى والأبهة والإجلال السرمدى . فمروض خادمكم الصادق فى الخدمة : أنه قد وصل خطاب كرمكم وعطفكم مع المبالغ المعلومة المقدار والكسوة وأحاط عبدكم علماً بمفاهيم أمر ولى النعم فعلى ما سبق عرضه لمقامكم العالى عند وصولنا إلى قرية مظللة (مظلة له) تمهد جميع مشايخ بنى سعد الذين كانوا يطلبون الأمان - بمجيئهم إلى طرفنا عند دخولنا قرية صور التى هى فى الأمام لكن عند وصولنا إلى قرية صور حضر بعض مشايخ بنى سعد وتخلف من سواهم عن الحضور نا كثين تعهدهم باقتراف الكذب بيد إن إضاعة الوقت من طرف جيشكم الجسيم الباسل لتأدية سائر مصالحنا التى هى أهم وأقدم وتبعث إلى نقص الذخائر فلذلك قد عهد على مقتضى الحال أمر تأديب مثل هؤلاء الناقضين لعودهم وأمر معاقبتهم وانتهاب أموالهم إلى حضرة صاحب الدولة الشريف يحيى بالتحرير إليه مع إرسال كشف عن أسماء الذين حضروا لدينا إلى جانب المشار إليه فاستصحبنا هؤلاء المشايخ الذين حضروا لدينا مع جماعتهم وعطفنا لجام السفر وعنان الرحيل نحو تربة متوكلين على الله تعالى باستصحاب الجيش المنصور يوم الاثنين يوم تاريخ عريضة خادمكم هذه وقد صار إشعار ذلك باعثاً على تحرير هذه العريضة من طرف عبدكم فمند حصول السعد بوصولها بمنه تعالى وإحاطة علمكم العالى بهذه

الكيفية أرجو بذل همتكم الأصفية للتحرير إلى حضرة الشريف المشار إليه لأجل أن يهتم بالشأن المذكور فالأمر والإرادة والعناية والإحسان فى هذا الشأن وفى سائر الأحوال لحضرة مولاى صاحب الدولة والعناية والعاطفة والجلالة ولى النعم الكثير الكرم .

فى ٢٣ صفر سنة ١٢٢٩هـ — ١٣ فبراير ١٨١٤م

عبدكم

طوسون أحمد

(الختم)

حاشية :

حضرة مولاى صاحب العناية ولى الهمم :

قد سرنا بتوفيق الله تعالى فى التاريخ المذكور متجهين إلى تربة لكن كانت حركتنا مع ما يكفى لخمسة أيام فقط من البقسماط والعليق أيضاً على هذا القياس ولاسيما وأن ضائقتنا من جهة البقسماط لا تقاس بسائر اللوازم عند إحاطة علم ولى النعم وبذلك كله يرجو عبدكم هذا مديد هممكم العالية نحو إيصال مقدار ما يكفى من البقسماط إلى الطائف وإلى طرفنا وبذل عنايتكم لذلك سيدى ومولاى .

ختم

طوسون أحمد

ملحق رقم (١٠)

طلب إيالة الشام

وثيقة ١١٨ ص ٢٣٢ دفتر / ١ من دفاتر المعية

بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ — ٩ أغسطس ١٨١٣ م

صورة القائمة المحررة إلى الباب العالى جواباً عن المرسوم العالى (الفرمان) الذى أتى به الافندى كتخدا الباب .

وقد اقترن بفهم ذهن هذا المخلص المستديم مضمون مراحم الخط الهمايونى المبارك المقرون بالعناية السلطانية التفضل بإرساله عبدكم النجيب كتخدانا بالباب (العالى) لدى وصوله إلى مصر مع العطية البهية القيمة الملوكية فى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان الشريف الجارى عند الفتح والقراءة بعد الاستقبال مشياً على الوجه والمقابلة بالتقبيل والتلثيم بكمال الآداب والتعظيم . وظاهر أنى عاجز وقاصر عن أداء شكر العنايات السلطانية القيمة للغاية التى برزت على التعاقب بهذا الوجه فى حق هذا العاجز غير المستحق . وبديهى باهر أنى لو تكرر لى عمرى الطبيعى فيما بعد عدة مرات واستكملت تلك الأعمار والمدد ووقفت وصرفت وجودى الظاهر الضعف ليل نهار لخدمات الدولة العلية مع تطبيق جميع أقوالى وأفعالى للمزاج الخسروى الذى له بالعدالة امتزاج لايمكن تأدية شكر واحد من ألف مما لايعد من عنايات ملجأ الخلافة التى تلتها وشهدتها لحد الآن . فربنا الحى الودود أدام مولانا ولى نعم العالم وسبب أمن بنى آدم صاحب الشوكة والقدرة والعظمة السلطان ملاذاً للعالم ملك الملوك البصير القلب على سرير سلطنته الحارسة للعالم ، إلى آخر الأدوار وأظل بظلال مراحمه الملوكية مفارق عبيده ولاسيما مفرق عبده هذا الذى لايقبل العتق وبدوام واستمرار أمين بالنبى الأمين . فعبدكم هذا العبد الأدنى الذى عبوديته لاتقبل العتق من

عبيد مولانا روح العالم قد ترك النوم والاستراحة وشمر ساق الغيرة وجمع ذيل الحمية . مرتبطاً له بوسطه منذ أربع سنين وخمس سنين على مقتضى مأموريتى حتى وفقت لتنظيف البلدتين المباركتين وتطهيرها من لوث وجود الخوارج بمحض آثار التوجيهات السامية الآيات الملوكية ولكن من الحالات التى تظهر للجميع بأدنى ملاحظة أن الدرعية مقر محروسة هؤلاء الطائفة الخائنة طائفة الخوارج مالم تشاهد ولم تلق صدمة قاهرة من العساكر السلطانية الذين لهم مآثر الظفر ومالم يصبح أكثر هؤلاء الخوارج طعمة سيوف الغزاة ولم تدخل البقية الباقية من هؤلاء الخوارج داخل سلك الإيمان بأن يتوبوا ويستغفروا قلباً وروحاً من أن ينظروا فيما بعد الآن لطرف البقعتين المباركتين نظراً معوجاً وشزراً لا يمكن أن يقال نجزت المصلحة وأديت خدمة مأموريتى لدينى ودولتى . . . ومع ذلك قد سبق العرض مراراً للباب مستقر العدالة من طرف حضرة صاحب الشريف وغيره من المطلعين على أحوال تلك الحوالى أن حسن ختام هذه المصلحة الخيرية لا يحصل على وفق المرام بالهجوم من طرف واحد بل يحتاج ذلك على كل حال إلى الهجوم بكل جهد وغيرة من الجهات الثلاث بما يتراوح عدده بين عشرين ألف وثلاثين ألف من العساكر السلطانية فى كل جهة من تلك الجهات الثلاث ولكن من غير أن يكون فى معرض التشكى والامتنان حاشا ثم حاشا لم يحسن ولم ير أحد بذل الجهد لهذه المادة وصرف القدرة لإجراء الإرادة الخسروية المفيدة للكرامة ولإنفاذها على قدر الإمكان سوى هذا المخلص فانحصر حصول المصلحة فى الجهة الواحدة كما هو ظاهر . وماسبق وأرسل من طرف هذا العاجز على التعاقب وما يجرى إرساله لحد الآن من العساكر السلطانية أن كان الخمسة والعشرون منهم استشهدوا حين المحاربة فالخمسة العشرون منهم يموتون من وخامة الهواء وشدة الحر — آناً فآناً . وحيث تبعث هذه الكيفية إلى الدهشة فى الصفوف العسكرية أصبح من المتعسر سوق العساكر وإرسالهم إلى الدرعية التى هى بمسافة عشرين مرحلة وثلاثين مرحلة من مكة المكرمة والمدينة المنورة . حتى أن من الواضح البديهى نظراً إلى مزاج الوقت أنه غير بعيد أن يترك هؤلاء العساكر البلدتين الطيبتين وأن

ينسحبوا منهما متدفقين إلى مصر لو أحسوا أن بمصر تكون سلامة أحوالهم (ويرحب بهم) . وهذا المخلص لم يضن بشيء غير الروح على من يصلح للخدمات العسكرية من العساكر وقد عاملت كلا منهم معاملتى مع أولادى مغدقاً عليهم أنواع النعم السلطانية منذ خمسة عشرة سنة تحت سعد رعاية حضرة السلطان وإنما وفقت لاكتساب رضا حضرة ظل الله الذى اليمن من مقتضاه بهذا القدر فقط باستخدام هؤلاء العساكر الذين نشأتهم تحت تربيتى بهذه الصورة فى تلك الخدمة وإلا فمعلوم عند الجميع مبلغ صعوبة إقامة العساكر عدة سنوات فى تلك المحلات الصعبة المسالك لو كانوا محشودين من هنا وهناك كيفما اتفق . ولم يبق مما أرسلته سابقاً ولاحقاً من عدة آلاف خيل وخيال سوى مقدار ثلثمائة أو خمسمائة حصان مابين صالح للعمل وغير صالح . ويكون معلوماً لدولتكم من مفاد معروضات الوزير المكرم حضرة صاحب السعادة طوسون أحمد باشا المتواردة على التعاقب منذ عدة أيام المرفوعة إلى الآستانة العلية بعينها فى هذه المرة أن السعود المردود كيف أتى بالنفس بعساكر كلية إلى جوار المدينة المنورة وماذا أحدث من الثلمة والخسار هناك حيث لم يحس بحركة مامن طرف آخر وليس الغرض من تفصيل الكيفية بهذا الوجه — ورب البيت -- إبداء الشكوى ولا هو من نوع الامتنان بل القصد من ذلك أولا : إفادة حقيقة الحال . وثانياً : إفادة أنه لم يكن المراد من طلب الشام أولا وآخراً جد المنفعة ولا توسيع المنصب . والله يعلم ذلك — بل مجرد إبراز حسن الخدمة للدين والدولة العلية وإظهار الصدق والاستقامة فمهما كان الشام الشريف على سبع عشرة مرحلة . من المحل الذى يقال له الدرعية مع كون أكثر منازل هذا الطريق ومراحله معمورة ذات مياه وأعشاب فالسهولة ظاهرة فى سوق العساكر الكلية والذخائر وسائر المهمات بهذا الطريق كما يسهل بذلك أيضاً حصول الغالبية بتنصيف قوة العدو على نصفين بإخراج الجيوش الكلية السلطانية من الطرفين . وبناء على أن إقليم مصر أزيد من قدر عبدكم

واستحقاقه بمائة درجة وأنه ليس له رغبة ولا مد نظر إلى محل سواه تحت رعاية حضرة السلطان لو أجيزت وأبرمت بعد إكمال الخدمة وإنجازها بقطع الماء واستئصاله من ينبوعه من مدة قليلة بعون الله ونصرته . وقيل لى ايبق الشام تحت إدارتك البتة لكان يضطر عبدكم إلى إضجاركم باستقالاتى مع رجاء تفويضه وإعطائه لوزير آخر . ومبلغ حاصلات الشام الشريف ومصروفاته التى تحدث فى هذه السنين وكلفه ظاهر عند أربابه باهر بالوجوه عند هذا المخلص فيكون سعيى الشخصى مع العلم بذلك فى تحصيل ما يحمل عليه المصارف الزائدة ويكافئه المصروفات الباهظة مغايراً لطور العقلاء بالاتفاق ، ومن ثمة أحسب وأتخيل أن هذا المخلص لكم قد أظهر صداقته وعبوديته من هذه الجهة أيضاً لمولانا وولى نعمتنا المنعم بغير منٍّ بما أنعم ولكن حيث لم يجرب صدق وكذبى بعد على مقتضى طالعى لم يسمح بإسعاف مسئولى فيهما كان الملك والعبد لمولانا صاحب الشوكة روح العالم يتصرف فيهما كيف يشاء وثرثرة هذا المخلص إلى هذا الحد وإن كانت تتنافى مع مراسم العبودية لكن الله يعلم أن الغرض من طلب المنصب المذكور مجرد الخدمة والصداقة وأن لذلك لم يكن مبنياً على خيال آخر فلو لم أكن قادراً على إعاشة نفسى بإقليم مصر وطلبت منصباً لتوسيع المعاش لكنت خارجاً عن حدود الأدب جداً لأننى إذا عجزت عن إدارة نفسى لمنصبى الجليل الذى هو من المناصب التى إليها يتحسر الوزراء يلزم أن أبقى عاجزاً عن إدارة نفسى لو ضُمَّ أيضاً إلى ذلك المنصب بلاد الأناضول بأكلها . فلو لوحظت ملتمسات هذا المخلص الذى يتلقى أنها باردة ملاحظة تامة بالوجوه لحق أن يكون معلوماً لدولتكم بالتجريب أنها غير باردة إلى هذا الحد بل هى تنجر إلى الخدمة والصداقة باعتبار النتيجة . وحيث أن سفر مخلصكم بعد العيد إلى الحجاز التى لها المفخرة طراز محقق ومصمم بعنه تعالى لأداء فريضة الحج وتنظيم العساكر وتجهيزهم وتأليف العربان تحت ظلال المراسم الخديوية — سأرسل

عند وصولى إلى جدة بعون الله تعالى فى الحال على طبق الإرادة السلطانية التى تفيد الكرامة لاستقبال حضرة الوزير المكرم أخينا صاحب السعادة سليمان باشا خاصة من المدينة المنورة عدة مئات من الفرسان ومقدار ألف أو ألفين من العربان وبعض الذخائر على أن يأتوا بمعية الباشا المشار إليه وفى خدمته . فى أى محل لاقوة مع التنبيه والتأكيد لهم أن يذهبوا إلى حد «معان» إذا أدركوا من غير مكث عند ورودهم قرب المدينة المنورة ولا انتظار هناك مع الاهتمام وصرف جل المكنة لذهاب حجاج الشام الشريف وإيابهم سالمين غانمين . ولاستجلاب الدعوات الخيرية من غير إهمال تعقب مصلحة الدرعية فأصرف غاية وسعى وإياقتى حتى أكون موفقاً لفتح الدرعية وتسخيرها أيضاً بعون الله جل وعلا وعنايته وبإمداد روحانية سيدنا مفخر الموجودات (صلى الله عليه وسلم) وببركات حسن توجه مولانا صاحب الشوكة والقدرة ولى نعم العالم وهمته والله سبحانه جعل ظلال مولانا صاحب الشوكة دائمة الإظلال على عبيده عامة وعلى عبده هذا الذى لا تقبل عبوديته العتق خاصة مدى الأزمان آمين .

فى ٢١ شعبان سنة ١٢٢٨ هـ / ٩ أغسطس ١٨١٣

المترجم

محمد زهدى الكوثرى

ملحق رقم (١١)

عتاب واعتذار مع إبراز أهمية الشام

لإنفاذ مصلحة الحجاز

وثيقة رقم ١٢٢ ص ٢٤١ دفتر / ١ من دفاتر المعية

بتاريخ ٥ شوال ١٢٢٨ هـ — ٢٠ سبتمبر ١٨١٣ م

الجواب المحرر للقائمقام عن مكتوبه الوارد بشأن تأمين سلامة حضرة والى الشام سليمان باشا — مع الحجاج ذهاباً وإياباً .

وقد صار معلوماً بالوجوه لهذا العاجز مضمون كتاب كرمكم الوارد بالبريد المزدوج فى هذه المرة خاصة بياناً عن أن حضرة والى الشام أمير الحاج الوزير المكرم صاحب السعادة سليمان باشا يستوق من قبائل العربان الموجودين بطريق الشام بتعاطى سند بيده وبينهم ثم يتحرك وهو تام القوة والعدة مستصحباً الحجاج المسلمين فى هذه السنة المباركة وأن من الضرورى تأمين سلامة من بمعية المشار إليه من حجاج المسلمين ذهاباً وإياباً وأنه إذا حدث نوع من الضرر نحو حضرة المشار إليه ولحقه ضر وكدر — معاذ الله تعالى — سواء كان ذلك بين الحرمين أو فى أثناء الطريق من الشام إلى المدينة المنورة بالنظر إلى ما بلغكم من تحشد الطائفة الوهابية بالدرعية بعد ذلك بتحريك العربان وتسليطهم من طرفنا بسبب عدم إحالة إيالة الشام الشريف لطرف الخادم المطيع فتذهب خدمتنا لحد الآن فى مصلحة الحرمين المحترمين سدى وهباء منثوراً ويوجب ذلك تنزل ما بذل فى حق هذا العاجز من التوجهات التى لها من تأثير الاكسير آيات لدى جناب ملجأ الخلافة وتعزى هذه الكيفية إلى عبدكم بالمرة .

فيا عبدكم هذا وإن كان من المجرمين الذين جازت تقصيراتهم الحد . ولكن

حيث إنى است من أصحاب البغى والفساد الذين لا يعرفون الدين والدولة العلية بل من عبيد السلطنة السنية المبتاعين بالدرهم الحائزين لرتبة الوزارة العليا من غير استحقاق مع كونى من أمة محمد أباً عن جد — ولله الحمد والمنة — فإن كان مشكوكا عند دولتكم أن الاجتراء على مثل هذه الفضاحة التى لا يرتكبها سائر الملل من نوع الكفر عند هذا العاجز فهو معلوم لحضرة الله ذى الجلال العالم للسر والخفايا . وظاهر بالتواتر خروج أكثر قبائل العربان بطريق الحج منذ عشرين سنة عن طريق أهل السنة المستقيم وتبعيتهم للسعود المردود وكونهم أشد كفراً من الكافر الخارجى المذهب . وبديهى باهر أيضاً أنهم ليسوا تحت حكمى وأنهم لا يخلون عن إيراث ضرر وخسائر لحضرة الباشا المشار إليه ولطرف هذا العاجز لو اقتدروا على ذلك ومع كون العربان المذكورين قد نكل بعضهم بالسيف السلطانى الدافع للحيف واستألف بعضهم بأنواع التكريم والعطايا الملوكية منذ عدة سنين قد تحقق لدى هذا العاجز أن للطائفة الذين اجتلبناهم نحونا إمداداً وإعانة . لحد الآن لعربان الوهابية الذين يبتدرون كلما سنحت لهم فرصة إلى حالات النهب والقتل إزاء العساكر السلطانية المنبثين فى مختلف أنحاء الحجاز حتى إنهم قبل مدة دهموا فى جهة الطائف ثلثمائة عسكرى من غزاة المسلمين ومعهم قائدهم البكباشى الذى له منزلة واعتبار عندنا على حين غفلة فقتلوا هؤلاء الغزاة عن آخرهم فراحوا شهداء من غير أن ينجو منهم أحد كما أن عبدكم مصطفى بك سر جشمة الدلاة حينما قام فى هذه المرة من الطائف مع عساكره الموجودين بمعيته واشتبك بالحرب بأعلى قامة طربة (تربة) دهمهم على غرة ابن شكبان وعبد الله المأمون ولد السعود ومعهما عربان كثيرة للغاية فنهبوا الجيش وأغاروا عليه وقتلوا عدة مئات من رجاله فها هو قد وقع التحرير والإنهاء من طرف حضرة والى جدة الحالى الوزير المكرم

صاحب السعادة طوسون أحمد باشا إلى طرف هذا العاجز أن للعربان الذين هم في جهتنا مدخلا خفياً في هذه الإغارة وحيث قدمت التحريرات المذكورة بعينها إلى طرف دولتكم يكون تفصيل الكيفية معلوماً لدى دولتكم من هذه التحريرات والسعود المردود الذي يدعي الخلافة والسلطنة من غير اكتراث بشيء من سنين وافرة لا يتأخر عن الخيانة بالوجوه لطرف هذا العاجز وطرف المشار إليه . إذا قدر واستطاع لذلك ظاهر ظهور الشمس في وسط السماء عند الجميع وليس بمعلوم ، ولا بمفهوم لدى هذا الخادم المطيع أنه إذا لزم وقوع نوع من الضرر — معاذ الله تعالى — لحضرة والى الشام الباشا المشار إليه بأى جهة يكون تجويز عزو ذلك إلى صوب عبدكم حتى انقلبت مسرة العيد الشريف — والله يعلم — إلى أنواع من الحزن والألم لمصادفة ورود أمركم ليلة العيد الشريف وأظن أنه لو كان السعود المردود منقاداً للدولة العلية الأبدية الدوام جارياً أمره ونهيه على أكثر طوائف العربان وهم تحت الطاعة ما كان يستحق لهذه القولة وهذا النوع من التوبيخ والتعنيف بملاحظة ظهور فضاحة من عدة قبائل تخالفه واحتمال وجود أمثال ذلك بين تلك الطوائف الكثيرة على أن عبدكم هذا عبد صادق في العبودية لمولانا السلطان ملجأ الأنام والعدل في الأحكام ولى نعم العالم باعث أمن الملل والأمم صاحب والشوكة والقدرة والعظمة بحيث تقبل عبوديتي العتق ، ويعلم الله العليم للغيوب والسرائر في الباطن والظاهر أنه ليس لى بغية ولا أمنية في هذه الدنيا الفانية سوى أن يكتب اسم هذا العاجز ويسجل في جريدة العبيد الصادقة العبودية للدولة العلية بتحصيل الرضا الخسروى الذي من مقتضاه اليامن ولما فكرت أن تعنيفي بهذا الوجه مع ذلك كله في مثل هذه الأيام المباركة إنما يكون في تقصير صادر مني هدأت نفسي بعض هدوء ونسلى قلبي المحزون بملاحظة أنه لا نهاية لعفو حضرة السلطان وعنايته ولعل من جملة تقصيراتى طلب إحالة إيالة الشام إلى طرف هذا العاجز في هذه السنة

فقط لـكن الله يعلم أن هذا الطلب ما كان لجر منفعة ولا لتوسيع المنصب بل كان ذلك عبارة عن مجرد الخدمة والصداقة من هذا الوجه أيضاً وكنت اجترأت من غير تفكر بسوء الظن الجارى فى حق هذا العاجز على تحرير مادة الشام الشريف بملاحظة أن بلاد العرب يعسر فيها إنتاج مصلحة بمجرد النقود والعساكر بل يلتزم فيها رؤية المصلحة اللازمة والحمل على رؤيتها مرة بالجبر والإقدام وأخرى بالمداراة والإكرام حسب ما يحتمه التجريب المكتسب من إمضاء مدة كبيرة فى درس طبائعهم وكما يقتضيه الحال مع أن حضرة والى الشام المشار إليه وإن كان من أعقل الوزراء العظام وأرشدهم فى حد ذاته وممن يفتخر بفداء المال والروح فى سبيل مرضاة حضرة السلطان لـكنه حيث لم يمض إلا مدة قليلة منذ شرف الشام الشريف برتبة الوزراة العليا ليس له اطلاع بعد على هذه الدقائق وقد لاينتبه إلى دسائس طائفة العربان ومكرهم فربما تحدث فى أثناء الطريق — معاذ الله — حالة توجب المذلة فتذهب الأتعاب التى عونيت فى سبيل إخضاعهم أدراج الرياح فلو أخرج من الشام الشريف إلى طرف الحجاز وإلى جهة الدرعية جيوش كلية سلطانية وضيق الخناق على الطائفة الخائنة الوهابية من الطرفين لكان ذلك مداراً على تحصيل أمن الحجاج المسلمين وسهولة حصول فتح الدرعية وتسخيرها بعون البارى وعنايته وبيمن توجيه جناب مالك العالم لـكن لم يسمح بإسعاف مسئولى هذا الواقع لمجرد عرض الخدمة والصداقة. بهذا النوع من التدبير وأبقى الباشا المشار اليه حتى تعلقت الإدارة الملوكية التى مفادها الـكرامة، بالإعانة له من طرفنا على مرتبة الإمكان، ولما أصبح معلوماً عند هذا الخادم المطيع بورود عبدكم نجيب أفندى كتخدانا بالباب العالى بمأمورية مضمون المرسوم الجليل الشأن الصادر بالشرف لهذا الشأن والأوامر والتنبيهات الشفوية من جانب السلطان فاتح الأقاليم، كنت بعد إيفاء المراسم والسمع والطاعة عرضت وأنهيت لمقام دولتكم صادقاً كيفية صرف نقد غيرتى

وجهدى للاعانة المستطاعة لحضرة الباشا المشار إليه . وحينما ورد عبدكم الأغا سلحدار حضرة الباشا المشار إليه لطلب الإعانة من طرفنا قبل ورود الأفندى المومى إليه بمدة كنت ذكرت أننا مع حضرة أخينا صاحب الدولة الباشا بناء على أن مأموريتنا من مصالح الدولة العلية لا يقع تجويز أدنى تقصير بوجه من الوجوه فى المعاونة اللازم إجراؤها فيما بيننا وكررت تلك المزايا كلمة فكلمة وقلت أنه إذا رغب الباشا المشار إليه فى الإمداد بفرسان كثيرة كلية على أن يعطى جميع المأكولات والمشروبات واللوازم من طرفنا دون أن يكون ذلك مثقلاً لكواهل حضرة أخينا الباشا أصلا أقوم بذلك ، وإن كان لا حاجة له إلى العساكر أرسل إليه ما أمكن إرساله من النقود وأتعهد أن أعطى له مايكفى من الذخائر بين الحرمين وهكذا أعدت السلحدار المومى إليه موصياً له بتبليغ دعواتى مع الإسراع فى إشعار ما يختارونه واختاره ، وبينما أنا فى انتظار ورود الجواب منه إذ ورد عبدكم نجيب أفندى وأفاد أنه يناسب استقباله بمقدار من الفرسان من المدينة المنورة وأن ذلك هو المطلوب فحررت ترتيبات هذا الخادم المطيع بشأن الاستقبال تفصيلا إلى الباشا المشار إليه على الوجه الذى عرض سابقاً لطرف دولتكم وبعث التحرير بساعينا الخاص ولما ورد سلحداره إليه قبل وصول تحريراتنا المذكورة وعلم الباشا المشار إليه كيفية إعانتنا أنى عبدكم كاتب ديوانه الأفندى فى أواسط شهر رمضان الشريف ولما علم عبدكم من تحريره وتقريره أنه يطلب أن يرسل إليه مقدار من النقود بالمدول وصرف النظر عن إرسال العساكر قلت بمحضر دعاتكم السادات قضاة مكة والمدينة ومصر (مكة ومصر ملاطرى أفنديز) وبحضور عبدكم نجيب أفندى : أنى كنت تعهدت بأنى لا أقصر فى الإعانة لحضرة أخينا الباشا المشار إليه وبأنى أجرى حالا أى شق يختارونه من الشقين المذكورين لكن امتثالا لما أصدرته الدولة العلية من الأمر والإرادة العلية الآن أقوم باستقبال أخينا الباشا لحد «معان» من المدينة المنورة بمقدار كلى من الفرسان بصرف ما يتراوح بين خمسمائة وستمائة

كيسة نقدية من النقود لذلك وكتبت هذه الكيفية إلى الدولة العلية مع أن حضرة الباشا الآن لا يطلب العساكر بل يطلب النقود ، فإذا وردت تحريراته القطعية الإفادة فى أنه لا حاجة إلى العساكر على هذه الصورة أرسل إليه ما يصرف للعساكر من خمسمائة كيسة نقدية نقداً وبناء على المصروفات التى لا تطاق لأجل العساكر المرتبة المهيأة لمحافظة الحرمين وللزحف على الدرعية لا يمكن لى أن أعين من الجهتين ، وإنما أقدر أن أعين من جهة واحدة وأما ما سوى ذلك فخارج عن وسعى ، وحيث إن الوقت ما كان يساعد ويتسع لتحرير ذلك تفصيلا إلى حضرة المشار إليه وورود جوابه تكرار استصدرت حوالة بمبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية إلى تجار معتبرين بالشام الشريف وأرسلناها بساعينا الخاص مع التحرير والإنهاء تفصيلا لطرف الباشا المشار إليه أن يتسلم مبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية من محلاتها عند حلول معياد أحد عشر يوماً من تاريخ الحوالة ومبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية الباقى سيدفع إليه نقداً يوم دخوله المدينة المنورة إن شاء الله تعالى فيما إذا كان عساكر الاستقبال غير لازمة والحال أن عبدكم على أمل إبراز الخدمة والصداقة وإظهار السعى والغيرة لهذا الشأن حسبما تعين بالتجريب .

إن الحرمين الشريفين لا يبقيان مصونين من مكائد الوهابيين مالم تنته مصلحة الدرعية ، أقوم بالنفس من مصر بعساكر كلية بوسيلة الحج لغاية ستة أيام من تاريخ عريضتى هذه ، وأذهب إلى المدينة المنورة وقد تركت النوم والاستراحة لشئون الإقدام والاهتمام بأمن حجاج المسلمين ذهاباً وإياباً ولتحصيل أسباب ضبط الدرعية وتسخيرها مع صرف الوسع والطاقة لاستجلاب الدعوات الخيرية من حجاج المسلمين وسكان البلدتين المباركتين لمولانا صاحب الشوكة والقدرة . أقسم برب البيت: لقد انسلب شعورى من حيرتى حيث لم يدرك عقلى القاصر ما هى الحكمة فى تعنيفى بهذه الصورة مع ذلك كله وما هو السر

فى تعنيف عبد لا تقبل عبوديته العتق ويتفانى فى الخدمة إلى هذه الدرجة بمثل هذا التعنيف لمولاى ولى النعم إذا كان يلزم عزوماً يقع من الخيانة لحضرة والى الشام المشار إليه إلى طرف عبدكم فإلى أى طرف يلزم أن تتسبب الخيانات الواقعة مرتين فى حق العساكر السلطانية المأمورة من طرف عبدكم كما بين آنفاً ، والعساكر السلطانية الموجودة بالحجاز منذ ثلاث سنين إن مات منهم من وخامة الماء والهواء مقدار ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عسكرى فسبعة أو ثمانية آلاف نفر منهم استشهدوا فى محاربة قبائل العربان وراحوا ضحايا لمولانا ظل الله صاحب الكرامة وولدى حضرة طوسون أحمد باشا قد جرح فى الحرب مرتين فإلى من يلزم أن يعزى ذلك أيضاً والحاصل أن الذوات الكرام الذين يتولون إمارة الحاج أياً كانوا إذا لم تكن حركتهم بقوة وقدرة من جميع الجهات مادام هذا العدو القوى ماثلا فى ميدان الكفاح لا شك أن العدو المترصد للفرصة من القديم يسعى فى انتهاز الفرصة وعدم إفاتتها فإذا قام حضرة والى الشام المشار إليه خفيف القوة لاجرم تحصل وسوسة مهما أعين من طرف هذا العاجز كما هو بديهى معاين من لوائح الحال . والله ذو الجلال خالقنا جميعاً يعلم أنه لا يقع من طرف عبدكم غير الإعانة لحضرة المشار إليه فلنسع ولنقدم بالاتفاق جميعاً لاكتساب ذكر جميل بين الأقران بإبراز خدمة حسنة لمولانا ملجأ الخلافة ولى نعم العالم الذى لا يمن بأنعامه من غير أن يرى لائقاً التزام أحد الجانبين وتحقير الجانب الآخر بدوسه تحت الأقدام وحيث أن عبدكم من العبيد الذين حرموا النوم على أعينهم والاستراحة فى الليل إلى الصبح بالتفكير فى طريق حصول الموفقية لا فى هذه الخدمة الدولة العلية فقط بل فى أمثالها الكثيرة للغاية من المصالح الجسيمة المشكلة الصعبة . فكرت وصممت بوسيلة الحج الشريف فى هذه السنة المباركة على أخذ الانتقام من أعداء الدين وتصفية الدرعية بصرف مبالغ طائلة جداً كما يعلم ذلك إذا نظر بنظر الإنصاف وقد علم الجميع إغارة العربان الذين هم تحت حكومة حضرة والى صيدا على جمالنا بصورة علنية ومع ذلك

ما كان عزى التقصير إليه فى ذلك بل عومل بالتسامح والتغاضى عنه وعومل عبدكم بالتكذيب فكيف يمكن أن يسند ويعزى إلى عبدكم ماإذا وقع إيراث ضرر وخسارة لحجاج الشام عياذاً بالله من قبل أشقياء العربان الذين لامناسبة لى معهم ولاهم تحت حوزة حكومتى ولاسيما طائفة الوهابية الذين هم أعداء أرواحنا جميعاً . والله سبحانة قهر باسمه القهار بحرمة الحرمين المحترمين واسمه الأعظم من يستهدف ويقصد إيراث ضرر خفية أو علناً ناظراً بأدنى نظر خيانة للدين المبين المحمدى وللدولة العلية السرمدية وآنال من ينطوى على نية الخدمة والصداقة لآماله فى الدارين أمين بالنبى الأمين لحينما أصل بمنه تعالى إلى مكة والمدينة استفتح البيت الشريف والروضة المطهرة اللطيفة وأحمل قاضى مكة وقاضى المدينة على الدعاء بهذه الصورة بأعلى صوت يسمعه جميع الموجودين من حجاج المسلمين من صغير وكبير وأطلب منهم التأمين على هذا الدعاء وأحملهم عليه وإن كان ظاهراً سوء ظن حضرات أولياء الأمور فى حق عبدكم لكن عبدكم على مقتضى عبوديتى وصداقتى أقدم جهد طاقتى بكل افتخار وأسعى فى رؤية خدمة مولانا وولى نعمتنا الذى لايمن بإنعامه وإن لم يعرف ذلك ولم يعترف به أحد فالله يعلم أولا وحضرة مولانا روح العالم ثانياً وحيث إنى جازم أنه لايضن بمراحمه وشفقته الملوكية فى حق هذا العاجز وقع إبراز إخلاص هذا بوسيلة رجاء العفو عن إيراث الصداع إلى هذا الحد .

فى ٥ شوال سنة ١٢٢٨ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨١٣

المترجم

محمد زاهد الكوثرى

ملحق رقم (١٢)

الاستعلام عن كيفية إدارة الشام فى حالة توجيهها إلى محمد على

ترجمة مكاتبة واردة المعية السنية بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ — ٢٨ يناير ١٨١٥ م

من محفوظات المعية السنية رقم ١٣٨ من محمد نجيب إلى محمد على

حضرة سيدى وولى نعمتى صاحب الدولة والعناية والعطوفة والأبهة والرحمة : مع الدعاء لامتداد عمركم بالإقبال والإجلال والدولة والأبهة الدائمة ولتكن شمس منظار ذاتكم الولية النعم ناثرة الشعاع الوفير . يعرض عبدكم أنه قد ازدانت يد التعظيم بأمر ولى النعم المرسل هذه المرة مع عبدكم سليم أغا الساعى ورفيقه والمحتوى على أنكم تفضلتم وأرسلتم مكاتبه إلى الباب العالى وأخرى إلى عبدكم وذكرتم بوجه التفصيل أنكم تفضلتم ببذل المقدرة والهمة الموفورة فى إنتاج المسائل الخيرية والحجازية وتهيئة الجمال واللوازم الأخرى التى هى من أقوى الأسباب وفى أمر قهر واضمحلال الخوارج الخونة وبما أن جبال اليمن والحجاز مملوءة بالخوارج وهؤلاء قاموا سابقاً وبدون ريب بالمعونة الكثيرة لابن سعود المردود واستولوا على الحرمين الشريفين ، فليس من المأمول أن يستتب الأمن فى الحرمين بدون إتمام وضع الخوارج المذكورة داخل النظام وإصلاحهم قبل القيام بالحروب وأنه تحصل السهولة فى مسألة الدرعية أيضاً بعد هذا الانتظام بمعونة الرب المستعان وبناء على أنه يتم الحصول على إخضاع ما لا يحصى من القبائل الضالة الكائنة فى الحدود والجبال المذكورة وعلى صرفهم على ماألفوه من الاعتقادات الباطلة وإصلاحهم بالسيف وأنه جار إخراج العساكر الوفيرة والحرب قائم ، فمن المقرر أن ذات ولى النعم المنطوية على الشجاعة ستتفضل بإظهار السطوة والبسالة من جهة الصحراء كما أن عساكر البيادة والسوارى التى سترد بعد حلول وقت الحج سترحف من فوق الجبال المذكورة

بالجمال المرتبة وستبذل المساعى والحمية فى قهرهم واستئصالهم بمنه تعالى وفقط بما أن المسائل المذكورة هى من الأمور الجسيمة ، فعندما يتم الإصلاح فى تلك الجهات بعناية المولى فإن التوجه إلى الدرعية يحتاج على الأقل إلى عشرين ألف جمل من غير كلام وقد أمكن هذه المرة استحضار ثلاثة آلاف جمل فقط من جهات الشام بما بذل من كثرة المساعى والأموال ثم إنه بناء على لزوم مداركة الجمال والمواشى الأخرى اللازمة بحسب هذا التقدير والمبادرة لتهيئة عساكر وإخراج جيش من جهة الشام بالنظر إلى قربها لجهة الحجاز المشرفة فإن توجيه ولاية الشام المذكورة إلى دولتكم من أهم الأمور ولقد اطلعت على مضامين أمركم هذا وحالا عرضت ذلك على الباب العالى وعلى المحلات العالية الأخرى وقت بالإفادة والتفهيم بوجه التفصيل عن أن الوقت هو وقت بذل الهمة فى حصول الملتمس وأيضاً الأوان هو أوان إعادة إنجاز الوعد بالنظر إلى أن حصول نتيجة حسن الختام فى المسائل الخيرية هو من الأمور المعتنى بها ، كما أنى اهتممت فى هذا الشأن وأفدت إلى حضرات أولى الأمر وإلى من يلزم من الأجلة الكبراء فرداً فرداً بأن إيفاء شروط المعونة مترتب على عهدة الديانة كما أنه من لوازم السلطنة لأنه يتوقف النظر فى الأمور المذكورة وإدارتها وحسن ختام المصلحة على إنجاز الملتمس ، كما أن ذلك يكون موجباً لسهولة المسألة من كل الوجوه ، ثم إنى زدت عن الحد وبذلت المقدرة فى قول الحق ، وحيث إن اتفاق الآراء فى الخصوص التى من هذا القبيل هو من القواعد المرعية فقد عقد مجلس الشورى بضعة مرات ، وفى المشورة الأخيرة تقرر الاستعلام عن أنه فى حالة توجيه ولاية الشام إلى دولتكم كيف يكون النظر فى أمورها وبأى وجه تحصل المعونة وتكون المبادرة لإدارتها وعليه فعندما يكون تفصيل الأمر معلوماً لدولتكم من مكاتبة حضرة الصدر الأعظم يلزم التفصيل ببذل العناية فى الإسراع بإعادة الساعى المذكور بالجواب اللازم وبما أنى عبد مملوك لأحكام دولتكم . فإن

مابذلته من المقدرة وكثرة المساعى فى الإفادة عن المرام ، واجتنابى ارتكاب التقصير والفتور مع نسيان النوم والراحة وترك كل شىء من الأمور المعلومة لعالم الأسرار والخفايا والظاهرة أيضاً لقلب سيدى ولى النعم الملهم وقد وضعت طى عريضتى صورة من الإفادات التى قدمت إلى الباب العالى بعد القيام بكتابة تقرير عبدكم سليم أغا المومى إليه لكى تكون منظورة لدولتكم . وحيث إنه وإن كان قد حصل الاهتمام بحصول الملتمس المذكور من كل الوجوه إلا أنه لم يحن وقته المرهون ولم يبرز الدليل فى هذا الأوان فقد أوجب ذلك انسلاب الراحة والاستقرار فى بحر التفكير ومن البديهى أن كيفية الموانع التى ظهرت ستكون بتقرير عبدكم المومى إليه لأنها معلومة له . هذا وأن الإفادة عن أنى والحالة هذه منتظر وصول جواب المسألة التى حصل الاستعلام عنها فى أقرب آن وعن أنى قائم بالدعاء لنوال العون والعناية الإلهية صارت وسيلة لعرض عبوديتى لدى التفضل بإحاطتها علماً إن شاء الله تعالى فإن الأمر لجناب سيدى ولى النعم .

١٥ صفر ١٢٣٠ هـ / ٢٨ يناير ١٨١٥

ختم

محمد نجيب

ترجمة

يوسف فهمى

ملحق رقم (١٣)

فتح شقرا

ترجمة الكتاب التركى المؤرخ ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٨ م
والمرسل من إبراهيم باشا إلى الجناب العالى مفصلا لمعركة

الشقرا ومبشراً بفتحها

وثيقة رقم ١٨٦ / محفظة / ٥ بحر برا ٧٤/١

صاحب الدولة والرحمة مولاى ولى نعمتى :

أدعو الله الذى لايسأل عما يفعل أن يديم أيامكم ويطيل عمركم وإقبالكم وأن يجعل ظلكم السامى فيئاً دائماً — مؤيداً لمفرق عبدكم العديم الرياء موفقاً إياه إلى مافيه استدرار رضاكم المرتضى .

من موافق الأعمال ، آمين . وبعد — فيعرض عبدكم الدائم الولاء أنه بتاريخ إحدى عشر ربيع الأول الجارى قد حوصرت « قلعة الشقراء » وشرع فى محاربة أشرار الوهابين الذين فى الأسوار وفى نحو العشرين برجاً المبنية جميعها حول الجوانب الأربعة للحدائق التى بخارج القلعة المنحوسة . واستمر القتال بالمدافع والبنادق يوماً وليلة فهدم محل فى السور ولم يتنفس الصبح إلا وقد أمر عبيدكم عساكر الموحدين فخرجوا من متاريسهم منقضين على من كان فى البروج وفى خلال الحدائق من طائفة الخوارج فمزقوهم وهزموهم بعناية الله تعالى ونفحات ولى النعم الطاهرة واستولوا على أسوارهم وبروجهم قاتلين منهم عدداً كبيراً . ثم هجم على المتحصنين من الخوارج فى السور الأخر المنشأ تجاه نفس القلعة الأصلية التى بالمدينة المذكورة وفى عدة الأبراج التى فيها . فتم أيضاً بإذن الله تعالى فتح هذا السور وتسخير أبراجه كما وضع سيف القتل والعقاب

فى عدد من الرقاب وعلى الفور قربت المدافع من جدار القلعة « المنحوسة » بحيث صارت منه قيد ذراع واستمر القذف والرمى ثلاث أيام وثلاث ليال حتى تهدم شطر من السور وأسفر عن البيوت نفسها ظاهرة متكشفة ، فلما تقوضت منازل الخوارج وخربت وانصرم حبل رجائهم فى النجاة ضجوا بالعويل والاستغاثة أن « الأمان يا إبراهيم » أرحم عيالنا وأعف عما بدا من تقصيرنا ، هكذا التمسوا الأمان وجاء نفر من ذوى الكلمة المسموعة من شيوخهم إلى مكان عبدكم فآمنتهم على شرط أن يقدموا مدافعهم الخمسة التى فى القلعة وأن يسلموا كافة الأسلحة التى يحملها أربعمائة مقاتل من أعوان عبدالله ؛ الذين جاءوا لإمدادهم، وعلى أن يعاهدوا أن يبيعوا الجنود ماهو عندهم من ميرة على هذه الشروط منحوا الأمان فأخذ سلاحهم غنيمة لعبيدكم العساكر وأطلق سبيل أولئك الأعوان المقهورين . هذا وسيكون نهوضنا ومسيرنا على قلعة الدرعية بعد تاريخ عريضتى هذه بعشرة أيام. وأنى قدسطرت عريضتى الفائضة بعفروض ثنائى مضمناً إياها البشارة بهذه الفتوح العظيمة وباعثاً بها مع عبدكم « حسين أغا » حاجبى (ياورى — جوقدارى) إلى قدمى ولى النعم ، حتى إذا ماحظت إن شاء الله تعالى بعد الوصول وتفضل ولى النعم الشامل العلم بالاطلاع عليها فإنما الأمر يومئذ أمره والإرادة إرادته .

سيدى وولى نعمتى صاحب الدولة :

إنَّ على مسافة خمس عشرة ساعة من « الدرعية » إحدى عشرة قرية يطلق عليها اسم « وادى السدير » وإن جميع شيوخ هذه القرى قد أوفدوا رجالهم إلى عبدكم طالبين الأمان مبدين استعدادهم للخضوع لخادمكم والدخول فى حوزة حكمه ومن ثم لايكون القتال منظوراً فى غير الدرعية غير أن فتح الدرعية وإحلال النظام فيها منوطاً بثلاثة أمور أولها (النقود) وثانيها (مقذوفات المدافع قبوز بوارلفى) وثالثها (الجنود المشاة) — فمع أن لدى عبدكم مقذوفات كثيرة ومبالغ من النقود وافرة إلا أن استدامة ورودها وتواليه لمن مستحسن الأمور وأجلها

خطراً . لأن قاعدة الحرب معلومة حق العلم لدى مولاى صاحب الدولة . فلقد سمع عبدكم أن من كان ظهره وخلفه متيناً كان ختام مصلحته أدنى إلى السهولة واليسر . وكذلك أصبحت المقذوفات والنقود والجنود المشاة بمثابة القلب والقوة من عبدكم إذ لولا التعويل على المدافع فى معركة الشقرا المذكورة أيضاً لما كان شك فى هلاك الـكثير من الجنود المشاة وللزم المشى لاقتحام القلعة نفسها وهكذا اضطلعت المدافع بهذا العبء وحملته فـكانت قتلانا وجرحانا فى هجومنا الأول أربعين جندياً فى حين قتل وأعدم من طائفة الوهابيين نحو مائة وخمسين هذا ولم يأت إلى خادمكم لغاية تاريخ عريضته أى من عبديكم « أحمد أغا أبوشنب » « وبهرام أغا » وهما رئيسا الجنود المشاة — اللذان أمرا واحداً بعد الآخر بالسفر من مصر مع أن هذا هو أوان استخدام المشاة ، فمتى أحاط شامل علمـكم بهذه الحال فعسى أن تتفضلوا فتستجيبوا لمسئول عبدكم العاجز بأن لا تقطعوا عنه النقود والمقذوفات وبأن توصوا رئيسى المشاة المندوبين للسفر بالإسراع فى قدومهما إلىّ . وعلى كل حال فالأمر أمركم والمشيئة مشيئتـكم .

فى ١٧ ربيع الأول ١٢٣٣ هـ — ٢٥ يناير ١٨١٨ م

ختم

سلام على إبراهيم

ملحق رقم (١٤)

حرب الدرعية

ترجمة مكاتبة واردة بتاريخ ٢٥ جمادى الأولى ١٢٣٣ هـ — ٢ أبريل ١٨١٨ م

بختم إبراهيم (محفظة / ٥ بحر برا رقم ١٨٧)

حضرة صاحب الدولة والرحمة والمروءة مولاى ولى نعمتى وسلطانى :

إن معروض عبدكم المستديم أنه قد تيسر لنا الوصول بمشيئة الله تعالى إلى الدرعية بتاريخ غرة شهر جمادى الأولى هذا ونصبنا الخيام فى مسافة ساعة ونصف ساعة من الدرعية . وتحركنا من المحل المذكور أيضاً فى اليوم الرابع من الشهر المذكور وفى أثناء وصولنا وحفر المتاريس (الخنادق) فى موضع مقابل لمتاريس عبد الله بن سعود الواقعة بمسافة نصف ساعة من درعية إذا ابتدر الشقى المقهور باطلاق مدافعه الثمانية أو العشرة بدون توقف وانقطاع . ولكن مع دوام الحرب بالمدافع فى اليوم المذكور أجرى اللازم أيضاً من جهة أخرى نحو إقامة المتاريس وتقوية الجبال يميناً ويساراً وبما أن الدرعية كائنة بين جبلين فوزع وقسم المذكور الوهابيين الذين يزيد عددهم على الثلاثة آلاف على الجبال وأطراف مضيق درعية وفى داخل الحدائق المختلفة وبقية أعوانه فى داخل الأسوار والأبراج ، وقوى متاريسه تقوية جدية على وجه لا ينفذ فيها القذائف (المرميات) فبعد إقامتنا خمسة أيام على هذه الحالة وإعطاؤنا المتانة اللازمة إلى متاريسنا وطوابى مدافعنا نحن أيضاً قد هجمنا على متاريس الوهابيين الواقعة فى جهة الشمال وأخذناها من يدهم واضطرارهم إلى الفرار نحو متاريسهم الثانية ومع الاستمرار فى القتال فى المحل الذى أخذناه مقدار ساعتين قد عملنا متاريساً وطوابياً للمدافع ومكثنا فيه بضع أيام وبعد تقوية المحل المذكور أيضاً قد هجم فرساننا من جهة وخدامكم عساكر المشاة من جهة أخرى على أتباعه الموجودين

فى جهة الجبل اليمنى وأخرجوا من متاريسهم وقتل وأعدم مقدار مائة وخمسين منهم وجرح ما فوق المائتين وحيث أن بقية السيوف التجأت إلى المتاريس التى فى ورائها القريبة من القلعة الأصلية المهدومة فوضع خدامكم جنود الموحدين فى المحل المحتل وجرى أعمال الطوابى المتينة للمدافع أيضاً وأقمنا بضع أيام أعطينا فى بحرها المتانة إلى المحلات اللازمة ، وهدمنا أحد أبراج قلعته وجزءاً من أسواره بالمدافع وقد نبهت على عبدكم « بهرام » بالهجوم على الأبراج المهدومة ونحن على وشك الدخول فى الأبراج المذكورة والاستيلاء عليها بعون الله وعنايته وبهمة مولاى ولى النعم السامية . إذ الوهابيين الموجودين فى جهة شمالنا خرجوا من متاريسهم وهجموا على متاريسنا ولكن انهزموا بنصرة الله الملك المستعان ، وعندما رأيت عبدكم تشتتهم وانهزامهم قد أخرجت جميع خدامكم الفرسان والمشاة من متاريسنا الكائنة فى اليمين والشمال وفى مضيق درعية وهجمنا على متاريسهم وطابية مدافعهم ودخلنا مع الأشقياء المقهورين فى داخل الأسوار والأبراج مندمجاً لبعض واستولينا على المحلات الواقعة فى مسافة مرمى مدفع إلى بلادهم الأصلية وغنمنا أربعة أعداد من المدافع الصفر (النحاس الأصفر) التى كانوا أخذوها فى السنوات السابقة ومحونا أربعمائة نفر من الوهابيين وقويت أيضاً المحلات التى استوليت عليها وأنه صمم إرسال أحد خدامكم إلى أعتاب ولى النعم ببشارة فتح وتسخير درعية هذه إلا أنه اكتفى الآن برجاء عدم انشغال أفكاركم فى هذه المسألة حيث أنها ستنتهى بدون شك طبق رغباتكم وأن عدد الوهابيين الذين قتلوا وفروا فى هذه الحروب يبلغ الألفين وحيث أن رجوع عبدكم إلى المدينة المنورة بعد ختام هذه المسألة أو إقامتى فى هذه الجهات ليست معلومة عندى فالتمس التكرم بإشعار ذلك لاتباع إرادتكم السامية التى ستصدر بهذا الشأن ، وإنى لا أحتاج الآن إلى الذخائر والمهمات من اللوازم الحربية ولا ضيق لدينا بخصوص النقود أيضاً . ولكن لابد من إرسالها للزومها بعد الآن على كلتا حالتى الإقامة والعودة وقد توفى إلى رحمة الله تعالى عبدكم « أحمد أغا أبوشنب » من قواد ولى النعم فى أثناء الحروب قبل اثنى عشر يوماً

من تاريخ عريضة عبدكم هذه ليطيل المولى عز وجل عمر مولانا ولى النعم ...
وأنه حضر أيضاً عبدكم الحاج على أغا الدرملى (الدرامه لى) قبل ثلاثة أيام من التاريخ المذكور إلى طرف عبدكم وقد أطلعت عبدكم على مآل ومفهوم مكاتبتكم الكريمة السامية التى صار التكرم بإرسالها ، وحيث أن سرورى وحبورى الذى تولد من حسن أنظار دولتكم ومحاسن آثار فخامتكم بلغ درجة الكمال فكررت أدعية دوام أيام عمركم ودولتكم التى هى فريضة ذمة عبدكم وقد حررت عريضة عبدكم هذه ببيان أنه صار إرسال ثلاثون عدداً من أوراق المكاتبات البيض التى أمر بإبعاثها فى مثل أوامركم العلية . وسياق الإفادات الأخرى وأرسلت وقدمت إلى أعتاب ولى النعم التى تقضى الحاجات بمعرفة عبدكم إبراهيم نجل شيخ الهلالية من قرى قصيم فان شاء الله تعالى لدى شرف الحصول والتفضل باطلاع دولتكم على كيفية الأحوال والأخبار السارة ، فالأمر ، والفرمان يامولاى صاحب الدولة والرحمة وولى نعمتى .

٢٥ جماد الأول ١٢٣٣ هـ — ٢ أبريل ١٨١٨ م

ختم

سلام على إبراهيم

ملحق (١٥)

محفظة ١٦/١٢٢ بحر برا

مكاتبة من محفوظات المعية السنية (بدون تاريخ)(*)

العريضة العربية العبارة المقدمة من طرف عبد الله بن سعود

إلى طرف الدولة العلية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل للداء العضال دواء وحسم وألغى نيات الأعداء السيئة بالصلح والصلاح اللذين كانا أول مانع من الوقوع فى المهالك المهلكة والصلاة والسلام على أشرف خلقه وأصفيائه محمد خاتم أنبيائه الذين بلغ أحسن أنبائه وعلى الله وأصحابه والتابعين وبعد :

فإنى أطوف حول كعبة آمال العبيد التى هى أعتاب دولة مولانا قطب دائرة الوجود وروح جسد العالم الموجود وملاذ الحاضر والبادى ومحط رحال آمال الرائح والغادى علم الأعلام إنسان عين أعيان الأنام من نام فى ظل عدله كل خائف ولجأ إلى حماه كل عاقل عارف ذى الأخلاق هى أرق من نسيم الصبا مع الهيبة التى تحل من أجلها الحبا سلطان البرين وخاقان البحرين الذى برز بطلعته طالع السعود السلطان بن السلطان سيدنا السلطان محمود الغازى وأقدم عريضتى هذه المشتملة على الضراعة وهى أنه لما كان عبدكم هذا من المسلمين الذين لا ينفكون عن أداء شروط الإسلام التى هى إعلاء كلمة الشهادة وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج بيت الله الحرام ومنع الظلمة من الإضرار بالناس وكف أيديهم والحث والحض على تأدية الواجبات التى هى

(*) انظر ، الفصل الحادى عشر ، ص ٣١٢ .

حقوق الله تعالى ومفروضاته فوقفاً للأوامر الشاهانية تمنع الظالم الخيف وتضع يد الإسعاف والمعاونة فى يد المظلوم والضعيف وترد النفوس الأمارة عن اتباع أهوائها ونسوقها ونقتادها إلى المنهج الشرعى الشريف ولذلك فقد حسد حضرة الشريف عبدكم هذا من عدوانه له ورماه بسهام الافتراء وجمع وحشد عساكره بمظاهرة البدو والحضريين لقتالنا ولكن لما كان قتاله لنا ظلماً وافتراء وقتالنا دفعاً للشرور والبلوى عاد مخذولا بصفة خاسرة ومع ذلك صرت أحج كل عام كسائر المسلمين ومع كونى لم أحدث حدثاً فى الحرمين المحترمين تشبث المشار إليه بأذيال الخدعة والحيلة وادعى بأن الحجاج الواردين من قبل الدولة العلية لم يكن لهم غرض إلا السعى فى الفساد وقتل النفوس فى الحرمين الشريفين وخدع عبدكم والدى وأغراه بزخرف الأقوال لمنع الحجاج وإرجاعهم وحجز عنده العرائض التى قدمها عبدكم والدى إلى الأعتاب العلية عن هذا الخصوص بحجة أنه سيرسلها بواسطته وكتب عرائض أخرى مزورة على لسان والدى مخالفة للعرائض الأولى وقدمها إلى الباب العالى كما تحقق ذلك وتبين فيما بعد — وأنه وإن كان رأى ثمرة سوء أفعاله تصديقاً لقوله تعالى « لا يحيق المكر السيء إلا بأهله » ، ولكننا لم نتدخل فى شئون البنادر الموجودة تحت يده ولم نجز الفساد الذى سعى فيه بين رعايا الدولة العلية وإنما وافقناه على إرجاعه حجاج المسلمين برأيه الخاص مجاراة له ومن الواضح أننا لا نجرؤ على منع حجاج المسلمين أصلا لكونهم مستظلين بظل سطوة حمايتكم الشاهانية ، ولما كان حجاج المسلمين رحمة عامة لكافة البلاد والعباد وروافض الأعجام طامة وأى طامة فالمشهور عنا أننا لا نتدخل ولا نتعرض بأى وجه كان لمرور حجاج روافض الأعجام وعبورهم فى كل عام . من حوالينا . وعلى العموم فإن كل ما نسب إلى عبدكم هذا من أمور الطغيان والخروج كلها ناشىء عن خدعة الشريف المشار إليه ودسيسة وقد كتم وأنكر ما بذلنا له من الحسنات وحرض

الناس علينا ودعاهم إلى قتالنا بدون علمنا بذلك وفى النهاية جد الجد ووصل الأمر إلى مثابة إهلاك الحرث فى أرض الغور والنجد وقد شمر حضرة صاحب الدولة الوزير الحاج محمد على باشا والى مصر الحالى الموصوف بالجلاد عن ساعد الاهتمام والإقدام وأحال سيف الحرب والانتقام على العربان المتحشدين بالحرمين الشريفين وفى سائر الأقطار الحجازية فأرسل نجله المحترم والى جدة الوزير المكرم صاحب الدولة طوسون أحمد باشا مع الجيش الخديوى المظفر الذى سقى الأعداء سم العدم إلى موضع يسمى القصيم فلما وصل الوزير المشار إليه إلى الموضع المذكور ونصب فيه الخيام واتخذه مقراً للحرب والجدال وعدَّ عبدكم هذا من ضمن الذين عصوا الدولة العلية وأوقد نار الحرب ضدنا أوضحنا لدولته كيفية أحوالنا وعرضنا اعتقادنا الصحيح إلى حضرة والده العالى المشار إليه والتمسنا الأمان من ذاته العلية صيانة لروح عبدكم هذا وأرواح قومنا وقبيلتنا وسائر من بجوارنا على أن نعلن الإطاعة للدولة العلية من الآن ونتبرأ من الذين اجتمعوا على تفريق الجماعة ورغبت فى الصلح والصلاح وبادرت مهما بحسب ما يجب على ذمة عبوديتى التى تقتضيه حقوق الرعية وقدمت عريضتى هذه التى هى أشهر من المثل السائر مصداقاً لصداقتى على أن لا أنفك عن قيد الإطاعة وأن أعد من عبيدكم القائمين بجميع خدمات الدولة العلية فهى برهان قاطع يشهد بأنى قائم بالدعوات فى الأعياد والمحافل وعلى المنابر بدوام عمركم ودولتكم وحينما يحاط علم مراحمكم بما ذكر أن تتفضلوا بالسماح والتجاوز عن جرائم عبدكم — هذا وزلاته السابقة واللاحقة ومحوها بالصفح الجميل عملا بقوله تعالى « والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس » . وذلك بمقتضى حلمكم ومرحمتكم وشفقتكم اللتين هما ظل ظليل لأمن كل خائف وأمانه وهم شوكتكم وصلابتكم الملوكيتين القويتين اللتين هما فاتحتان لجلامد الصم والأمر والإرادة لحضرة من له الأمر .

ختم دائرى ، الواثق بالله المعبود عبدالله بن سعود ، تحية عبدالله بن سعود

ملحق (١٦)

رسالة من عبد الله بن سعود إلى محمد على
محفظة رقم / ٤/ ٣٣ بحر برا صورة عربية أصيلة (بدون تاريخ)(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد على باشا :

نحمدك اللهم على مامنيت به من الإصلاح بالصلح الحاقن لدماء المسلمين عن السفك بالسلاح وحميت به حمى الدولة الإسلامية عن الوقوع فى إشراك البلية وكففت به أكف الأمة المحمدية عن بلوغ العدو فيها غاية الأمنية ونصلى ونسلم على أشرف الرسل الهادى لأحسن السبل محمد أكرم أنبيائه وأفضل أصفيائه وعلى آله الكرام وأصحابه هداة الأنام ، ثم ينتهى لحضرة الجناب العالى الدائم فى طلب المعالى عزيزمصره وبدر دهره بلغه الله من المعالى ما شاء ذوالهمة العلية والأخلاق المرضية حرسه من طوارق البلا وبلغه ما أراد من الرتب العلا وبعد : فغير خاف على جنابكم حقيقة ما نحن عليه وما ندعو الناس إليه إننا جاهدنا الأعراب حتى أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وألزمناهم صيام رمضان وحج بيت الله الحرام ومنعناهم عن ظلم العباد والسعى فى الأرض بالفساد وعن قطع سبل المسلمين والتعرض لحجاج بيت الله الحرام من الوافدين فعند ذلك شكوا إلى والى مكة غالب ورمونا بالكذب والبهتان وخرجونا وبدعونا وقالوا فينا مانحن منه براء فسير علينا بأجناد وعدد وعدة فأعجزه الله وله الحمد والمنة . فقاتلناهم دفعاً لشره ومقابلة لفعله القبيح ومكره فرده الله بغيظه لم ينل خيراً واستولينا على الحرمين الشريفين وجدة وينبع فلما تمكنا من أوطانه فعلنا معه كل جميل وأقريناه على ما كان تحت يده من البلدان ووجهنا مدخول

(*) ترجح أن تاريخ هذه الرسالة عام ١٢٣١ هـ ١٨١٥ م انظر الرسالة الفصل الحادى عشر ص ٣١٢ (المؤلف) .

البنادر إليه وأكرمناه غاية الإكرام توقيراً للنسب الشريف وتعظيماً للبلد الحرام ثم بعد ذلك قام وقعد وأكثر التقلب واجتهد وبالغ عند أبى رحمه الله فى رد الحجاج القادمين من جهتكم وزعم أنهم إن قدموا مكة شرفها الله سفكوا فيها الدماء واستحلوا حرمتها وأكثر القول فيهم حتى قال إنهم أهل غدر وخيانة فظن أبى ذلك نصيحة منه فمنع الحجاج خوف الفساد والفتن وكتب الدولة إذ ذاك كتباً مضمونها إننا لم نمنع الحجاج القادمين من تلك الجهات إلا لأجل ذلك فإن جانا من الدولة خبر تعتمده أن الحجاج القادمين يحجون البيت الحرام ويزورون المسجد النبوى على صاحبه أفضل الصلاة والسلام من غير أن يحدثوا حدثاً تستباح به حرمة الحرمين الشريفين فنحن نحميهم عن جميع من تحت يدنا من جميع حاضر وباد حتى يحجوا ويرجعوا إلى أوطانهم ثم إن الشريف طلب من أبى رحمه الله أن يتولى إرسال تلك الكتب التى هذا مضمونها إلى الدولة فأجابه لكونه أعرف منا بتلك الجهة ثم إننا تحققنا أن ذلك مكر منه بنا لأنه أظهر للدولة عنا غير ذلك وصار يكتب لهم على لسان أبى ما يورث العداوة والإحن بيننا وبين الدولة من الكذب والبهتان ويمهر تلك الكتب التى زورها بمهر قد نقشه باسم سعود ويحبس ما كتبه أبى عنده وقصده بذلك إثارة الفتن واضطرام نار الحرب ونحن لا نشعر بشىء من مكره حتى ثار الحرب بيننا وبينكم وأحاط به سوء فعله ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله — فعلمنا أن مطلوب الدولة العلية صيانة الممالك الإسلامية لاسيما الأقطار الحجازية ومن أعظمها صيانة الحرمين الشريفين والذب عن حماها الأحمى بلا ريب ولا مين والقيام للدولة على قدم السمع والطاعة والإقدام على إظهار المشعر بهما حسب الاستطاعة ومنها الدعا بحضرة سلطان السلاطين نصره الله تعالى على المنابر وكف يد الأذى عن الوارد إلى الممالك المحروسة والصادر فأطفأنا من الشد حريقاً وفتحنا إلى الصلح طريقاً ولم نزل نجتهد فى إبرامه حتى انعقد بين

الفريقين وبذلنا الوسع فى حقن الدماء من الجانبين وصورة ما وقع عليه انعقاد الصلح من الشروط محرر فى الوثيقة مضبوط فبوصلها إليكم تشرفون على إجمالها وتفصيلها ونرجو أنكم تستحسنون مواقع تأسيسها وتأصيلها وتشرفون على كتابنا المعروض على حضرة السلطان ولكم الأمر بعد الله فى جميع هذا الشأن وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

عبد الله بن سعود

ختم دائرى

الواثق بالله المعبود عبد الله بن سعود

ملحق رقم (١٧)

رسالة من عبدالله بن سعود إلى محمد على

محفظة رقم ٩/٤ بحر برا تاريخها ٢٩ صفر دون ذكر سنة*

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد على باشا :

حمداً لمن أحمى غراس المواصلة بوابل هتّان المكاتبة والمراسلة وأماط به مادة المقاطعة والمفاصلة والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف من أرسله وعلى آله وصحبه الذين بلغوا من صحبته ومحبته غاية المنزلة إلى من شرفت به الدولة المرعية والرتب العلية حتى صار ملهج لسانها نخل من عينها مكان إنسانها فريد مصره ووحيد قطره بعد التسليمات الوافرة والتحيات المتكاثرة ننهى إليكم أدام الله سبحانه سوابغ نعمه عليكم أنه قد وصل إلينا كتابكم وفهمنا ماتضمنه خطابكم فوقفنا على معانيه وعرفنا المصرح به والمشار إليه فيه وما ذكرتم من القبول لما انبرم من أمر الصلح أن كان ما قلنا حقاً وما حررناه محكما وصدقاً فنحن بحمدالله للمكر والخديعة مجانبون وللصدق والوفاء بالعهد معاملون وليست الخديعة والمكر من شيم الكريم الحر والصدق قد تقرر من سيرتنا عند البعد والفضل ماشهدت به الأعداء وليس عندنا لكم إلا الصدق والوفاء . فيما ظهر وخفى فلكم منا العهد والميثاق أننا لما جرى بيننا وبينكم ملتزمون ولأمر المعاقدة محققون فالواجب منكم مراعاة العهد بالتزام أحكام الحق وإيثار أسباب الرفق لما فى ذلك من الصلاح الشامل ، والخير العاجل والآجل ومثلك وفقك الله ممن يستغنى باشارة التذكرة ويكتفى بلمحة التبصيرة لما تأوى إليه من

(*) عربية الأصل .

السياسة والتجربة وما أشرتم إليه من حروبنا السابقة مع أهل الحجاز وغيرهم فلم نقاتل أحداً منهم ابتدا بل هم بدءوا بالقتال بغياً وعدوانا فقاتلناهم دفعاً لشرهم فجعل الله لنا عليهم سلطاناً ولم نقابلهم بما جرى منهم إلا إحساناً فلما كانت لنا القدرة عليهم أمرناهم بإقامة شرائع الإسلام والتزام سائراً الأحكام من عبادة الله وحده لاشريك له وإقامة الصلوات الخمس وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام فانحسم بذلك مواد شرهم وفسادهم لأن أكثرهم مفسدون فى الأرض مضيعون لما أمر به الله من الواجب والفرض بل أكثرهم للطرق قاطعون وجلتهم للبعث منكرون يقولون ما قاله سلفهم الأولون ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون ، فلما كانت لنا القدرة عليهم وجب علينا أن نحملهم على الشرع الشريف عملا بقوله سبحانه : «الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» وبقوله صلى الله عليه وسلم فيما صح عنه وثبت « من رأى منكراً فليغيره بيده فمن لم يستطع فبلسانه فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » ، ولأننا نعلم علماً قطعياً أن السلطان لا يرضى منهم بذلك ولا يأمر بدخولهم تلك المسالك ، وأما ماأشرتم إليه من اهتمامكم بالحرمين الشريفين وسعيكم فى مصالحها فهذا أمر قد تحققناه من سيرتكم وعرفناه ومن طريقتكم ونحن إن شاء الله نلتزم لكم بذلك فنكف عنهم الأذى ما استطعنا ونوصل من الأقوات إليهم ما قدرنا ونمنع حجاجكم من أرادهم بسوء ومكروه أو حام حامهم بأمر لاترضوه ولو كانت الحرمان الشريفان من أعوانكم خالية ومن عسكركم صافية لم يأتهم منا ما تكرهون ولم يقع منا ماتحذرون فنم من طرفنا قرير العين والقلب طيب الخاطر واللب فنحن إن شاء الله فى طاعة الله ورسوله يد واحدة على من سوانا معتصمون بحبل الله على من عادانا وفى الحقيقة ماتحت يدنا من الجيوش والأعوان عسكر لكم وفى خدمتكم بلا ديوان نسأل الله العظيم أن يجمعنا وإياكم على طاعته ويدخلنا دار كرامته ويعمر بالسؤدد

ربعك ويوسع لحمل أثقال المعالى ذرعك وصلى الله وملائكته وأنبيائه ورسله على أشرف خلقه وخيرته من بريته محمد وعلى آله وصحبه تسليما كثيراً .

حرر فى اليوم التاسع والعشرين من شهر صفر بدون ذكر سنة

ختم دائرى

الواثق بالله المعبود عبد الله بن سعود — تحية عبد الله بن سعود

ملحق رقم (١٨)

دفتر / ٤ معية تركى ص ١٤

مكاتبة عربية واردة من شاه العجم (عباس مرزا)

إلى والى مصر محمد على باشا بوساطة سفير العجم السيد على خان *

خطاب يفرح الدهر بذكره ويعبق الخلد بنشده ويكشف أسرار الجنان ويخجل روضات الجنان إلى الأمير الكبير ذى المجد الأثيل والجاه الخطير شمس المجد والنجد بدر الجاه ظهر الغزاة وقهر العداة الغازى فى سبيل الدين والفاتح لحصون المفسدين محمد على باشا أيد الله لذيذ عيشه وأيده بعزيز جيشه أنه قد بلغ إلينا مجارى أمرك ومعالى قدرك وأنباء ظفرك ونصرك ما ينشد أبهج عنه ويبشر المبهج به وتحار العقول لديه ونظير القلوب إليه فاطلعنا على ما صنعت فى قتال العرب وصبرت فى احتمال التعب واجتهدت فى تجهيز الكتايب وتشميد القواضب حتى وطيت أرجاء التهامة بأقدام الشهامة وخلصت أرض النجد بالعز والمجد وفتحت باب الأمنية بفتح الدرعية وبالغت فى دفع البدع ونفى الدين المخترع وقطع دابر المفسدين ونصر إسلام المسلمين حتى شرحت صدرهم بعد حرجه واستقام الأمر بعد عوجه وبدأ علو الدين وباد عدو المؤمنين وبشر خيل البلا بالجلا وسوق الفساد بالكساد وراء اللجاج بالعلاج ودين الإله بالرواج وصفت موارد الحجاج بأمر المسالك ورفع المهالك وخفضت لهم جناحك وأنست بهم جانبك ولا قيتهم بطيب المعاشرة ورفق المجاورة وسعيت فى الحج أو بهم وحل عقدهم واستقامة أودهم حتى ملأ الأرض ذكرك وبلغ السماء قدرك وأطربنا صيت محامدك وأعجبنا حسن مجاهدك فلزم على همتنا العالية

(*) نرجح أن تاريخ هذه الرسالة هو إما نهاية عام ١٢٣٣ هـ — ١٨١٨م أى عقب سقوط الدولة السعودية الأولى . أو بداية عام ١٢٣٤ هـ — ١٨١٩ م . لأنها تعبر عن فرحة شاه إيران بسقوط دولة آل سعود على يد قوات محمد على ، (المؤلف) انظر الفصل العاشر ، ص ٢٧٨ — ٢٧٩ .

أداء رسوم التهنئة لما خصك الله بتقديم الجهاد وأظفرك على أهل العناد فبعثنا إليك العالى بالجاه فخر الأنداد السيد الجليل الطيب النبيل السيد على خان وأظهرنا نبذا من سرور القلب ونشاط البال فى استماع تلك الأخبار والأحوال وحولنا شرح سائر الحالات وكشف الأرواح ولا مكتوف البراع عن مكنون الأضلاع بل نحل الدفاية الروحانية عن بدايع البيانية ولا ندرك إلا ببصاير القلوب الصافية وسراير الصدور الخالصة فأرجع البصر نحو قلبك وانظر إلى باطن صدرك وموطن سرك كى ترى مكنون فؤادنا وتعلم حبنا واعتقادنا عرياً عن كسوة الوسائل غنياً عن الرسل والرسائل ولا غرو وأننا وافقنا معك فى العالم الأزل بمشية لم تزل فوفقنا الله وإياكم بدين الإسلام وطاعة سيد الأنام والتزام جهاد الباغين وانتظام نقود المسلمين ثم اتخذنا رايتنا العلية وأهدابك الصفية فى أغلب الآفاق وأكثر الأعراق منها اجتناء أثمار المآثر وقلة الاعتناء بالذخائر — إن خير الدهر صيت ينبغى به الفخر أو مال يصرف بحسن المآل فأسأل الله تعالى أن يختم مآلنا ومآلك بالخير والعاقبة بالعافية والخاتمة بالسعادة والسلام .

حاشية :

إن خير التحف وأشرف مايهدى ويتحف صرف واداد يبعث من صفد الفؤاد لكنه جرت عادة الأسلاف من الملوك والأشراف بإبلاغه التحية مصحوباً بالهدية وقد كان عندنا سيف حديد بقى من سالف العهود وتركه الملوك إلى الملوك فكانوا يتقلدون به ويتقالون بيمينه حتى انتقل إلى الدولة البهية الخاقانية وأعطيناه من الحضرة العلية السلطانية فخصصناه بك لما يناسب عزمك فى الحد والمضاء وحدك فى اليمن والبهاء وأصحبناه خاتما فيروزجاً وأظهرنا من حب الفؤاد أنموذجاً . . .

ختم

شاه العجم عباس ميرزا

المصـــــادر

المصادر العربية

أولا - الوثائق

(أ) وثائق غير منشورة :

وهى الوثائق المحفوظة بدار الوثائق القومية التاريخية بعابدين ، (وكانت هذه الوثائق أصلا مكتوبة باللغة التركية . ترجمت عام ١٩٣٢ م تحت إشراف الحكومة المصرية . وقام بترجمة معظمها الأستاذ محمد زهدى الكوثرى الذى كان آنذاك يعمل مترجماً بالدار التى كانت تعرف فى ذلك الوقت باسم دار المحفوظات التاريخية . وقد اعتمدت على أنواع من هذه الوثائق :

١ - دفاتر معية تركى : الدفاتر رقم ١ ، ٣ ، ٤ . وهى الدفاتر التى تغطى فترة البحث منذ أن بدأت الدولة العثمانية تكلف محمد على بحرب آل سعود ، وتحوى هذه الدفاتر المراسلات المتبادلة بين محمد على والباب العالى ، ومما يؤسف له أن الدفتر الثانى منها مفقود . وحاولنا أن نعثر له على أثر بالدار ولكن دون جدوى ، رغم أن أحد قدامى موظفى الدار أكد لى أنه كان موجوداً بالدار عند ما كانت فى مقرها القديم ولعل يد امتدت إليه لهدف ما أثناء نقل الوثائق إلى مقرها الحالى .

٢ - محافظ بحربرا : وهى تحوى الرسائل المتبادلة بين محمد على وولديه طوسون باشا وإبراهيم باشا وبعض رؤساء الجند وبعض الأشراف . بالإضافة إلى بعض الرسائل التى كان محمد على يرسلها إلى الباب العالى يخبره فيها بأنباء إنتصارات قواته على آل سعود والمحافظ التى أفادتنى فى بحثى هى ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١٦ .

٣ - محافظ تحت بند متفرقات : وهى محافظ تحوى الوثائق التى بدون تاريخ وقد عثرت فى إحدى هـذه المحافظ (محفظة رقم ٩٦) على الرسائل العربية الأصل التى أرسلها عبد الله بن سعود آخر حكام الدولة

السعودية الأولى إلى كل من السلطان محمود الثانى ومحمد على باشا والى مصر . وقد عثرت فى هذه المحفظة أيضاً على رسالة عربية الأصل مرسلة من شاه إيران عباس مرزا إلى محمد على باشا يهنئه فيها على نجاحه فى القضاء على دولة آل سعود وقد نشرت هذه الرسائل ضمن ملاحق البحث .

٤ — محافظ الحجاز : وهى تحوى جميع الوثائق المتعلقة بالحملات المصرية ضد آل سعود .

٥ — محافظ ذوات : وأعتمدت على المحفظة رقم (١) حيث وجدت بها بعض الوثائق المتعلقة ببحثى .

وقد استغرقت منى دراسة هذه الوثائق ما ينوف على عامين . حيث قمت بنسخ كل ما يخدم بحثى منها .

(ب) وثائق منشورة :

١ — وثائق حكومة المملكة العربية السعودية الخاصة بقضية التحكيم لتسوية النزاع الإقليمى بين مسقط وأبو ظبى وبين المملكة العربية السعودية «وهى المعروفة باسم » عرض حكومة المملكة العربية السعودية وهذه الوثائق تقع فى ثلاث مجلدات وملحق به جداول الزكاة التى كانت الحكومة السعودية تقوم بجمعها من القبائل العمانية . ولهذه الوثائق أهمية كبيرة حيث توجد بها معلومات قيمة عن تاريخ العلاقات العمانية السعودية والتدخل الإنجليزى فى شئون إمارات الخليج . وهى تمثل وجهة النظر السعودية إزاء هذا النزاع مدعمة بأدلة وبراهين مستمدة من الوثائق العربية والأجنبية والكتابات المعاصرة ومن هنا جاءت أهميتها . وقد نشرت هذه الوثائق فى ١٣٧٤ هـ — ١٩٥٥ م .

٢ — محاضر الجلسات الخاصة بقضية عمان بهيئة الأمم المتحدة وتوجد لها ترجمة عربية دقيقة بمكتبة أمانة جامعة الدول العربية .

ثانياً — الكتب العربية :

١ — ابراهيم فصيح بن السيد صبغة الله الحيدري :

عنوان المجد فى بيان أحوال بغداد وبصرة ونجد . وقد كتب المؤلف كتابه على طريقة الموضوعات أى قسمه إلى ثلاث موضوعات كل موضوع منها يختص بدراسة جزء من العنوان وتعود أهمية هذا المصدر إلى أن المؤلف زار كثيراً من البلاد التى ذكرها فى كتابه بالإضافة إلى أنه كان موظفاً بالبصرة عند تدوينه لكتابه ١٢٨٦ هـ — ١٨٦٩ م وقد ذكر فى الجزء الخاص بنجد الرسائل المتبادلة بين بعض أئمة آل سعود وأبنائهم وبعض عمالهم .

والنسخة التى اعتمدت عليها هى النسخة المطبوعة حديثاً ببغداد . طبع دار البصرى بدون تاريخ . بعد أن تمكنت من الحصول عليها .

٢ — أبو الطيب صديق بن حسن بن على بن لطف الله الحسينى البخارى القنوجى ١٢٤٨ — ١٣٠٧ هـ — ١٨٣٢ — ١٨٩٠ م .

التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول تصحيح وتعليق الدكتور عبد الحكيم شرف الدين . طبع المطبعة الهندية العربية بمباى سنة ١٣٨٢ هـ — ١٩٦٣ م .

٣ — أحمد السباعى

تاريخ مكة ، دراسات فى السياسة والعلم والاجتماع ، دار الكاتب القاهرة ١٣٧٢ هـ — ١٩٥٢ م .

٤ — أحمد أمين

زعماء الإصلاح فى العصر الحديث . طبعة لجنة التأليف والنشر القاهرة ١٣٦٧ هـ — ١٩٤٨ م .

٥ — أحمد بن زينى دحلان

خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام . تأليف أحمد بن زينى دحلان المكى المتوفى سنة ١٣٠٤ هـ - ١٨٨٧ م . والمؤلف يسرد تاريخ

مكة المكرمة ومن تولى إمارتها من الأشراف وما وقع فى أيامهم من الفتن والحوادث وهو يعبر عن وجهة النظر الحجازية المعادية للدعوة السلفية وآل سعود ولذا أخذنا عنه بحذر والحق أنى تمكنت من استخلاص كثير من الحقائق عن طريق مقارنة المصادر المعادية للدعوة ولآل سعود والموالية لهما .

وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة لهذا المصدر بالقاهرة سنة ١٣٠٥ هـ — ١٨٨٨ م والتى بهامشها كتاب الإعلام بأعلام بيت الله الحرام للعلامة قطب الدين النهروانى والمحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٠٨٢ تاريخ .

٦ ــ أحمد عبد الغفور عطار

صقر الجزيرة ، ثلاثة أجزاء ، طبعة جدة ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٤ م .

٧ ــ أحمد عزت عبد الكريم (دكتور)

* دراسات فى النهضة العربية الحديثة طبع القاهرة بدون تاريخ .
* تاريخ العالم العربى (مع آخرين) طبع القاهرة ١٢٨٣ — ١٩٦٣ .
* مقدرة الاستعمار فى الخليج الفارسى طبع القاهرة ١٩٥٦ .
* مقدمة حوادث دمشق اليومية . طبع القاهرة ١٩٥٩ م .

٨ ــ أحمد عسه

معجزة فوق الرمال . الطبعة الثانية . بيروت ١٩٦٦ م .

٩ ــ أحمد على الصوفى

المماليك فى العراق . طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ م .

١٠ ــ أحمد فخرى (دكتور)

اليمن ماضيها وحاضرها . طبع معهد الدراسات العربية . القاهرة سنة ١٩٥٧ .

١١ - أحمد قاسم البوريني

الإمارات السبع على الساحل الأخضر . بيروت ١٩٥٧ م .

١٢ — أحمد محمود صبحي

البحرين ودعوى إيران . طبع اسكندرية ١٩٦٢ م

١٣ — أحمد مصطفى أبو حاكمة (دكتور)

* تاريخ الكويت . الجزء الأول . طبع الكويت ١٩٦٧ م .

* محاضرات في تاريخ شرق الجزيرة العربية في العصور الحديثة طبع معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ .

١٤ — إدوار جوان

مصر في القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد مسعود . طبع القاهرة سنة ١٣٤٠ هـ — ١٩٢١ م .

١٥ — السيد جمال مصطفى سالم (دكتور)

تكوين اليمن الحديث ، طبع معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦٣ م

١٦ — أمين الريحاني

* تاريخ نجد الحديث وملحقاته (الطبعة الثانية) طبع بيروت سنة ١٩٥٤ م .

* ملوك العرب أو رحلة في البلاد العربية ، جزءان ، طبع بيروت سنة ١٢٩٤ م .

١٧ — أمين سعيد

* الخليج العربي في تاريخه السياسي ونهضته المعاصرة طبع بيروت سنة ١٩٦٥ .

* تاريخ المملكة العربية السعودية ، ثلاثة أجزاء ، طبع بيروت سنة ١٩٦٤ .

١٨ — أنور الرفاعى

جزيرة العرب جغرافيا . طبع بيروت

١٩ — بيير كربيتس

ابراهيم باشا ، ترجمة محمد بدران ، طبع القاهرة ١٩٣٧ .

٢٠ — جمال الدين الشيال (دكتور)

الحركات الإصلاحية ومراكز الثقافة فى الشرق الإسلامى جزآن طبع معهد الدراسات العربية . القاهرة ، ج ١ ١٩٥٧ ، ج ٢ ١٩٥٨ .

٢١ — جمال زكريا قاسم (دكتور)

* إمارات الخليج العربى . طبع جامعة عين شمس ١٩٦٦ .

* دولة البوسعيد ، طبع القاهرة ١٩٦٨ .

* رحمة بن جابر الجلاهمة . بحث منشور فى حولية كلية آداب جامعة عين شمس ١٩٦٤ .

* الأصول التاريخية لقضية عمان . بحث منشور بالمجلة التاريخية المصرية ، المجلد الثانى عشر ، ١٩٦٤ .

٢٢ — جلال يحيى (دكتور)

المدخل إلى تاريخ العالم العربى الحديث ، طبع دار المعارف ١٩٦٧

٢٣ — حافظ وهبة

جزيرة العرب فى القرن العشرين . طبع القاهرة ١٩٤٦ .

٢٤ — حسن سليمان محمود (دكتور) وآخرون

تاريخ المملكة العربية السعودية ، طبع القاهرة ١٩٦٠ .

٢٥ — حسين بن أحمد

بلوغ المرام فى شرح مسك الختام ، طبع القاهرة ١٩٠٠ م — ١٣١٨ هـ .

٢٦ — حسين بن غنام

روضة الأفكار والإفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوى الإسلام ، المسمى تاريخ نجد ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، طبع القاهرة ١٩٦١ — ١٣٨١ هـ .

وهو من كبار تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب — وقد قسم كتابه إلى جزأين : الأول خاص بتاريخ آل سعود وبيان أصول الدعوة السلفية والأحوال الدينية التى كانت سائدة فى العالم الإسلامى آنذاك . والجزء الثانى أطلق عليه اسم « الغزوات والفتوحات الإسلامية » . أى ذكر غزوات آل سعود لمناطق نجد والمناطق المجاورة من جزيرة العرب وأطراف العراق . وتوجد من هذا المؤلف ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت أرقام ٧١٠١ ح ، ١١٠٣٣ ح ، ٩٧٣٧ ح . كما توجد منه نسختان خطيتان بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقمى Add 19799 ، Add 19800 (١).

وقد اعتمدت على النسخة المطبوعة فى القاهرة سنة ١٩٤٩ التى قام أخيراً الدكتور ناصر الدين الأسد بتحقيقها وتهذيبها ونشرها تحت اسم تاريخ نجد وطبعت بالقاهرة فى ١٩٦١ م — ١٣٨١ هـ .

---

(١) أحمد أبو حاكمه ، تاريخ الكويت ، جـ ١ ، ص ٢٢ .

وحسين بن غنام يدون أحداثه بطريقة حولية أى يذكر أحداث كل عام مستقلة مرتبة حسب شهور السنة الهجرية . ومن الغريب أن ابن غنام ينهى تاريخه باحداث ١٧٩٧ م — ١٢١٢ هـ . رغم أنه عاش بعد ذلك فترة ثلاثة عشر عاماً . فقد دون ابن بشر تاريخ وفاته ضمن أحداث عام ١٨١٠ م — ١٢٢٥ هـ (١) . ولا نعرف السبب الذى دعاه إلى التوقف عن الكتابة .

٢٧ — حسين بن محمد بن نصيف

ماضى الحجاز وحاضره . طبع القاهرة ١٣٤٩ هـ .

٢٨ — حسين خلف خزعل

تاريخ الكويت ، طبع بيروت ١٩٦٢ .

٢٩ — حسين مؤنس (دكتور)

الشرق الإسلامى فى العصر الحديث ، طبع القاهرة ١٩٣٨ .

٣٠ — خير الدين الزركلى

قاموس الأعلام ، سبعة أجزاء ، طبع القاهرة ١٩٥٦ .

٣١ — دولة الكويت

الكتاب السنوى ١٩٦٦ ، طبع الكويت ١٩٦٦ .

٣٢ — راشد عبد الله الفرحان

مختصر تاريخ الكويت ، طبع القاهرة ١٩٦٠ م - ١٣٨٠ هـ .

٣٣ — رسول الكركوكلى

دوحة الوزراء فى تاريخ وقائع بغداد الزوراء ، نقله عن التركية

(١) عثمان بن بشر ، عنوان المجد فى تاريخ نجد ، ج ١ ، ص ١٤٩ .

موسى كاظم نورس ، طبع دار الكاتب العربي ببيروت ١٩٦٥ م — ١٣٨٥ هـ تأليف الشيخ رسول الكركوكلي الذي عاصر حقبة طويلة من تاريخ البحث . وهذا المصدر من المصادر التي لا يستغني عنها الباحث في تاريخ آل سعود . فقد ذكر حوادث غارات آل سعود على أطراف العراق تفصيلياً . وإن كان في ذكره لهذه الأحداث موالياً للسلطات العثمانية بحكم أنه تركي . وقد اعتمدت على النسخة المترجمة التي توجد بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٥٨٠٣ ح .

٣٤ — ساطع الحصري

البلاد العربية والدولة العثمانية ، طبع بيروت ١٩٦٠ .

٣٥ — سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب

كتاب التوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق وتذكرة أولي الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب طبع القاهرة ١٩٠١ م — ١٣١٩ هـ .

٣٦ — سليمان بن عبد الوهاب

الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ، طبع القاهرة بدون تاريخ .

٣٧ — سيد نوفل (دكتور)

الأوضاع السياسية لإمارات الخليج العربي . جزآن ، طبع معهد البحوث والدراسات العربية . ج ١ طبعة ثانية ١٩٦٨ ، ج ٢ طبعة أولى ١٩٦٦ .

٣٨ — سيف مرزوق الشملان

من تاريخ الكويت . طبع القاهرة ١٩٥٩ .

٣٩ — شركة الزيت العربية الأمريكية بالظهران

عمان والساحل الجنوبي للخليج الفارسي ، طبع القاهرة ١٩٥٢ .

٤٠ — صلاح الدين المختار

تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها ، جزءان ، طبع بيروت ١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م .

٤١ — صلاح العقاد (دكتور)

* التيارات السياسية في الخليج العربي ، طبع القاهرة ١٩٦٥ .

* الاستعمار البريطاني في الخليج الفارسي ، طبع القاهرة ١٩٥٦ .

* دعوة حركات الإصلاح السلفي . بحث منشور في المجلة التاريخية المصرية . المجلد السابع سنة ١٩٥٨ .

٤٢ — طه حسين (دكتور)

الحياة الأدبية في جزيرة العرب . بحث منشور في مجلة الهلال ، مارس ١٩٣٣ .

٤٣ — عباس العزاوى

* عشائر العراق ، ٤ أجزاء ، طبع بغداد من ١٩٣٩ — ١٩٥٦ .

* تاريخ العراق بين احتلالين ، ٨ أجزاء ، طبع بغداد ١٩٥٩ .

٤٤ — عبد الحميد البطريق (دكتور)

* الوهابية دين ودولة ، بحث منشور بحولية كلية البنات جامعة عين شمس ١٩٦٤ .

* إبراهيم باشا في بلاد العرب ، القسم الأول من كتاب ذكرى البطل الفاتح ابراهيم باشا ، سنة ١٩٤٨ .

٤٥ — عبد الرحمن الجبرتى

عجائب الآثار فى التراجم والأخبار، ٤ أجزاء ، طبع القاهرة ١٣٢٢.

٤٦ — عبد الرحمن زكى (دكتور)

* التاريخ الحربى لعصر محمد على ، طبع القاهرة ١٩٥٠ .

* أعلام الجيش والبحرية فى مصر فى القرن التاسع عشر ، طبع القاهرة ١٩٤٧.

٤٧ — عبد الرحمن الرافعى

عصر محمد على ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م .

٤٨ — عبد الله القصيم

* الثورة الوهابية ، طبع القاهرة ١٩٣٦ .

* الفصل الحاسم بين الوهابيين ومخالفيهم .

(رد على بعض مخالفى الوهابية ومناقشة بعض افتراءات مجلة الأزهر) ، طبع القاهرة ١٣٥٢ هـ — ١٩٣٦ م .

٤٩ — عبد الله عبد الكريم الجرافى

المقتطف من تاريخ اليمن ١٣٧٠ هـ — ١٩٥١ م .

٥٠ — عبد القدوس الأنصارى

تاريخ مدينة جدة بدون تاريخ .

٥١ — عبد الكريم غرايبة (دكتور)

مقدمة تاريخ العرب الحديث ، طبع دمشق ١٣٨٠ هـ — ١٩٦٠ م .

٥٢ — عبد العزيز حسين

المجتمع العربى فى الكويت ، طبع معهد الدراسات العربية .

٥٣ — عبد العزيز سليمان نوار (دكتور)

* المصالح البريطانية فى أنهار العراق ، طبع القاهرة ١٩٦٧ .

* داود باشا ، طبع القاهرة ١٩٦٨ .

٥٤ — عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامى المكى

سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى ، أربعة أجزاء ، طبع المطبعة السلفية بمصر ١٣٧٩ هـ — ١٩٥٩ م .

٥٥ — عبد الواسع بن يحي الواسعى

تاريخ اليمن ، طبع القاهرة ١٩٤٧ .

٥٦ — عثمان بن بشر

عنوان المجد فى تاريخ نجد ، جزءان ، طبع مكة المكرمة سنة ١٩٣٠ .

توجد من هذا الكتاب — الذى ألفه عثمان بن عبد الله بن بشر المتوفى ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١ م . نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢٤٢ تاريخ ، ونسخة مخطوطة أخرى بالمتحف البريطانى بلندن تحت رقم Or 771 [1] . أما النسخ المطبوعة من هذا الكتاب فمنها نسخة موجزة فى مجلد واحد طبعة بغداد ١٣٣١ هـ — ١٩١١ م وطبعة مكة المكرمة سنة ١٣٤٩ هـ — ١٩٣٠ م فى جزءين وهى الطبعة التى اعتمدت عليها ، وتوجد له طبعة أخرى فى جزءين . طبع القاهرة سنة ١٩٤٦ وينهى ابن بشر تاريخية أحداث عام ١٢٦٧ هـ — ١٨٥١ م . رغم أنه عاش حتى عام ١٢٨٨ هـ — ١٨٧١م . وقد كتب هذا المؤرخ كتابه على الطريقة الحولية . وبدأ بأحداث ١١٥٨ هـ — ١٧٤٥ م أى بالعام الذى تم فيه الإتفاق بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير محمد

---

(١) أحمد أبو حاكمة ، تاريخ الكويت ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

ابن سعود وقد ذكر فى نهاية أحداث كل عام سابقة عن عام سابق بدءاً من عام ٨٥٠هـ — ١٤٤٦ م وعلل سبب تدوينه لهذه السوابق بقوله « فأردت أن أدخل السنين السابقة بين سنى هذا الكتب منتشرة فيه متتابعة كل سنة سابقة تحت كل سنة لاحقة والعلامة عليها قولى « سابقة » ليحصل فى الكتاب فائدة فى التقدم والتأخر »(١).

وقد بذل ابن بشر كل جهد عند كتابته تاريخه فى تحرى الحقيقة وذكر ذلك بقوله « وبذلت جهدى فى تحرى الصدق ، ولم أكتب إلا مايقع فى ظنى أنه الحق ، من قول ثقة يغلب على الظن صدقه عن صفة الوقائع ومواضعها وغير ذلك . فمن وجد فى كتابى هذا زيادة أو نقصاناً . أو تقدماً أو تأخراً فليعلم الواقف عليه أنى لم أتعمد الكذب فيه ، وإنما هو مما نقل إلى ، والعهدة على ناقليه ، وأثبت فى كتابى هذا بعض الحوادث التى لا تختص بنجد لأنها ربما يحتاج إليها بعض من يقف عليها »(٢) .

ورغم ما ذكره لنا ابن بشر عن دقته إلا أننا أخذنا كتاباته بحذر وناقشنا بعضها فى ثنايا البحث . لأن هذا المؤرخ يعبر عن وجهة النظر السعودية ولا نغالى فى شىء إذا قلنا إنه يعتبر المؤرخ الرسمى لآل سعود فى عصره وقد اطلعنا على الطبعة الثالثة للكتاب وقت مثول الرسالة للطبع طبع الجزء الأول ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م والجزء الثانى ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨ م . مطبوع على نفقة مطابع القصيم بالرياض

٥٧ — عثمان بن سند البصرى

مطالع السعود بأخبار الوالى داود ، اختصره أمين الحلوانى بعنوان « مختصر مطالع السعود » ، طبع بمبى ١٣٠٤ هـ .

---

(١) عثمان بن بشر ، المرجع السابق ، ص ٦ .

(٢) نفسه ، ص ٩ .

وعثمان بن سند البصرى وهو نجدى الأصل من قبيلة عنزة توفى عام ١٢٤٢ هـ — ١٨٢٦ م[1]. وقد قام الشيخ أمين الحلوانى باختصار الكتاب تحت عنوان « مختصر مطالع السعود » وطبع بمبى سنة ١٣٠٤ هـ — ١٨٨٧ م ورغم أن عنوان الكتاب لا يوحى بوجود أى صلة بينه وبين موضوع البحث إلا أنه يعد من أقيم المصادر وأهمها التى ذكرت أحداث غارات آل سعود على الأحساء وأطراف العراق وذكر المؤلف الرسائل التى تبودلت بين الأمير سعود وعلى باشا كخيا قائد حملة الأحساء كما ذكر سفارة الشيخ عبد العزيز الشاوى إلى الدرعية للتفاوض مع أولى الأمر فيها لإقامة صلح دائم بين آل سعود وسليمان باشا والى بغداد والنسخة التى اعتمدت عليها النسخة المختصرة التى سبقت الإشارة إليها .

٥٨ — عمر رضا كحالة

جغرافية شبه جزيرة العرب ، طبع دمشق .

٥٩ — فؤاد حمزة

قلب جزيرة العرب ، طبع القاهرة ١٩٣٣ .

٦٠ — فريد مصطفى

آل سعود فى التاريخ ، طبع دمشق ١٩٤٩ .

٦١ — قدرى قلعجى

* الخليج العربى ، طبع بيروت ١٩٦٥
* أضواء على تاريخ الكويت ، طبع بيروت ١٩٦٢ .

٦٢ — كاظم الدجيلى

عثمان بن سند البصرى ، مجلة لغة العرب ، ١٩١٣ .

---

(١) كاظم الدجيلى . مقالة بعنوان الشيخ عثمان بن سند البصرى ، مجلة لغة العرب . المجلد الثالث سنة ١٩١٣ ، ص ١٨٠ - ١٨٦ .

٦٣ — كريم ثابت

محمد علي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٦٤ — ل . أ . سيدو

تاريخ العرب العام ، ترجمة عادل زعيتر ، طبع القاهرة ١٩٤٨ .

٦٥ — لوثرب ستودارد

حاضر العالم الإسلامي ، تعليق وحواشي الأمير شكيب أرسلان ، ترجمة عجاج نويهض ، جزءان ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

٦٦ — مجموعة الحديث النجدية

وهي تشتمل على تسع رسائل هامة عليها تعليقات للمرحوم السيد رشيد رضا ، طبع القاهرة ١٣٧٥ هـ .

وطبعت حديثاً على نفقة سمو الشيخ أحمد بن علي آل ثاني حاكم قطر بمطابع العروبة بقطر ١٣٨٣هـ

٦٧ — مجموعة الرسائل والمسائل النجدية

فتاوى ورسائل لعلماء نجد الأعلام ، ثلاثة أجزاء ، يشتمل الجزء الأول على ثلاثة أقسام :

القسم الأول يحوي رسائل وفتاوى للشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه ورسائل وفتاوى أحفاد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (عبد الرحمن بن حسن ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ، حسن بن الشيخ حسين) .

القسم الثاني والثالث رسائل وفتاوى لغير سلالة الشيخ من علماء نجد لجده سليمان بن علي ووالده عبد الوهاب بن سليمان وغيرهما .

الجزء الثاني يحتوي على ثلاثة أقسام :

أولها كتاب الإمام ورسائل وفتاوى الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب .

ثانيها رسائل وفتاوى الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر .

ثالثها رسائل وفتاوى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبى بطين المتوفى سنة ١٢٨٢ هـ

الجزء الثالث وهى رسائل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن آل الشيخ .

تنتهى مجموعة الرسائل بعبارة « أملاه الفقير إلى رحمة ربه عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن تمت المجموعة مع ذيلها ولله الحمد » ، ج ٣ ، ص ٤٥٥ ، طبع المطبعة السلفية .

٦٨ — مؤلف مجهول

لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة ، طبع بيروت ١٩٦٧

كتاب لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب ، لمؤلف مجهول . وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه أحد المصادر المعاصرة لفترة البحث ومؤلف الكتاب لا يسجل أحداثه على الطريقة الحوليه مثل ابن غنام وابن بشر ، وإنما يذكر الحدث التاريخى ويعالج أسبابه ونتائجه ، ورغم أن الكتاب فيه بعض التحامل على آل سعود إلا أنه من المصادر الدقيقة . ومما يؤخذ على هذا المصدر أنه يغفل تدوين تاريخ كثير من الأحداث مما يضطر الباحث إلى مقارنة أحداثه بكتابات كل من ابن بشر وابن غنام وغيرهما من المصادر الأخرى .

وقد ظل هذا الكتاب مخطوطة محفوظة بمكتبة المتحف البريطانى بلندن ، ولكنه لم يطبع إلا أخيراً حينما قام الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة بنشره وتحقيقه وطبع ببيروت فى مايو ١٩٦٧ وإن كانت هذه الطبعة ينقصها الكثير من العناية والتحقيق . وقد اعتمدت على هذه النسخة المطبوعة حيث أنه لا توجد أى نسخة أخرى خطية أو مصورة لهذا الكتاب فى مكتبات الجمهورية العربية المتحدة .

٦٩ — محمد أبو زهرة (دكتور)

ابن تيمية ، طبع القاهرة ١٩٥٨ .

٧٠ — محب الدين الخطيب

الوهابية ، بحث منشور بمجلة الزهراء ، المجلد الثالث ، صفر سنة ١٣٤٥ هـ .

٧١ — محمد أحمد أنيس (دكتور) ، والسيد رجب حراز (دكتور)

الشرق العربى فى التاريخ الحديث والمعاصر ، طبع مكتبة النهضة العربية ١٩٦٧ .

٧٢ — محمد الطيب بن إدريس الأشهب

المهدى السنوسى ، طبع طرابلس الغرب ، بدون تاريخ .

٧٣ — محمد بن أحمد عيسى العقيلى

من تاريخ المخلاف السليمانى . جزءان ، طبع الرياض ١٩٥٨

٧٤ — محمد بن خليفة النبهانى

التحفة النبهانية فى تاريخ الجزيرة العربية ، ج ٦ ، ج ١٠ طبع القاهرة ١٣٤٢ هـ .

٧٥ — محمد بن عبد الله بن عبد المحسن

تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء فى القديم والحديث ، جزءان ، الرياض ١٣٧٩ هـ — ١٩٦٠ م

٧٦ — محمد بن عبد الوهاب

* كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد ، طبع القاهرة ، بدون تاريخ .

* كتاب كشف الشبهات ، طبع القاهرة ١٣٥١ هـ

* كتاب الأصول الثلاثة ، طبع القاهرة ، بدون تاريخ

* كتاب الكبائر ، ضمن مجموعة الحديث النجدية ، طبع القاهرة ١٣٧٥ هـ .

* السيرة المختصرة ، طبع المطبعة السلفية ، بدون تاريخ .

* السيرة المطولة ، طبع المطبعة السلفية ، بدون تاريخ .

* مجموعة رسائله إلى أهل البلاد النجدية والبلدان المجاورة المنشورة في تاريخ ابن غنام ومجموعة الرسائل والمسائل النجدية .

٧٧ — محمد بن محمد الصنعاني

إتحاف المهتدين بذكر الأئمة المجددين ، طبع القاهرة بدون تاريخ .

٧٨ — محمد بن يحيى الحسنى

نيل الوطر من تراجم رجال اليمن فى القرن الثالث عشر، طبع القاهرة ١٩٢٩ .

٧٩ — محمد بهجت الأثرى

محمود شكرى الألوسى ، طبع معهد الدراسات العربية ، سنة ١٩٥٨ .

٨٠ — محمد توفيق صادق

تطور الحكم والإدارة فى المملكة العربية السعودية ، طبع الرياض ١٩٦٥ .

٨١ — محمد حامد الفقى

أثر الدعوة الوهابية فى الحياة الاجتماعية والعمرانية طبع القاهرة ١٩٣٥

٨٢ — محمد رشيد رضا

* تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، طبع القاهرة ١٩٣١ .

* الوهابيون والحجاز ، طبع القاهرة ١٩٢٥ .

* المجلد الأول من مجلة المنار ، القاهرة ١٨٩٨ — ١٨٩٩ .

٨٣ — محمد رفعت

التوجيه السياسى للفكرة العربية الحديثة ، القاهرة سنة ١٩٦٤ .

٨٤ — محمد شفيق غربال

منهاج مفصل لدروس العوامل التاريخية فى بناء الأمة العربية على ما هى عليه ، طبع معهد الدراسات العربية سنة ١٩٦١ .

٨٥ — محمد عبد الله ماضى (دكتور)

النهضات الحديثة فى جزيرة العرب ، القاهرة ١٩٥٢ .

٨٦ — محمد عمر رفيع

فى ربوع عسير ذكريات وتاريخ ، طبع القاهرة ١٩٥٤ .

٨٧ محمد فهمى لهيطة

تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ، القاهرة سنة ١٩٣٨ .

٨٨ — محمد محمود السروجى (دكتور)

موقف مصر من بعض مشكلات الجزيرة العربية فى الستينات .

٨٩ — محمد مختار باشا

التوفيقات الإلهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية .

٩٠ — محمود بهجت سلامة

البحرين درة الخليج العربى ، سنة ١٩٦٣ .

٩١ — محمود شكرى الألوسى

تاريخ نجد ، فى آخره تتمة ونقد الشيخ سليمان بن سحمان حققه وعلق عليه محمد بهجت الأثرى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٣٤٧ هـ .

٩٢ — محمود طه (دكتور)

جغرافية شبه جزيرة العرب ، المملكة العربية السعودية القاهرة ١٩٦٥

٩٣ — محمود على الداود (دكتور)

* الخليج العربى والعلاقات الدولية ، طبع معهد الدراسات العربية ، سنة ١٩٦١ .

* قضية عمان فى العصر الحديث ، طبع معهد الدراسات العربية ، سنة ١٩٦٤ .

٩٤ — محمود كامل المحامى

الدولة العربية الكبرى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٦ .

٩٥ — مصطفى مراد الدباغ

الجزيرة العربية ، موطن العرب ومهد الإسلام ، بيروت ١٩٦٣

٩٦ — منير العجلانى (دكتور)

تاريخ البلاد العربية السعودية ، الجزء الأول ، (الدولة السعودية الأولى) طبع بيروت بدون تاريخ .

٩٧ — ميخائيل الدمشقى

حوادث الشام ولبنان ١١٩٧ — ١٢٥٧هـ — ١٧٨٢ — ١٨٤١ م ، عنى بنشره وتعليق حواشيه ووضع فهارسه الأب لويس معلوف اليسوعى ، بيروت ١٩١٢ .

٩٨ — نجلاء عز الدين (دكتوره)

تاريخ العالم العربى الحديث ، ترجمة ، محمد عوض إبراهيم وآخرون ، طبع القاهرة ١٩٦٢ .

٩٩ — نور الدين عبد الله السالمى

تحفة الأعيان بسيرة أهل عمان ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦١ .

١٠٠ — يوسف الفلكى

قضية البحرين بين الماضى والحاضر .

١٠١ — الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية

خمسة رسائل لكبار أئمة نجد وعلمائها ، جمع وترتيب الشيخ سليمان ابن سحمان النجدى « وقف على طبعها وعلق عليها بعض الفوائد والإيضاحات السيد محمد رشيد رضا » ، الطبعة الثانية مطبعة المنار بمصر ، ١٣٤٤ هـ .

(حـ) الحوليات :

١ — حولية كلية البنات جامعة عين شمس ، سنة ١٩٦٤ .

٢ — حولية كلية الآداب جامعة عين شمس ، سنة ١٩٦٤ .

(د) المجلات :

١ — مجلة الجمعية التاريخية المصرية ، المجلد السابع ١٩٥٨ .

٢ — مجلة الزهراء ، المجلد الثالث ١٣٤٥ هـ

٣ — مجلة لغة العرب ، مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية ، تصدر فى بغداد ، إصدار الأب انستاس الكرملى ، المجلد الثالث ، ١٩١٣ .

٤ — مجلة المشرق البيروتية ، المجلد العاشر ، ١٩٠٤

٥ — مجلة المنار ، إصدار رشيد رضا ، المجلد الأول ، ١٣١٥—١٣١٦ .

٦ — مجلة الهلال المصرية ، السنة ٤١ ، عدد مارس ١٩٣٣ .

ثانيا — المصادر الأجنبية :

I — DOCUMENTS

1. Aitchison, C.V. : A collection of treaties, Engagements and sanads relating to India and the neighbouring countries, vol. XI, Delhi, 1933.

2. Admiralty War Office, A Handbook, vol. I, London, 1916.

3. Bombay Government, Selections from the records, vol. XXIV, Bombay, 1856.

4. Guillian, M., Documents sur l'histoire, Géographie et le Commerce de l'Afrique Orientale, 3 tomes, Paris, 1856.

II — REFERENCES

1. Abu Hakima (Ahmed) History Of Eastern Arabia, (1705-1800), Beirut, 1965.

2. Adamyiat (Feredoun), Bahrein Islands, New York, 1955.

3. Ali Bey, Travels Of Ali Bey, 2 vols., London, 1816.

4. Badger (G. P.), History of the Imams and Seyyids of Oman, by Salil Bin Razik (from 661-1856), trans. by Badger, London, 1871.

لمؤلفه حميد بن محمد بن رزيق وقد ترجمه إلى الإنجليزية المستر جورج برس بادجر Badger. O.P. تحت الاسم السابق وهى ترجمة غير دقيقة حيث إن اسمه العربى « الفتح المبين المبرهن سيرة السادة البوسعيديين » وقد ذكر الدكتور أحمد أبو حاكمة أن بادجر أخطأ فى ترجمة اسم المؤلف نفسه فقد ذكره باسم سليل بن رزيق ولفظه سليل ليست اسماً وإنما هى لفظة تطلق فى العربية للدلالة على السلالة والنسب ويؤكد الدكتور أحمد أبو حاكمة ذلك اعتماداً على أن المؤلف قد ذكر اسمه أكثر من مرة فى المخطوطة تحت اسم حميد بن محمد بن رزيق وأشار مرات

عديدة بأنه سليل ابن رزيق أى من سلالة ابن رزق(١) .

وقد اعتمدت على الترجمة الإنجليزية المحفوظة بدار الكتب المصرية والحق أن المترجم أضاف إلى الكتاب تعليقات وحواشى كثيرة ذات أهمية عن تاريخ العلاقات السعودية وإن جانبه الصواب فى بعضها .

5. Bensoist (J.M.), Arabia destiny, London, 1947.

6. Berreby (J.J.), — Le Golfe Persiques, Paris, 1959, — La péninsule arabique Terre Sainte l'Islam et Empire du pétrole, Paris, 1958.

7. Blnut (Lady Anne), Pilgrimage to Najd, the cradle of the Arab race, 2 vols., second edition, London, 1881.

8. Brydges (Sir Harford Jones), An account of His Majesty's Mission to the Court of Persia in the years (1807-1810) to which is appended, A brief history of the Wahaby, 2 vols., London, 1834.

وترجع أهمية هذا المصدر إلى أن بريدجز Brydges كان من موظفى وكالة البصرة التجارية فى الفترة من ١١٩٨ – ١٢٠٩ هـ – ١٧٨٤ – ١٧٩٤ م ثم عينته الحكومة البريطانية ممثلا لها لدى باشا بغداد عام ١٢١٤ هـ — ١٧٩٨ م ، وقد شهد بنفسه الاستعدادات الضخمة التى كانت تجرى فى بغداد عند وصوله إليها فى سبتمبر من العام المذكور لحملة على باشا الكخيا ضد آل سعود وقد دون ما شاهد وما سمعه عن علاقة آل سعود بمناطق الخليج وأطراف العراق . وقد اعتمدنا على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم hist 7788 .

9. Burkhardt (J.L.), — Notes on the Bedouins and Wahabys, London, 1930.

محفوظة فى الجمعية الجغرافية المصرية تحت رقم AB 172

— Travels in Arabia, 2 vols., London, 1829.

محفوظة فى الجمعية الجغرافية المصرية تحت رقم B-H 157

---

(١) أحمد أبو حاكمة ، المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٥ .

وقد أمدنا الرحالة بوركهارت بمعلومات قيمة عن قبائل جزيرة العرب وعاداتها ووصف فى كتابه الثانى الحياة التى كانت سائدة فى الجزيرة فى مطلع القرن التاسع عشر .

أما فى كتابه الأول ...Notes فقد أجاد الكتابة عن الوهابية وغزو آل سعود للحجاز والعراق وحروب آل سعود وجيوش محمد على ولا نغالى فى شىء إذا قلنا إن كتابات بوركهارت من أمتع وأصدق الكتابات الأجنبية التى كتبت فى الموضوع وقد أغرقت دقة بوركهارت Brydges عند تأليفه لكتابه السابق فاضطر أن ينقل عنه صفحات كاملة كما اضطر أحياناً إلى إحالة القارىء إليه مرات عديدة وإن اختلف معه حول بعض النقاط وقد ذكرنا ذلك فى ثنايا البحث

10. Bury (G.W.), Arabia Infelix or Turks in Yemen, London, 1915.

11. Corancez (L.A.), Histoire des Wahabis depuis leur origine jusqu'à la fin de 1809, Paris, 1810.

وترجع أهمية هذا المصدر إلى أنه أفادنا كثيراً عند دراسة علاقة آل سعود بالعراق وتهديدهم المستمر للأماكن الشيعية المقدسة لدى الشيعة مما أدى إلى تهديد شاه إيران بغزو العراق والقضاء على آل سعود إن لم يقف سليمان باشا موقفاً جازماً من الغارات السعودية ضد المزارات الشيعية الواقعة فى داخل حدود ولايته .

12. Coupland (R.), East Africa and Its Invaders, London, 1938.

13. Curzon, (G.N.), Persia and Persian question, 2 vols., London, 1892.

14. Dickson (H.R.P.), — Arab of the desert, London, 1951,
— Kuwait and hér neighbours, London, 1956.

15. Dodwell (Henry), The founder of Modern Egypt, Cambridge, 1931.

16. Gerald (de Gaury), Arabia Phenix, an Account of a visit to Ibn Saud of Austere Wahabis and powerful Arabian King, London, 1914.

17. Hogarth (D.G.), Arabia, Oxford, 1922.

18. Ingrams (H.), The Yemen, Imams, Rulers and Revolutions, London, 1963.

19. Jacqueline Pirenne, A la découverte de l'Arabie, Paris, 1957.

20. Jean (G.L.) et L. Champenois, Le Royaume d'Arabie Séoudite, Paris, 1966.

21. Kelly, (Jone), Eastern Arabian Frontiers, London, 1964.

22. Kiernan (R.H.), L'Exploration de L'Arabie, Paris, 1938.

23. Lockhart (L.), Nadir Shah, London, 1938.

24. Longrigg H. Stephen, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford, 1952.

25. Marlowe, John, The Persian Gulf in Twentieth Century, London, 1962.

26. Miles Colonel S.B., The countries and tribes of the Persian Gulf, London, 1919.

27. Mohammed Sabry, L'Empire Egyptien sous Mohammed Ali et la question d'orient, 1811-1849, Paris, 1930.

28. Morrier, James, A Journey through Persia, Armenia and Asia Minor, to Constantipole, 1809, London, 1812.

وقد تحدث الكاتب بإفاضة عن المسألة الفارسية وعن البعثات الإنجليزية والفرنسية التي أتت إلى بلاط فارس في تلك الفترة وقد انفرد هذا المصدر بذكر نص رد الإمام سعود إلى حكومة الهند ١٢٢٤ هـ — ١٨١٠ م رغم أن سجلات حكومة بومباى أغفلت نشر هذا الرد وإن أشارت إلى ردها عليه .

29. Mourizi, V. (Shaikh Mansur),

History of Seyd Said, Sultan of Muscat together, with an account of the countries and people of the shores of Persian Gulf particularly of Wahabees. London, 1819.

موريزى طبيب السيد سعيد الإيطالى الذى أطلق عليه اسم الشيخ منصور :

وتعود أهمية هذا الكتاب إلى أن موريزى عاصر الفترة الأولى من حكم السيد سعيد وتوطيده لحكمه وعلاقته بآل سعود وحلفائهم القواسم وقد قاد المؤلف نفسه جيوش السيد سعيد فى بعض المعارك ضد القوات السعودية وكان موريزى يعد مستشار السيد سعيد الأول ولذا كانت كتاباته أقرب إلى الدقة . وقد أوضحنا ذلك فى فصل العلاقات الخارجية . ولذا لا يمكن دراسة تاريخ الدولة السعودية الأولى دون الإطلاع على هذا المصدر وقد اعتمدت على النسخة المحفوظة بدار الكتب المصرية .

30. Palgreave (W.G.), Narrative of a years journey through Central and Eastern Arabia (1862-1863), 2 vols., London, 1865.

31. Payly (R.W.), Saudi Arabia in Ninteenth Century, New York 1965.

32. Philby (H.st.), — Saudi Arabia, London, 1955,
— A Pilgrim in Arabia, London.

33. Playfair (RL.), A History of Arabia Felix or Yemen from the commencement of Christian Era to the present time, Bombay, 1859.

34. Ruete (Rudolf Said), Said Bin Sultan Ruler of Oman and East Africa (1791-1866), London, 1929.

35. Sadlier (C.G.F.), Diary of a journey across Arabia from El Khatif in Persian Gulf, to Yambo in the Red Sea, during the year, Bombay, 1866.

36. Sanger (R.H.), Arabia Peninsula, New York, First Edition, 1954.

37. Scott (H.), In High Yemen, Second Edition, London, 1947.

38. Stitt (G.), A Prince of Arabia, London, 1948.

39. Thomes Archer, The War in Egypt and Sudan, London.

40. Twitchall (K.S.), Saudi Arabia, New Jersey, *3rd* Edition, 1958.

41. Wilson (Sir Arnold), The Persian Gulf, London, 1954.

42. Zwemer (Rev. S.M.), Arabia the Cradle of Islam, New York, fourth edition, 1912.

فهرس

الصفحة

الصفحة

الصفحة

فهرس الخرائط

صواب الخطأ

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٩	١٤	واصبحب	واصبحت
١٠	٣	وانتشدت	وانتشرت
١٠	١٦	الطواعيت	الطواغيت
١٤	٨	بن	ابن
٢٧	٤	أهله	أهل
٣١	١٩	الجبلية	الجبية
٣٢	٢٠	١	٤
٣٤	١	سلمان	سليمان
٣٤	٤	دعوة؛	دعوته
٣٥	١٩	لنبوى	النبوى
٤٠	٤	يرض	يرضى
٤٨	٦	عائد	وعاد
٤٩	٢٠	لدعوة	الدعوة
٥١	١٥	السجدية	النجدية
٥٢	١٣	لخفاء	الخفاء
٥٥	١٠	فى الجمة	فى الجمعة
٥٥	١٩	والحرج	والخرج
٥٦	١٠	حدوى	جدوى
٦١	٩	سلطته	سلطة
٧١	١٥	حليفة	خليفه
٧٤	٢١	السعوى	السعودى
٩٨	٢	يدفع	بدفع
٩٩	١١	نعسه	نفسه
١٠٠	١٥	خليل	خليج
١٠٠	١٥	التمهيدية	التهديدية
١٠٠	١٦	الخليل	الخليج
١٠٣	٢	كانت أنباء الاستعدات	كانت الاستعدادات
١١٤	١٠	سلبه	سلبية
١٢٠	٨	براً بحراً	براً وبحراً
١٢٣	٤	ولاشك أن لهذا الموقف أثراً كبيراً	ولاشك أنه كان لهذا الموقف أثر كبير
١٢٧	٨	لى	إلى
١٢٩	٦	وبالاضافة إلى نفوذ	وبالإضافة إلى أن نفوذ
١٣١	٢	وازداد	إزداد
١٣٢	٤	ولا نستعيد	ولا نستبعد
١٣٣	٥	فوجد	فوجود
١٤٨	١٣	لعيش	تعيش
١٤٨	١٤	تلامامة	للامامة
١٥٥	١٨	أمراة	أمراء
١٨١	٢	سياسية	سياسته
١٨٣	١٢	صراح	سراح
١٩٠	١	مراسمها	مراسمهما
١٩٥	١	السعودية قوات على باشا	قوات على باشا
١٩٧	١	والى	(والى)
١٩٨	٧	السيارة	السيادة
٢٠٦	١٣	أزمع	أذيع
٢١٣	٨	أن نجح فى	أن نجح آل سعود فى
٢١٥	١٦	بين	به
٢١٩	١٨	نظاما ما	نظاماً
٢٢٢	٦	سلمان خليفة	سليمان بن خليفة
٢٢٢	٧	واى	وادى
٢٢٢	١١	حمد بن سلم	حمد بن سالم

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٢٢٣	١٤	تابعتان	تابعتين
٢٢٣	١٦	قطان	قطنان
٢٢٣	٢٠	حسن قلمى	حسن قلمى
٢٢٥	١٤	العبب	العبث
٢٢٦	١	عبدالرحمن بن الخيس	وعبد الرحمن بن خميس
٢٢٦	٦	رشيد الدوسر	رشيد الدوسرى
٢٣٦	٢٠	شنا	كنا
٢٨٤	٧	لعينة	لعينه
٢٩١	١٨	عميلة	عميله
٣٠٠	٨	الحاجه	إلحاحه
٣٠٠	١٩	كرحال	كرجال
٣٠٦	١٦	لمصرية	المصرية
٣١٣	٤	١١٣٠ هـ	١٢٣٠ هـ
٣٤٣	١٩	يفتتحها	يختتمها
٣٤٤	١٥	فته	فتنة
٣٤٤	٢٤	بخطكم	بختمكم
٣٤٦	٨	لقائه	إعانة
٣٤٧	٥	تنذر	نذر
٣٤٧	١٩	سليا	سلمياً
٣٤٨	١٧	الطيفية	الطيفة
٣٤٩	٦	أفدعوه من	أفدعوه مع
٣٤٩	١٧	مؤخراً بزويدى	مؤخراً بمسألة تزويدى
٣٤٩	١٩	والأدوات فى	والأدوات إلى فى
٣٥٣	١٩	بحسب افتراء	بسبب إفتراء
٣٥٧	٦	لهذا الخادم إبقاعاً	لهذا الخادم المطيع إبقاعاً
٣٥٧	٩	من عبدكم الأفندى	مع عبدكم الأفندى
٣٥٩	٢٠	بتميه	بتتميم
٣٦٠	١٣	لدينا	لدينتا
٣٦٤	١٢	ودير	ودبر
٣٦٥	٧	١٩٢٩ هـ	١٢٢٩ هـ
٣٦٦	٥	ليحمى	ليحى
٣٦٦	١٣	الباسل لتأدية	الباسل لتأديب مثل هؤلاء الحشرات إلى تعطيل سائر مصالحنا
٣٦٩	٨	بارساله عبدكم	بارساله بواسطة عبدكم
٣٧٠	٨	إن كان الخمسة والعشرين منهم	إن كان الخمسة منهم
٣٧١	١٦	إبداء	إبداء
٣٧١	١٨	جد	جر
٣٧٢	١٦	لمنصبي	بمنصبى
٣٨٠	٢	لمولاى	يا مولاى
٣٨٠	٣	تنسب	تنسب
٣٩٣	٣	بالجلاد	بالجلادة
٣٩٤	١٩	فقاتلناهم	فقاتلناه
٣٩٧	٣	والمفاضلة	والمفاصلة
٣٩٧	١٥	البعد	البعدا
٤٠٥	١٥	يد	بدا
٤٠٨	١٥	مقددة	مقدمة
٤٢٦	١٢	Abu Hakima	Abu Hakma

رقم الإيداع بدار الكتب $\frac{٣٤٨٤}{١٩٦٩}$